

رُوحُ الْمَعَانِي

في

تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمُبْتَدِئِ

لخاتمة المحققين وعمدة المدققين مرجع أهل العراق
ومفتي بغداد العلامة أبي الفضل
شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي
المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ سقى الله ثراه
صبيب الرحمة وأفاض عليه سجال
الاحسان والنعمة آمين



الجزء السابع والعشرون

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية باذن من ورثة المؤلف بخط وامضاء علامة العراق
المرحوم السيد محمود شكرى الألوسي البغدادي

إدارة المطبعة المنيرية
ولر

لحياء التراث العربي

ببيروت - لبنان

مصر : درب الاتراك رقم ١

﴿ سورة الذاريات (١) ﴾

﴿ مكية ﴾ كُروى عن ابن عباس. وابن الزبير رضى الله تعالى عنهما - ولم يحك في ذلك خلاف - وهى ستون آية بالاتفاق كما فى كتاب العدد ، ومناسبتها لسورة (ق) أنها لما ختمت بذكر البعث واشتملت على ذكر الجزاء والجنة والنار وغير ذلك افتتحت هذه بالإقسام على أن ما وعدوا من ذلك لصادق ، وأن الجزاء لواقع ، وأنه قد ذكر هناك إهلاك كثير من القرون على وجه الاجمال ، وذكر هنا إهلاك بعضهم على سبيل التفصيل إلى غير ذلك مما يظهر للتأمل •

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالَّذِي نَزَّلَ ذُرِّيَّتَ ذُرْوًا ۝ ١ ﴾ أى الرياح التى تذروا التراب وغيره من ذرا - المعتل بمعنى فرق وبدد مارفعه عن مكانه ﴿ فَأَلْحَمَلْتُ وَقُرًّا ۝ ٢ ﴾ أى حملا وهى السحب الحاملة للطر •

﴿ فَأَلْجَرِيَّتِ يَسْرًا ۝ ٣ ﴾ أى جرياً سهلاً إلى حيث سیرت وهى السفن ﴿ فَأَلْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا ۝ ٤ ﴾ هى الملائكة الذين يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به ، وتفسير كل بما فسر به قد صح روايته من طرق عن على كرم الله تعالى وجهه ، وفى بعض الروايات أن ابن الكواء سأله عن ذلك وهو رضى الله تعالى عنه بخطب على المنبر فأجاب بما ذكر ، وفى بعض الأخبار ما يدل على أنه تفسير مأثور عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم •

أخرج البزار . والدارقطنى فى الافراد . وابن مردويه . وابن عساکر عن سعيد بن المسيب قال : « جاء صبيغ التميمى إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال : أخبرنى عن (الذاريات ذرواً) قال : هى الرياح ، ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما قلته ، قال : فأخبرنى عن (الحاملات وقرأ) قال : هى السحاب ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما قلته ، قال : فأخبرنى (عن الجاريات يسراً) قال : هى السفن ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما قلته ، قال : فأخبرنى عن (المقسمات أمراً) قال : هى الملائكة ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما قلته ثم أمر به فضرب مائة وجعل فى بيت فلما برأ دعاه فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى أبى موسى الأشعرى امنع الناس من مجالسته فلم يزالوا كذلك حتى أتى أبى موسى خلف له بالايمان المغلظة ما يجد فى نفسه مما كان يجد شيئاً فكتب إلى عمر رضى الله تعالى عنه ما أخاله إلا قد صدق نخلى بينه وبين مجالسة الناس • »

ويدل هذا أن الرجل لم يكن سليم القلب وأن سؤاله لم يكن طلباً للعلم وإلا لم يصنع به عمر رضى الله تعالى عنه ما صنع • وفى رواية عن ابن عباس أن - الحاملات - هى السفن الموقرة بالناس وأمتعهم ، وقيل : هى الحوامل من جميع الحيوانات ، وقيل : الجاريات السحب تجرى وتسير إلى حيث شاء الله عز وجل ، وقيل : هى الكواكب

(١) ﴿ تنبيه ﴾ جريئاً هنا فى تقسيم هذا الجزء هكذا لما هو المشهور من تجزئة الأجزاء الأربعة الأواخر لذلك ليكون أول كل جزء منها أول سورة وإن كانت تجزئة المصاحف فى هذا الجزء هى قوله : (قال فما خطبكم أيها المرسلون)

التي تجري في منازلها وكلها لها حركة وإن اختلفت سرعة وبطأ كما بين في موضعه ، وقيل : هي الكواكب السبعة الشهيرة وتسمى السيارة ، وقيل : (الذاريات) النساء الولود فانهن يذرين الاولاد كأنه شبه تتابع الاولاد بما يتطير من الرياح ، وباقي المتعاطفات على ما سمعت أولا ، وقيل : (الذاريات) هي الاسباب التي تدرى الخلائق على تشبيه الاسباب المعدة للبروز من العدم بالرياح المفرقة للحبوب ونحوها ، وقيل : الحاملات الرياح الحاملة للسحاب ، وقيل : هي الاسباب الحاملة لمسيباتها مجازاً ، وقيل : الجاريات الرياح تجري في مهاها ، وقيل : المقسمات السحب يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد ، وقيل : هي الكواكب السبعة السيارة - وهو قول باطل - لا يقول به إلا من زعم أنها مدبرة لعالم الكون والفساد ، وفي صحيح البخاري عن قتادة « خلق الله تعالى هذه النجوم ثلاث جعلها زينة للسماء . ورجوما للشياطين . وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا يعلم » وزاد رزين « وما لا علم له به وما عجز عن علمه الانبياء والملائكة » وعن الربيع مثله وزاد « والله ما جعل الله تعالى في نجم حياة أحد ولا رزقه ولا موته وإنما يفترون على الله تعالى الكذب ويتعللون بالنجوم » ذكره صاحب جامع الاصول ، وقدم الكلام في إبطال ما قاله المنجمون مفصلاً فتذكر ، ولعله سيأتي إن شاء الله تعالى شئ من ذلك ، وجوز أن يراد بالجميع الرياح فانها - كما تذر - وما تذر وه تثير السحاب وتحمله ، وتجري في الجوق جرياً سهلاً - وتقسم الامطار بتصرف السحاب في الاقطار - والمعول عليه ما روى عن عمر رضي الله تعالى عنه سامعاً له من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - وقاله باب مدينة العلم كرم الله تعالى وجهه على المنبر - واليه كما نقل عن الزجاج ذهب جميع المفسرين أي المعتبرين ، وقول الامام بعد نقله له عن الامير : الأقرب أن تحمل هذه الصفات الأربع على الرياح جسارة عظيمة على ما لا يسلم له ، وجهل منه بما رواه ابن المسيب من الخبر الدال على أن ذلك تفسير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأين منه الامام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه • وقول صاحب الكشف : إنه شديد الطباق للمقام ولذا آثره الامام لا أسلمه له أيضاً إذا صح الحديث ثم إذا حملت هذه الصفات على أمور مختلفة متغايرة بالذات كما في المعول عليه فالقاء للترتيب في الاقسام ذكراً ورتبة باعتبار تفاوت مراتبها في الدلالة على كمال قدرته عز وجل ، وهذا التفاوت إما على الترقى أو التنازل لما في كل منها من الصفات التي تجعلها أعلى من وجه وأدنى من آخر إذا نظر لها ذو نظر صحيح ، وقيل : الترتيب بالنظر إلى الأقرب فالأقرب منا ، وإن حملت على واحد وهو الرياح فهي لترتيب الافعال والصفات إذ الريح تذر الأبخرة إلى الجو أولاً حتى تنعقد سحاباً فتحمله ثانياً وتجري به ثالثاً ناشرة وسائقة له إلى حيث أمرها الله تعالى ثم تقسم أمطاره ، وقيل : إذا حملت الذاريات والحاملات على النساء ، فالظاهر أنها للتفاوت في الدلالة على كمال القدرة فتدبر •

ونصب (ذروا) على أنه مفعول مطلق ، (ووقراً) على أنه مفعول به ، وجوز الامام أن يكون من باب ضربته سوطاً ، و(يسراً) على أنه صفة مصدر محذوف بتقدير مضاف أي جرياً ذا يسر ، أو على أنه حال أي ميسرة كما نقل عن سيويه ، و(أمراً) على أنه مفعول به وهو واحد الامور ، وقد أريد به الجمع ولم يعبر به لان الفرد أنسب بروس الآي مع ظهور الامر ، وقيل : على أنه حال أي مأمورة ، والمفعول به محذوف أو الوصف منزل منزلة اللازم أي تفعل التقسيم مأمورة ، وقرأ أبو عمرو . وحمة (والذاريات ذرواً) بادغام التاء في الذال ، وقرئ (وقرأ) بفتح الواو على أنه مصدر وقره إذا حمه - كما أفاده كلام الزمخشري - وناهيك

به إماماً في اللغة ، وعلى هذا هو منصوب على أنه مفعول به أيضاً على تسمية المحمول بالمصدر أو على أنه مفعول مطلق - لحاملات - من معناها كأنه قيل : فالحاملات حملاً . وقوله تعالى شأنه :

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۖ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۚ ﴾ جواب للقسم ، و (ما) موصولة والعائد محذوف أي إن الذي توعدونه ، أو توعدون به ، ويحتمل أن تكون مصدرية أي إن وعدكم ، أو وعيدكم إذ توعدون يحتمل أن يكون مضارع وعد ، وأن يكون مضارع أو وعد ، ولعل الثاني أنسب لقوله تعالى : (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) ولأن المقصود التخويف والتحويل ، وعن مجاهد أن الآية في الكفار وهو يؤيد الوعيد ومعنى صدقه تحقق وقوعه ، وفي الكشف وعد صادق - كعيشة راضية - و (الدين) الجزاء ووقوعه حصوله ، والا كثرون على أن الموعود هو البعث ، وفي تخصيص المذكورات بالإقسام بها رمز إلى شهادتها بتحقيق الجملة المقسم عليها من حيث أنها أمور بديعة فمن قدر عليها فهو قادر على تحقيق البعث الموعود ﴿ وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُكِ ۚ ﴾ أي الطرق جمع حبيكة كطريقة ، أو حباك كثال ومثل ، ويقال : حبك الماء للتكسر الجارى فيه إذ مرت عليه الريح ، وعليه قول زهير يصف غديراً :

مكل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لصاحي مائه حبك (١)

وحبك الشعر لآثار تشنيه وتكسره ، وتفسيرها بذلك مروى عن مقاتل . والكلي . والضحاك ، والمراد بها إما الطرق المحسوسة التي تسير فيها الكواكب ، أو المعقولة التي تدرك بالبصيرة وهي ما تدل على وحدة الصانع وقدرته وعليه وحكمته جل شأنه إذا تأملها الناظر ، وقال ابن عباس . وقتادة . وعكرمة . ومجاهد . والربيع : ذات الخلق المستوى الجيد ، وفي رواية أخرى عن مجاهد المتقنة البنيان ، وقيل : ذات الصفاقة وهي أقوال متقاربة وكأن الحبك عليها من قولهم : حبكت الشيء أحكمته وأحسنتم عمله وحبكت العقدة أو ثقتها ، وفرس محبوك المعاقم - وهي المفاصل - أي محكمها ، وفي الكشف أصل الحباكة الصفاقة وجودة الاثر ، وعن الحسن - حبكها - نجومها ، والظاهر أن إطلاق الحبك على النجوم مجاز لأنها تزين السماء كما يزين الثوب الموشى حبكه وطرائق وشبه فكأنه قيل : ذات النجوم التي هي كالحبك أي الطرائق في التزيين ، واستظهر في السماء أنه جنس أريد به جميع السموات وكون كل واحدة منها ذات حبك بمعنى مستوية الخلق جيدته ، أو متقنة البنيان أو صفيقة ، أو ذات طرق معقولة ظاهر ، وأما كون كل منها كذلك بمعنى ذات طرق محسوسة فباعتبار أن الكواكب في أي سماء كانت تسير مسامتة لسائر السموات ، فمراتها باعتبار المسامطة طرق ، وبمعنى ذات النجوم فباعتبار أن النجوم في أي سماء كانت تشاهد في سائر السموات بناءً على أن السموات شفاقة لا يحجب كل منها إدراك ما وراءه ، وأخرج ابن منيع عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال : هي السماء السابعة ، وعن عبد الله بن عمرو مثله فتدبر ولا تغفل .

وقرأ ابن عباس . والحسن بخلاف عنه . وأبو مالك الغفاري . وأبو حيوة . وابن أبي عملة . وأبو السمال .

(١) قوله : (مكل) مجرور على الوصف في قوله : قبله ثم استعانت - بماء مكل - ذلك الماء بأصول النبات وصارت حوله كالأليل ، (والخريق) الريح الباردة الشديدة الهبوب و (الضاحي) الظاهر ، و (حبك الماء طرائقه) . اهـ
إدارة الطباعة المنيرية

ونعيم عن أبي عمرو - الحبك - يأسكان الباء على زنة القفل ، وعكرمة بفتحها جمع حبكة مثل طرفه وطرف وبرقة (١) وبرق ، وأبو مالك الغفاري . والحسن بخلاف عنه أيضا بكسر الحاء والباء - كالابل - وهو على ما ذكر الخفاجي اسم مفرد ورد على هذا الوزن شذوذاً وليس جمعاً ، وأبو مالك والحسن . وأبو حيوة أيضا بكسر الحاء وإسكان الباء كالسلك - وهو تخفيف فعل مكسور الفاء والعين وهو اسم مفرد لا جمع لأن فعلا ليس من أبنية الجموع - قاله في البحر - وابن عباس . وأبو مالك أيضا بفتحهما كالجبل - قال أبو الفضل الرازي - فهو جمع حبكة مثل عقبة وعقب ، والحسن أيضا بكسر الحاء وفتح الباء كالنعم ، وأبو مالك أيضا بكسر الحاء وضم الباء وذكرها ابن عطية عن الحسن أيضا ثم قال : هي قراءة شاذة غير متوجهة وكأنه بعد أن كسر الحاء توهم قراءة الجمهور فضم التاء (٢) وهذا من تداخل اللغات وليس في كلام العرب هذا البناء أي لأن فيه الانتقال من خفة إلى ثقل على عكس ضرب مبنياً للمفعول ، وقال صاحب اللوامح : هو عديم النظير في العربية في أبنيتها وأوزانها ولا أدري ما وراءه انتهى *

وعلى التداخل تأول النحاة هذه القراءة ، وقال أبو حيان : الأحسن عندي أن يكون ذلك مما أتبع فيه حركة الحاء لحركة تاء (ذات) في الكسر ولم يعتد باللام الساكنة لأن الساكن حاجز غير حصين *

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّتَخَلِّفٍ﴾ أي متخالف متناقض في أمر الله عز وجل حيث تقولون : إنه جل شأنه خالق السموات والارض وتقولون بصحة عبادة الأصنام معه سبحانه ، وفي أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فتقولون : تارة إنه مجنون ، وأخرى إنه ساحر ولا يكون الساحر إلا عاقلاً ، وفي أمر الحشر فتقولون : تارة لا حشر ولا حياة بعد الموت أصلاً ، وتزعمون أخرى أن أصنامكم شفعاؤكم عند الله تعالى يوم القيامة إلى غير ذلك من الأقوال المتخالفة فيما كلفوا بالإيمان به ، واقتصر بعضهم على كون القول المختلف في أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ، والجملة جواب القسم ولعل النكتة في ذلك القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف هياكلها ، أو الإشارة إلى أنها ليست مستوية جيدة ، أو ليست قوية محكمة ، أو ليس فيها ما يزينها بل فيها ما يشينها من التناقض ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ أي يصرف عن الإيمان بما كلفوا بالإيمان به لدلالة الكلام السابق عليه ، وقال الحسن . وقتادة : عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقال غير واحد : عن القرآن ، والكلام السابق مشعر بكل من صرف الصرف الذي لا أشد منه وأعظم ، ووجه المبالغة من إسناد الفعل إلى من وصف به فلولاً غرض المبالغة لكان من توضيح الواضح فكأنه أثبت للبصروف صرف آخر حيث قيل : (يصرف عنه) المصروف فجاءت المبالغة من المضاعفة ثم الإطلاق في المقام الخطابي له مدخل في تقوية أمر المضاعفة وكذلك الإبهام الذي في الموصول ، وهو قريب من قوله تعالى : (فغشيه من اليم ما غشيه) ، وقيل : المراد (يصرف عنه) في الوجود الخارجي من (صرف عنه) في علم الله تعالى وقضائه سبحانه ، وتعقب بأنه ليس فيه كثير فائدة لأن كل ما هو كائن معلوم أنه ثابت في سابق عليه تعالى الأزل وليس فيه المبالغة السابقة ، وأجيب عن الأول بأن فيه الإشارة إلى أن الحججة البالغة لله عز وجل في صرفه وكفى بذلك فائدة وهو مبني أن العلم تابع للمعلوم فافهمه ، وحكى الزهراوى أنه يجوز أن يكون الضمير (لما توعدون) أو - للدين - أقسم سبحانه - بالذاريات - على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسما على أنهم في (قول مختلف) في وقوعه ، فمنهم شاك ،

ومنهم جاحد ثم قال جل وعلا : (يؤفك) عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك ، وذكر ذلك الزمخشري ولم يعزه ، وادعى صاحب الكشف أنه أوجه لتلاؤم الكلام ، وقيل : يجوز أن يكون الضمير - لقول مختلف - وعن - للتعليل كما في قوله تعالى : (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) وقوله :

ينهون عن أكل وعن شرب مثل المها يرتعن في خصب (١)

أى يصرف بسبب ذلك القول المختلف من أراد الاسلام ، وقال الزمخشري : حقيقة يصدر إفكهم عن القول المختلف ، وهذا محتمل لبقاء - عن - على أصلها من المجاوزة واعتبار التضمنين ، وفيه ارتكاب خلاف الظاهر من غير داع مع ذهاب تلك المبالغة ، وجوز ابن عطية رجوع الضمير إلى القول إلا أنه قال : المعنى يصرف عن ذلك القول المختلف بتوفيق الله تعالى للاسلام من غلبت سعادته ، وتعقبه بأن فيه مخالفة للعرف فان عرف الاستعمال في الافك الصرف من خير إلى شر فلذلك لا تجده إلا في المذمومين ، ثم إن ذلك على كون الخطاب في أنكم للكفار - وهو الذى ذهب إليه ابن زيد وغيره - واستظهر أبو حيان كونه عاما للسلم والكافر ، واستظهر العموم فيما سبق أيضا ، والقول المختلف حينئذ قول المسلمين بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقول الكفار بنقيض ذلك ، وقرأ ابن جبير . وقتادة (من أفك) مبني للفاعل أى من أفك الناس عنه وهم قریش ، وقرأ زيد بن علي - يافك عنه من أفك - أى يصرف الناس عنه من هو أفك كذاب ، وقرئ - يؤفن عنه من أفن - بالنون فيهما أى يحرمه من حرم من أفن الضرع إذا أنهكه حلباً ﴿ قُلْ الْخَرَصُونَ ١٠ ﴾ أى الكذابون من أصحاب القول المختلف ، وأصل الخرص الظن والتخمين ثم تجوز به عن الكذب لانه في الغالب يكون منشأه ، وقال الراغب : حقيقة ذلك أن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له : خرص سواء كان مطابقاً للشيء أو مخالفه من حيث أن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل خارص الثمرة في خرصه ، وكل من قال قولاً على هذا النحو قد يسمى كاذباً وإن كان قوله مطابقاً للقول المخبر به كما في قوله تعالى : (إذا جاءك المنافقون) الآية انتهى *

وفيه بحث وحقيقة - القتل - معروفة ، والمراد - بقتل - الدعاء عليهم مع قطع النظر عن المعنى الحقيقي * وعن ابن عباس تفسيره باللعن قال ابن الأنباري : وإنما كان القتل بمعنى اللعن هنا لان من لعنه الله تعالى بمنزلة المقتول الهالك ، وقرئ - قتل الخراصين - أى قتل الله الخراصين ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ في جهل عظيم يغمرهم ويشملهم شمول الماء الغامر لما فيه ﴿ سَاهُونَ ١١ ﴾ غافلون عما أمروا به ، فالمراد بالسهو مطلق الغفلة *

﴿ يَسْأَلُونَ ﴾ أى بطريق الاستعجال استهزاء ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ١٢ ﴾ معمول ليسألون على أنه جار مجرى يقولون لما فيه من معنى القول ، أو لقول مقدر - أى فيقولون متى وقوع يوم الجزاء - وقد روي وقوع ليكون السؤال عن الحدث كما هو المعروف في (أيان) ولا ضير في جعل الزمان زمانياً فان اليوم لما جعل موعوداً ومنتظراً في نحو قوله تعالى : (فارتقب يوم تأتى السماء) صار ما حققاً بالزمانيات وكذلك - كل يوم له شأن مثل يوم العيد - والنيروز - وهذا

(١) يصف الشاعر مضيافاً يصدر الاضياف عنه شباعاً يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وقالوا جمل ناه اذا كان عريقاً في السمن اه

جار في عرفي العرب والعجم على أنه يجوز عند الأشاعرة أن يكون للزمان زمان على ما فصل في مكانه ، وقرئ (إيان) بكسر الهمزة وهي لغة ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ١٣﴾ أي يحرقون، وأصل الفتن إذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل في الاحراق والتعذيب ونحو ذلك، و(يوم) نصب على الظرفية لمحذوف دل عليه وقوع الكلام جوابا للسؤال مضاف للجملة الاسمية بعده - أي يقع يوم الدين يوم هم على النار - الخ ، وقال الزجاج : ظرف لمحذوف وقع خبراً لمبتدأ كذلك أي هو واقع ، أو كائن يوم الخ ، وجوز أن يكون هو نفسه خبر مبتدأ محذوف ، والفتحة فتحة بناء لاضافته إلى غير ، وهي الجملة الاسمية فان الجمل بحسب الاصل كذلك على كلام فيه بين البصريين والكوفيين مفصل في شرح التسهيل - أي هو يوم هم - الخ ، والضمير قيل : راجع إلى وقت الوقوع فيكون هذا الكلام قائماً مقام الجواب على نحو - سيقولون لله - في جواب (من رب السموات والأرض) لان تقدير السؤال في أي وقت يقع ، وجوابه الاصل في يوم كذا ، وإذا قلت : وقت وقوعه يوم كذا كان قائماً مقامه ، ويجوز أن يكون الضمير لليوم والكلام جواب بحسب المعنى ، فالتقدير يوم الجزاء - يوم تعذيب الكفار - ويؤيد - كونه مرفوع المحل خبراً لمبتدأ محذوف - قراءة ابن أبي عبة . والزعفراني (يوم هم) بالرفع ، وزعم بعض النحاة أن - يوم - بدل من (يوم الدين) وفتحته على قراءة الجمهور فتحة بناء ، و(يوم) وما في حيزه من جملة كلام السائلين قالوه استهزاء ، وحكى على المعنى ، ولو حكى على اللفظ لقليل : يوم نحن على النار نفتن ، وهو في غاية البعد لا يخفى ، وقوله تعالى : ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ بتقدير قول وقع حالا من ضمير (يفتنون) أي مقولاً لهم (ذوقوا فتنكم) أي عذابكم المعد لكم ، وقد يسمى ما يحصل عنه العذاب - بالكفر - فتنة ، وجوز أن يكون منه ما هنا كانه قيل : ذوقوا كفركم - أي جزاء كفركم - أو يجعل الكفر نفس العذاب مجازاً وهو كما ترى ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ١٤﴾ جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمّر - أي هذا العذاب الذي كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء - وجوز أن يكون هذا بدلا من (فتنكم) بتأويل العذاب ، وفيه بعد ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٥﴾ لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها ﴿ءَاخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي قابلين لكل ما أعطاهم عز وجل راضين به على معنى إن كل ما آتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول ، والعموم مأخوذ من شيوع ما وإطلاقه في معرض المدح وإظهار منه تعالى عليهم ، واعتبار الرضا لأن الأخذ قبول عن قصد ، ونصب (آخذين) على الحال من الضمير في الظرف ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ ١٦﴾ أي لأعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك استحقوا ما استحقوا من الفوز العظيم ، وفسر إحسانهم بقوله تعالى ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧﴾ الخ على أن الجملة في محل رفع بدل من قوله تعالى : (كانوا قبل ذلك محسنين) حصل بها تفسيره ، أو أنها جملة لا محل لها من الأعراب مفسرة كسائر الجمل التفسيرية ، وأخرج الفريابي . وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال في الآية : (آخذين ما آتاهم ربهم) من الفرائض (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) أي كانوا قبل تنزل الفرائض يعملون ، ولا أظن صحة نسبته لذلك الخبر ، ولا يكاد تجعل جملة (كانوا) الخ عليه تفسيراً إذا صح ما نقل عنه في تفسيرها ، وسيأتي إن شاء الله تعالى •

و - الهجوع - النوم ، وقيد الراغب بقوله : ليلاً ، وغيره بالقليل ، و (ما) إما مزيدة - قليلاً -

معمول الفعل صفة لمصدر محذوف أى - هجوعاً قليلاً - و(من الليل) صفة، أو لغو متعلق - يهجعون - و(من) للابتداء، وجملة (يهجعون) خبر - كان - أو (قليلاً) صفة لظرف محذوف - أى زماناً قليلاً - و(من الليل) صفة على نحو - قليل من المال عندى - وإما موصولة عائدها محذوف فهى فاعل (قليلاً) وهو خبر - كان - و(من الليل) حال من الموصول مقدم كأنه قيل: كانوا قد قل المقدار الذى يهجعون فيه كأننا ذلك المقدار (من الليل) وإمام صدرية فالمصدر فاعل (قليلاً) وهو خبر كان أيضاً و(من الليل) بيان لا متعلق بما بعده لأن معمول المصدر لا يتقدم، أو حال من المصدر، و(من) للابتداء كذا فى الكشف فهما من الكشف، وذهب بعضهم إلى أن (من) على زيادة - ما - بمعنى فى كما فى قوله تعالى: (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) واعترض ابن المنير احتمال مصدريتها بأنه لا يجوز فى (من الليل) كونه صفة، أو بياناً - للقليل - لأنه فيه واقع على الهجوع ولا صلة المصدر لتقدمه، وأجيب بأنه بيان للزمان المبهم؛ وحكى الطيبي أنه إمام منصوب على التبيين أو متعلق بفعل يفسره (يهجعون) وجوز أن يكون (ما يهجعون) على ذلك الاحتمال بدلاً من اسم كان فكأنه قيل: كان هجوعهم قليلاً وهو بعيد، وجوز فى (ما) أن تكون نافية، و(قليلاً) منصوب - يهجعون - والمعنى - كانوا لا يهجعون من الليل قليلاً ويحيونه كله - ورواه ابن أبى شيبة. وأبو نصر عن مجاهد، ورده الزمخشري بأن (ما) النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لأن لها صدر الكلام وليس فيها التصرف الذى فى أخواتها كلا فإنها قد تكون كجزء مما دخلت عليه نحو - عوتب بلا جرم - ولم ولن - لاختصاصهما بالفعل كالجزم منه، وأنت تعلم أن منع العمل هو مذهب البصريين، وفى شرح الهادى أن بعض النحاة أجازاه مطلقاً، وبعضهم أجازاه فى الظرف خاصة للتوسع فيه، واستدل عليه بقوله:

• ونحن عن فضلك ما استغنيا • نعم يرد على ذلك أن فيه كما فى الاتصاف خلا من حيث المعنى فإن طلب قيام الليل غير مستثنى منه جزء للهجوع وإن قل غير ثابت فى الشرع ولا معهود اللهم إلا أن يدعى أن من ذهب إلى ذلك يقول: بأنه كان ثابتاً فى الشرع، فقد أخرج ابن أبى شيبة. وابن المنذر عن عطاء أنه قال فى الآية: كان ذلك إذ أمروا بقيام الليل كله فكان أبو ذر يعتمد على العصا فكثروا شهرين ثم نزلت الرخصة (فاقرءوا ما تيسر منه) وقال الضحاك: (كانوا قليلاً) فى عددهم، وتم الكلام عند (قليلاً) ثم ابتداء (من الليل ما يهجعون) على أن (ما) نافية، وفيه ما تقدم مع زيادة تفكيك للكلام، ولعل أظهر الأوجه زيادة (ما) ونصب (قليلاً) على الظرفية، و(من الليل) صفة قيل: وفى الكلام مبالغات لفظ الهجوع بناءً على أنه القليل من النوم، وقوله تعالى: (قليلاً) و(من الليل) لأن الليل وقت السبات والراحة وزيادة (ما) لأنها تؤكد مضمون الجملة فتؤكد القلة وتحققها باعتبار كونها قيداً فيها والغرض من الآية أنهم يكابدون العبادة فى أوقات الراحة وسكون النفس ولا يستريحون من مشاق النهار إلا قليلاً، قال الحسن: كابدوا قيام الليل لا ينامون منه إلا قليلاً، وعن عبد الله بن رواحة هجعوا قليلاً ثم قاموا، وفسر أنس بن مالك الآية - كما رواه جماعة عنه وصححه الحاكم - فقال: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء

وهى لا تدل على الاقتصار على ذلك ﴿وبالأسحر هم يستغفرون﴾ أى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الأسحار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم ولم يتفرغوا فيه للعبادة، وفى بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم الاحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطناهم فيه وفى الآية من الإشارة إلى مزيد خشيتهم وعدم اغترارهم بعبادتهم ما لا يخفى، وحمل الاستغفار على حقيقته المشهورة هو الظاهر - وبه قال الحسن - •

أخرج عنه ابن جرير . وغيره أنه قال : صلوا فلما كان السحر استغفروا ، وقيل : المراد طلبهم المغفرة بالصلاة ، وعليه ما أخرج ابن المنذر . وجماعة عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال : (يستغفرون) يصلون ، وأخرج ابن مردويه عنه ذلك مرفوعاً ولا أراه يصح ، وأخرج أيضاً عن أنس قال : « قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : إن آخر الليل في التهجد أحب إلى من أوله لأن الله تعالى يقول : (وبالأسحار هم يستغفرون) » وهو محتمل لذلك التفسير والظاهر ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ ﴾ أي نصيب وافريستوجبونه على أنفسهم تقرباً إلى الله عز وجل وإشفاقاً على الناس فهو غير الزكاة كما قال ابن عباس . ومجاهد . وغيرهما • ﴿ لِلسَّائِلِ ﴾ الطالب منهم ﴿ وَالْمَحْرُومِ ١٩ ﴾ وهو المتعفف الذي يحسبه الجاهل غنياً فيحرم الصدقة من أكثر الناس •

أخرج ابن جرير . وابن حبان . وابن مردويه عن أنس هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان والأكلة والأكلتان قيل : فمن المسكين ؟ قال : الذي ليس له ما يغنيه ولا يعلم مكانه فيتصدق عليه فذلك المحروم » وفسره ابن عباس بالمحارف الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه ولا يسأل الناس ، وقيل : هو الذي يبعد منه مكنات الرزق بعد قربها منه فينال الحرمان ، وقال زيد بن أسلم : هو الذي اجتاحت ثمرته ، وقيل : من ماتت ماشيته ، وقيل : من ليس له سهم في الاسلام ، وقيل : الذي لا ينمو له مال ، وقيل : غير ذلك . قال في البحر : وكل ذلك على سبيل التمثيل ويجمع الأقوال أنه الذي لا مال له لحرمان أصابه . وأنا بقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقول . وقال منذر بن سعيد هذا الحق هو الزكاة المفروضة ، وتعقب بأن السورة مكية وفرض الزكاة بالمدينة ، وقيل : أصل فريضة الزكاة كان بمكة والذي كان بالمدينة القدر المعروف اليوم ، وعن ابن عمر أن رجلاً سأله عن هذا الحق فقال الزكاة وسوى ذلك حقوق فعمم ، والجمهور على الأول • ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ ﴾ دلائل من أنواع المعادن والنباتات . والحيوانات ، وأوجوه دلالات من الدحو وارتفاع بعضها عن الماء ، واختلاف أجزائها في الكيفيات والخواص ، فالدليل على الأول ما في الأرض من الموجودات والظرفية حقيقية والجمع على ظاهره ، وعلى الثاني الدليل نفس الأرض ، والجمعية باعتبار وجوه الدلالة وأحوالها ، والظرفية من ظرفية الصفة في الموصوف والدلالة على وجود الصانع جل شأنه وعليه وقدرته وإرادته ووحدته وفرط رحمته عز وجل ﴿ لِلْمُوقِنِينَ ٢٠ ﴾ للوحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة ، وقرأ قتادة - آية - بالافراد ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي في ذواتكم آيات إذ ليس في العالم شيء إلا وفي ذات الانسان له نظير يدل مثل دلالاته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الأفعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة ، وآيات الانفس أكثر من أن تحصى ، وقيل : أريد بذلك اختلاف الألوان والصور والالوان والطبائع ، ورواه عطاء عن ابن عباس ، وقيل : سبيل الطعام وسبيل الشراب والحق أن لا حصر ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١ ﴾ أي ألا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة ، وهو تعنيف على ترك النظر في الآيات الأرضية والنفسية ، وقيل : في الاخير ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ أي تقديره وتعيينه ، أو أسباب رزقكم من النيرين والكواكب والمطالع

والمغارب التي تختلف بها الفصول التي هي مبادئ الرزق إلى غير ذلك ، فالكلام على تقدير مضاف أو التجوز يجعل وجود الاسباب فيها كوجود المسبب ، وذهب غير واحد إلى أن السماء السحاب وهي سماء لغة ، والمراد بالرزق المطر فانه سبب الاقوات وروى تفسيره بذلك مرفوعاً وقرأ ابن محيصن - أرزاقكم - على الجمع *

﴿ وَمَا تَوْعَدُونَ ۚ ﴾ عطف على رزقكم أي والذي توعدونه من خير وشر كما روى عن مجاهد، وفي رواية أخرى عنه وعن الضحاك - ماتو عدون - الجنة والنار وهو ظاهر في أن النار في السماء وفيه خلاف ، وقال بعضهم : هو الجنة وهي على ظهر السماء السابعة تحت العرش ، وقيل : أمر الساعة ، وقيل : الثواب والعقاب فانهما مقدران معينان فيها، وقيل : إنه مستأنف خبره *

﴿ فَوَرَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ على أن ضمير (إنه) (لما) وعلى ما تقدم ، فإمالة أو للرزق ، أو لله تعالى ، أو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو للقرآن ، أو للدين في (إن الدين لواقع) أو لليوم المذكور في (أيا ن يوم الدين) أو لجميع المذكور (أما ما أقوال) ، واستظهر أبو حيان الأخير منها وهو مروي عن ابن جريج أي أن جميع ما ذكرناه من أول السورة إلى هنا لحق ﴿ مَثَلٌ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ أي مثل نطقكم كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في حقيقة ذلك وهذا كقول الناس : إن هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ، ونصب (مثل) على الحالية من المستكن في (لحق) وهو لا يتعرف بالاضافة لتوغله في التنكير ، أو على الوصف لمصدر محذوف أي إنه حق حقاً مثل نطقكم ، وقيل : إنه مبني على الفتح فقال المازني : لتركبه مع (ما) حتى صاراً شيئاً واحداً نحو - ويحما - وأنشدوا لبناء الاسم معها قول الشاعر :

أثور (ما) أصيدكم أم ثورين أم هذه الجماء ذات القرنين

وقال غيره : لاضافته إلى غير متمكن وهو (ما) إن كانت نكرة موصوفة بمعنى شيء ، أو موصولة بمعنى الذي و (أنكم) الخ خبر مبتدأ محذوف أي هو (أنكم) الخ ، والجملة صفة ، أو صلة ، أو هو أن بما في حيزها إن جعلت (ما) زائدة ، وهو نص الخليل ومحلّه على البناء الرفع على أنه صفة (لحق) أو خبر ثان ويؤيده قراءة حمزة . والكسائي . وأبي بكر . والحسن . وابن أبي إسحق . والاعمش بخلاف عن ثلاثهم (مثل) بالرفع ، وفي البحر أن الكوفيين يجعلون - مثلاً - ظرفاً فينصبونه على الظرفية ويجيزون زيد مثلك بالنصب ، وعليه يجوز أن يكون في قراءة الجمهور منصوباً على الظرفية - واستدلّاهم ، والرد عليهم مذكور في النحو - وفي الآية من تأكيد حقيقة المذكور ما لا يخفى ، وأخرج ابن جرير . وابن أبي حاتم عن الحسن أنه قال فيها : بلغني أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « قاتل الله قوماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا » وعن الأصمعي أقبلت من جامع البصرة فطلع أسرابي على قعود فقال : بمن الرجل ؟ قلت : من بني أصم قال : من أين أقبلت : من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال : اتل على فتلوت (والذاريات) فلما بلغت (وفي السماء رزقكم) قال : حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وولى فلما حجبت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فإذا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال : قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ثم قال : وهل غير هذا ؟ (فقرأت فرب السماء والارض إنه لحق) فصاح وقال : يا سبحان الله من ذا أغضب الجليل حتى حلف لم بصدقوه بقوله حتى الجأوه إلى اليمين قالها

ثلاثاً وخرجت معها نفسه .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه ليس مما عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بغير طريق الوحي قاله غير واحد ، وفي الكشف فيه رمز إلى أنه لما فرغ من إثبات الجزاء لفظاً . القسم ومعنى بما في المقسم به من التلويح إلى القدرة البالغة مدججا فيه صدق المبالغ ، وقضى الوطر من تفصيله مهد لإثبات النبوة وأن هذا الآتي الصادق حقيق بالاتباع لما معه من المعجزات الباهرة فقال سبحانه : (هل أتاك) الخ ، وضمن فيه تسليته عليه الصلاة والسلام بتكذيب قومه فله بسائر آياته وإخوانه من الأنبياء عليهم السلام أسوة حسنة هذا إذا لم يجعل قوله تعالى : (وفي موسى) عطفاً على قوله سبحانه . (وفي الأرض آيات) وأما على ذلك التقدير فوجهه أن يكون قصة الخليل . ولو ط عليهما السلام معترضة للتسلي بإبعاد مكذبيه وأنه مرحوم منجى مكرم بالاصطفاء مثل أبيه إبراهيم صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم - والترجيح مع الأول انتهى - وسيأتى إن شاء الله تعالى ما يتعلق بقوله سبحانه : (وفي موسى) ، و (الضيف) في الأصل مصدر بمعنى الميل ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد ، قيل : كانوا اثني عشر ملكاً ، وقيل : ثلاثة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وسموا ضيفاً لأنهم كانوا في صورة الضيف ولأن إبراهيم عليه السلام حسبهم كذلك ، فالتسمية على مقتضى الظاهر والحسبان ، وبدأ بقصة إبراهيم وإن كانت متأخرة عن قصة عاد لأنها أقوى في غرض التسلية ﴿ الْمُكَرَّمِينَ ٢٤ ﴾ أي عند الله عز وجل كما قال الحسن فهو كقوله تعالى في الملائكة عليهم السلام : (بل عباد مكرمون) أو عند إبراهيم عليه السلام إذ خدمهم بنفسه وزوجته وعجل لهم القرى ورفع مجالسهم كما في بعض الآثار ، وقرأ عكرمة (المكرمين) بالتشديد ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ ظرف للحديث لأنه صفة في الأصل ، أو للضيف ، أو (المكرمين) إن أريد إكرام إبراهيم لأن إكرام الله تعالى إياهم لا يتقيد ، أو منصوب بإضمار اذكر ﴿ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾ أي نسلم عليك سلاماً ، وأوجب في البحر حذف الفعل لأن المصدر ساد مسدده فهو من المصادر التي يجب حذف أفعالها ، وقال ابن عطية : يتجه أن يعمل في (سلاماً) قالوا : على أن يجعل في معنى قولاً ويكون المعنى حينئذ أنهم قالوا : تحية وقولاً معناه (سلام) ونسب إلى مجاهد وليس بذلك .

﴿ قَالَ سَلَامٌ ﴾ أي عليكم سلام عدل به إلى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى يكون تحيته أحسن من تحيتهم أخذاً بمزيد الأدب والإكرام ، وقيل : (سلام) خبر مبتدأ محذوف أي أمرى (سلام) وقرئنا مرفوعين ، وقرئ - سلاماً قال سلماً - بكسر السين وإسكان اللام والنصب ، والسلم السلام ، وقرأ ابن وثاب والنخعي . وابن جبير . وطلحة - سلاماً قال سلم - بالكسر والإسكان والرفع ، وجعله في البحر على معنى نحن أو أنتم سلم ﴿ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ٢٥ ﴾ أنكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم الاسلام ، أو لأنهم عليهم السلام ليسوا بمن عهدهم من الناس ، أولان أوضاعهم وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ، و (قوم) خبر مبتدأ محذوف والأكثر على أن التقدير أنتم قوم منكرون وأنه عليه السلام قاله لهم للتعرف كقولك لمن لقيت : أنا لا أعرفك تريد عرف لي نفسك وصفها ، وذهب بعض المحققين إلى أن الذي يظهر أن التقدير هؤلاء (قوم منكرون) وأنه عليه السلام قاله في نفسه ، أو لمن كان معه من أتباعه وغلبنه من غير أن يشعرهم بذلك فانه الانسب بحاله

عليه السلام لأن في خطاب الضيف بنحو ذلك إيحاشاً ما ، وطلبه به أن يعرفوه حالهم لعله لا يزيل ذلك . وأيضاً لو كان مراده ذلك لكشفوا أحوالهم عند القول المذكور ولم يتصد عليه السلام لمقدمات الضيافة * ﴿فَرَاعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أي ذهب اليهم على خفية من ضيفه ، نقل أبو عبيدة أنه لا يقال : راغ إلا إذا ذهب على خفية ، وقال : يقال روع اللقمة إذا غمسها في السمن حتى تروى ، قال ابن المنير : وهو من هذا المعنى لأنها تذهب مغموسة في السمن حتى تخفى ، ومن مقلوب الروغ غور الأرض والجرح لحفائه وسائر مقلوباته قريبة من هذا المعنى ، وقال الراغب : الروغ الميل على سبيل الاحتيال ، ومنه راغ الثعلب ، وراغ فلان إلى فلان مال نحوه لأمر يريده منه بالاحتيال ، ويعلم منه أن لا اعتبار قيد الخفية وجهاً وهو أمر يقتضيه المقام أيضاً لأن من يذهب إلى أهله لتدارك الطعام يذهب كذلك غالباً ، وتشعر الفاء بأنه عليه السلام بادر بالذهاب ولم يمهل وقد ذكروا أن من أدب المضيف أن يبارد بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يمنعه الضيف ، أو يصير منتظراً ﴿فَجَاءَ بِعَجَلٍ﴾ هو ولد البقرة كأنه سمي بذلك لتصور عجلته التي تعدم منه إذا صار ثوراً ﴿سَمِينٌ ٢٦﴾ ممتلئ الجسد بالشحم واللحم يقال : سمن - كسمع - سمانة بالفتح وسمناً - كغنب - فهو سامن وسمين ، وكحسن السمين خلقة كذا في القاموس ، وفي البحر يقال : سمن سمناً فهو سمين شذوذاً في المصدر ، واسم الفاعل . والقياس سمن وسمن ، وقالوا : سامن إذا حدث له السمن انتهى ، والفاء فصيحة أفصحت عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها ، وإيداناً بكمال سرعة المجيء بالطعام أي فذبح عجلاً فخذته فجاء به ، وقال بعضهم إنه كان معداً عنده حينئذ قبل مجيئهم لمن يرد عليه من الضيوف فلا حاجة إلى تقدير ماذكر ، والمشهور اليوم أن الذبح للضيف إذا ورد أبلغ في إكرامه من الاتيان بما هي من الطعام قبل وروده ، وكان كما روى عن قتادة عامة ماله عليه السلام البقر ولو كان عنده أطيب لحماً منها لاكرمهم به *

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ بأن وضعه لديهم ، وفيه دليل على أن من إكرام الضيف أن يقدم له أكثر مما يأكل وأن لا يوضع الطعام بموضع ويدعى الضيف إليه ﴿قَالَ لَا تَأْكُلُونَ ٢٧﴾ ، قيل : عرض للأكل فإن في ذلك تأنيساً للضيف ، وقيل : إنكار لعدم تعرضهم للأكل ، وفي بعض الآثار أنهم قالوا : إنا لا نأكل إلا ما أدينا ثمنه فقال عليه السلام : إني لا أبيعكم لكم إلا بثمان قالوا : وما هو ؟ قال : أن تسموا الله تعالى عند الابتداء وتحمدوه عز وجل عند الفراغ فقال بعضهم لبعض : بحق اتخذه الله تعالى خليلاً ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ فأضمر في نفسه منهم خوفاً لما رأى عليه الصلاة والسلام إعراضهم عن طعامه وظن أن ذلك لشريده فأنه أكل الضيف أمانة ؛ ودليل على انبساط نفسه وللطعام حرمة وذمام والامتناع منه وحشة موجبة لظن الشر . وعن ابن عباس أنه عليه السلام وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب فخاف ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ إنا رسل الله تعالى ، عن يحيى بن شداد مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرّفهم وأمن منهم ، وعلى ما روى عن الخبر أن هذا مجرد تأمينه عليه السلام ، وقيل : مع تحقيق أنهم ملائكة وعليهم بما أضمر في نفسه إما بإطلاع الله تعالى إياهم عليه ، أو إطلاع ملائكته الكرام الكاتبين عليه وإخبارهم به ، أو بظهور أمارته في وجهه الشريف فاستدلوا بذلك على الباطن ﴿وَبَشَّرُوهُ﴾ وفي سورة الصافات (وبشرناه) أي بواسطتهم ﴿بُغْلَمٌ﴾

هو عند الجمهور إسحق بن سارة وهو الحق للتنصيص على أنه المبشر به في سورة هود ، والقصة واحدة ، وقال مجاهد: إسماعيل ابن هاجر وإبراهيم عنه ابن جرير وغيره ولا يكاد يصح (عليه السلام ٢٨) عند بلوغه واستوائه ، وفيه تبشير بحياته وكانت البشارة بذكر لانه أسر للنفس وأبهج ، ووصفه بالعلم لانها الصفة التي يختص بها الانسان الكامل لا الصورة الجميلة والقوة ونحوهما، وهذا عند غير الاكثرين من أهل هذا الزمان فان العلم عندهم لا سيما العلم الشرعي رذيلة لا تعادلها رذيلة والجهل فضيلة لا توازنها فضيلة، وفي صيغة المبالغة مع حذف المعمول ما لا يخفى مما يوجب السرور، وعن الحسن (عليه السلام) نبي ووقعت البشارة بعد التأنيس، وفي ذلك إشارة إلى أن درء المفسدة أهم من جلب المصلحة ، وذكر بعضهم أن عليه عليه السلام بأنهم ملائكة من حيث بشره بغيث *

(فَأَقْبَلَتْ أُمَرَاتُهُ) سارة لما سمعت بشارتهم إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم ، وفي التفسير الكبير إنها كانت في خدمتهم فلما تكلموا مع زوجها بولادتها استحييت وأعرضت عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال على الأهل دون الإدبار عن الملائكة، وهو إن صح مثله عن نقل وأثر لا ياباه الخطاب الآتي لانه يقتضي الاقبال دون الادبار إذ يكفي لصحته أن يكون بسمع منها وإن كانت مدبرة، نعم في الكلام عليه استعارة ضدية ولا قرينة ههنا تصحيحها ، وقيل : أقبلت بمعنى أخذت كما تقول أخذ يشتني (في صرة) في صيحة من الصرير قاله ابن عباس، وقال قتادة وعكرمة : صرتها ربتها ، وقيل : قولها أوه ، وقيل : يا ويلتي ، وقيل : في شدة ، وقيل : الصرة الجماعة المنضم بعضهم إلى بعض كأنهم صروا أي جمعوا في وعاء - وإلى هذا ذهب ابن بحر - قال: أي أقبلت في صرة من نسوة تبادرن نظراً إلى الملائكة عليهم السلام، والجار والمجرور في موضع الحال، أو المفعول به إن فسر (أقبلت) بأخذت - قيل: إن (في) عليه زائدة كما في قوله : * يخرج في عراقيها نصلي * والتقدير أخذت

صيحة ، وقيل : بل الجار والمجرور في موضع الخبر لأن الفعل حينئذ من أفعال المقاربة (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) قال مجاهد: ضربت بيدها على جبهتها وقالت: يا ويلتاه ، وقيل: إنها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء ، وقيل: إنها لطمته تعجباً وهو فعل النساء إذا تعجبن من شيء (وَقَالَتْ عَجُوزٌ) أي أنا عجوز (عقيم ٢٩) عاقر فكيف ألد ، وعقيم فعيل قيل : بمعنى فاعل أو مفعول وأصل معنى العقم اليبس (قَالُوا كَذَلِكَ) أي مثل ذلك القول الكريم الذي أخبرنا به (قَالَ رَبُّكَ) وإنما نحن معبرون نخبرك به عنه عز وجل لا أنا نقوله من تلقاء أنفسنا، وروى أن جبريل عليه السلام قال لها : انظري إلى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه موزقة مشمرة (إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٣٠) فيكون قوله عز وجل حقاً وفعله سبحانه متقناً لا محالة، وهذه المفاوضة لم تكن مع سارة فقط بل كانت مع إبراهيم أيضاً حسبما تقدم في سورة الحجر، وإنما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر - ههنا وفي سورة هود - *

(قَالَ) أي إبراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا الأمر (فَمَا خَطْبُكُمْ) أي شأنكم الخطير الذي لأجله أرسلتم سوى البشارة (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١) قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَجْرَمِينَ (٣٢) يعنون قوم لوط عليه السلام (لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ) أي بعد قلب قراهم عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة

﴿ حَجَارَةٌ مِّنْ طِينٍ ٣٣ ﴾ أى طين متحجر وهو السجيل ؛ وفي تقييد كونها من طين رفع توهم كونها برداً فان بعض الناس يسمى البرد حجارة ﴿ مُسَوَّمَةً ﴾ معلية من السومة وهى العلامة على كل واحدة منها اسم من يهلك بها ؛ وقيل : أعلمت بأنهما من حجارة العذاب ، وقيل : بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا ، وقيل : مسومة مرسله من أسمت الابل فى المرعى ، ومنه قوله تعالى : (ومنه شجر فيه تسيمون) ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أى فى محل ظهور قدرته سبحانه وعظمته عز وجل ، والمراد إنها معلية فى أول خلقها ، وقيل : المعنى إنها فى علم الله تعالى معدة ﴿ لِلْمُسْرِفِينَ ٣٤ ﴾ المجاوزين الحد فى الفجور ، و-أل- عند الامام للعهد أى لهؤلاء المسرفين ، ووضع الظاهر موضع الضمير ذمّاً لهم بالاسراف بعد ذمتهم بالاجرام ، وإشارة إلى علة الحكم ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ إلى آخره حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ماجرى بين الملائكة وبين إبراهيم عليهم السلام من الكلام ، والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها فى موضع آخر كأنه قيل : فقاموا منه وجاءوا لوطا فجرى بينهم وبينه ماجرى فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا (فأسر باهلك) الخ ﴿ مَن كَانَ فِيهَا ﴾ أى فى قرى قوم لوط وإضمارها بغير ذكر لشهرتها *

﴿ مَنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٥ ﴾ من آمن بلوط عليه السلام ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ ﴾ أى غير أهل بيت للبيان بقوله تعالى : ﴿ مَنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٦ ﴾ فالكلام بتقدير مضاف ، وجوز أن يراد بالبيت نفسه الجماعة مجازاً ، والمراد بهم - كما أخرج ابن المنذر - وابن أبى حاتم - عن مجاهد لوط وابنتاه ، وأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد ابن جبير أنه قال : كانوا ثلاثة عشر ، واستدل بالآية على اتحاد الإيمان والإسلام للاستثناء المعنوى فان المعنى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فلم يكن المخرج إلا أهل بيت واحد وإلا لم يستقم الكلام ، وأنت تعلم أن هذا يدل على أنهما صادقان على الأمر الواحد لا ينفك أحدهما عن الآخر كالناطق والانسان إما على الاتحاد فى المفهوم وهو المختلف فيه عند أهل الأصول والحديث فلا ، فالاستدلال بها على اتحادهما فيه ضعيف ، نعم تدل على أنهما صفتا مدح من أوجه عديدة استحقاق الاخراج واختلاف الوصفين وجعل كل مستقلاً بأن يجعل سبب النجاة وما فى قوله تعالى : (من كان) أولاً ، و(غير بيت) ثانياً من الدلالة على المبالغة فان صاحبها محفوظ (من كان) وأين كان إلى غير ذلك ، ومعنى الوجدان منسوباً إليه تعالى العلم على ما قاله الراغب ، وذهب بعض الأجلة إلى أنه لا يقال : ما وجدت كذا إلا بعد الفحص والتفتيش ، وجعل عليه معنى الآية فأخرج ملائكتنا (من كان فيها من المؤمنين) فما وجد ملائكتنا فيها (غير بيت من المسلمين) أو فى الكلام ضرب آخر من المجاز فلا تغفل *

﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا ﴾ أى فى القرى ﴿ آيَةً ﴾ علامة دالة على ما أصابهم من العذاب ، قال ابن جريج : هم أحجار كثيرة منضودة ، وقيل : تلك الاحجار التى أهلكوا بها ، وقيل : ماء منقن قال الشهاب : ثانه بحيرة طبرية ، وجوز أبو حيان كون ضمير (فيها) عائداً على الاهلاك التى أهلكوها فانها من أعاجيب الاهلاك يجعل أعلى القرية أسافل ، وإمطار الحجارة ، والظاهر هو الأول ﴿ لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٣٧ ﴾ أى من شأنهم أن يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها

ولا يعدونها آية ﴿ وَفِي مُوسَى ﴾ عطف على (وتركنا فيها) بتقدير عامل له أي وجعلنا في موسى ، والجملة معطوفة على الجملة ، أو هو عطف على (فيها) بتغليب معنى عامل الآية، أو سلوك طريق المشاكلة في عطفه على الأوجه التي ذكرها النحاة في نحو * علفتها تبناً وماءً بارداً * لا يصح تسليط الترك بمعنى الإبقاء على قوله سبحانه . (وفي موسى) فقول أبي حيان . لا حاجة إلى إضمار (تركنا) لأنه قد أمكن العامل في المجرور تركنا الأول فيه بحث ، وقيل : (في موسى) خبر لمبتدأ محذوف أي (وفي موسى) آية ، وجوز ابن عطية . وغيره أن يكون معطوفاً على قوله تعالى . (وفي الأرض وما بينهما) اعتراض لتسليته عليه الصلوة والسلام على مامر، وتعقبه في البحر بأنه بعيد جداً ينزه القرآن الكريم عن مثله ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ ﴾ قيل: بدل من (موسى)، وقيل. هو منصوب بآية ، وقيل . بمحذوف أي كائنة وقت إرسالنا ، وقيل: بتركنا .

﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٣٨ ﴾ هو مظهر على يديه من المعجزات الباهرة، والسلطان يطلق على ذلك مع شموله للواحد والمتعدد لأنه في الأصل مصدر ﴿ قَتَوْا بَرَكْنَهُ ﴾ فأعرض عن الإيمان بموسى عليه السلام على أن ركنه جانب بدنه وعطفه، والتولى به كناية عن الإعراض ، والباء للتعدية لأن معناه ثنى عطفه ، أو للملابسة ، وقال قتادة : تولى بقومه على أن الركن بمعنى القوم لأنه ير كن إليهم ويتقوى بهم ، والباء للمصاحبة أو للملابسة وكونها للسببية غير وجيه ، وقيل : تولى بقوته وسلطانه ، والركن يستعار للقوة - كما قال الراغب - وقرئ بركنه بضم الكاف اتباعاً للراء ﴿ وَقَالَ سَاحِرٌ ﴾ أي هو ساحر ﴿ أَوْ مَجْنُونٌ ٣٩ ﴾ كان اللعين جعل مظهر على يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة منسوبة إلى الجن وتردد في أنه حصل باختياره فيكون سحراً ، أو بغير اختياره فيكون جنوناً ، وهذا مبني على زعمه الفاسد وإلا فالسحر ليس من الجن كما بين في محله - فأو - للشك ، وقيل : للإبهام ، وقال أبو عبيدة : هي بمعنى الواو لأن اللعين قال الأمرين قال : (إن هذا لساحر عليم) وقال : (إن رسواكم الذي أرسل إليكم لمجنون) وأنت تعلم أن اللعين يتلون تلون الحرباء فلا ضرورة تدعو إلى جعلها بمعنى الواو ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ ﴾ طرحناهم غير معتدين بهم ﴿ فِي الْيَمِّ ﴾ في البحر، والمراد فأغرقتناهم فيه ، وفي الكلام من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قسوة فرعون وقومه ما لا يخفى ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ٤٠ ﴾ أي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان فالأفعال هنا للآتيان بما يقتضي معنى ثلاثيه كأغرب إذا أتى أمراً غريباً ، وقيل : الصيغة للنسب ، أو الإسناد للسبب - وهو كما ترى - وكون الملام عليه هنا الكفر والطغيان هو الذي يقتضيه حال فرعون وهو مما يختلف باعتبار من وصف به فلا يتوهم أنه كيف وصف اللعين بما وصف به ذو النون عليه السلام ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا ﴾ على طرز ما تقدم ﴿ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ٤١ ﴾ الشديد التي لا تلقح شيئاً كما أخرجه جماعة عن ابن عباس وصححه الحاكم، وفي لفظ هي ريح لا بركة فيها ولا منفعة ولا ينزل منها غيث ولا يلقيح بها شجر كأنه شبه عدم تضمن المنفعة بعقم المرأة ففعل بمعنى فاعل من اللازم وكون هذا المعنى لا يصح هنا مكابرة ، وقال بعضهم وهو حسن : سميت عقيماً لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم على أن هناك استعارة تبعية شبه إهلاهم قطع دابرهم بعقم النساء وعدم

حملهن لما فيه من إذهاب النسل ثم أطلق المشبه به على المشبه واشتق منه العقيم ، وفعل قيل : بمعنى فاعل أو مفعول ، وهذه الريح كانت الدبور لما صح من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « نصرت بالصبا وأهلك عاد الدبور ، وأخرج الفريابي . وابن المنذر عن علي كرم الله تعالى وجهه أنها النكباء ، وأخرج ابن جرير وجماعة عن ابن المسيب أنها الجنوب ، وأخرج ابن المنذر عن مجاهد أنها الصبا ، والمعول عليه ما ذكرنا أولاً ، ولعل الخبر عن الأمير كرم الله تعالى وجهه غير صحيح ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ماتدع شيئاً ﴿ أَتَتْ عَلَيْهِ ﴾ جرت عليه ﴿ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ٤٢ ﴾ الشيء البالي من عظم ، أو نبات ، أو غير ذلك من رم الشيء بلى ، ويقال للبالي : رمام كغراب ، وأرم أيضاً لكن قال الراغب : يختص الرم بالفتات من الخشب والتبن ، والرمة بالكسر تختص بالعظم البالي ، والرمة بالضم بالحبل البالي ، وفسره السدي هنا بالتراب ، وقتادة بالهشيم ، وقطرب بالرماد ، وفسره ابن عيسى بالمنسحق الذي لا يرم أى لا يصلح كائنه جعل الهمزة فى أرم للسلب ، والجملة بعد (إلا) حالية ، والشيء هنا عام مخصوص أى من شيء أراد الله تعالى تدميره وإهلاكه من ناس . أو ديار . أو شجر . أو غير ذلك ، روى أن الريح كانت تمر بالناس فيهم الرجل من عاد فتنزعه من بينهم وتهلكه ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ٤٣ ﴾ أخرج البيهقي في سننه عن قتادة أنه ثلاثة أيام - وإليه ذهب الفراء . وجماعة - قال : تفسيره قوله تعالى : (تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام) واستشكل بأن هذا التمتع مؤخر عن العتو لقوله تعالى : (فعقروها فقال تمتعوا) الخ ، وقوله تعالى : ﴿ فَتَوَّأ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ يدل على أن العتو مؤخر ، وأجيب بأن هذا مرتب على تمام القصة كأنه قيل : وجعلنا فى زمان قولنا ذلك لثمود آية أو فى زمان قولنا ذلك لثمود آية ، ثم أخذ فى بيان كونه آية ف قيل . (فتعوا عن أمر ربهم) أى فاستكبروا عن الامتثال به إلى الآخر ، فالفاء للتفصيل قال فى الكشف . وهو الظاهر من هذا المساق ، وكذلك قوله تعالى : (فتولى بركنه) مرتب على القصة زمان إرسال موسى عليه السلام بالسلطان ، وإن كان هناك لا مانع من الترتب على الإرسال وذلك لأنه جىء بالظرف بجىء الفضلة حيث جعل فيه الآية ، والقصة من توليهم إلى هلاكهم انتهى ، وقال الحسن . هذا أى - القول لهم تمتعوا حتى حين - كان حين بعث اليهم صالح أمروا بالإيمان بما جاء به ، والتمتع إلى أن تأتى آجالهم - ثم عتوا بعد ذلك - قال فى البحر ، ولذلك جاء العطف بالفاء المقتضية تأخر العتو عما أمروا به فهو مطابق لفظاً ووجوداً واختاره الإمام فقال . قال بعض المفسرين . المراد بالحين الأيام الثلاثة التى أمهلوها بعد عقر الناقة وهو ضعيف لأن ترتب فتعوا بالفاء دليل على أن العتو كان بعد القول المذكور ، فالظاهر أنه ما قدر الله تعالى من الآجال فما من أحد إلا وهو بمهل مدة الأجل كأنه يقول له . تمتع إلى آخر أجلك فإن أحسنت فقد حصل لك التمتع فى الدارين وإلا فمالك فى الآخرة من نصيب انتهى ، وما تقدم أبعد مغزى ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّعْقَةَ ﴾ أى أهلكتهم ، روى أن صالحاً عليه السلام وعدمهم الهلاك بعد ثلاثة أيام ، وقال لهم . تصبح وجوهكم غداً مصفرة . وبعد غد حمرة . واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ، ولما رأوا الآيات التى بينها عليه السلام عمدوا إلى قتله فنجاه الله تعالى فذهب إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم الصاعقة وهى نار من السماء ، وقيل . صيحة منها فهلكوا ، وقرأ عمر . وعثمان رضى الله تعالى عنهما . والكسائي الصعقة

وهي المرة من الصعق بمعنى الصاعقة أيضا ، أو الصيحة ﴿ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ٤٤ ﴾ إليها ويعاينونها ويحتاج إلى تنزيل المسموع منزلة المبصر على القول بأن الصاعقة الصيحة وأن المراد ينظرون إليها ، وقال مجاهد: (ينظرون) بمعنى ينتظرون أي وهم ينتظرون الأخذ والعذاب في تلك الايام الثلاثة التي رأوا فيها علاماته وانتظار العذاب أشد من العذاب ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ ﴾ كقوله تعالى: (فأصبحوا في دارهم جاثمين) وقيل: هو من قولهم: ما يقوم فلان بكذا إذا عجز عن دفعه ، وروى ذلك عن قتادة فهو معنى مجازي ، أو كناية شاعت حتى التحقت بالحقيقة ﴿ وَمَا كَانُوا مُتَصَرِّينَ ٤٥ ﴾ بغيرهم كما لم يتمنعوا بأنفسهم ﴿ وَقَوْمَهُ نُوحٍ ﴾ أي وأهلكنا قوم ، فان ما قبله يدل عليه ، أو واذكر ، وقيل : عطف على الضمير في (فأخذتهم) ، وقيل : في (فنبذناهم) لأن معنى كل فأهلكناهم - وهو كما ترى - وجوز أن يكون عطفاً على محل (وفي عاد) أو (وفي ثمود) وأيد بقراءة عبدالله . وأبي عمرو . وحمزة . والكسائي . وقوم بالجر ، وقرأ عبد الوارث . ومحبوب . والاصمعي عن أبي عمرو . وأبو السمال . وابن مقسم . وقوم بالرفع والظاهر أنه على الابتداء ، والخبر محذوف أي أهلكناهم ﴿ مَنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبل هؤلاء المهلكين ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ٤٦ ﴾ خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي ﴿ وَالسَّمَاءِ ﴾ أي وبنينا السماء ﴿ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ أي بقوة قاله ابن عباس . ومجاهد . وقتادة ، ومثله - الآد - وليس جمع (يد) وجوزه الامام وإن صحت التورية به ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ ﴾ أي لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة ، فالجمله تذييل لإثباتا لسعة قدرته عز وجل كل شئ فضلا عن السماء ، وفيه رمز إلى التعريض الذي في قوله تعالى : (وما مسنا من لغوب) ، وعن الحسن (لموسعون) الرزق بالمطر وكأنه أخذه من أن المساق مساق الامتنان بذلك على العباد لإظهار القدرة فكأنه أشير في قوله تعالى : (والسماء بنيناها بأيد) إلى ما تقدم من قوله سبحانه : (وفي السماء رزقكم) على بعض الأقوال فناسب أن يتمم بقوله تعالى : (وإنا لموسعون) مباغة في المن ولا يحتاج أن يفسر الأيد بالأنعام على هذا القول لأنه يتم المقصود دونه ، واليد بمعنى النعمة لا الإينعام ، وقيل : أي لموسعوها بحيث أن الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة إليها كحلقة في فلاة ، وقيل : أي لجاعلون بينها وبين الأرض سعة ، والمراد السعة المكانية ، وفيه على القولين تتميم أيضا ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ أي وفرشنا الأرض ﴿ فَرَشْنَاهَا ﴾ أي مهدناها وبسطناها لتستقروا عليها ولا ينافي ذلك شبهها للكرة على ما يزعمه فلاسفة العصر ﴿ فَنَعَمُ الْمُهْدُونَ ٤٨ ﴾ أي نحن ، وقرأ أبو السمال . ومجاهد . وابن مقسم برفع السماء ورفع الأرض على أنهما مبتدآن وما بعدهما خبر لهما ﴿ وَمَنْ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ أي من كل جنس من الحيوان ﴿ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ نوعين ذكرأ وأنثى - قاله ابن زيد . وغيره - وقال مجاهد : هذا إشارة إلى المتضادات والمتقابلات كالليل . والنهار . والشقوة . والسعادة . والهدى . والضلال . والسماء . والأرض . والسواد . والبياض . والصحة . والمرض . إلى غير ذلك ، ورجحه الطبري بأنه أدل على القدرة ، وقيل : أريد بالجنس

المنطقي ، وأقل ما يكون تحته نوعان فخلق سبحانه من الجوهر مثلاً المادى والمجرد ، ومن المادى النامى والجامد ، ومن النامى المدرك والنبات ، ومن المدرك الصامت والناطق وهو كما ترى ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٤٩﴾ أى فعلنا ذلك كله لئلا تتذكروا فتعرفوا أنه عز وجل الرب القادر الذى لا يعجزه شئ فتعملوا بمقتضاه ولا تعبدوا ما سواه ، وقيل : خلقنا ذلك لئلا تتذكروا فتعلموا أن التعدد من خواص الممكنات وأن الواجب بالذات سبحانه لا يقبل التعدد والانقسام ، وقيل : المراد التذكر بجميع ما ذكر لا من الحشر والنشر لأن من قدر على إيجاد ذلك فهو قادر على إعادة الاموات يوم القيامة وله وجه ، وقرأ أبى تذكرون بتمامين وتخفيف الذال ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ تفريع على قوله سبحانه : (لعلكم تذكرون) وهو تمثيل للاعتصام به سبحانه وتعالى وبتوحيده عز وجل ، والمعنى قل يا محمد : (فقرؤا إلى الله) لمكان ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ﴾ أى من عقابه تعالى المعد لمن لم يفر إليه سبحانه ولم يوحده ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥٠﴾ نين كونه منذراً من الله سبحانه بالمعجزات ، أو (مبين) ما يجب أن يحذر عنه •

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ عطف على الأمر ، وهو نهى عن الإشراك صريحاً على نحو وحدوه ولا تشركوا ، ومن الأذكار المأثورة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وكرر قوله تعالى : ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥١﴾ لاتصال الأول بالأمر واتصال هذا بالنهى والغرض من كل ذلك الحث على التوحيد والمبالغة فى النصيحة ، وقيل : إن المراد بقوله تعالى : (فقرؤا إلى الله) الأمر بالإيمان وملازمة الطاعة ، وذكر (ولا تجعلوا) الخ ، إفراداً لأعظم ما يجب أن يفر منه ، و (إنى لكم) الخ ، الأول مرتب على ترك الايمان والطاعة ، والثانى على الإشراك فهما متغايران لتغاير ما ترتب كل منهما عليه ووقع تعليلاً له ولا يخلو عن كدر ، وقال الزمخشري : فى الآية : (فربوا إلى) طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوا ولا تشركوا به ، وكرر (إنى لكم) الخ عند الأمر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم أن الايمان لا ينفع إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا مع الايمان وأنه لا يفوز عند الله تعالى إلا الجامع بينهما انتهى ، وفيه أنه لادلالة فى الآية على ذلك بوجه ثم تفسير الفرار إلى الله بما فسرهُ أيضاً لينطبق على العمل وحده غير مسلم على أنه لو سلم الانذار بترك العمل فمن أين يلزم عدم النفع ، وأهل السنة لا ينازعون فى وقوع الانذار بارتكاب المعصية ، فالمنساق إلى الذهن على تقدير كون المراد بالفرار إلى الله تعالى العبادة أنه تعالى أمر بها أولاً وتوعد تاركها بالوعيد المعروف له فى الشرع وهو العذاب دون خلود ، ونهى جل شأنه ثانياً أن يشرك بعبادته سبحانه غيره وتوعد المشرك بالوعيد المعروف له وهو الخلود ، وعلى هذا يكون الوعيدان متغايرين وتكون الآية فى تقديم الأمر على النهى فيها نظير قوله تعالى : (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ، وقوله سبحانه : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) وأين هذا مما ذكره الزمخشري عامله الله تعالى بعده •

﴿كَذَلِكَ﴾ أى الأمر مثل ذلك تقرير وتوكيد على مامر غير مرة ، ومن فصل الخطاب لأنه لما أراد سبحانه أن يستأنف قصة قولهم المختلف فى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن تقدمت عموماً أو خصوصاً فى قوله تعالى : (إنكم لفي قول مختلف) وكان قد توسط ما توسط قال سبحانه : الأمر كذلك أى مثل ما يذكروا يأتيك

خبره إشارة إلى الكلام الذي يتلوه أعنى قوله عز وجل : ﴿ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ إلى آخره فهو تفسير ما أجمل وهو مراد من قال: الإشارة إلى تكذيبهم الرسول عليه الصلاة والسلام وتسميتهم إياه وحاشاه ساحراً ومجنوناً ، ويعلم بما ذكر أن كذلك خبر مبتدأ محذوف ولا يجوز نصبه بأتى على أنه صفة لمصدره ، والإشارة إلى الإتيان أى (ما أتى الذين من قبلهم) من رسول إتياناً مثل إتيانهم (إلا قالوا) إلخ لأن ما بعد (ما) النافية لا يعمل فيما قبلها على المشهور ، ولا يأتى مقدراً على شريطة التفسير لأن ما لا يعمل لا يفسر عاملاً في مثل ذلك كما صرح به النحاة ، وجعله معمولاً لقالوا ، والإشارة للقول أى (إلا قالوا) ساحر أو مجنون قولاً مثل ذلك القول لا يجوز أيضاً على تعسفه لمكان (ما) وضمير قبلهم لقريش أى (ما أتى الذين من قبل قريش) ﴿ مِنْ رَسُول ﴾ أى رسول من رسل الله تعالى ﴿ إِلَّا قَالُوا ﴾ في حقه ﴿ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ٥٢ ﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هو ساحر، و - أو - قيل : من الحكاية أى (إلا قالوا ساحر)، أو (قالوا مجنون) وهى لمنع الخلو وليست من المحكى ليكون مقول كل مجموع (ساحر أو مجنون) وفي البحر هى للتفصيل أى قال بعض : ساحر؛ وقال بعض : مجنون؛ وقال بعض : ساحر ومجنون فجمع القائلون في الضمير ودلت - أو - على التفصيل انتهى فلا تغفل *

واستشكلت الآية بأنها تدل على أنه ما من رسول إلا كذب مع أن الرسل المقررين شريعة من قبلهم كيوشع عليه السلام لم يكذبوا وكذا آدم عليه السلام أرسل ولم يكذب . وأجاب الامام بقوله : لا نسلم أن المقرر رسول بل هو نبي على دين رسول ومن كذب رسوله فهو يكذبه أيضاً وتعقب بأن الأخبار وكذا الآيات دالة على أن المقررين رسل، وأيضاً يبقى الاستشكال بآدم عليه السلام وقد اعترف هو بأنه أرسل ولم يكذب وأجاب بعض عن الاستشكال بالمقررين بأن الآية إنما تدل على أن الرسل الذين أتوا من قبلهم كلهم قد قيل في حقهم ما قيل، ولا يدخل في عموم ذلك المقررون لأن المتبادر من إتيان الرسول قوماً مجيئه إياهم مع عدم تبليغ غيره إياهم ما أتى به من قبله وذلك لم يحصل للمقرر شرع من قبله كما لا يخفى ، وعن الاستشكال بآدم عليه السلام بأن المراد - ما أتى الذين من قبلهم من الامم الذين كانوا موجودين على نحو وجود هؤلاء رسول إلا قالوا - الخ ، وآدم عليه السلام لم يأت أمة كذلك إذ لم يكن حين أرسل إلا زوجته حواء ، ولعله أولى بما قيل : إن المراد من رسول من بنى آدم فلا يدخل هو عليه السلام في ذلك ، واستشكلت أيضاً بأن (إلا قالوا) يدل على أنهم كلهم كذبوا مع أنه ما من رسول إلا آمن به قوم، وأجاب الامام بأن إسناد القول إلى ضمير الجمع على إرادة الكثير بل الأكثر ، وذكر المكذب فقط لأنه الأوفق بغرض التسلية ، وأخذ منه بعضهم الجواب عن الاستشكال السابق فقال : الحكم باعتبار الغالب لأن كل أمة من الامم أتاها رسول فكذبت ليرد آدم والمقررون حيث لم يكذبوا - وفيه ما فيه - وحمل بعضهم الذين من قبلهم على الكفار ودفع به الاستشكالين - وفيه ما لا يخفى - فتأمل جميع ذلك ولا تظن انحصار الجواب فيما سمعت فأمعن النظر والله تعالى الهادي لأحسن المسالك ﴿ أَتَوْا صَوَابَهُ ﴾ تعجيب من إجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة أى كأن الأولين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى قالوه جميعاً ، وقيل : إنكار للتواصي أى ماتوا صوابه *

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ٥٣ ﴾ إضراب عن أن التواصي جامعهم إلى أن الجامع لهم على ذلك القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه *

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ فأعرض عن جداهم فقد كررت عليهم الدعوة ولم تأل جهداً في البيان فأبوا إلا إباءاً وعناداً ﴿ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ٥٤ ﴾ على التولى بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلوغ كل حد معهود *
﴿ وَذَكَرْ ﴾ آدم على فعل التذكير والموعظة ولا تدع ذلك بفالأمر بالتذكير للدوام عليه والفعل منزل منزلة اللازم، وجوز أن يكون المفعول محذوفاً أي فذكرهم وحذف لظهور الأمر *

﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥ ﴾ أي الذين قدر الله تعالى إيمانهم، أو المؤمنين بالفعل فإنها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين، وفي البحر يدل ظاهر الآية على الموعظة وهي منسوخة بآية السيف، وأخرج أبو داود في ناسخه، وابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالى: (فتول عنهم) الخ، قال: أمره الله تعالى أن يتولى عنهم ليعذبهم وعذر محمداً ﷺ ثم قال سبحانه: (وذكر) الخ فنسختها *

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب، والضياء في المختارة، وجماعة من طريق مجاهد عن علي كرم الله تعالى وجهه قال: لما نزلت (فتول عنهم فما أنت بملوم) لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلاك إذ أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتولى عنا فنزلت (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت أنفسنا، وعن قتادة أنهم ظنوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله تعالى (وذكر) الخ *

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ ﴾ استئناف مؤكد للأمر مقرر لمضمون تعليله فإن خلقهم لاذكر سبحانه وتعالى مما يدعوه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكروا الاعتاض، ولعل قديم الجن في الذكر لتقدم خلقهم على خلق الانس في الوجود، والظاهر أن المراد من يقابلون بهم وبالملائكة عليهم السلام ولم يذكر هؤلاء قيل: لأن الأمر فيهم مسلم، أو لأن الآية سيقت لبيان صنيع المكذبين حيث تركوا عبادة الله تعالى وقد خلقوا لها؛ وهذا الترك مما لا يكون فيهم بل هم عباد مكرمون لا يستكبرون عن عبادته عز وجل، وقيل: لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس مبعوثاً اليهم فليس ذكرهم في هذا الحكم مما يدعوه عليه الصلاة والسلام إلى تذكيرهم، وأنت تعلم أن الأصح عموم البعثة فالأولى ما قيل بدله لاستغنائهم عن التذكير والموعظة، وقيل: المراد بالجن ما يتناولهم لأنه من الاستتار وهم مستترون عن الانس، وقيل: لا يصح ذكرهم في حيز الخلق لأنهم كالأرواح من عالم الأمر المقابل لعالم الخلق، وقد أشير إليهما بقوله تعالى: (له الخلق والأمر) ورد بقوله سبحانه: (خالق كل شيء وله الخلق والأمر) ليس كما ظن والعبادة غاية التذلل، والظاهر أن المراد بها ما كانت بالاختيار دون التي بالتسخير الثابتة لجميع المخلوقات وهي الدلالة المنبهة على كونها مخلوقة وأنها خلق فاعل حكيم، ويعبر عنها بالسجود كما في قوله تعالى: (والنجم والشجر يسجدان) وآل في الجن والانس على المشهور للاستغراق، واللام قيل: للغاية والعبادة وإن لم تكن غاية مطلوبة من الخلق لقيام الدليل على أنه عز وجل لم يخلق الجن والانس لاجلها أي لارادتها منهم إذ لو أرادها سبحانه منهم لم يتخلف ذلك لاستلزام

الإرادة الإلهية للمراد كما بين في الاصول مع أن التخلف محقق بالمشاهدة، وأيضاً ظاهر قوله تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) يدل على إرادة المعاصي من الكثير ليستحقوا بها جهنم فينافي إرادة العبادة لكن لما كان خلقهم على حالة صالحة للعبادة مستعدة لها حيث ركب سبحانه فيهم عقولا وجعل لهم حواس ظاهرة وباطنة إلى غير ذلك من وجوه الاستعداد جعل خلقهم مغياً بها مبالغة بتشبيه المعتدله الشيء بالغاية ومثله شائع في العرف، ألا تراهم يقولون للقوى جسمه: هو مخلوق للمصارعة، وللبقرة: هي مخلوقة للحرث *

وفي الكشف أن أفعاله تعالى تنساق إلى الغايات الكمالية واللام فيها موضوعها ذلك، وأما الإرادة فليست من مقتضى اللام إلا إذا علم أن الباعث مطلوب في نفسه وعلى هذا لا يحتاج إلى تأويل فانهم خلقوا بحيث يتأتى منهم العبادة وهدوا إليها وجعلت تلك غاية كمالية لخلقهم، وتعوق بعضهم عن الوصول إليها لا يمنع كون الغاية غاية، وهذا معنى مكشوف انتهى. فتأمل، وقيل: المراد بالعبادة التذلل والخضوع بالتسخير، وظاهر أن السكل عابدون إياه تعالى بذلك المعنى لا فرق بين مؤمن، وكافر، وبر، وفاجر، ونحوه ما قيل: المعنى ما خلقت الجن والانس إلا ليلذوا لقضائى، وقيل: المعنى ما خلقتهم إلا ليكونوا عباداً لى، ويراد بالعباد العبد بالابحاد وعموم الوصف عليه ظاهر لقوله تعالى: (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) لكن قيل عليه: إن عبد بمعنى صار عبداً ليس من اللغة في شيء، وقيل: العبادة بمعنى التوحيد بناءً على ما روى عن ابن عباس أن كل عبادة في القرآن فهو توحيد فالكل يوحدونه تعالى في الآخرة أما توحيد المؤمن في الدنيا هناك فظاهر، وأما توحيد المشرك فيدل عليه قوله تعالى: (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وعليه قول من قال: لا يدخل النار كافر، أو المراد كما قال السكبي: إن المؤمن يوحد في الشدة والرخاء والكافر يوحد في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، كما قال عز وجل: (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) ولا يخفى بعد ذلك عن الظاهر والسياق، ونقل عن على كرم الله تعالى وجهه، وابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما خلقتهم إلا لأمهم وأدعهم للعبادة فهو كقوله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله) فذكر العبادة المسببة شرعاً عن الأمر أو اللازمة له، وأريد سببها أو ملزومها فهو مجاز مرسل، وأنت تعلم أن أمر كل من أفراد الجن وكل من أفراد الانس غير متحقق لاسيما إذا كان غير المكلفين كالاطفال الذين يموتون قبل زمان التكليف داخلين في العموم، وقال مجاهد: إن معنى (ليعبدون) ليعرفون وهو مجاز مرسل أيضاً من إطلاق اسم السبب على المسبب على ما في الإرشاد، ولعل السر فيه التنبيه على أن الاعتبار هو المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة قيل: وهو حسن لأنهم لو لم يخلقهم عز وجل لم يعرف وجوده وتوحيده سبحانه وتعالى، وقد جاء «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» وتعقب بأن المعرفة الصحيحة لم تتحقق في كل بل بعض قد أنكر وجوده عز وجل كالطبيين اليوم فلا بد من القول السابق في توجيه التعليل ثم الخبر بهذا اللفظ ذكره سعد الدين سعيد الفرغانى في منتهى المدارك، وذكر غيره كالشيخ الأكبر في الباب المائة والثمانية والتسعين من الفتوحات بلفظ آخر وتعقبه الحفاظ فقال ابن تيمية: إنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وكذا قال الزركشي والحافظ ابن حجر، وغيرهما: ومن

يرويه من الصوفية معترف بعدم ثبوته نقلاً لكن يقول : إنه ثابت كشفاً ، وقد نص على ذلك الشيخ الأَكْبَر قدس سره في الباب المذكور ، والتصحيح الكشفي شنشنة لهم ، ومع ذلك فيه إشكال معنى إلا أنه أجيب عنه ثلاث أجوبة ستأتي إن شاء الله تعالى ، وقيل : أل في (الجن والانس) للعهد ، والمراد بهم المؤمنون لقوله تعالى : (ولقد ذرأنا) الآية أى بناءً على أن اللام فيها ليست للعاقبة ، ونسب هذا القول لزيد بن أسلم . وسفيان ، وأيد بقوله تعالى قبل : (فان الذكرى تنفع المؤمنين) وأيده في البحر برواية ابن عباس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « وما خلقت الجن والانس من المؤمنين » ورواها بعضهم قراءة لابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، ومن الناس من جعلها للجنس ، وقال : يكفي في ثبوت الحكم له ثبوته لبعض أفرادها وهو هنا المؤمنون الطائعون وهو في المآل متحد مع سابقه ، ولا إشكال على ذلك في جعل اللام للغاية المطلوبة حقيقة وكذا في جعلها للغرض عند من يجوز تعليل أفعاله تعالى بالأغراض مع بقاء الغنى الذاتي وعدم الاستكمال بالغير - كما ذهب اليه كثير من السلف ، والمحدثين - وقد سمعت أن منهم من يقسم الإرادة إلى شرعية تتعلق بالطاعات وتكوينية تتعلق بالمعاصي وغيرها ، وعليه يجوز أن يبقى (الجن والانس) على شمولها للعاصين ، ويقال : إن العبادة مرادة منهم أيضاً لكن بالإرادة الشرعية إلا أنه لا يتم إلا إذا كانت هذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد كالإرادة التفويضية القائل بها المعتزلة .

هذا وإذا أحطت خبراً بالأقوال في تفسير هذه الآية هان عليك دفع ما يترامى من المناقاة بينها وبين قوله تعالى : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) على تقدير كون الإشارة إلى الاختلاف بالتزام بعض هاتيك الأقوال فيها ، ودفعه بعضهم بكون اللام في تلك الآية للعاقبة والذي ينساق إلى الذهن أن الحصر إضافي أى خلقتهم للعبادة دون ضدها أو دون طلب الرزق والاطعام على ما يشير اليه كلام بعضهم أخذاً من تعقيب ذلك بقوله سبحانه : ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۖ هـ٧ ﴾ وهو لبيان أن شأنه تعالى شأنه مع عباده ليس كشأن السادة مع عبيدهم لأنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم وأرزاقهم ، ومالك ملاك العبيد نفي عز وجل أن يكون ملكه إياهم لذلك فكأنه قال سبحانه : ما أريد أن أستعين بهم كما يستعين ملاك العبيد بعبيدهم فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ، وذكر الامام فيه وجهين : الأول أن يكون لدفع توهم الحاجة من خلقهم للعبادة ، والثاني أن يكون لتقرير كونهم مخلوقين لها ، وبين هذا بأن الفعل في العرف لا بد له من منفعة لكن العبيد على قسمين : قسم يتخذون لظهار العظمة بالمشول بين أيادى ساداتهم وتعظيمهم إياهم كعبيد الملوك ، وقسم يتخذون للانتفاع بهم في تحصيل الأرزاق أو لأصلاحها ، فكأنه قال سبحانه : إني خلقتهم ولا بد فيهم من منفعة فليتكفروا في أنفسهم هل هم من قبيل أن يطلب منهم تحصيل رزق وليسوا كذلك فما أريد منهم من رزق ، وهل هم ممن يطلب منهم إصلاح قوت كالطباخ ومن يقرب الطعام ؟ وليسوا كذلك (فما أريد أن يطعموا) فإذا هم عبيد من القسم الأول ، فينبغي أن لا يتركوا التعظيم ، والظاهر أن المعنى ما أريد منهم من رزق لى لمكان قوله سبحانه : (وما أريد أن يطعموا) واليه ذهب الامام ، وذكر في الآية لطائف : الأولى أنه سبحانه كرر نفي الإرادتين لأن السيد قد يطلب من العبد التكسب له وهو طلب الرزق وقد لا يطلب حيث كان له مال وافر لكنه يطلب قضاء

حواله من حفظ المال وإحضار الطعام من ماله بين يديه، فنفي الإرادة الأولى لا يستلزم نفي الإرادة الثانية فكرر النهي على معنى لا أريد هذا ولا أريد ذلك، الثانية أن ترتيب النفيين كما تضمنه النظم الجليل من باب الترقى في بيان غناه عز وجل كأنه قال سبحانه: لا أطلب منهم رزقاً ولا ما هو دون ذلك وهو تقديم الطعام بين يدي السيد فان ذلك أمر كثيراً ما يطلب من العبيد إذا كان التكسب لا يطلب منهم، الثالثة أنه سبحانه قال: ما أريد منهم من رزق دون ما أريد منهم أن يرزقون لأن التكسب لطلب العين لا الفعل، وقال سبحانه: (ما أريد أن يطعمون) دون ما أريد من طعام لأن ذلك الإشارة إلى الاستغناء عما يفعله العبد الغير المأمور بالتكسب كعبد وافر المال والحاجة إليه للفعل نفسه، الرابعة أنه جل وعلا خص الاطعام بالذكر لأن أدنى درجات الاستعانة أن يستعين السيد بعبد في تهيئة أمر الطعام ونفي الأدنى يتبعه نفي الأعلى بطريق الأولى فكأنه قيل: ما أريد منهم من عين ولا عمل، الخامسة أن (ما) لنفي الحال إلا أن المراد به الدنيا وتعرض له دون نفي الاستقبال لأن من المعلوم البين أن العبد بعد موته لا يصلح أن يطلب منه رزق أو إطعام انتهى، فتأمل *.

ويفهم من ظاهر كلام الزمخشري أن المعنى ما أريد منهم من رزق لي ولهم، وفي البحر ما أريد منهم من رزق أي أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم (وما أريد أن يطعمون) أي أن يطعموا خلقه فهو على حذف مضاف قاله ابن عباس انتهى، ونحوه ما قيل: المعنى ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أريد أن يطعموه، وأسند الإطعام إلى نفسه سبحانه لأن الخاق كلهم عيال الله تعالى. ومن أطعم عيال أحد فكأنما أطعمه، وفي الحديث «يا عبدى مرضت فلم تعدنى وجعت فلم تطعمنى» فانه كما يدل عليه آخره على معنى مرض عبدى فلم تعده وجاع فلم تطعمه، وقيل: الآية مقدره بقل فتكون بمعنى قوله سبحانه: (قل لا أسألكم عليه أجراً) والغيبة فيها رعاية للحكاية إذ في مثل ذلك يجوز الأمران الغيبة والخطاب، وقد قرئ بهما في قوله تعالى: (قل للذين كفروا ستغلبون)، وقيل: المراد قل لهم وفي حقهم فتلائمه الغيبة في (منهم) و (يطعمون) ولا ينافي ذلك قراءة - أنى أنا الرزاق - فيما بعد لانه حينئذ تعليل للأمر بالقول، أو الائتمار لعدم الإرادة، نعم لاشك في أنه قول بعيد جداً ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ الذى يرزق كل مفتقر إلى الرزق لا غيره سبحانه استقلالاً، أو اشتراكاً ويفهم من ذلك استغناؤه عز وجل عن الرزق ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ أى القدرة ﴿الْمَتِينُ ٥٨﴾ شديد القوة، والجملة تعليل لعدم الإرادة قال الامام: كونه تعالى هو الرزاق ناظر إلى عدم طلب الرزق لأن من يطلبه يكون فقيراً محتاجاً، وكونه عز وجل هو ذو القوة المتين ناظر إلى عدم طلب العمل المراد من قوله سبحانه: (وما أريد أن يطعمون) لأن من يطلبه يكون عاجزاً لا قوة له فكأنه قيل: ما أريد منهم من رزق لأنى أنا الرزاق وما أريد منهم من عمل لأنى قوى متين، وكان الظاهر - أنى أنا الرزاق - كما جاء في قراءة له ﷺ لكن التفت إلى الغيبة، والتعبير بالاسم الجليل لاشتهاره بمعنى المعبودية فيكون في ذلك إشعار بعلّة الحكم ولتخرج الآية مخرج المثل كما قيل ذلك في قوله تعالى: (إن الباطل كان زهوقاً) والتعبير به على القول بتقدير قل فيما تقدم هو الظاهر، وتحتاج القراءة الاخرى إلى ما ذكرناه آنفاً، وآثر سبحانه ذو القوة على القوى قيل: لأن في (ذو) كما قال ابن حجر الهيتمي وغيره تعظيم ما أضيفت إليه، والموصوف بها والمقام يقتضيه ولذا جئ

بالميتين بعد ولم يكتف به عن الوصف بالقوة ؛ وقال الامام : لما كان المقصود تقرير ما تقدم من عدم إرادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير جئ بوصف الرزق على صيغة المبالغة لأنه بدونها لا يكفي في تقرير عدم إرادة الرزق وبوصف القوة بما لا مبالغة فيه لكفايته في تقرير عدم الاستعانة فان من له قوة دون الغاية لا يستعين بغيره لكن لما لم يدل ذو القوة على أكثر من أن له تعالى قوة (ما) زيد الوصف بالميتين وهو الذي له ثبات لا يتزلزل ، ثم قال : إن القوى أبلغ من ذى القوة والعزة أكمل من المتانة وقد قرن الأكمل بالأكمل وما دونه بما دونه في قوله تعالى : (ليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب إن الله قوى عزيز) وفي قوله تعالى : (إن الله هو الرزاق) الخ لما اقتضى المقام ذلك ، وقد أطل الكلام في هذا المقام وما أظنه يصفو عن كدر ، وقرأ ابن محيصن - الرزاق - بزنة الفاعل ، وقرأ الاعمش . وابن وثاب - المتين - بالجر ، وخرج على أنه صفة القوة ، وجاز ذلك مع تذكره لتأويلها بالاقتدار أو لكونه على ذنة المصادر التي يستوى فيها المذكر والمؤنث ، أو لأجرائه مجرى فعيل بمعنى مفعول ، وأجاز أبو الفتح أن يكون صفة - لذو - وجر على الجوار - كقولهم هذا جحر ضب خرب - وضعف ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أى إذا ثبت أن الله تعالى ما خلق الجن والانس إلا ليعبدوه وأنه سبحانه ما يريد منهم من رزق إلى آخر ما تقدم فان للذين ظلموا أنفسهم باشتغالهم بغير ما خلقوا له من العبادة وإشراكهم بالله عز وجل وتكذيبهم رسوله عليه الصلاة والسلام وهم أهل مكة وأضرابهم من كفار العرب ﴿ ذُنُوبًا ﴾ أى نصيباً من العذاب ﴿ مِثْلَ ذُنُوبٍ ﴾ أى نصيب ﴿ أَصْحَابِهِمْ ﴾ أى نظرائهم من الامم السالفة ، وأصل الذنوب الدلو العظيمة الممتلئة ماءً ، أو القرية من الامتلاء ، قال الجوهري : ولا يقال لها ذنوب وهى فارغة ، وهى تذكر وتؤنث وجمعها أذنب وذنائب فاستعيرت للنصيب مطلقاً شراً كان كالنصيب من العذاب فى الآية ، أو خيراً كما فى العطاء فى قول علقمة بن عبدة التميمي يمدح الحرث بن أبى شمر الغساني وكان أسراً أخاه شأسا يوم عين أباغ : وفى كل حى قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نذاك (ذنوب)

يروى أن الحرث لما سمع هذا البيت قال نعم وأذنبه (١) ومن استعمالها فى النصيب قول الآخر :

لعمرك والمنايا طارقات لكل بنى أب منها (ذنوب)

وهو استعمال شائع ، وفى الكشف هذا تمثيل أصله فى السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال الراجز :

إنا إذا نازلنا غريب له (ذنوب) ولنا (ذنوب) وإن أيتم فلنا القلب

﴿ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ٥٩ ﴾ أى لا يطلبوا منى أن أعجل فى الاتيان به يقال استعجله أى حثه على العجلة وطلبها منه ، ويقال : استعجلت كذا أن طلبت وقوعه بالعجلة ، ومنه قوله تعالى : (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وهو على ما فى الارشاد جواب لقولهم : (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

(١) « شأس » هو جد علقمة بن عبدة مدح بهذه القصيدة الحرث بن أبى شمر الغساني لما كان عنده أسيراً طامراً باطلاقة وجميع أسرى بنى تميم و« الخابط » الطالب ، ومعنى البيت أنت الذى أنعمت على كل حى بنعمة واستحق نذاك ذنوباً اه إدارة الطباعة

أى فويل لهم، ووضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وإشعاراً بعله الحكم، والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيماً كما أن الفاء التى قبلها لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك، و (من) فى قوله سبحانه: ﴿مَنْ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠﴾ للتعليل؛ والعائد على الموصول محذوف أى يوعدونه أو يوعدون به على قول، والمراد بذلك اليوم قيل: يوم بدر، ورجح بأنه الأوفق لما قبله من حيث أنه ذنوب من العذاب الدنيوى، وقيل: يوم القيامة، ورجح بأنه الأنسب لما فى صدر السورة الكريمة الآتية، والله تعالى أعلم.

ومما قاله بعض أهل الإشارة فى بعض الآيات: (والذاريات ذرواً) إشارة إلى الرياح التى تحمل أنين المشتاقين المتعرضين لنفحات الالطاف إلى ساحات العزة، ثم تأتى بنسيم نفحات الحق إلى مشام المحبين فيجدون راحة قامن غلبات اللوعة (فالحاملات وقرأ) إشارة إلى سحائب اللطاف الألوهية تحمل أمطار مراحم الربوبية فتمطر على قلوب الصديقين (فالجاريات يسراً) إشارة إلى سفن أفئدة المحبين تجرى بريح العناية فى بحر التوحيد على أيسر حال (فالمقسمات أمراً) إشارة إلى الملائكة النازلين من حظائر القدس بالبشائر والمعارف على قلوب أهل الاستقامة، وإن شئت جعلت الكل إشارة إلى أنواع رياح العناية فمنها ما يطير بالقلوب فى جو الغيوب، وقد قال العاشق المجازى:

خذا من صبا نجد أماناً لقلبه فقد كاد رياها يطير بلبه
وإيا كما ذاك النسيم فانه متى هب كان الوجد أيسر خطبه

ومنها (الحاملات وقرأ) دواء قلوب العاشقين كما قيل:

أيا جبلى نعمان بالله خلياً نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
أجد بردها أو تشفى منى حرارة على كبد لم يبق إلا صميمها
فان الصبا ريح إذا ما تنسمت على نفس مغموم تجلت همومها

ومنها (الجاريات) من مهاب حضرات القدس إلى أفئدة أهل الانس بسهولة لتنعش قلوبهم، ومنها (المقسمات) ما جاءت به مما عبق بها من آثار الحضرة الإلهية على نفوس المستعدين حسب استعداداتهم وإن شئت قلت غير ذلك فالباب واسع (والسماء ذات الحبك) إشارة إلى سماء القلب فانها ذات طرائق إلى الله عز وجل (إن المتقين فى جنات وعيون) إشارة إلى جنات الوصال وعيون الحكمة (وبالأسحار هم يستغفرون) يطلبون غفر أى ستر وجودهم بوجود محبوبهم، أو يطلبون غفران ذنب رؤية عبادتهم من أول الليل إلى السحر (ومن كل شىء خلقنا زوجين) إشارة إلى أن جميع ما يرى بارزاً من الموجودات ليس واحداً وحدة حقيقية بل هو مركب ولا أقل من كونه مركباً من الامكان، وشىء آخر فليس الواحد الحقيقى إلا الله تعالى الذى حقيقته سبحانه إنيته (فقرؤا الى الله) بترك ما سواه عز وجل (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أى ليعرفون، وهو عندهم إشارة إلى ما صححوه كشفاً من روايته صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه سبحانه أنه قال: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» وفى كتاب الأنوار السنية للسيد نور الدين السمهودى بلفظ «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت هذا الخلق ليعرفونى فى عرفونى» وفى المقاصد الحسنة للسخاوى بلفظ «كنت كنزاً لا أعرف فخلقت خلقاً فعرفتهم بى

فعرفوني « إلى غير ذلك، وهو مشكل لأن الخفاء أمر نسبي فلا بد فيه من مخفى ومخفى عنه فحيث لم يكن خلق لم يكن مخفى عنه فلا يتحقق الخفاء، وأجيب أولاً بأن الخفاء عن الأعيان الثابتة لأن الأشياء في ثبوتها لا إدراك لها وجودياً فكان الله سبحانه مخفياً عنها غير معروف لها معرفة وجودية - فأحب أن يعرف رقة حادثة من موجود حادث - فخلق الخلق لأن معرفتهم الوجودية فرع وجودهم فتعرف سبحانه إليهم بأنواع التجليات على حسب تفاوت الاستعدادات فعرفوا أنفسهم بالتجليات فعرفوا الله تعالى من ذلك فبه سبحانه عرفوه، وثانياً بأن المراد بالخفاء لازمه وهو عدم معرفة أحد به جل وعلا ، ويؤيده ما في لفظ السخاوى من قوله: لا أعرف بدل مخفياً، وثالثاً بأن مخفياً بمعنى ظاهراً من أخفاه أى أظهره على أن الهمزة للازالة أى أزال خفاءه، وترتيب قوله سبحانه: « فأحببت أن أعرف » الخ عليه باعتبار أن الظهور متى كان قوياً أوجب الجهالة بحال الظاهر فخلق سبحانه الخلق ليكونوا كالحجاب فيتمكن معه من المعرفة ، ألا يرى أن الشمس لشدة ظهورها لا تستطيع أكثر الابصار الوقوف على حالها إلا بواسطة وضع بعض الحجب بينها وبينها وهو كما ترى لا يخلو عن بحث ، وأما إطلاق الكنز عليه عز وجل فقد ورد ، روى الديلمي في مسنده عن أنس مرفوعاً كنز المؤمن ربه أى فإن منه سبحانه كل ما يناله من أمر نفيس في الدارين ، والشيخ محي الدين قدس سره ذكر في معنى - الكنز - غير ذلك فقال في الباب الثلاثمائة والثمانية والخمسين من فتوحاته : لولم يكن في العالم من هو على صورة الحق ما حصل المقصود من العلم بالحق أعنى العلم بالحادث في قوله : « كنت كنزاً » الخ فجعل نفسه كنزاً ، والكنز لا يكون إلا مكتنزاً في شئ فلم يكن كنز الحق نفسه إلا في صورة الانسان الكامل في شئية ثبوته هناك كان الحق مكتنوزاً فلما ألبس الحق الانسان ثوب شئية الوجود ظهر الكنز بظهوره فعرفه الانسان الكامل بوجوده وعلم أنه سبحانه كان مكتنوزاً فيه في شئية ثبوته وهو لا يشعر به انتهى ، وهو منطق الطير الذي لا نعرفه نسأل الله تعالى التوفيق لما يحب ويرضى بمنه وكرمه .

﴿ سورة الطور ﴾

﴿ مكية ﴾ كما روى عن ابن عباس . وابن الزبير رضى الله تعالى عنهم ولم نقف على استثناء شئ منها، وهى تسع وأربعون آية في الكوفي والشامى ، وثمان وأربعون في البصرى ، وسبع وأربعون في الحجازى ، ومناسبة أولها لآخر ما قبلها احتمال كل على الوعيد ، وقال الجلال السيوطى : وجه وضعها بعد الذاريات تشابههما في المطلع والمقطع فإن في مطلع كل منهما صفة حال المتقين ، وفي مقطع كل منهما صفة حال الكفار ، ولا يخفى ما بين السورتين الكريمتين من الاشتراك في غير ذلك .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالطُّور ١ ﴾ الطور اسم لكل جبل على ما قيل : في اللغة العربية عند الجمهور ، وفي اللغة السريانية عند بعض ، ورواه ابن المنذر . وابن جرير عن مجاهد ، والمراد به هنا (طور سينين) الذى ظم الله تعالى موسى عليه السلام عنده ، ويقال له : طور سيناء أيضاً . والمعروف اليوم بذلك ما هو بقرب التيه بين مصر والعقبة ، وقال أبو حيان في تفسير سورة (التين) : لم يختلف في طور سيناء أنه جبل بالشام وهو الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، وقال في تفسيره : هذه السورة في الشام جبل يسمى الطور وهو طور سيناء فقال نوف البكالى : إنه الذى أقسم الله سبحانه به لفضله على الجبال ، قيل : وهو الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام انتهى فلا تغفل ، وحكى الراغب أنه جبل محيط بالأرض ولا يصح عندى ، وقيل : جبل من جبال

الجنة، وروى فيه ابن مردويه عن أبي هريرة، وعن كثير بن عبد الله حديثاً مرفوعاً ولا أظن صحته، واستظهر أبو حيان أن المراد الجنس لا جبل معين، وروى ذلك عن مجاهد. والكلي، والذي أعول عليه ما قدمته *

﴿ وَكُتِبَ مَسْطُور ٢ ﴾ مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة، والمراد به على ما قال الفراء الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال ويعطاه العبد يوم القيامة يمينه أو بشماله وهو المذكور في قوله تعالى: (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً)، وقال الكلي: هو التوراة، وقيل: هي. والانجيل. والزبور وقيل: القرآن، وقيل: اللوح المحفوظ، وفي البحر لا ينبغي أن يحمل شيء من هذه الاقوال على التعيين وإنما تورد، على الاحتمال، والتذكير قيل: للأفراد نوعاً، وذلك على القول بتعدد، أو للأفراد شخصاً، وذلك على القول بالمقابل، وفائدته الدلالة على اختصاصه من جنس الكتب بأمر يتميز به عن سائرهما، والاولى على وجهي التنكير إذا حمل على أحد الكتابين أعنى القرآن والتوراة أن يكون من باب (ليجزى قوما) ففي التنكير كمال التعريف، والتنبيه على أن ذلك الكتاب لا ينبغي نكر أو عرف، ومن هذا القبيل التنكير في قوله تعالى:

﴿ فِي رَقٍّ مَّنْشُور ٣ ﴾ والرق بالفتح ويكسر، وبه قرأ أبو السمال جلد رقيق يكتب فيه وجمعه رقوق وأصله على ما في مجمع البيان من اللمعان يقال: ترقق الشيء إذا لمع. أو من الرقة ضد الصفاقة على ما قيل، وقد تجوز فيه عما يكتب فيه الكتاب من ألواح وغيرها. والمنشور المبسوط والوصف به قيل: للإشارة إلى صحة الكتاب وسلامته من الخطأ حيث جعل معرضاً لنظر كل ناظر آتينا عليه من الاعتراض لسلامته عما يوجهه، وقيل: هو بيان حاله التي تضمنتها الآية المذكورة آنفاً بناءً على أن المراد به صحائف الأعمال وبيان أنه ظاهر للملائكة عليهم السلام يرجعون إليه بسهولة في أهولهم بناءً على أنه اللوح، أو للناس لا يمنعهم مانع عن مطالعته والاهتداء بهديه بناءً على الأقوال الآخر، وفي البحر (منشور) منسوخ ما بين المشرق والمغرب ﴿ وَالْبَيْتُ الْمَعْمُور ٤ ﴾ هو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة كما أخرج ذلك ابن جرير. وابن المنذر. والحاكم وصححه. وابن مردويه. والبيهقي في الشعب عن أنس مرفوعاً *

وأخرج عبد الرزاق. وجماعة عن أبي الطفيل أن ابن السكواء سأل علياً كرم الله تعالى وجهه فقال: ذلك الضَّرَاحُ يُدْتَفِقُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ تَحْتَ الْعَرْشِ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ الْخ، وجاء في رواية عنه كرم الله تعالى وجهه، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه حيال الكعبة بحيث لو سقط سقط عليها *

وروى عن مجاهد. وقتادة. وابن زيد أن في كل سماء بحيال الكعبة بيتاً حرمة كرمته وعمارتها بكثرة الواردين عليه من الملائكة عليهم السلام كما سمعت، وقال الحسن: هو الكعبة يعمره الله تعالى كل سنة بستمائة ألف من الناس فان نقصوا أتم سبحانه العدد من الملائكة، وأنت تعلم أن من المجاز المشهور. مكان معمور. بمعنى مأهول مسكون تحل الناس في محل هو فيه، فعماراة الكعبة بالمجاورين عندها وبحجاجها صرح خبر الحسن المذكور

أم لا ﴿ وَالسَّقْفُ الْمَرْفُوع ٥ ﴾ أي السماء كما رواه جماعة، وصححه الحاكم عن الامير كرم الله تعالى وجهه، وعن ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة، وأخرجه أبو الشيخ عن الربيع بن أنس، وعليه لا بأس في تفسير البيت المعمور بالسماء كما روى عن مجاهد، وعمارتها بالملائكة أيضاً فما فيها موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد

أو قائم ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ ٦﴾ أى الموقد ناراً.

أخرج ابن جرير : وابن المنذر . وابن أبى حاتم . وأبو الشيخ فى العظمة عن سعيد بن المسيب قال : قال على كرم الله تعالى وجهه لرجل من اليهود : أين موضع النار فى كتابكم ؟ قال : البحر فقال كرم الله تعالى وجهه : ما أراه إلا صادقا ، وقرأ (والبحر المسجور) (وإذا البحار سجرت) وبذلك قال مجاهد . وشمر بن عطية . والضحاك . ومحمد بن كعب . والأخفش ، وقال قتادة : المسجور المملوء يقال : سجره أى ملأه ، والمراد به عند جمع البحر المحيط ، وقيل : بحر فى السماء تحت العرش ، وأخرج ذلك ابن أبى حاتم وغيره عن على كرم الله تعالى وجهه ، وابن جرير عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، وفى البحر إنهما قالاً فيه ماء غليظ ، ويقال له : بحر الحياة يطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحا فينبئون فى قبورهم ، وأخرج أبو الشيخ عن الربيع أنه الملاء الأعلى الذى تحت العرش وكأنه أراد به الفضاء الواسع المملوء ملائكة ، وعن ابن عباس (المسجور) الذى ذهب مأؤه ، وروى ذو الرمة الشاعر ، وليس له كما قيل حديث غير هذا عن الحبر قال : خرجت أمة لتستقى فقالت : إن الحوض مسجور أى فارغ فيكون من الاضداد ، وحمل كلامه رضى الله تعالى عنه على إرادة البحر المعروف ، وأن ذهاب مأئه يوم القيامة ، وفى رواية عنه أنه فسره بالمحبوس ، ومنه ساجور الكلب وهى القلادة التى تمسكه وكأنه عنى المحبوس من أن يفيض فيغرق جميع الأرض ، أو يفيض فتبقى الأرض خالية منه ، وقيل : (المسجور) المختلط ، وهو نحو قولهم للخليل المختلط : سجير ، وجعله الراغب من سجرت التنور لأنه سجير فى مودة صاحبه ، والمراد بهذا الاختلاط تلاقي البحار بمياهها واختلاط بعضها ببعض ، وعن الربيع اختلاط عذبتها بملحها ، وقيل : اختلاطها بحيوانات الماء ، وقيل : المفجور أخذاً من قوله تعالى : (وإذا البحار فجرت) ويحتمله ما أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس من تفسيره بالمرسل ، وإذا اعتبر هذا مع ما تقدم عنه آنفاً من تفسيره بالمحبوس يكون من الاضداد أيضاً ، وقال منبه بن سعيد : هو جهنم سميت بحراً لسعتها وتموجها ، والجمهور على أن المراد به بحر الدنيا - وبه أقول - وبأن المسجور بمعنى الموقد ، ووجه التناسب بين القرائن بعد تعيين ماسيق له الكلام لائح ، وهو ههنا إثبات تأكيد عذاب الآخرة وتحقيق كينونته ووقوعه ، فأقسم سبحانه له بأمور كلها دالة على كمال قدرته عز وجل مع كونها متعلقة بالمبدأ والمعاد ، فالطور لأنه محل مكاملة موسى عليه السلام ، ومهبط آيات البدء والمعاد يناسب حديث إثبات المعاد وكتاب الأعمال كذلك مع الإيماء إلى أن إيقاع العذاب عدل منه تعالى فقد تحقق ، ودون فى (الكتاب) ما يجر إليه قبل ، (والبيت المعمور) لأنه مطاف الرسل السماوية ، ومظهر لعظمته تعالى ، ومحل لتقديسهم وتسييحهم إياه جل وعلا ، (والسقف المرفوع) لأنه مستقرهم ومنه تنزل الآيات ، وفيه الجنة : (والبحر المسجور) لأنه محل النار ، وإذا حمل الكتاب على التوراة كان التناسب مع ما قبله حسب النظر الجليل أظهر ولم يحمله عليها كثير لزعم أن - الرق المنشور - لا يناسبها لأنها كانت فى الألواح ، ولا يخفى عليك أن شيوع الرق فيما يكتب فيه الكتاب مطلقاً يضعف هذا الزعم فى الجملة ، ثم إن المعروف أن التوراة لا يكتبها اليهود اليوم إلا فى - رق - وكأنهم أخذوا ذلك من أسلافهم ، وقال الامام : يحتمل أن تكون الحكمة فى القسم - بالطور . والبيت المعمور . والبحر المسجور - أنها أما كن خلوة لثلاثة أنبياء مع ربهم سبحانه ، أما الطور فلموسى عليه السلام وقد خاطب عنده ربه عز وجل بما خاطب ، وأما البيت المعمور فلموسى عليه وسلم وقد قال عنده : « سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا أحصى

ثناءاً عليك أنت يا أثيت على نفسك » ؛ وأما البحر فليونس عليه السلام قال فيه : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فلشرفها بذلك أقسم الله تعالى بها ، وأما ذكر (الكتاب) فلأن الأنبياء كان لهم في هذه الأما كن كلام والكلام في الكتاب ، وأما ذكر السقف المرفوع فليان رفعة البيت المعمور ليعلم عظمة شأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم ذكر وجه آخر ، ولعمري إنه لم يأت بشئ فيهما ، والواو الأولى للقسم وما بعدها على ما قال أبو حيان للعطف ، والجملة المقسم عليها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۚ ﴾ أي لسكان على شدة كونه مهياً في مكان مرتفع فيقع على من يحل به من الكفار ؛ وفي إضافته إلى الرب مع إضافة الرب إلى ضميره عليه الصلاة والسلام أمان له صلى الله تعالى عليه وسلم وإشارة إلى أن العذاب واقع بمن كذبه ، وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما - واقع - بدون لام ، وقوله تعالى : ﴿ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ۚ ﴾ خبر ثان - لان - أوصفة (لواقع) أو هو جملة معترضة ، و (من دافع) إما مبتدأ للظرف أو مرتفع به على الفاعلية ، و (من) مزيدة للتأكيد ولا يخفى ما في الكلام من تأكيد الحكم وتقديره ؛ وقد روى أن عمر رضي الله تعالى عنه قرأ من أول السورة إلى هنا فبكى ثم بكى حتى عيد من وجعه وكان عشرين يوماً ، وأخرج أحمد . وسعيد بن منصور . وابن سعد عن جبير بن مطعم قال : قدمت المدينة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأكله في أسارى بدر فدفعته إليه وهو يصلي بأصحابه صلاة المغرب فسمعتة يقرأ (والطور) إلى (إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) فكأنما صدع قلبي ، وفي رواية فأسلمت خوفاً من نزول العذاب وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب ، وهو لا يأتى أن يكون المراد الوقوع يوم القيامة (ومن غريب ما يحكى) أن شخصاً رأى مكتوباً في كفه خمس واوات فعبثت له بخير فسأل ابن سيرين فقال : تهاً لما لا يسر فقال له : من أين أخذت هذا ؟ فقال : من قوله عز وجل : (والطور) إلى (إن عذاب ربك لواقع) فما مضى يومان أو ثلاثة حتى أحيط بذلك الشخص ، وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۚ ﴾ منصوب على الظرفية (١) وناصبه (واقع) أو (دافع) أو معنى النفي وإيهام أنه لا ينتفى دفعه في غير ذلك اليوم بناءً على اعتبار المفهوم لاضرير فيه لعدم مخالفته للواقع لانه تعالى أمهاتهم في الدنيا وما أمهاتهم ، ومنع مكى أن يعمل فيه - واقع - ولم يذكر دليل المنع ولا دليل له فيما يظهر ، ومعنى (تمور) تضطرب كما قال ابن عباس أي ترتج وهي في مكانها ، وفي رواية عنه تشقق ، وقال مجاهد : تدور ، وأصل المور التردد في المجئ والذهاب ، وقيل : التحرك في تموج ، وقيل : الجريان السريع ، ويقال للجري مطلقاً وأنشدوا للأعشى

كأن مشيتها من بيت جارتها (مور السحابة لا ريث ولا عجل)

﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۚ ﴾ عن وجه الأرض فتكون هباءً منبثاً ، والإتيان بالمصدرين للايدان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة أي موراً عجيباً وسيراً بديعاً لا يدرك كنههما ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ ﴾ أي إذا وقع ذلك (٢) أو إذا كان الأمر كما ذكر فويل يوم إذ يقع ذلك ﴿ لِلْمُكَذِّبِينَ ۚ ﴾ الذين هم في خوض يلعبون ﴿ ١٢ ﴾ أي في اندفاع عجيب في الأباطيل والكاذيب يلعبون ، وأصل الخوض المشى في الماء ثم تجوز فيه عن الشروع

في كل شئ وغلب في الخوض في الباطل كالأحضار عام في كل شئ ثم غلب استعماله في الاحضار للعذاب *

﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣﴾ أي يدفعون دفعاً عنيفاً شديداً بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار وي طرحون فيها، وقرأ زيد بن علي . والسلي . وأبور جاء (يدعون) بسكون الدال وفتح العين من الدعاء فيكون (دعا) حالاً أي ينادون إليها مدعوين (١) و (يوم) إما بدل من يوم (تمور) أو ظرف لقول مقدر محكى به قوله تعالى: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾ أي فيقال لهم ذلك (يوم) الخ، ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها، وقوله تعالى:

﴿أَفَسِحْرُ هَذَا﴾ توبيخ وتقرير لهم حيث كانوا يسمونه سحراً كأنه قيل: كنتم تقولون للوحي الذي أنذركم بهذا سحراً أفهذا المصدق له سحر أيضاً وتقديم الخبر لأنه المقصود بالإنكار والمدار للتوبيخ *

﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ١٥﴾ أي أم أنتم عمى عن الخبر به كما كنتم في الدنيا عمياً عن الخبر والفاء مؤذنة بما ذكر وذلك لأنها لما كانت تقتضي معطوفاً عليه يصح ترتب الجملة أعني سحر هذا عليه وكانت هذه جملة واردة تقريراً مثل هذه النار الخ لم يكن بد من تقدير ذلك على وجه يصح الترتب ويكون مدلولاً عليه من السياق فقد كنتم تقولون إلى آخره، ودل عليه قوله تعالى: (في خوض يلعبون) وقوله سبحانه: (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) وفي الكشف إن هذا نظير ما تستدل بحجة فيقول الخصم: هذا باطل فتأتي بحجة أوضح من الأولى مسددة وتقول: أفاطل هذا؟ تعيره بالالزام بأن مقالته الأولى كانت باطلة، وفي مثله جاز أن يقدر القول على معنى أفقول باطل هذا وأن لا يقدر لا بتناؤه على كلام الخصم وهذا أباغ، و(أم) كما هو الظاهر منقطعة، وفي البحر لما قيل لهم: هذه النار وقفوا على الجهتين اللتين يمكن منهما دخول الشك في أنها النار وهي إما أن يكون شتم سحر يلبس ذات المرأى، وإما أن يكون في ناظر الناظر اختلال، والظاهر أنه جعل (أم) معادلة والأول أبعد مغزى *

﴿أَصْلَوْهَا فَأَصْبَرُوا أَوْ لَا تَصْبَرُوا﴾ أي ادخلوها وقاسوا شدائد ما فعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه *

﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي الأمران سواء عليكم في عدم النفع إذ كل لا يدفع العذاب ولا يخففه - فسواء - خبر مبتدأ محذوف وصح الإخبار به عن المثني لأنه مصدر في الأصل، وجوز كونه مبتدأ محذوف الخبر وليس بذاك، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾ تعليل للاستواء فإن الجزاء حيث كان متحتم الوقوع لسبق الوعيد به وقضائه سبحانه إياه بمقتضى عدله كان الصبر وعدمه مستويين في عدم النفع *

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٧﴾ شروع في ذكر حال المؤمنين بعد ذكر حال الكافرين كما هو عادة القرآن الجليل في الترهيب والترغيب، وجوز أن يكون من جملة المقول للكفار إذ ذاك زيادة في غمهم وتنكيدهم والأول أظهر، والتنوين في الموضعين للعظيم أي في جنات عظيمة ونعيم عظيم، وجوز أن يكون للنوعية أي نوع من الجنات، ونوع من النعيم مخصوصين بهم وكونه عوضاً عن المضاف إليه أي جناتهم ونعيمهم ليس بالقوى لا يحيى *

﴿فَاكْهِنَ﴾ متلذذين ﴿بِمَاءٍ آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من الإحسان، وقرئ - فكهين - بلا ألف، ونصبه في القراءتين على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور أعني في جنات الواقع خبراً لأن، وقرأ خالد - فاكهون - بالرفع على أنه

الخبر ، وفي جنات متعلق به لكنه قدم عليه للاهتمام ، ومن أجاز تعدد الخبر أجاز أن يكون خبراً بعد خبر ﴿وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ١٨﴾ عطف على (في جنات) على تقدير كونه خبراً كأنه قيل: استقروا (في جنات) (ووقاهم ربهم) الخ، أو على (أتاهم) إن جعلت (ما) مصدرية أي فأكهين بإيتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم، ولم يجوز كثير عطفه عليه إن جعلت موصولة إذ يكون التقدير فأكهين بالذي وقاهم ربهم فلا يكون راجعاً إلى الموصول، وجوزه بعض بتقدير الراجع أي وقاهم به على أن الباء للبابسة ، وفي الكشف لم يحمل على حذف الراجع لكثرة الحذف ولو درج لَصاً ، والفعل من المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل وهو مسموع عند بعضهم ، ولا يخفى أنه وجه شديد أيضاً ، والمعنى عليه أسد لأن الفكاهة تلذذ يشتغل به صاحبه والتلذذ بالآيتاء يحتمل التجدد باعتبار تعدد المؤتى إما بالوقاية أي على تقدير المصدرية فلا ، وأقول لعله هو المنساق إلى الذهن، وجوز أن يكون حالاً بتقدير قد أو بدونه إما من المستكن في الخبر أو في الحال. وإما من فاعل آتى. أو من مفعوله. أو منهما، وإظهار الرب في موقع الاضمار مضافاً إلى ضميرهم للتشريف والتعليل، وقرأ أبو حيوة (وقاهم) بتشديد القاف ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ أي يقال لهم (كلوا واشربوا) أكلا وشرباً هنيئاً ، أو طعاماً وشرباً هنيئاً ، فالكلام بتقدير القول ، و(هنيئاً) نصب على المصدرية لانه صفة مصدر . أو على أنه مفعول به ، وأياً ما كان فقد تنازعه الفعلان ، والهنئ كل ما لا يلحق فيه مشقة ولا يعقب وخامة ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩﴾ أي بسببه أو بمقابلته والباء عليهما متعلق - بكلوا واشربوا - على التنازع ، وجوز الزمخشري كونها زائدة وما بعدها فاعل هنيئاً كما في قول كثير :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت (١)

فإن ما فيه فاعل هنيئاً على أنه صفة في الاصل بمعنى المصدر المحذوف فعله وجوباً لكثرة الاستعمال كأنه قيل : هنؤ لعزة المستحل من أعراضنا ، وحينئذ كما يجوز أن يجعل ما هنا فاعلاً على زيادة الباء على معنى هناكم ما كنتم تعملون يجوز أن يجعل الفاعل مضمراً راجعاً إلى الأكل أو الشرب المدلول عليه بفعله ، وفيه أن الزيادة في الفاعل لم تثبت سماعاً في السعة في غير فاعل كفي على خلاف ولا هي قياسية في مثل هذا ومع ذلك يحتاج الكلام إلى تقدير مضاف أي جزاء ما كنتم الخ، وفيه نوع تكلف ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ نصب على الحال قال أبو البقاء : من الضمير في (كلوا) أو في (وقاهم) أو في (أتاهم) أو في (فأكهين) أو في الظرف يعني في جنات، واستظهر أبو حيان الأخير ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ جمع سرير معروف ، ويجمع على أسرة وهو من السرور إذ كان لأولى النعمة ، وتسمية سرير الميت به للتفاؤل بالسرور الذي يلحق الميت برجوعه إلى جوار الله تعالى وخلاصه من سجن الدنيا، وقرأ أبو السمال سرر بفتح الراء وهي لغة لكلب في المضعف فراراً من توالى ضميتين مع التضعيف •

(١) هذا البيت من قصيدة مشهورة لكثير أولها

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلو صكاً ثم احللا حيث حلت

قيل كان كثير في حلقة البصرة ينشد أشعاره فمرت به عزة مع زوجها فقال لها : أغضبيه فاستحييت من ذلك فقال لتغضبيه أو لأضربك فدنت من الحلقة فأغضبه ، وذلك أن قالت : هذا وهذا بهم الشاعر فقال ذلك.

﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ مجعولة على صف وخط مستو ﴿وَزَوْجُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٢٠﴾ أى قرناهم بهن - قاله الراغب - ثم قال : ولم يحى فى القرآن زوجناهم حوراً كما يقال زوجته امرأة تنبها على أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا من المناكحة ، وقال الفراء : تزوجت بامرأة لغة أزد شنوءة ، والمشهور أن الزوج متعدد إلى مفعول واحد بنفسه والتزويج متعدد بنفسه إلى مفعولين ، وقيل : فيما هنا أن الباء لتضمين الفعل معنى القران أو الالتصاق ، واعتراض بأنه يقتضى معنى التزويج بالعقد وهو لا يناسب المقام إذا العقد لا يكون فى الجنة لأنها ليست دار تكليف أو أنها للسبية والتزويج ليس بمعنى الانكاح بل بمعنى تصيرهم زوجين زوجين أى صيرناهم كذلك بسبب حور عِين ، وقرأ عكرمة بحور عِين على إضافة الموصوف إلى صفته بالتأويل المشهور ، وقوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل الجنة إثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم فى الايمان ، والموصول مبتدأ خبره ألحقنا بهم ، وقوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ عطف على آمنوا ، وقيل اعتراض للتعليل ، وقوله تعالى : ﴿بِإِيمَانٍ﴾ متعلق بالاتباع أى أتبعتهم ذريتهم بإيمان فى الجملة قاصر عن رتبة إيمان الآباء إما بنفسه بناء على تفاوت مراتب نفس الايمان ، وإما باعتبار عدم انضمام أعمال مثل أعمال الآباء اليه ، واعتبار هذا القيد للايدان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل أصالة لا إلحاقا قيل : هو حال من الذرية ، وقيل : من الضمير وتنوينه للتعظيم ، وقيل : منهما وتنوينه للتنكير والمعول عليه ما قدمنا ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فى الدرجة . أخرج سعيد بن منصور ، وهناد . وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبى حاتم . والحاكم . والبيهقى فى سننه عن ابن عباس قال : «إن الله تعالى ليرفع ذرية المؤمن معه فى درجته فى الجنة وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ الآية » وأخرجه البزار . وابن مردويه عنه مرفوعا إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفى رواية ابن مردويه . والطبرانى عنه أنه قال : «إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال له : إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول : يارب قد عملت لى ولهم فيؤمر بإلحاقهم به » وقرأ ابن عباس الآية ، وظاهر الاخبار أن المراد بإلحاقهم بهم إسكانهم معهم لا مجرد رفعهم اليهم واتصالهم بهم أحيانا ولو للزيارة . وثبت ذلك على العموم لا يبعد من فضل الله عز وجل ، وما قيل : لعله مخصوص ببعض دون بعض تحجير لإحسانه الواسع جل شأنه ، وقد يستأنس للتخصيص بما روى عن ابن عباس إن الذين آمنوا المهاجرون والانصار ، والذرية التابعون لكن لا أظن صحته ﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ﴾ أى وما نقصنا الآباء بهذا إلحاق ﴿مَنْ عَمَلَهُمْ﴾ أى من ثواب عملهم ﴿مَنْ شَاءَ﴾ أى شيئا بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبناءهم فتنقص مثوباتهم وتنحط درجاتهم وإنما رفعناهم إلى منزلتهم بمحض الفضل والاحسان ، وقال ابن زيد - الضمير عائد على الأبناء أى وما نقصنا الأبناء الملحقين من جزاء عملهم الحسن والقبيح شيئا بل فعلنا ذلك بهم بعد مجازاتهم بأعمالهم كملا - وليس بشئ وإن قال أبو حيان يحسن هذا الاحتمال قوله تعالى : (كل امرئ بما كسب رهين) وإلى الأول ذهب ابن عباس : وابن جبير . والجمهور . والآية على ما ذهب اليه المعظم فى الكبار من الذرية ، وقال منذر بن سعيد : هى فى الصغار * وروى عن الخبر . والضحاك أنهما قالا : إن الله تعالى يلحق الأبناء الصغار وإن لم يبلغوا زمن الايمان بأبائهم

المؤمنين ، وجعل بإيمان عليه متعلقاً بالحقنا أى ألحقنا بسبب إيمان الآباء بهم ذريتهم الصغار الذين ماتوا ولم يبلغوا التكليف فهم في الجنة مع آبائهم قيل : و كأن من يقول بذلك يفسر (اتبعتهم ذريتهم) بماتوا ودرجوا على أثرهم قبل أن يبلغوا الحلم ، وجوز أن يتعلق بإيمان باتبعتهم على معنى اتبعوهم بهذا الوصف بأن حكم لهم به تبعاً لآبائهم فكانوا مؤمنين حكماً لصغرهم وإيمان آبائهم ، والصغير يحكم بإيمانه تبعاً لأحد أبويه المؤمن والكل كما ترى ، وقيل : الموصول معطوف على حور ، والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور ؛ وأخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين ، وقوله تعالى : (واتبعتهم) عطف على زوجناهم ، وقوله سبحانه : بإيمان متعلق بما بعده أى بسبب إيمان عظيم رفيع المحل ، وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلاً عليهم وعلى آبائهم ل يتم سرورهم ويكمل نعيمهم ، أو بسبب إيمان داني المنزلة وهو إيمان الذرية كأنه قيل : بشئ من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم ، وصنيع الزمخشري ظاهر في اختيار العطف على حور فقد ذكره وجهاً أول ، وتعقبه أبو حيان بأنه لا يتخيل ذلك أحد غير هذا الرجل ، وهو تخيل أعجمي يخالف لفهم العربي القح كابن عباس . وغيره ، وقيل عليه : إنه تعصب منه ، والانصاف أن المتبادر الاستئناف ، وإن أحسن الأوجه في الآية وأوفقه للمقام ما تقدم .

وقرأ أبو عمرو (واتبعناهم) بقطع الهمزة وفتحها ، وإسكان التاء ، ونون بعد العين وألف بعدها أى جعلناهم تابعين لهم في الايمان ، وقرأ أيضاً ذرياتهم جمعاً نصباً ، وابن عامر كذلك رفعاً ، وقرأ ذرياتهم بكسر الذا (واتبعتهم ذريتهم) بتاء الفاعل ، ونصب ذريتهم على المفعولية ، وقرأ الحسن . وابن كثير - ألتناهم - بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم ، وعلى قراءة الجمهور من باب ضرب يضرب ، وابن هرمرز ألتناهم بالمد من ألت يؤلت ، وابن مسعود . وأنى ألتناهم من لات يليت وهي قراءة طلحة . والاعمش ، ورويت عن شبل . وابن كثير ، وعن طلحة . والاعمش أيضاً - ألتناهم - بفتح اللام ، قال سهل : لا يجوز فتح اللام من غير ألف بحال وأنكر أيضاً ألتناهم بالمد ، وقال لا يروى عن أحد ولا يدل عليه تفسير ولا عريية - وليس كما قال - بل نقل أهل اللغة ألت بالمد كما قرأ هرمرز ، وقرئ وما ألتناهم من وات يلت ، ومعنى الكل واحد ، وجاء ألت بمعنى غلظ يروى أن رجلاً قام إلى عمر رضى الله تعالى عنه فوعظه فقال :

لا تألت على أمير المؤمنين أى لا تغلظ عليه (كُلُّ أُمْرٍ بِمَا كَسَبَ) أى بكسبه وعمله (رَهْنٌ ٢١) أى مرهون عند الله كأن الكسب بمنزلة الدين ونفس العبد بمنزلة الرهن ولا ينفك الرهن مالم يؤد الدين فإن كان العمل صالحاً فقد أدى لأن العمل الصالح يقبله ربه سبحانه ويصعد اليه عز وجل وإن كان غير ذلك فلا أداء فلا خلاص إذ لا يصعد اليه سبحانه غير الطيب ، ولذا قال جل وعلا : (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) فإن المراد كل نفس رهن بكسبها عند الله تعالى غير مفكوك إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم * .

ووجه الاتصال على هذا أنه سبحانه لما ذكر حال المتقين وأنه عز وجل وفر عليهم ما أعده لهم من الثواب والتفضل عقب بذلك الكلام ليدل على أنهم فكوا رقابهم وخلصوها وغيرهم بقى معذباً لأنه لم يفك رقبته ، وكان موضعه من حيث الظاهر أن يكون عقيب قوله تعالى : (هو البر الرحيم) ليكون كلاماً راجعاً إلى حال الفريقين - المدعوعين . والمتقين - وإنما جعل متخللاً بين أجزية المتقين عقيب ذكر توفير ما أعد لهم ، قال في الكشف :

ليدل على أن الخلاص من بعض أجزيتهم أيضاً ويلزم أن عدم الخلاص جزاء المقابلين من طريق الإيحاء وموقعه وقع الاعتراض تحقيقاً لتوفير ما عدد لأنه إنما يكون بعد الخلاص ، وفيه إيحاء إلى أن إلحاق الأبناء إنما كان تفضلاً على الآباء لا على الأبناء ابتداءً لأن التفضل فرع الفك وهؤلاء هم الذين فكوا فاستحقوا التفضل ، وجعله استثناءً بياناً لهذا المعنى كما فعل الطيبي بعيد ، وقيل : (رهين) فعيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن أى دائم ثابت ، وفي الارشاد أنه أنسب بالمقام فإن الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ، ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شئ ، فالجملة تعليل لما قبلها ، وأنت تعلم أن فعيلاً بمعنى المفعول أسرع تبادراً إلى الذهن فاعتباره أولى ووجه الاتصال عليه أوفق وألطف كما لا يخفى *

﴿ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَكْهَةٍ وَلَحْمٍ مَّا يَشْتَهُونَ ٢٢ ﴾ أى وزدناهم على ما كان لهم من مبادئ التمتع وقتاً فوقتاً بما يشتهون من فنون النعماء وألوان الآلاء ، وأصل المد الجر ، ومنه المدة للوقت الممتد ثم شاع في الزيادة ، وغلب الإمداد في المحبوب ، والمد في المكروه وكونه وقتاً بعد وقت مفهوم المد نفسه ﴿ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا ﴾ أى يتجاذبون في الجنة هم وجلساؤهم تجاذب ملاءمة كما يفعل ذلك الندامى بينهم في الدنيا لشدة سرورهم قال الاخطل : نازعته طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة السارى

وقيل : التنازع مجاز عن التعاطي ، والكأس مؤنث سماعي كالخمر ، ولا تسمى كأساً على المشهور إلا إذا امتلأت خمراً أو كانت قريبة من الامتلاء ، وقد تطلق على الخمر نفسها مجازاً لعلاقة المجاورة ، وقال الراغب : الكأس الإيحاء بما فيه من الشراب ويسمى كل واحد منهما بانفراده كأساً ، وفسرها بعضهم هنا بالإيحاء بما فيه من الخمر ، وبعضهم بالخمر ، والاول أوفق بالتجاذب ، والثاني بقوله سبحانه : ﴿ لَا لَغْوٌ فِيهَا ﴾ أى في شربها حيث لا يتكلمون في أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ﴿ وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب إلى الأثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن الندامى في الدنيا وإنما يتكلمون بالحكم وأحسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام ، وقرأ ابن كثير . وأبو عمرو (لا لغو) (ولا تأثم) بفتحهما ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ أى بالكأس ﴿ غُلَّانٌ لَهُمْ ﴾ أى بمالك مختصون بهم كما يؤذن به اللام ولم يقل غلَّانهم بالاضافة لئلا يتوهم أنهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشفق كل من خدم أحداً في الدنيا أن يكون خادماً له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا ، وقيل : أولادهم الذين سبقوهم فالاختصاص بالولادة لا بالملك ، وفيه أن التعبير عنهم بالغلَّان غير مناسب وكذا نسبة الخدمة إلى الأولاد لا تناسب مقام الامتنان ﴿ كَانَهُمْ لَوْ لَوْ مَكْنُونٌ ٢٤ ﴾ مصون في الصدف لم تنله الايدي - كما قال ابن جبير - ووجه الشبه البياض والصفاء ، وجوز أن يراد بمكنون مخزون لانه لا يخزن إلا الحسن الغالى الثمن ، أخرج عبد الرزاق . وابن جرير . وابن المنذر عن قتادة قال : « بلغني أنه قيل : يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ فكيف بالخدم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده إن فضل ما بينهم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » وروى « أن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجى ألف بيا به ليك ليك » *

﴿ وَأَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٥ ﴾ أى يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله وأعماله فيكون

كل بعض سائلا ومسئولا لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً ثم هذا التساؤل في الجنة كما هو الظاهر، وحكى الطبري عن ابن عباس أنه إذا بعثوا في النفخة الثانية ولا أراه يصح عنه لبعده جداً ﴿ قَالُوا ﴾ أي المسئولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ ﴾ أي قبل هذا الحال ﴿ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦ ﴾ أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله عز وجل معتنين بطاعته سبحانه ، أو وجلين من العاقبة ، و (في أهلنا) قيل : يحتمل أنه كناية عن كون ذلك في الدنيا، ويحتمل أن يكون يائناً لكون إشفاقهم كان فيهم وفي أهلهم لتبعيتهم لهم في العادة ويكون قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ أي بالرحمة والتوفيق ﴿ وَوَقْنَا عَذَابَ السُّمُومِ ٢٧ ﴾ أي عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وهو الريح الحارة المعروفة ، ووجه الشبه وإن كان في النار أقوى لكنه في ريح السموم لمشاهدته في الدنيا أعرف فلذا جعل مشبهاً به ، وقال الحسن : (السموم) اسم من أسماء جهنم عاماً لهم ولأهلهم، فالمراد ببيان مامن الله تعالى به عليهم من اتباع أهلهم لهم، وقيل : ذكر (في أهلنا) لإثبات خوفهم في سائر الأوقات والأحوال بطريق الأولى فإن كونهم بين أهلهم مظنة الأمن ولا أرى فيه بأساً ، نعم كون ذلك لأن السؤال عما اختصوا به من الكرامة دون أهلهم ليس بشئ ، وقيل : لعل الأولى أن يجعل ذلك إشارة إلى الشفقة على خلق الله تعالى كما أن قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ﴾ إلى آخره إشارة إلى التعظيم لامر الله تعالى وترك العاطف بجعل الثاني بياناً للأول ادعاءً للمبالغة في وجوب عدم انفكاك كل منهما للآخر ولا يخفى ما فيه ، والذي يظهر أن هذا إشارة إلى الرجاء وترك العطف لقصد تعداد ما كانوا عليه أي إنا كنا من قبل ذلك نعبده تعالى ونسأله الوقاية ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ ﴾ أي المحسن كما يدل عليه اشتقاقه من البر بسائر مواده لأنها ترجع إلى الاحسان - كبر في يمينه - أي صدق لأن الصدق إحسان في ذاته ويلزمه الاحسان للغير ، وأبّر الله تعالى حجه أي قبله لأن القبول إحسان وزيادة ، وأبّر فلان على أصحابه أي علاهم لانه غالباً ينشأ عن الاحسان لهم فتفسيره باللطيف كما روى عن ابن عباس ، أو العالي في صفاته ، أو خالق البر ، أو الصادق فيما وعد أوليائه كما روى عن ابن جريج بعيد إلا أن يراد بعض ماصدقات ، أو غايات ذلك البر ؟ ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ الكثير الرحمة الذي إذا عبداً ثاب وإذا سئل أجاب ، وقرأ أبو حيوة (ووقنا) بتشديد القاف ، والحسن . وأبو جعفر . ونافع . والكسائي (أنه) بفتح الهمزة لتقدير لام الجر التعليلية قبلها أي لانه ﴿ فَذَكَّرْ ﴾ فأنبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل عليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكثرث بما يقولون مما لا خير فيه من الباطل * .

﴿ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ ﴾ هو الذي يخبر بالغيب بضرب من الظن ، وخص الراغب الكاهن بمن يخبر بالأخبار الماضية الخفية كذلك ، والعزاف بمن يخبر بالأخبار المستقبلية كذلك ، والمشهور في الكهانة الاستعداد من الجن في الإخبار عن الغيب ، والباء في (بكاهن) مزيدة للتأكيد أي ما أنت كاهن ﴿ وَلَا تَجْنُونَ ٢٩ ﴾ واختلف في باء (بنعمة) فقال أبو البقاء : للملابسة ، والجار والمجرور في موضع الحال والعامل فيه كاهن ، أو مجنون ، والتقدير ما أنت كاهن ولا مجنون . ملتبساً بنعمة ربك وهي حال لازمة لانه عليه الصلاة والسلام مازال ملتبساً بنعمة ربه عز وجل ، وقيل : للقسم فنعمة ربك مقسم به ، وجواب القسم ما علم من الكلام وهو - ما أنت بكاهن ولا مجنون - وهذا كما تقول : ما زيد والله بقائم وهو بعيد ، والإقرب عندى أن الباء للسببية

وهو متعلق بمضمون الكلام ، والمعنى اتقى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله تعالى عليك ، وهذا كما تقول ما أنا معسر بحمد الله تعالى وإغنائه ، والمراد الرد على قائل ذلك ، وإبطال مقالتهم فيه عليه الصلاة والسلام وإلا فلا امتنان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بانتفاء ما ذكر مع انتفائه عن أكثر الناس ، وقيل : الامتنان بانتفاء ذلك بسبب النعمة المراد بها ما أوتي به صلى الله تعالى عليه وسلم من صدق النبوة ورجاحة العقل التي لم يوتها أحد قبله ، والقائلون بذلك هم الكفرة قاتلهم الله تعالى أنى يؤفكون ، وعن قال كاهن : شيبة بن ربيعة ، وعن قال مجنون : عقبة بن أبي معيط ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أى بل يقولون ﴿ شَاعِرٌ ﴾ أى هو شاعر ﴿ تَرَبَّصْ ﴾ أى ننتظر ﴿ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ٣٠ ﴾ أى الدهر ، وهو فعول من المن بمعنى القطع لأنه يقطع الأعمار وغيرها ، ومنه جبل منين أى مقطوع ، والريب مصدر رابه إذا أقلقه أريد به حوادث الدهر وصروفه لأنها تقلق النفوس وعبر عنها بالمصدر مبالغة ، وجوز أن يكون من راب عليه الدهر أى نزل ، والمراد بنزوله إهلاكه ، وتفسير المنون بالدهر مروي عن مجاهد . وعليه قول الشاعر :

(تربص بها ريب المنون) لعلها تطلق يوماً أو يموت حليها

وبيت أبي ذؤيب

أمن (المنون وريبه) يتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

قيل : ظاهره ذلك ، وكذلك قول الأعشى :

أن رأيت رجلاً أعشى أضرت به (ريب المنون) ودهر متبل خبل

ولهذا أنشده الجوهري شاهداً له ، وأخرج ابن جرير . وغيره عن ابن عباس تفسيره بالموت وهو مشترك بين المعنيين فقد قال المرزوقي في شرح بيت أبي ذؤيب المار آنفاً : المنون قد يراد به الدهر فيذكر وتكون الرواية ريبه ، وقد يراد به المنية فيؤنث ، وقد روى ريبها ، وقد يرجع له ضمير الجمع لقصد أنواع المنايا وريبها نزولها انتهى فلا تغفل ، وهو أيضاً من المن بمعنى القطع فإها قاطعة الأمانى واللذات ، ولذا قيل : المنية تقطع الأمنية ، وريب المنون عليه نزول المنية ، وجوز أن يكون بمعنى حادث الموت على أن الإضافة بيانية ، روى أن قريشاً اجتمعت في دار الندوة وكثرت آراؤهم فيه عليه الصلاة والسلام حتى قال قائل منهم وهم بنو عبد الدار - كما قال الضحاك - تربصوا به ريب المنون فإه شاعر سيهلك كما هلك زهير . والنابعة والاعشى فافترقوا على هذه المقالة فنزلت ، وقرأ زيد بن علي (يتربص) بالياء مبنياً للمفعول ، وقرئ (ريب) بالرفع على النيابة • ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا ﴾ تهكم بهم ، وتهديد لهم ﴿ فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ٣١ ﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ، وفيه عدة كريمة يهلاكمهم ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ ﴾ أى عقولهم وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى - وذلك على ما قال الجاحظ - لأن جميع العالم يأتونهم ويخالطونهم وبذلك يكمل العقل وهو يكمل بالمسافرة وزيادة رؤية البلاد المختلفة والاماكن المتباينة ومصاحبة ذوى الاخلاق المتفاوتة وقد حصل لهم الغرض بدون مشقة ، وقيل لعمر بن العاص : ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالعقل ؟ فقال : تلك عقول كادها الله عز وجل أى لم يصحبها التوفيق فلذا لم يؤمنوا وكفروا - وأنا لا أرى في الآية دلالة على رجحان عقولهم -

ولعلها تدل على ضد ذلك ((بهذا)) التناقص في المقال فان السكاهن والشاعر يكونان ذا عقل تام وفطنة وقادة والمجنون مغطى عقله مخنل فكره وهذا يعرب عن أن القوم لنحيرهم وعصبيتهم وقعوا في حيص بيص حتى اضطربت عقولهم وتناقضت أقوالهم و كذبوا أنفسهم من حيث لا يشعرون ، وأمر الاحلام بذلك مجاز عن التأدية اليه بعلاقة السببية كما قيل ، وقيل : جعلت الاحلام آمرة على الاستعارة الممكنة فتشبه الاحلام بسلطان مطاع تشبيهها مضمراً في النفس ، وثبتت له الامر على طريق التخييل ((أم هم قوم طاغون ٣٢)) مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب المحضة الخارجة عن دائرة العقول ، وقرأ مجاهد (بل هم) ((أم يقولون تقوله)) أي اختلقه من تلقاء نفسه .

وقال ابن عطية : معناه قال : عن الغير أنه قاله فهو عبارة عن كذب مخصوص ، وضمير المفعول للقرآن ((بل لا يؤمنون ٣٣)) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل كيف لا ومارسوا الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم ((فليأتوا بحديث مثله)) بمائل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ((إن كانوا صدقين ٣٤)) فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار ، وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر ، والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام ؛ ولا ريب في أن القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك ، فالكلام ردّ الاقوال المذكورة في حقه عليه الصلاة والسلام ، والقرآن بالتحدى فاذا تحدوا وعجزوا علم رد ما قالوه وصحة المدعى ، وجوز أن يكون ردّاً لزعمهم التقول خاصة فان غيره مما تقدم حتى الكهانة كما لا يخفى أظهر فساداً منه ومع ذلك إذا ظهر فساد زعم التقول ظهر فساد غيره بطريق اللزوم ، وقرأ الجحدري ، وأبو السمال بحديث مثله على الاضافة أي بحديث رجل مثل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في كونه أمياً لم يصحب أهل العلم ولا رحل عن بلده ، أو مثله في كونه واحداً منهم فلا يعوز أن يكون في العرب مثله في الفصاحة فليأت بمثله ما أتى به ولن يقدر على ذلك أبداً ((أم خلقوا من غير شئ)) أي أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير مقدر وخالق ، وقال الطبري : المراد أم خلقوا من غير شئ حتى فهم لا يؤمرون ولا ينهاون كالجمادات ، وقيل : المعنى أم خلقوا من غير علة ولا غاية ثواب وعقاب فهم لذلك لا يسمعون ، و(من) عليه للسببية ، وعلى ما تقدم لا ابتداء الغاية والمعول عليه من الأقوال ما قدمنا ، وسيأتي إن شاء الله تعالى زيادة إيضاح له ، ويؤيده قوله سبحانه : ((أم هم الخلقون ٣٥)) أي الذين خلقوا أنفسهم فلذلك لا يعبدون الله عز وجل ولا يلتفتون إلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ على القولين لا يظهر حسن المقابلة ، وإرادة خلقوا أنفسهم يشعر به قوله تعالى : ((ام خلقوا السموات والأرض)) إذ لو أريد العموم لعدم ذكر المفعول لم يظهر حسن المقابلة أيضاً ، وقال ابن عطية : المراد أهم الذين خلقوا الاشياء فهم لذلك يتكبرون ثم خص من تلك الاشياء السموات والأرض لعظمهما وشر فهما في المخلوقات وفيه ما سمعته ((بل لا يؤقنون ٣٦)) أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات

والأرض؟ قالوا: الله وهم غير موقنين بما قالوا إذ لو كانوا موقنين لما أعرضوا عن عبادته تعالى فان من عرف خالقه وأيقن به امثل أمره وانقاد له ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ أي خزائن رزقه تعالى ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاءوا ، ويمسكوها عن شاءوا ، وقال الرمانى: خزائنه تعالى مقدوراته سبحانه ، وقال ابن عطية : المعنى أم عندهم الاستغناء عن الله تعالى فى جميع الامور لان المال والصحة والعزة وغير ذلك من الاشياء من خزائن الله تعالى ، وقال الزهرى : يريد بالخزائن العلم واستحسنه أبو حيان ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ما يعلم حاله منه ﴿أَمْ هُمُ الْمُصِيطَرُونَ ٣٧﴾ * الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية وينبوا الامور على إرادتهم ومشيتهم فالمسيطر الغالب ، وفى معناه قول ابن عباس : المساط القاهر وهو من سيطر على كذا إذا راقبه وأقام عليه وليس هـ صغراً كما يتوهم ولم يأت على هذه الزنة إلا خمسة ألفاظ أربعة من الصفات ، وهى مهيمن . ومسيطر . ومبقر . ومبيطر ، وواحد من الاسماء ، وهو مجيمر اسم جبل ، وقرأ الاكثر (المصيطرون) بالصاد لمكان حرف الاستعلاء وهو الطاء ، وأشم خلف عن حمزة وخلاد عنه بخلاف الزاى : ﴿أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ﴾ هو ما يتوصل به إلى الامكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسماً لكل ما يتوصل به إلى شىء رفيع كالسبب أى أم لهم سلم منصوب إلى السماء ﴿يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾ * أى صاعدين فيه على أن الجار والمجرور متعلق بكون خاص محذوف وقع حالا والظرفية على حقيقتها ، وقيل : هو متعلق - يستمعون - على تضمينه معنى الصعود * وقال أبو حيان : أى يستمعون عليه أو منه إذ حروف الجر قد يستد بعضها مستد بعض ومفعول (يستمعون) محذوف أى كلام الله تعالى ، قيل : ولونزل منزلة اللازم جاز ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمْعِهِمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ٣٨﴾ أى بحجة واضحة تصدق استماعه ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ٣٩﴾ تسفيه لهم وتركيبك لعقولهم ، وفيه إيذان بأن من هذارأيه لا يكاد يعتد من العقلاء فضلا عن الترقى إلى عالم الملكوت وسماع كلام ذى العزة والجبروت والالتفات إلى الخطاب لتشديد الإنكار والتوبيخ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أى على تبايغ الرسالة وهو رجوع إلى خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم وإعراض عنهم ﴿فَهُمْ﴾ لاجل ذلك ﴿مَنْ مَّغْرَمٌ﴾ مصدر ميمى من الغرم والغرامة وهو - كما قال الراغب - ما ينوب الانسان فى ماله من ضرر لغير جنائية منه ، فالكلام بتقدير مضاف أى من التزام مغرم ، وفسره الزمخشري بالتزام الانسان ما ليس عليه فلا حاجة إلى تقدير - لكن الذى تقتضيه اللغة هو الأول - ﴿مُثْقَلُونَ ٤٠﴾ أى يحملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ٤١﴾ منه ويخبرون به الناس - قاله ابن عباس - وقال ابن عطية : أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ما يزعمون للناس شرعاً ، وذلك عبادة الاوثان وتسييب السوائب وغير ذلك من سيرهم ، وقال قتادة : (أم عندهم الغيب) فهم يعلمون حتى يموت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يتربصون به ، وفسر بعضهم (يكتبون) يمحكون ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك وبشرعك وهو ما كان منهم فى حقه ﷺ بدار الندوة مما هو معلوم من السير ، وهذا من الاخبار بالغيب فان قصة دار الندوة وقعت فى وقت الهجرة وكان نزول السورة قبلها كما تدل عليه الآثار ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم المذكورون المريدون كيده عليه الصلاة والسلام ،

ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به ، وجوز أن يراد جميع الكفرة وهم داخلون فيه دخولا أولياً ﴿ هُمُ الْمَكِيدُونَ ٤٢ ﴾ أي الذين يحق بهم كيدهم ويعود عليهم وباله لا من أرادوا أن يكيدوه وكان وباله في حق أولئك قتلهم يوم بدر في السنة الخامسة عشر من النبوة قيل : ولذا وقعت كلمة (أم) مكررة هنا خمس عشرة مرة للإشارة لما ذكر ، ومثله على ما قال الشهاب : لا يستبعد من المعجزات القرآنية وإن كان الانتقال لمثله خفي ومناسبتة أخفى ، وجوز أن يكون المعنى هم المغلوبون في الكيد من كيدته فكيدته ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه عز وجل *

﴿ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤٣ ﴾ أي عن إثراكهم على أن ماصدرية ، أو عن شركة الذي يشركونه على أنها موصولة وقبلها مضاف مقدر والعائد محذوف ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا ﴾ قطعة فهو مفرد وقد قرئ في جميع القرآن كسفاً وكسفاً جمعاً وإفراداً إلا هنا فانه على الافراد وحده ، وتنوينه للتفخيم أي وإن يروا كسفاً عظيماً ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا ﴾ لتعذيبهم ﴿ يَقُولُوا ﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿ سَحَابٌ ﴾ أي هو سحب ﴿ مَرْكُومٌ ٤٤ ﴾ متراكم ملقى بعضه على بعض أي هم في الطغيان بحيث لو أسقطنا عليهم حسبما قالوا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً لقالوا هو سحب متراكم يطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط لعذابهم ﴿ فَذَرَهُمْ ﴾ فدعهم غير مكترث بهم وهو على ما في البحر أمر موادة منسوخ بآية السيف ﴿ حَتَّى يَلْقَوا ﴾ وقرأ أبو حيوة يلقوا مضارع لقي ﴿ يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ ٤٥ ﴾ على البناء للمفعول وهي قراءة عاصم وابن عامر. وزيد بن علي. وأهل مكة في قول شبل بن عباد: من صعقته الصاعقة، أو من أصعقته، وقرأ الجمهور وأهل مكة في قول إسماعيل: يصعقون بفتح الياء والعين، والسلي بضم الياء وكسر العين من أصعق رباعياً، والمراد بذلك اليوم يوم بدر ، وقيل : وقت النفخة الأولى فانه يصعق فيه من في السموات ومن في الارض، وتعقب بأنه لا يصعق فيه إلا من كان حياً حينئذ وهؤلاء ليسوا كذلك وبأن قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَغْنَى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ أي شيئاً من الاغناء بدل من يومهم ، ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعاً بالارتفاع به وليس ذلك إلا مادبروه في أمره صلى الله تعالى عليه وسلم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر ، وأما النفخة الأولى فليست بما جرى في مدافعتة الكيد والحيل، وأجيب عن الأول بمنع اختصاص الصعق بالحى فالموتى أيضاً يصعقون وهم داخلون في عموم (من) وإن لم يكن صعقهم مثل صعق الاحياء من كل وجه وهو خلاف الظاهر فيحتاج إلى نقل صحيح ، وعن الثاني بأن الكلام على نهج قوله :

* على لاجب لا يهتدى بمناره * فالمعنى يوم لا يكون لهم كيد ولا إغناء وهو كثير في القرآن وباب من أبواب البلاغة والاحسان، وقيل: هو يوم القيامة - وعليه الجمهور - وفيه بحث ، وقيل: هو يوم موتهم ، وتعقب بأن فيه ما فيه مع أنه تأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم فلا تغفل ﴿ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ٤٦ ﴾ من جهة الغير في دفع العذاب عنهم ﴿ وَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر قبل وجوز العموم وهم داخلون دخولا أولياً ﴿ عَذَابًا ﴾ آخر ﴿ دُونَ ذَلِكَ ﴾ دون ما لا قوه من القتل أي قبله وهو - كما قال مجاهد -

القحط الذي أصابهم سبع سنين *

وعن ابن عباس هو ما كان عليهم يوم بدر والفتح ، وفسر (دون ذلك) بقبل يوم القيامة بناءً على كون يومهم الذي فيه يصعقون ذلك ، وعنه أيضاً . وعن البراء بن عازب أنه عذاب القبر وهو مبنى على نحو ذلك التفسير ، وذهب إليه بعضهم بناءً على أن (دون ذلك) بمعنى وراء ذلك كما في قوله * يريك القذى من دونها وهو دونها * وإذا فسر اليوم بيوم القيامة ونحوه ، و (دون ذلك) بقبله ، وأريد العموم من الموصول فهذا العذاب عذاب القبر ، أو المصائب الدنيوية ، وفي مصحف عبدالله - دون ذلك قريباً - ﴿ وَلاَ كُنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٤٧ ﴾ إن الامر كما ذكر ، وفيه إشارة إلى أن فيهم من يعلم ذلك وإنما يصر على الكفر عناداً ، أو لا يعلمون شيئاً * ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ يأمهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أى فى حفظنا وحراستنا ، فالعين مجاز عن الحفظ ، ويتجاوز بها أيضاً عن الحافظ وهو مجاز مشهور ، وفى الكشف هو مثل أى بحيث نراك ونكلؤك ، وجمع العين هنا لإضافته إلى ضمير الجمع ووحد فى (طه) لإضافته إلى ضمير الواحد ، ولوح الزمخشري - فى سورة المؤمنين - إلى أن فائدة الجمع الدلالة على المبالغة فى الحفظ كأن معه من الله تعالى حفاظاً يكلؤونه بأعينهم ، وقال العلامة الطيبي : إنه أفرد هنالك لأفراد الفعل وهو كلامة موسى عليه السلام ، وههنا لما كان لتصبير الحبيب على المكاييد ومشاق التكليف والطاعات ناسب الجمع لأنها أفعال كثيرة كل منها يحتاج إلى حراسة منه عز وجل انتهى ، ومن نظر بعين بصيرته علم من الآيتين الفرق بين الحبيب والكليم عليهما أفضل الصلاة وأكمل التسليم ، ثم إن الكلام فى نظير هذا على مذهب السلف مشهور ، وقرأ أبو السمال - بأعينا - بنون شديدة ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أى قل سبحان الله ملتبساً بحمده تعالى على نعمائه الفاتئة الحصر ، والمراد سبحانه تعالى واحمده ﴿ حِينَ تَقُومُ ٤٨ ﴾ من كل مجلس قاله عطاء . ومجاهد . وابن جبير ، وقد صح من رواية أبى داود . والنسائي . وغيرهما عن أبى برزة الاسلمى « أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول إذا أراد أن يقوم من المجلس : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك فسئل عن ذلك فقال : كفارة لما يكون فى المجلس » والآثار فى ذلك كثيرة ، وقيل : حين تقوم إلى الصلاة ، أخرج أبو عبيد . وابن المنذر عن سعيد بن المسيب قال : « حق على كل مسلم حين يقوم إلى الصلاة أن يقول : سبحان الله وبحمده لأن الله تعالى يقول لنييه صلى الله تعالى عليه وسلم : (وسبح بحمد ربك حين تقوم) » وأخرج سعيد بن منصور وغيره عن الضحاك أنه قال فى الآية : حين تقوم إلى صلاة تقول هؤلاء الكلمات « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » وحكاها فى البحر عن ابن عباس ؛ وأخرج عنه ابن مردويه أنه قال : « سبّح بحمد ربك حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل فى الصلاة » وروى نحوه عن ابن السائب ، وقال زيد أسلم : « حين تقوم من القائلة والتسبيح إذ ذاك هو صلاة الظهر » وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَلِيلَ فَسَبِّحْهُ ﴾ أفراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل ﴿ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ أى وقت إدبارها من آخر الليل أى غيبتها بضوء الصباح ، وقيل : التسبيح من الليل صلاة المغرب والعشاء ، (وإدبار النجوم) ركعتا الفجر ، وعن عمر رضى الله تعالى عنه .

وعلى كرم الله تعالى وجهه . وأبي هريرة . والحسن رضى الله تعالى عنهما التسييح من الليل النوافل ، و(إدبار النجوم) ركعتا الفجر ، وقرأ سالم بن أبي الجعد . والمنهال بن عمرو . ويعقوب - أدبار - بفتح الهمزة جمع دبر بمعنى عقب أى فى أعقابها إذا غربت ، أو خفيت بشعاع الشمس *

هذا ونظم الآيات من قوله تعالى : (أم يقولون شاعر) إلى قوله سبحانه : (أم لهم إله غير الله) الخ فيه غرابة ولم أر أحداً كشف عن إثم كصاحب الكشف جزاه الله تعالى خيراً ، ولغاية حسنه - وكونه بما لا مزيد عليه - أحببت نقله بحذافيره لكن مع اختصار ما ، فأقول : قال : أو ما الزمخشري إلى وجهين فى ذلك فى قوله تعالى : (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر) : أحدهما أنه حكاية قولهم المضطرب على وجهه ، والثانى أنه تدرج منه سبحانه فى حكاية ما قالوه من المنكر إلى ما هو أدخل فيه ، والاول ضعيف فيما نحن فيه لأن ما سبق له الكلام ليس اضطراب أقوالهم فتحكى على ما هي عليه بل تسليته عليه الصلاة والسلام وأنه لا محالة ينتقم له منهم وأن العذاب المكذب به واقع بهم جزاءاً لتكذيبهم بالمنبئ والنبأ والمنبأ به ، فالمتعين هو الثانى ، ووجهه - والله تعالى أعلم - أن قوله : (فذكر) معناه إذ ثبت كون العذاب واقعاً وكون الفريقين المصدقين والمكذبين مجزيين بأعمالهم ، وإنك على الحق المبين الذى من كذب به استحق الهوان ، ومن صدق استحق الرضوان فدم على التذكير ولا تبال بما تكاد فإنك أنت الغالب حجة وسيفاً فى هذه الدار ، ومنزلة ورفعة فى دار القرار ، ومن قوله تعالى : (فما أنت) إلى قوله سبحانه : (هم المكيدون) تفصيل هذا المجل مع التعريض بفساد مقالاتهم الحمقاء وأنهم يبرأى من الله تعالى ومسمع فلا محالة ينتقم لنبيه عليه الصلاة والسلام منهم ، وفيه أن النبى ﷺ من الله تعالى بمكان لا يقادر قدره فهو شدة من عضد التسلي ، وقوله سبحانه : (فما أنت بنعمة ربك) الخ فيه أن من أنعم عليه بالنبوة يستحيل أن يكون أحدهذين ، وبدأ بقولهم المتناقض لينبه أولاً على فساد آرائهم ويجعله دستوراً فى إعراضهم عن الحق وإثارة اتباع أهوائهم فما أبعد حال من كان أتقنهم رأياً وأرجحهم عقلاً وأبينهم آياً منذ ترعرع إلى أن بلغ الأشد من الجنون والكهانة على أنهما متناقضان لأن الكهان كانوا عندهم من كاملهم وكان قولهم إماماً متبعاً عندهم فأين الكهانة من الجنون ، ثم ترقى مضرباً إلى قولهم فيه وحاشاه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه شاعر لأنه أدخل فى الكذب من الكاهن والجنون وقدماً قيل : أحسن الشعر أ كذبه ليبين حال تلجلجهم واضطرابهم ، وقوله تعالى : (قل تربصوا) من باب المجازاة بمثل صنيعهم وفيه تتميم للوعيد ، فهذا باب من إنكارهم هدمه سبحانه أولاً لتلويحاً بقوله تعالى : (بنعمة ربك) وثانياً تصريحاً بقوله جل وعلا . (أم تأمرهم أحلامهم) كأنه قيل دعهم وتلك المقالة وما فيها من الاضطراب ففيها عبرة ، ثم قيل : لا بل ذلك من طغيانهم لأنه أدخل فى الذم من نقصان العقل وأبلغ فى التسلية لأن من طغى على الله عز وجل فقد باء بغضبه ، ثم أخذ فى باب أوغل فى الإنكار وهو نسبة الافتراء إليه صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لأن الافتراء أبعد شئ من حاله لاشتهاره بالصدق على أن كونه افتراءً وعجزهم عن الاتيان بأقصر سورة من هذا المفترى متناهيان لدلالته على الصدق على مامر - فى الأحقاف - ولأن الشاعر لا يعتمد الكذب لذاته ، ثم قد يكون شعره حكماً ومواعظ وهو لا ينسب فيه إلى عار ، والتدرج عن الشعر ههنا عكس التدرج إليه فى الأنبياء لأن بناء الكلام ههنا على التدرج فى المناقضة والتوغل فى القدح فيه عليه الصلاة والسلام ونفى رسالته ، وهنالك عن القدح فى بعض من الذكر متجدد النزول فقليل : إن افتراءه لا يبعد ممن هو شاعر ذو افتراءات كثيرة ، وأين هذا من ذاك ؟ وللتنبية على التوغل

جاء بصريح حرف الاضراب في الرد فقليل : (بل لا يؤمنون) وعقب بقوله تعالى : (فليأتوا) ثم من لا يؤمن أشد إنكاراً له من الطاغى كما أن المفترى أدخل في الكذب من الشاعر ، ثم أخذ في أسلوب أبلغ في الرد على مقالاتهم الجنون والكهانة لتقاربهما ، ثم الشعر ، ثم الافتراء حيث نزل القائلين منزلة من يدعى أنه خلق من غير شيء أى مقدر وخالق وإلا لأهمهم البحث عن صفاته وأفعاله فلم ينكروا منك ما أنكروا ، ومن حسب أنه مستغن عن الموجد نسب رسوله إلى الجنون والكهانة لا بل كمن يدعى أنه خالق نفسه فلا خالق له ليجث عن صفاته فهو ينسبه إلى الشعر إذ لا يرسل إليه البتة ، والشعر أدخل في الكذب لا بل كمن يدعى أنه خلق السموات والأرض وما بينهما فهو ينسبه إلى الافتراء حيث لم يرسله ، ثم أضرب صريحاً عنه بقوله تعالى : (بل لا يؤمنون) ومن لا إيقان له بمثل هذا البديهي لا يبعد أن يزكك بما زن ، فكأنه قيل : مقالاتهم تلك تؤدي إلى هذه لأنهم كانوا قائلين بها إظهاراً لتماذيرهم في العناد ، ثم بولغ فيه فجاء بما يدل على أن الرسول لا بد أن يكون مفترى غير صالح للنبوّة في زعمهم ، فالأول لما لم يمنع تعدد الآلهة إنما يدل على افتراءه من حيث أن أحد الخالقين لا يدعو الآخر إلى عبادته ، والثاني يمنعه بالكلية لأنه إذا كان عندهم جميع خزائن ربه وهم ما أرسلوه لزم أن يكون مفترى ألبتة ، وأدجج فيه إنكارهم للمعاد ، ونسبتهم إياه صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك أيضاً خاصة إلى الافتراء ، والحمل على خزائن القدرة أظهر لأن (أم عندهم الغيب) إشارة إلى خزائن العلم ولما كان المقصود هنالك أمر البعث على ما سيحقق إن شاء الله تعالى كان هذا القول أيضاً من القبول بمكان ولا يخفى ما في قوله تعالى : (أم هم المسيطرون) من الترقى ثم لما فرغ من ذلك وبين فساد ما بنوا عليه أمر الإنكار بدليل العقل قيل : لم يبق إلا المشاهدة والسماع منه تعالى وهو أظهر استحالة قهكم بهم ، وقيل : (بل لهم سلم يستمعون) وذيل بقوله تعالى : (أم له البنات) إشعاراً بأن من جعل خالقه أدون حالاً منه لم يستبعد منه تلك المقالات الخرقاء كأنه سلى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل : ناهيك بتساوى الطعنين في البطلان وبما يلحقون من سوء مغبتهم ، ثم قيل : (أم تسألهم أجراً) أى إن القوم أرباب الباب وليسوا من تلك الأوصاف في شيء بل الذى زهدهم فيك أنك تسألهم أجراً مالا ، أو جاهاً ، أو ذكراً ، وفيه تهكم بهم وذم لهم بالحسد واللؤم وأنهم مع قصور نظرهم عن أمر الميعاد لا يبنون الأمر على المتعارف المعتاد إذ لا أحد من أهل الدنيا وذوى الأخطار يحبه الناصح المبرأ ساحته عن لوث الطمع بتلك المقالات على أنه حسد لا موقع له عند ذويه فليسوا في أن يحصل لهم نعمة النبوّة ولا هو ممن يطمع في نعمهم إحدى الثلاث ، ثم قيل : (أم عندهم الغيب) على معنى بل أعندهم اللوح فيعملون كل ما هو كائن ويكتبون فيه تلك المعلومات وقد علموا أن ما تدعيه من المعاد ليس من الكائن المكتوب ، والمقصود من هذا نفى المنبأ به أغنى البعث على وجه يتضمن دفع النبوّة أيضاً إدماجاً عكس الأول ولهذا أخره عن قوله تعالى : (أم لهم سلم) فقد سلف أن مصب الغرض حديث النبأ والمنبأ والمنبأ به ففضى الوطر من الأولين مع الرمز إلى الأخير ، ثم أخذ فيه مع الرمز اليهما قضاءاً لحق الإعجاز ، ففى الغيب إشارة إلى الغيب أغنى الساعة أول كل شيء وفيه ترقى في الدفع من وجه أيضاً لأن العلم أشمل مورداً من القدرة ولأن الأول إنكار من حيث أنهم لم يرسلوه ، وهذا من تلك الحيثية ، ومن حيث أنهم ما علموا بإرسال غيره إياه أيضاً مع إحاطة عليهم لكنه غير مقصود قصداً أولاً ، ثم ختم الكلام بالإضراب عن الإنكار إلى الاخبار عن حالهم بأنهم يريدون بك كيداً فهم ينصبون لك الحبائل قولاً وفعلًا

لا يقفون على هذه المقالة وحدها وهم المكيدون لا أنت قولاً وفعلاً وحجة وسيفاً ، وحقق ماضنه من الوعيد بقوله سبحانه : (أم لهم إله غير الله) فينجيهم من كيده وعذابه لا والله سبحانه الله عن أن يكون إله غيره ، ومنه يظهر أن حمل الذين كفروا على المرادين به كيداً أظهر في هذا المساق انتهى ، وكأن ما بعد تأكيداً لأمر (١) طغيانهم ومزيد تحقيق للوعيد ومبالغة في التسليية ، ويعلم بما ذكره - لازالت رحمة الله تعالى عليه متصلة - أن (أم) في كل ذلك منقطعة وهي مقدرة بيل الاضراية ، والاضراب ههنا واقع على سبيل الترقى وبالهمزة وهي للإنكار وهو ما اختاره أبو البقاء وكثير من المفسرين ، وحكى الثعلبي عن الخليل أنها متصلة والمراد بها الاستفهام ، وعليك بما أفاده كلام ذلك الهام والله تعالى أعلم *

﴿ وبما ذكره من باب الإشارة في بعض الآيات ﴾ (والطور) إشارة إلى قلب الانسان (وكتاب مسطور) إشارة إلى سره (في رق منشور) إشارة إلى قلبه (والبيت المعمور) إشارة إلى روحه (والسقف المرفوع) إشارة إلى صفته (والبحر المسجور) إشارة إلى نفسه المسجورة بنيران الشهوة والغضب والكبر ، وقيل : - الطور - إشارة إلى ماطر من الارواح من عالم القدس والملوكوت حتى وقع في شباك عالم الملك - والكتاب المسطور في الرق المنشور - إشارة إلى النقوش الإلهية المدركة بأبصار البصائر القدسية المكتوبة في صحائف الآفاق (والبيت المعمور) إشارة إلى قلب المؤمن المعمور بالمعرفة والاخلاص (والسقف المرفوع) إشارة إلى العالم العلوي المرفوع عن أرض الطبيعة (والبحر المسجور) إشارة إلى بحر القدرة المملوء من أنواع المقدورات التي لا تنهاى ، وقيل : إشارة إلى الفضاء الذي فيه الملائكة المهيمون ؛ ووصفه - بالمسجور - إما لأنه مملوء منهم ، وإما لأنه سجر بنيران الهيام ولذا لا يعلم أحدهم بسوى الله عز وجل ، وقيل : غير ذلك (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون) أى يخوضون في غمرات البحر اللجى الدنيوى ويلعبون فيها بزبد الباطل ومتاعها القليل ويكذبون المستخلصين عن الكدار المتحايين بالانوار إذ أنذروهم أن المتقين هم أضداد أولئك (فاكهين بما آتاهم ربهم) مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) وهو عذاب الحجاب (كلوا) من ثمرات المعارف المختصة باللطيفة النفسية (واشربوا) من مياه العيون المختصة باللطيفة القلبية (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أى مقام العبودية (ومن الليل فسبحه) أى عند نزول السكينة عليك (وإدبار النجوم) أى عند ظهور نور شمس الوجه ، وتسبيحه سبحانه عند ذلك بالاحتراز عن إثبات وجود غير وجوده تعالى الحق فان إثبات ذلك شرك مطلق في ذلك المقام أعادنا الله تعالى وإياكم من الشرك بحرمة الحبيب عليه الصلاة والسلام .

﴿سورة والنجم﴾

وتسمى أيضا سورة - النجم - بدون واو وهي ﴿مكية﴾ على الاطلاق ، وفي الاتقان استثنى منها (الذين يجتنبون) إلى اتقى ، وقيل : (أفرايت الذي تولى) الآيات التسع ، ومن الغريب حكاية الطبرسي عن الحسن أنها مدنية . ولا أرى صحة ذلك عنه أصلا ، وآيها اثنتان وستون آية في الكوفي ، وإحدى وستون في غيره ، وهي كما أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود أول سورة أعلن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقراءتها فقرأها في الحرم والمشركون يسمعون ، وأخرج البخاري . ومسلم . وأبو داود . والنسائي عنه قال : « أول سورة أزلت فيها سجدة (والنجم) فسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسجد الناس كلهم إلا رجلا رأيت أنه أخذ كفاً من تراب فسجد عليه فرأيت أنه بعد ذلك قتل كافراً » وهو أمية بن خلف ، وفي البحر أنه عليه الصلاة والسلام سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير أبي لهب فانه رفع حفنة من تراب وقال : يكفي هذا ، فيحتمل أنه وأمие فعلا كذلك ، وهي شديدة المناسبة لما قبلها فان الطور ختمت بقوله تعالى : (إدبار النجوم) وافتتحت هذه بقوله سبحانه : (والنجم) وأيضا في مفتحتها ما يؤكده الكفرة فيما نسبوه اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من القول والشعر والكهانة والجنون ، وذكر أبو حيان أن سبب نزولها قول المشركين : إن محمداً عليه الصلاة والسلام يخلق القرآن ، وذكر الجلال السيوطي في وجه مناسبتها أن الطور فيها ذكر ذرية المؤمنين وأنهم تبع لا بائهم وهذه فيها ذكر ذرية اليهود في قوله تعالى : (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض وإذ أتم أجنة في بطون أمهاتكم) الآية فقد أخرج ابن المنذر . وابن أبي حاتم . والطبري . وأبو نعيم في المعرفة . والواحدى عن ثابت بن الحرث الانصاري « قال : كانت اليهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا هو صديق فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمها إلا أنه شقى أو سعيد فأنزل الله تعالى عند ذلك (هو أعلم بكم) الآية كلها » وأنه تعالى لما قال هناك في المؤمنين : (ألحقنا بهم ذريتهم) الخ قال سبحانه هنا في الكفار ، أو في الكبار : (وأن ليس للانسان إلا ماسعى) خلاف ما دخل في المؤمنين الصغار ، ثم قال : وهذا وجه بديع في المناسبة من وادى التضاد ، وفي صحة كون قوله تعالى : (هو أعلم بكم) الآية نزل لما ذكر نظر عندي ، وكون قوله تعالى : (ألحقنا بهم ذريتهم) في الصغار لم يتفق عليه المفسرون كما سمعت غير بعيد ، نعم من تأمل ظهر له وجوه من المناسبات غير ما ذكر فتأمل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ أقسم سبحانه بجنس النجم المعروف على ماروى عن الحسن ومعمار بن المثنى ، ومنه قوله :

فباتت تعد النجم في مستحيرة سريع بأيدي الآكلين جمودها

ومعنى (هوى) غرب ، وقيل : طالع يقال هوى يهوى كرمى يرمى هوى بالفتح في السقوط والغروب لمشابهته له ؛ وهوى بالضم للعلو ، والطلوع ، وقيل : الهوى بالفتح للاصعاد والهوى بالضم للانحدار ؛ وقيل : الهوى بالفتح والضم السقوط ويقال أهوى بمعنى هوى ، وفرق بعض اللغويين بينهما بأن هوى إذا انقض لغير صيد ، وأهوى

إذا انقض له ، وقال الحسن . وأبو حمزة الثمالي : أقسم سبحانه بالنجوم إذا انتثرت في القيامة ، وعن ابن عباس في رواية أقسم عز وجل بالنجوم إذا انقضت في إثر الشياطين ، وقيل : المراد بالنجم معين فقال مجاهد وسفيان : هو الثريا فإن النجم صار علما بالغلبة لها ، ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إذا طلع النجم صباحا ارتفعت العاهة » وقول العرب : - طلع النجم عشاء فابتغى الراعى كساء ، طلع النجم غدية فابتغى الراعى كسية - وفسر هويها بسقوطها مع الفجر ، وقيل : هو الشعري المرادة بقوله تعالى : (وأنه هو رب الشعري) والكهان يتكلمون على المغيبات عند طلوعها ، وقيل : الزهرة وكانت تعبد ، وقال ابن عباس . ومجاهد . والفراء . ومنذر بن سعيد : (النجم) المقدار النازل من القرآن على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، (وإذا هوى) بمعنى إذا نزل عليه مع ملك الوحي جبريل عليه السلام ، وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه : هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهويه نزوله من السماء ليلة المعراج ، وجوز على هذا أن يراد بهويه صعوده وعروجه عليه الصلاة والسلام إلى منقطع الآين ، وقيل : هو الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وقيل : العلماء على إرادة الجنس ، والمراد بهويهم قيل : عروجهم في معارج التوفيق إلى حضائر التحقيق ، وقيل : غوصهم في بحار الأفكار لاستخراج درر الأسرار . وأظهر الأقوال القول بأن المراد بالنجم جنس النجم المعروف فإن أصله اسم جنس لكل كوكب ، وعلى القول بالتعيين فالأظهر القول بأنه الثريا ، ووراء هذين القولين القول بأن المراد به المقدار النازل من القرآن ، وفي الإقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع مالا غاية وراءه ، أما على الأولين فلا ن النجم شأنه أن يهتدى به السارى إلى مسالك الدنيا كأنه قيل : (والنجم) الذى تهتدى به السابلة إلى سواء السبيل ﴿ مَاضِلٌ صَاحِبُكُمْ ﴾ أى ماعدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة فهو استعارة وتمثيل لكونه عليه الصلاة والسلام على الصواب فى أقواله وأفعاله ﴿ وَمَا غَوَىٰ ۚ ﴾ أى وما اعتقد باطلا قط لان الغي الجهل مع اعتقاد فاسد وهو خلاف الرشد فيكون عطف هذا على (ماضل) من عطف الخاص على العام اعتناءً بالاعتقاد ، وإشارة إلى أنه المدار .

وأما على الثالث فلا ن تنويه بشأن القرآن وتنبيه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل : وما أنزل عليك من القرآن الذى هو علم فى الهداية إلى مناهج الدين ومسالك الحق واليقين (ماضل) عنها محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وما غوى) فهو من باب * وثناياك أها إغريض * والخطاب لقريش وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان المصاحبة لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة وإحاطتهم خبراً ببراءته صلى الله تعالى عليه وسلم بما نفي عنه بالكلية وباتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شئونه العظيمة مقتضية لذلك حتماً فى ذلك تأكيد لاقامة الحجة عليهم ، واختلف فى متعلق إذا قال بعضهم : فإوضت جار الله فى قوله تعالى : (والنجم إذا هوى) فقال : العامل فيه ما تعلق به الواو فقلت : كيف يعمل فعل الحال فى المستقبل ؟! وهذا لأن معناه أقسم . الآن لا أقسم بعد هذا ، فرجع وقال : العامل فيه مصدر محذوف ، والتقدير - وهوى النجم إذا هوى - فعرضته على بعض المشايخ فلم يستحسن قوله الثانى ، والوجه تعلقه بأقسم وهو قد انسلخ عنه معنى الاستقبال وصار للوقت المجرد ونحوه آتيك إذا احمر البسر أى وقت احمراره ، وقال عبد القاهر : إخبار الله تعالى بالمتروك يقام مقام الإخبار بالواقع

إذا لاخلاف فيه فيجري المستقبل مجرى المحقق الماضي ، وقيل : إنه متعلق بعامل هو حال من النجم ، وأورد عليه أن الزمان لا يكون خبراً ولا حالاً عن جثة كما هنا ، وأن (إذا) للمستقبل فكيف يكون حالاً إلا أن تكون حالاً مقدرة أو تجرد (إذا) لمطابق الوقت كما يقال بصحية الحالية إذا أفادت معنى معتداً به ، فجاء الزمان خبراً أو حالاً عن جثة ليس ممنوعاً على الإطلاق كما ذكره النحاة ، أو النجم لتغيره طلوعاً وغروباً أشبه الحدث ، والانصاف أن جعله حالاً كتعلقه بمصدر محذوف ليس بالوجه ، وإنما الوجه ، - على ما قيل - ما سمعت من تعلقه بأقسم منسلخاً عنه معنى الاستقبال وهو الذي اختاره في المعنى ، وتخصيص القسم بوقت الهوى ظاهر على الأخير من الأقوال الثلاثة ، وأما على الأولين فقليل : لأن النجم لا يهتدى به السارى عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب ، وإنما يهتدى به عند هبوطه ، أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكي من التدلى والدنو ، وقيل : لدلالته على حدوثه الدال على الصانع وعظيم قدرته عز وجل كما قال الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأكمل السلام (لأحب الآفلين) وسيأتى إن شاء الله تعالى آخر الكتاب تمام الكلام في تحقيق إعراب مثل هذا التركيب فلا تغفل ﴿وَمَا يَنْطِقُ﴾ أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لتقدم ذكره في قوله سبحانه : (صاحبكم) والنطق مضمن معنى الصدور فلذا عدى بعن في قوله تعالى : ﴿عَنْ الْهُوَىٰ﴾ وقيل : هى بمعنى الباء وليس بذاك أى ما يصدر نطقه فيما آتاكم به من جهته عز وجل كالقرآن ، أو من القرآن عن هوى نفسه ورأيه أصلاً فإن المراد استمرار النبي كما مر مراراً في نظائره ﴿إِنْ هُوَ﴾ أى ما الذى ينطق به من ذلك أو القرآن وكل ذلك مفهوم من السياق ﴿إِلَّا وَحَىٰ﴾ من الله عز وجل ﴿يُوحَىٰ﴾ يوحى سبحانه إليه ، والجملة صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى ، وقيل : ضمير (ينطق) للقرآن فالآية كقوله تعالى : (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) وهو خلاف الظاهر ، وقيل : المراد ما يصدر نطقه عليه الصلاة والسلام مطلقاً عن هوى وهو عائد لما ينطق به مطلقاً أيضاً واحتج بالآية على هذا التفسير من لم يرى الاجتهاد له عليه الصلاة والسلام كالأبى الجبائى وابنه أبى هاشم ، ووجه الاحتجاج أن الله تعالى أخبر بأن جميع ما ينطق به وحى وما كان عن اجتهاد ليس بوحى فليس مما ينطق ، وأجيب بأن الله تعالى إذا سوغ له عليه الصلاة والسلام الاجتهاد كان الاجتهاد وما يسند إليه وحياً لانطقاً عن الهوى ، وحاصله منع كبر القياس ، واعتراض عليه بأنه يلزم أن تكون الأحكام التى تستنبطها المجتهدون بالقياس وحياً ، وأجيب بأن النبي عليه الصلاة والسلام أوحى إليه أن يجتهد بخلاف غيره من المجتهدين ، وقال القاضى البيضاوى : إنه حينئذ بالوحى لا وحى ، وتعقبه صاحب الكشف بأنه غير قادح لأنه بمنزلة أن يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : متى ما ظننت بكذا فهو حكمى أى كل ما ألقىته فى قلبك فهو مرادى فيكون وحياً حقيقة ، والظاهر أن الآية واردة فى أمر التنزيل بخصوصه وإن كان مثله الأحاديث القدسية والاستدلال بها على أنه عليه الصلاة والسلام غير متعبد بالوحى محوج لارتكاب خلاف الظاهر وتكلف فى دفع نظر البيضاوى عليه الرحمة كما لا يخفى على المصنف ، ولا يبعد عندى أن يحمل قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى) على العموم فإن من يرى الاجتهاد له عليه الصلاة والسلام كالامام أحمد . وأبى يوسف عليهما الرحمة

لا يقول بأن ما ينطق به صلى الله تعالى عليه وسلم بما أدى اليه اجتهاده صادر عن هوى النفس وشهوتها حاشا حضرة الرسالة عن ذلك وإنما يقول هو واسطة بين ذلك وبين الوحي ويجعل الضمير في قوله سبحانه: (إن هو إلا وحي) للقرآن على أن الكلام جواب سؤال مقدر كأنه قيل: إذا كان شأنه عليه الصلاة والسلام أنه ما ينطق عن الهوى فما هذا القرآن الذي جاء به وخالف فيه ما عليه قومه واستمال به قلوب كثير من الناس وكثرت فيه الاقاويل؟ فقيل: ما هو إلا وحي يوحيه الله عز وجل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فتأمل، وفي الكشف أن في قوله تعالى: (ما ينطق) مضارعاً مع قوله سبحانه: (ماضٍ) (وما غوى) ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام حيث لم يكن له سابقة غواية وضلال منذ تميز وقبل تحنكه واستنبائه لم يكن له نطق عن الهوى كيف وقد تحنك ونبي، وفيه حث لهم على أن يشاهدوا منطق الحكيم ﴿عَلَيْهِ﴾ الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمفعول الثاني محذوف أى القرآن، أو الوحي، وجوز أبو حيان كون الضمير للقرآن، وأن المفعول الأول محذوف أى عليه الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿شَدِيدُ الْقُوَى ٥﴾ هو جبريل عليه السلام كما قال ابن عباس. و قتادة. والربيع، فانه الواسطة في إبداء الخوارق وناهيك دليلاً على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه وورفعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح بشمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف، فهو لعمري أسرع من حركة ضياء الشمس على ما قرره في الحكمة الجديدة ﴿ذُو مَرَّةٍ﴾ ذو حصافة واستحكام في العقل كما قال بعضهم، فكان الأول وصف بقوة الفعل، وهذا وصف بقوة النظر والعقل لكن قيل: إن ذلك بيان لما وضع له اللفظ فان العرب تقول لكل قوى العقل والرأى (ذو مرة) من أمررت الحبل إذا أحكمت قتله. وإلا فوصف الملك بمثله غير ظاهر فهو كناية عن ظهور الآثار البديعة، وعن سعيد بن المسيب ذو حكمة لأن كلام الحكماء متين، وروى الطستى أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عنه فقال: ذو شدة في أمر الله عز وجل واستشهد له، وحكى الطبري عنه أنه قال: ذو منظر حسن واستصوبه الطبري، وفي معناه قول مجاهد، ذو خلق حسن: وهو في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا تحل الصدقة لغنى ولا لذي مرة سوى» بمعنى ذي قوة، وفي الكشف إن المرة لأنها في الأصل تدل على المرة بعد المرة تدل على زيادة القوة فلا تغفل ﴿فَاسْتَوَى ٦﴾ أى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها وذلك عند حراء في مبادئ النبوة وكان له عليه الصلاة والسلام - كما في حديث أخرجه الامام أحمد. وعبد بن حميد. وجماعة عن ابن مسعود - ستائة جناح كل جناح منها يسد الأفق فالاستواء ههنا بمعنى اعتدال الشيء في ذاته كما قال الراغب، وهو المراد بالاستقامة لا ضد الاعوجاج، ومنه استوى الثمر إذا نضج، وفي الكلام على ما قال الخفاجي: طى لأن وصفه عليه السلام بالقوة وبعض صفات البشر يدل على أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رآه في غير هيئته الحقيقية وهذا تفصيل لجواب سؤال مقدر كأنه قيل: فهل رآه على صورته الحقيقية: فقيل؟ نعم رآه فاستوى الخ، وفي الارشاد أنه عطف على عليه بطريق التفسير فانه إلى قوله تعالى: (ما أوحى) بيان لكيفية التعليم، وتعقب بأن الكيفية غير منحصرة فيما ذكر، ومن هنا قيل: إن الفاء للسببية فان تشككه عليه السلام بشككه يتسبب عن قوته وقدرته على الخوارق وأعطافه على (عليه) على معنى عليه على غير صورته الاصلية، ثم استوى على صورته الاصلية وتعقب بأنه لا يتم به التثام الكلام ويحسن به النظام، وقيل:

استوى بمعنى ارتفع والعطف على علم ، والمعنى ارتفع إلى السماء بعد أن عليه وأكثر الآثار تقتضى ما تقدم *
 ﴿ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ۝ ٧ ﴾ أى الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر، وأصله الناحية وما ذكره أهل الهيئة معنى اصطلاحى وينقسم عندهم إلى حقيقى وغيره كما فصل فى محله ، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس أن المراد به هنا مطالع الشمس وفى معناه قول الحسن : هو أفق المشرق، والجملة فى موضع الحال من فاعل استوى، وقال الفراء .
 والطبرى: إن هو عطف على الضمير المستتر فى استوى وهو عائد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما أن ذلك عائد لجبريل عليه السلام، وجوز العكس، والجار متعلق باستوى وفيه العطف على الضمير المرفوع من غير فصل، وهو مذهب الكوفيين مع أن المعنى ليس عليه عند الأثرين ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ أى ثم قرب جبريل عليه السلام من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ فَتَدَلَّى ۝ ٨ ﴾ فتعلق جبريل عليه عليه الصلاة والسلام فى الهواء، ومنه تدلت الثرة ودلى رجله من السرير . والدوالى الثمر المعلق كعناقيد العنب وأنشدوا لابی ذؤيب يصف مشثار عسل:
 تدلى عليها بين سب وخيطة بجرءاء مثل الوكف يكبو غرابها

ومن أسجاع ابنة الخس - كن حذراً كالقرلى إن رأى خيراً تدلى، وإن رأى شراً تولى - فالمراد بالتدلى دنو خاص فلا قلب ولا تأويل بإرادة الدنو كما فى الايضاح، نعم إن جعل بمعنى التنزل من علو كما يرشد إليه الاشتقاق كان له وجه ﴿ فَكَانَ ﴾ أى جبريل عليه السلام من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ أى من قسى العرب لأن الاطلاق ينصرف إلى متعارفهم، والقاب، وكذا القيب والقاد والقيد والقيس المقدار، وقرأ زيد بن على قاد، وقرىء قيد وقدر، وقد جاء التقدير بالقوس كالرمح والذراع وغيرهما ، ويقال على ما بين مقبض القوس وسيتها، وهى ما عطف من طرفيها فلكل قوس قابان، وفسر به هنا قيل: وفى الكلام عليه قلب أى فكان قابى قوس، وفى الكشف لك أن تقول قابا قوس وقاب قوسين واحد دون قلب ، وعن مجاهد. والحسن أن قاب القوس ما بين وترها ومقبضها ولا حاجة إلى القلب عليه أيضا فإن هذا على ما قال: الخفاجى إشارة إلى ما كانت العرب فى الجاهلية تفعله إذا تحالفوا فإنهم كانوا يخرجون قوسين ويلصقون إحداهما بالأخرى فيكون القاب ملاصقا للآخر حتى كأنهما ذا قاب واحد ثم ينزعونهما معا ويرمون بهما سهماً واحداً فيكون ذلك إشارة إلى أن رضا أحدهم رضا الآخر وسخطه سخطه لا يمكن خلافة، وعن ابن عباس القوس هنا ذراع يقاس به الأطوال وإليه ذهب أبورزين، وذكر الثعلبى أنه من لغة الحجاز، وأياً ما كان فالمعنى على حذف مضاف - أى فكان ذا قاب قوسين - ونحوه قوله :

فادرك إبقاء العرادة ظللها وقد جعلتنى من (خزيمة أصبعا)

فإنه على معنى ذا مقدار أصبع وهو القرب فكأنه قيل فكان قريباً منه، وجوز أن يكون ضمير كان للمسافة بتأويلها بالبعد ونحوه فلا حاجة إلى اعتبار الحذف وليس بذاك ﴿ أَوْ أَدْنَى ۝ ٩ ﴾ أى أو أقرب من ذلك، و(أو) للشك من جهة العباد على معنى إذا رآه الرأى يقول هو قاب قوسين أو أدنى، والمراد إفادة شدة القرب ﴿ فَأَوْحَى ﴾ أى جبريل عليه السلام ﴿ إِلَى عَبْدِهِ ﴾ أى عبد الله وهو النبي ﷺ ، والاضمار ولم يجر له تعالى ذكر لكونه فى غاية الظهور ومثله كثير فى الكلام ، ومنه (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا مترك على ظهرها من دابة)

وقوله سبحانه: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) ﴿مَا أَوْحَىٰ ١٥﴾ أي الذي أوحاه والضمير المستتر لجبريل عليه السلام أيضا، وإيهام الموحى به للتفخيم فهذا نظير قوله تعالى: (فغشيهم من اليم ما غشيهم) وقال أبو زيد: الضمير المستتر لله عز وجل أي أوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحاه الله إلى جبريل، والأول مروي عن الحسن وهو الأحسن، وقيل ضمير (أوحى) الأول والثاني لله تعالى، والمراد بالعبد جبريل عليه السلام وهو كما ترى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ أي فؤاد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿مَا رَأَىٰ ١١﴾ ما رآه يبصره من صورة جبريل عليه السلام أي ما قال فؤاده صلى الله تعالى عليه وسلم لما رآه يبصره لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه يبصره فهو من قولهم كذب إذا قال كذبا فما كذب بمعنى ما قال الكذب، وقيل: أي (ما كذب الفؤاد) البصر فيما حكاه له من صورة جبريل عليه السلام وما في عالم الملكوت تدرك أولا بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصر. قرأ أبو رجاء وأبو جعفر. وقتادة. والجحدري. وخالد بن الياس. وهشام عن ابن عامر (ما كذب) مشدداً أي صدقه ولم يشك أنه جبريل عليه السلام بصورته، وفي الآيات من تحقيق أمر الوحي ما فيها، وفي الكشف أنه لما قال سبحانه: (إن هو إلا وحي) أي من عند الله تعالى (يوحى) ذكر جل وعلا ما يصور هذا المعنى ويفصله ليتأكد أنه وحي وأنه ليس من الشعر وحديث الكهان في شيء فقال تعالى (علم صاحبكم) هذا الوحي من هو على هذه الصفات، وقوله تعالى: (فاستوى) وحديث قيامه بصورته الحقيقية ليؤكد أن ما يأتيه في صورة دحية هو هو فقد رآه بصورة نفسه وعرفه حق معرفته فلا يشتبه عليه بوجه، وقوله تعالى: (ثم دنا فتدلى) تتميم لحديث نزوله إليه عليه الصلاة والسلام وإتيانه بالمنزل، وقوله سبحانه: (فأوحى) أي جبريل ذلك الوحي الذي مر أنه من عند الله تعالى إلى عبده الله وإنما قال سبحانه: - ما أوحى - ولم يأت بالضمير تفخيماً لشأن المنزل وأنه شيء يجلب عن الوصف فأنى يستجيز أحد من نفسه أن يقول إنه شعر أو حديث كاهن، وإيثار عبده بدل إليه أي إلى صاحبكم لإضافة الاختصاص وإيثار الضمير على الاسم العلم في هذا المقام لترشيحه وأنه ليس عبداً إلا له عز وجل فلا لبس لشهرته بأنه عبد الله لا غير، وجاز أن يكون التقدير فأوحى الله تعالى بسببه أي بسبب هذا المعلم إلى عبده ففي الفاء دلالة على هذا المعنى وهذا وجه أيضاً سديد، ثم قال سبحانه: (ما كذب الفؤاد ما رأى) على معنى أنه لما عرفه وحققه لم يكذبه فؤاده بعد ذلك ولو تصور بغير تلك الصورة إنه جبريل، فهذا نظم سرى مرعى فيه النكت حق الرعاية مطابق للوجود لم يعدل به عن واجب الوفاق بين البداية والنهاية انتهى *

وهو كلام نفيس يرجع به ماروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها وسيأتى ذلك إن شاء الله عز وجل بماله وعليه ﴿أَفْتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢﴾ أي أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة فتمارونه عطف على محذوف على ما ذهب إليه الزمخشري من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة إذا مسح ظهرها وضرعها لينخرج لبنها وتدر به فشبه به الجدال لأن كلا من المتجادلين يطلب الوقوف على ما عند الآخر ليلزمه الحجة فكأنه يستخرج دزّه *

وقرأ على كرم الله تعالى وجهه. وعبد الله. وابن عباس. والجحدري. ويعقوب. وابن سعدان. وحزمة. والكسائي. وخلف (أفتمرونه) بفتح التاء وسكون الميم مضارع مريت أي جحدت يقال: مريته حقه إذا جحدته، وأنشدوا لذلك قول الشاعر:

لئن هجرت أخا صدق ومكرمة لقد (مريت) أخا ما كان يمرىكا

(٧٢ - ج ٢٧ - تفسير روح المعاني)

أو مضارع مريته إذا غلبته في المراء على أنه من باب المغالبة، ويجوز حمل ما في البيت عليه وعدى الفعل بعلى وكان حقه أن يعدى بنى لتضمينه معنى المغالبة فان المجادل والجادد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم، وقرأ عبد الله فيما حكى ابن خالويه. والشعبي فيما ذكر شعبة (أفتمرونه) بضم التاء وسكون الميم مضارع أمريت قال أبو حاتم: وهو غلط، والمراد بما يرى مارآه من صورة جبريل عليه السلام، وعبر بالمضارع استحضاراً للصورة الماضية لما فيها من الغرابة، وفي البحر جئ بصيغة المضارع وإن كانت الرؤية قد مضت إشارة إلى ما يمكن حدوثه بعد، رقيق: المراد (أفتمرونه على ما يرى) من الصور التي يظهر بها جبريل عليه السلام بعد مارآه قبل وحققه بحيث لا يشتبه عليه بأى صورة ظهر فالتعبير بالمضارع على ظاهره ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ أى رأى النبي جبريل ﷺ في صورته التي خلقه الله تعالى عليها ﴿نَزْلَةً أُخْرَى ۚ﴾ أى مرة أخرى من النزول وهى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها على الظرفية لأن أصل المرة مصدر مزير ولشدة اتصال الفعل بالزمان يعبر به عنه ولم يقل مرة بدلها ليفيد أن الرؤية فى هذه المرة كانت بنزول ودنو كالرؤية فى المرة الأولى الدال عليها مامر، وقال الحوفي. وابن عطية: إن نزلة منصوب على المصدرية للحال المقدرة أى نازلاً نزلة، وجوز أبو البقاء كونه منصوباً على المصدرية - لرأى - من معناه أى رؤية أخرى وفيه نظر، والمراد من الجملة القسمية نفي الريبة والشك عن المرة الأخيرة وكانت ليلة الاسراء ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ هى شجرة نبق عن يمين العرش فى السماء السابعة على المشهور، وفى حديث أخرجه أحمد. ومسلم. وأبو داود. والترمذى. وغيرهم فى السماء السادسة نبقتها كقلال هجر وأوراقها مثل آذان الفيلة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاماً لا يقطعها، وأخرج الحاكم وصححه عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما مرفوعاً «يسير الراكب فى الفتن منها مائة سنة» والاحاديث ظاهرة فى أنها شجرة نبق حقيقة •

والنبات فى الشاهد يكون ترايا ومائياً وهوائياً، ولا يعد من الله تعالى أن يخلقه فى أى مكان شاء وقد أخبر سبحانه عن شجرة الزقوم أنها تنبت فى أصل الجحيم، وقيل: إطلاق السدرة عليها مجاز لأنها تجتمع عندها الملائكة عليهم السلام كما يجتمع الناس فى ظل السدرة، و(المنتهى) اسم مكان وجوز كونه مصدراً ميمياً، وقيل: لها (سدرة المنتهى) لأنها كما أخرج عبد بن حميد. وابن أبى حاتم عن ابن عباس إليها ينتهى علم كل عالم وما وراءها لا يعلمه إلا الله تعالى، أو لأنها ينتهى إليها علم الأنبياء عليهم السلام ويعزب عنهم عما وراءها. أو لأنها تنتهى إليها أعمال الخلائق بأن تعرض على الله تعالى عندها، أو لأنها ينتهى إليها ما ينزل من فوقها وما يصعد من تحتها. أو لأنها تنتهى إليها أرواح الشهداء أو أرواح المؤمنين مطلقاً. أو لانتهاى من رفع إليها فى الكرامة، وفى الكشف كأنها منتهى الجنة وآخرها، وإضافة (سدرة) إلى (المنتهى) من إضافة الشئ لمحله كما فى أشجار البستان، وجوز أن تكون من إضافة المحل إلى الحال كما فى قولك كتاب الفقه، وقيل: يجوز أن يكون المراد بالمنتهى الله عز وجل فالإضافة من إضافة الملك إلى المالك أى (سدرة) الله الذى إليه (المنتهى) كما قال سبحانه: (وَأَن إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) وعد ذلك من باب الحذف والإيصال ولا يخفى أن هذا القول يكاد يكون المنتهى فى البعد ﴿عِنْدَهَا﴾ أى عند السدرة، وجوز أن يكون الضمير للنزلة وهو نازل عن رتبة القبول ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى ۚ﴾ التى يأوى إليها المتقون يوم القيامة كما روى عن الحسن، واستدل به على أن الجنة فى السماء، وقال ابن عباس بخلاف عنه. وقتادة:

هي جنة تأوى إليها أرواح الشهداء وليست بالتي وعد المتقون ، وقيل : هي جنة تأوى إليها الملائكة عليهم السلام والاول أظهر ، والمأوى على مانص عليه الجمهور اسم مكان وإضافة الجنة اليه بيانية ، وقيل : من إضافة الموصوف إلى الصفة كما في مسجد الجامع ، وتعقب بأن اسم المكان لا يوصف به ، والجملة حالية ، وقيل : الحال هو الظرف ، و (جنة) مرتفع به على الفاعلية ، وقرأ على كرم الله تعالى وجهه . وأبو الدرداء . وأبو هريرة . وابن الزبير . وأنس . وزر . ومحمد بن كعب . وقتادة : (جنة) بهاء الضمير وهو ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وجن فعل ماض أى عندها ستره إيواء الله تعالى ، وجميل صنعه به ، أوستره المأوى بظلاله ودخل فيه على أن (المأوى) مصدر ميمي ، أو اسم مكان ، وجنه بمعنى ستره ، قال أبو البقاء : شاذ والمستعمل أجنه ، ولهذا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها . وكذا جمع من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين : من قرأ به فأجنه الله تعالى أى جعله مجنوناً أو أدخله الجن وهو القبر ، وأنت تعلم أنه إذا صح أنه قرأ به الأمير كرم الله تعالى وجهه ومن معه من أكابر الصحابة فليس لأحد رده من حيث الشذوذ في الاستعمال ، وعائشة قد حكى عنها الإجازة أيضاً .

﴿ إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ متعلق برآه ، وقيل : بما بعد من الجملة المنفية ولا يضر التقدم على (ما) النافية للتوسع في الظرف والغشيان بمعنى التغطية والستر، ومنه الغواشي أو بمعنى الاتيان يقال فلان يغشى زيدا كل حين أى يأتيه . والاول هو الأليق بالمقام ، وفي إبهام (ما يغشى) من التفعيم مالا يخفى فكأن الغاشي أمر لا يحيط به نطاق البيان ولا تسعه أوردان الأذهان ، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها البديعة ، وجوز أن يكون للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد ، وورد في بعض الاخبار تعيين هذا الغاشي ، فعن الحسن غشياً نور رب العزة جل شأنه فاستنارت . ونحوه ما روى عن أبي هريرة يغشاه نور الخلاق سبحانه ، وعن ابن عباس غشياً رب العزة عز وجل وهو من المتشابهة ، وقال ابن مسعود . ومجاهد . وإبراهيم : يغشاه جراد من ذهب ، وروى عن مجاهد أن ذلك تبدل أغصانها أولواً وياقوتاً وزبرجداً .

وأخرج عبد بن حميد عن سلمة قال : استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظروا إلى النبي ﷺ فأذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا إليه عليه الصلاة والسلام ، وفي حديث « رأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله تعالى » وقيل : يغشاه رفر من طير خضر ، والابهام على هذا كله على نحو ما تقدم . ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ أى ما مال بصر رسول الله صلى الله تعالى عليه عما رآه ﴿ وَمَا طَغَى ﴾ وما تجاوزه بل أثبتته إثباتاً صحيحاً مستيقناً ، وهذا تحقيق للامر ونفي للريب عنه ، أر ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها إلى ما لم يؤمر برؤيته .

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ۝ ١٨ ﴾ أى والله لقد رأى الآيات الكبرى من آياته تعالى وعجائبه الملكية والملكو تية ليلة المعراج . فالكبرى - صفة موصوف محذوف مفعول لرأى أقيمت مقامه بعد حذفه وقدر مجموعاً ليطابق الواقع ، وجوز أن تكون (الكبرى) صفة المذكور على معنى ، و (لقد رأى) بعضها من الآيات الكبرى ، ورجح الاول بأن المقام يقتضى التعظيم والمبالغة فينبغى أن يصرح بأن المرأى الآيات الكبرى وجوزت الوصفية المذكورة مع كون من مزيدة ، وأنت تعلم أن زيادة من في الإثبات ليس مجعاً على جوازه ، وجاء في بعض الاخبار تعيين ما رأى عليه الصلاة والسلام ، أخرج البخاري . وابن جرير . وابن المنذر . وجماعة عن ابن مسعود أنه قال في

الآية رأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سد الأفق . وعن ابن زيد رأى جبريل عليه السلام في الصورة التي هو بها، والذي ينبغي أن لا يحمل ذلك على الحصر فلا يخفى فقد رأى عليه الصلاة والسلام آيات كبرى ليلة المعراج لا تحصى ولا تكاد تستقصى (هذا وفي الآيات) أقوال غير ما تقدم ، فعن الحسن أن (شديد القوى) هو الله تعالى، وجمع (القوى) للتعظيم ويفسر (ذو مرة) عليه بذى حكمة ونحوه مما يليق أن يكون وصفاً له عز وجل، وجعل أبو حيان الضميرين في قوله تعالى: (فاستوى وهو بالأفق الأعلى) عاياه له سبحانه أيضاً، وقال: إن ذلك على معنى العظمة والقدرة والسلطان، ولعل الحسن يجعل الضمائر في قوله سبحانه: (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى) له عز وجل أيضاً، وكذا الضمير المنصوب في قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) فقد كان عليه الرحمة يحلف بالله تعالى ، لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه وفسر دنوه تعالى من النبي صلى الله عليه وسلم برفع مكاتته ﷺ عنده سبحانه وتدليه جل وعلا بجذبه بشارشه إلى جانب القدس ، ويقال لهذا الجذب : الفناء في الله تعالى عند المتألهين ، وأريد بنزوله سبحانه نوع من دنوه المعنوي جل شأنه * ومذهب السلف في مثل ذلك إرجاع عاياه إلى الله تعالى بعد نفى التشبيه ، وجوز أن تكون الضمائر في (دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) على ما روى عن الحسن للنبي ﷺ ، والمراد ثم دنا النبي عليه الصلاة والسلام من ربه سبحانه فكان منه عز وجل (قاب قوسين أو أدنى) والضمائر في (فأوحى) الخ لله تعالى ، وقيل : (إلى عبده) ولم يقل إليه للتفخيم ، وأمر المتشابه قد علم، وذهب غير واحد في قوله تعالى : (عليه شديد القوى) إلى قوله سبحانه: (وهو بالأفق الأعلى) إلى أنه في أمر الوحي وتلقيه من جبريل عليه السلام على ما سمعت فيما تقدم، وفي قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى) الخ إلى أنه في أمر العروج إلى الجنان الأقدس ودنوه سبحانه منه صلى الله تعالى عليه وسلم ورؤيته عليه السلام إياه جل وعلا فالضمائر في (دنا، وتدلى) وكان و(أوحى) وكذا الضمير المنصوب في (رآه) لله عز وجل ، ويشهد لهذا ما في حديث أنس عند البخاري من طريق شريك بن عبد الله «ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه فيما أوحى خمسين صلاة» الحديث ، فإنه ظاهر فيما ذكر *

واستدل بذلك مثبتو الرؤية كخبر الامة ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وغيره، وأدعت عائشة رضي الله تعالى عنها خلاف ذلك ، أخرج مسلم عن مسروق قال : « كنت متكئاً عند عائشة فقالت : يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت ما هن؟ قالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال : وكنت متكئاً فجلست فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله تعالى : (ولقد رآه بالأفق المبين) (ولقد رآه نزلة أخرى)؟ فقالت : أنا أول هذه الامة سألت عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : لا إنما هو جبريل لم أره على صورته الذي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيت منه من السماء ساداً أعظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ، الحديث ، وفي رواية ابن مردويه من طريق أخرى عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق « فقالت : أنا أول من سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا فقلت : يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال : إنما رأيت جبريل منهبطاً » ولا يخفى أن جواب رسول الله عليه الصلاة والسلام ظاهر في أن الضمير المنصوب في (رآه) ليس راجعاً إليه تعالى بل إلى جبريل عليه السلام ، وشاع أنها تنفى أن يكون صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه سبحانه مطلقاً ، وتستدل لذلك بقوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) وقوله

سبحانه. (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) وهو ظاهر ما ذكره البخاري في صحيحه في تفسير هذه السورة ، وقال بعضهم : إنها إنما تنفي رؤية تدل عليها الآية التي نحن فيها وهي التي احتج بها مسروق *

وحاصل ما روى عنها نفي صحة الاحتجاج بالآية المذكورة على رؤيته عليه الصلاة والسلام ربه سبحانه ببيان أن مرجع الضمير فيها إنما هو جبريل عليه السلام على ما يدل عليه جواب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إياها ، وحمل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في جوابها « لا » على أنه نفي للرؤية المخصوصة وهي التي يظن دلالة الآية عليها ويرجع إلى نفي الدلالة ولا يلزم من انتفاء الخاص انتفاء المطلق ، والانصاف أن الأخبار ظاهرة في أنها تنفي الرؤية مطلقاً ، وتستدل عليه بالآيتين السابقتين ، وقد أجاب عنهما مثبتو الرؤية بما هو مذكور في محله ، والظاهر أن ابن عباس لم يقل بالرؤية إلا عن سماع ، وقد أخرج عنه أحمد أنه قال : « قال رسول الله ﷺ : رأيت ربى » ذكره الشيخ محمد الصالحى الشامى تلميذ الحافظ السيوطى فى الآيات البينات وصححه ، وجمع بعضهم بين قول ابن عباس وعائشة بأن قول عائشة محمول على نفي رؤيته تعالى فى نوره الذى هو نوره المنعوت بأنه لا ية قوم له بصر ، وقول ابن عباس محمول على ثبوت رؤيته تعالى فى نوره الذى لا يذهب بالأبصار بقريضة قوله فى جواب عكرمة عن قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) : ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره ، وبه يظهر الجمع بين حديثى أبى ذر ، أخرج مسلم من طريق يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبى ذر قال : سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال : « نورانى أراه » ومن طريق هشام . وهما عن قتادة عن عبد الله قال : قلت لأبى ذر لو رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لسألتة فقال : عن أى شئ كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله هل رأيت ربك ؟ فقال أبو ذر : قد سألتة فقال : « رأيت نوراً » فيحمل النور فى الحديث الاول على النور القاهر للأبصار بجعل التنوين للنوعية أو للتعظيم ، والنور فى الثانى على ما لا يقوم له البصر والتنوين للنوعية ، وإن صحت رواية الاول كما حكاه أبو عبد الله المازرى بلفظ « نورانى » بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء لم يكن اختلاف بين الحديثين ويكون نورانى بمعنى المنسوب إلى النور على خلاف القياس ويكون المنسوب إليه هو نوره الذى هو نوره ، والمنسوب هو النور المحمول على الحجاب حمل مواطاة فى حديث السبحات فى قوله عليه الصلاة والسلام : « حجابها النور » وهو النور المانع من الإحراق الذى يقوم له البصر . ثم إن القائلين بالرؤية اختلفوا ، فمنهم من قال : إنه عليه الصلاة والسلام رأى ربه سبحانه بعينه ، وروى ذلك ابن مردويه عن ابن عباس ، وهو مروي أيضاً عن ابن مسعود . وأبى هريرة . وأحمد بن حنبل ، ومنهم من قال : رآه عز وجل بقلبه ، وروى ذلك عن أبى ذر ، أخرج النسائى عنه أنه قال : « رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره » وكذا روى عن محمد بن كعب القرظى بل أخرج عبد بن حميد . وابن المنذر . وابن أبى حاتم عنه أنه قال : قالوا : يا رسول الله رأيت ربك ؟ قال : « رأيتة بفؤادى مرتين ولم أره بعينى ثم قرأ ما كذب الفؤاد مارأى » وفى حديث عن ابن عباس يرفعه « فجعل نور بصرى فى فؤادى فنظرت إليه بفؤادى » وكان التقدير فى الآية على هذا (ما كذب الفؤاد فيما رأى) ، ومنهم من ذهب إلى أن إحدى الرؤيتين كانت بالعين والآخرى بالفؤاد وهى رواية عن ابن عباس ، أخرج الطبرانى . وابن مردويه عنه أنه قال : إن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه عز وجل مرتين مرة يبصره ومرة بفؤاده ، ونقل القاضي عياض عن بعض مشايخه أنه توقف أى

فى الرؤية بالعين ، وقال : إنه ليس عليه دليل واضح قال فى الكشف . لأن الروايات مصرحة بالرؤية أما أنها بالعين فلا ، وعن الامام أحمد أنه كان يقول : إذا سئل عن الرؤية رآه رآه حتى ينقطع نفسه ولا يزيد على ذلك وكأنه لم يثبت عنده مذكرناه ، واختلف فيما يقتضيه ظاهر النظم الجليل فجزم صاحب الكشف بأنه ما عليه الا كثرون من أن الدنو والتدلى مقسم ما بين النبي وجبريل صلاة الله تعالى وسلامه عليهما أى وأن المرثى هو جبريل عليه السلام ، وإذا صح خبر جوابه عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله تعالى عنها لم يكن لأحد محيص عن القول به ، وقال العلامة الطيبي : الذى يقتضيه النظم إجراء الكلام إلى قوله تعالى : (وهو بالآفاق الأعلى) على أمر الوحي وتلقيه من الملك ورفع شبه الخصوم ، ومن قوله سبحانه : (ثم دنا فتدلى) إلى قوله سبحانه : (من آيات ربه الكبرى) على أمر العروج إلى الجنب الأقدس ، ثم قال : ولا يخفى على كل ذى لب إباء مقام (فأوحى) الحمل على أن جبريل أوحى إلى عبد الله (ما أوحى) إذ لا يذوق منه أرباب القلوب إلا معنى المناغاة بين المتسارين وما يضيق عنه بساط الوهم ولا يطيقه نطاق الفهم ، وكمة (ثم) على هذا للتراخي الرتبى والفرق بين الوحيين أن أحدهما وحي بواسطة وتعليم ، والآخر بغير واسطة بجهة التكرم فيحصل عنه عنده الترقى من مقام (وما منا إلا له مقام معلوم) إلى مخدع (قاب قوسين أو أدنى) وعن جعفر الصادق عليه الرضا أنه قال : لما قرب الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق سبحانه بغاية اللطف لأنه لا تتحمل غاية الهيبة إلا بغاية اللطف ، وذلك قوله تعالى : (فأوحى إلى عبده ما أوحى) أى كان ما كان وجرى ما جرى قال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب لحبيبه وألطف به إطفاف الحبيب بحبيبه وأسر إليه ما يسر الحبيب إلى حبيبه فأخفيا ولم يطلعا على سرهما أحداً وإلى نحو هذا يشير ابن الفارض بقوله :

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سرّ أرق من النسيم إذا سرى

ومعظم الصوفية على هذا فيقولون بدنوا لله عز وجل من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذنوه منه سبحانه على الوجه اللائق وكذا يقولون بالرؤية كذلك ، وقال بعضهم فى قوله تعالى : (مازاغ البصر وماطغى) : مازاغ بصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما التفت إلى الجنة ومن خرفاتها ولا إلى الجحيم وزفرتها بل كان شاخصاً إلى الحق (وماطغى) عن الصراط المستقيم ، وقال أبو حفص السهروردي : مازاغ البصر حيث لم يتخاف عن البصيرة ولم يتقاصر (وماطغى) لم يسبق البصر البصيرة ويتعدى مقامه ، وقال سهل بن عبد الله التستري : لم يرجع رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى شاهد نفسه وإلى مشاهدتها وإنما كان مشاهداً لربه تعالى يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التى أوجبت الثبوت فى ذلك المحل ، وأرجع بعضهم الضمير فى قوله تعالى : (وهو بالآفاق الأعلى) إلى النبي عليه الصلاة والسلام وهو منتهى وصول اللطائف ، وفسر (سدرة المنتهى) بما يكون منتهى سير السالكين إليه ولا يمكن لهم مجاوزته إلا بجذبة من جذبات الحق ، وقالوا فى (قاب قوسين) ما قالوا وأنا أقول برؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم ربه سبحانه وذنوه منه سبحانه على الوجه اللائق ذهبت فيما اقتضاه ظاهر النظم الجليل إلى مقاله صاحب الكشف أم ذهبت فيه إلى مقاله الطيبي فتأمل والله تعالى الموفق .

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۚ وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۚ ﴾ ٢٠ هي أصنام كانت لهم فالات كما قال قتادة : ثقيف باللطائف ، وأنشدوا

وفرت ثقيف إلى (لاتها) بمنقلب الخائب الخاسر

وقال أبو عبيدة . وغيره : كان بالكعبة ، وقال ابن زيد : كان بنخلة عند سوق عكاظ يعبده قريش ، ورجح ابن عطية قول قتادة ، وقال أبو حيان : يمكن الجمع بأن يكون المسمى بذلك أصناماً فأخبر عن كل صنم بمكانه ، والتاء فيه قيل : أصلية وهي لام الكلمة كالباء في باب ، وألفه منقلبة فيما يظهر من ياء لان مادة (ل ي ت) موجودة فان وجدت مادة (ل و ت) جاز أن تكون منقلبة من واو ، وقيل : تاء العوض ، والاصل لوية بزنة فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليه ويعتكفون للعبادة ، أو يلتون عليه أى يطوفون بخفف بحذف الياء وأبدلت واوه ألفاً ، وعوض عن الياء تاء أفصارت كتاء أخت وبنت ، ولذا وقف عليها بالتاء ، وقرأ ابن عباس . ونجاهد . ومنصور بن المعتمر . وأبو صالح . وطلحة . وأبو الجوزاء . ويعقوب . وابن كثير في رواية بتشديد التاء على أنه اسم فاعل من لت يلت إذا عجن قيل : كان رجل يلت السويق للحاج على حجر فلما مات عبدوا ذلك الحجر إجلالاً له وسموه بذلك ، وعن مجاهد أنه كان على صخرة في الطائف يصنع حيساً ويطعم من يمر من الناس فلما مات عبدوه ، وأخرج ابن أبي حاتم . وابن مردويه عن ابن عباس أنه كان يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن فعبدوه ، وأخرج الفاكهي عنه أنه لما مات قال لهم عمرو بن لحي : إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتاً ، وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال : كان رجل من ثقيف يلت السويق بالزيت فلما توفي جعلوا قبره وثناً ، وزعم الناس أنه عامر بن الظرب أحد عدوان ، وقيل : غير ذلك (والعزى) لغطفان وهي على المشهور سمرة بنخلة - كما قال قتادة - وأصلها تأنيث الأعز ، وأخرج النسائي . وابن مردويه عن أبي الطفيل قال : « لما فتح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت ثلاث سمرة فقطع السمرة وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال : ارجع فانك لم تصنع شيئاً فرجع خالد فلما أبصرته السدنة مضوا وهم يقولون يا عزي يا عزي فأتاها فاذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحشو التراب على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال عليه الصلاة والسلام : تلك العزى » وفي رواية أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث إليها خالداً فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانهك إني رأيت الله قد أهانك

ورجع فأخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام : تلك العزى ولن تعبد أبداً » وقال ابن زيد : كانت العزى بالطائف ، وقال أبو عبيدة : كانت بالكعبة ، وأيده في البحر بقول أبي سفيان في بعض الحروب للمسلمين لنا العزى ولا عزي لكم ، وذكر فيه أنه صنم وجمع بمثل ما تقدم ، (ومناة) قيل : صخرة كانت لهذيل . وخزاعة ، وعن ابن عباس لثقيف ، وعن قتادة للانصار بقديد ، وقال أبو عبيدة : كانت بالكعبة أيضاً ، واستظهر أبو حيان أنها ثلاثتها كانت فيها قال : لأن المخاطب في قوله تعالى : أرأيتم قريش ؟ وفيه بحث ، ومناة مقصورة قيل : وزنها فعلة ، وسميت بذلك لان دماء النسائك كانت تمنى عندها أى تراق ، وقرأ ابن كثير على مافي البحر مناة بالمد والهمز كما في قوله :

ألا هل أتى تيم بن عبد (مناة) على النأى فيما بيننا ابن تميم

ووزنها مفعلة فالألف منقلبة عن واو كما في مقالة ، والهمزة أصل وهي مشتقة من النوء كأنهم كانوا

يستمطرون عندها الأنواء تبركاً بها ، والظاهر أن (الثالثة الأخرى) صفتان لمناة وهما على ما قيل : للتأكيد فان كونها ثالثة وأخرى مغايرة لما تقدمها معلوم غير محتاج للبيان ، وقال بعض الأجلة : (الثالثة) للتأكيد ، و (الأخرى) للذم بأنها متأخرة في الرتبة وضيعة المقدار ، وتعقبه أبو حيان بأن آخر ومؤنثه أخرى لم يوضع الـ ذم ولا لمدح وإنما يدلان على معنى غير ، والحق أن ذلك باعتبار المفهوم الاصلى وهى تدل على ذم السابقتين أيضاً قال فى الكشف : هى اسم ذم يدل على وضاعة السابقتين بوجه أيضاً لان (أخرى) تأنيث آخر تستدعى المشاركة مع السابق فاذا أتى بها لقصد التأخر فى الرتبة عملاً بمفهومها الاصلى إذ لا يمكن العمل بالمفهوم العرفى لان السابقتين ليستا ثالثة أيضاً استدعت المشاركة قضاءً لحق التفضيل ، وكأنه قيل : (الأخرى) فى التأخر انتهى وهو حسن ، وذكر فى نكتة ذم مناة بهذا الذم أن الكفرة كانوا يزعمون أنها أعظم الثلاثة فأكذبهم الله تعالى بذلك * وقال الامام : (الأخرى) صفة ذم كأنه قال سبحانه : (ومناة الثالثة) الدليلة وذلك لأن اللات كان على صورة آدمى (والعزى) صورة نبات (ومناة) صورة صخرة ، فالآدمى أشرف من النبات ، والنبات أشرف من الجماد - فالجماد متأخر - ومناة جماد فهى فى أخريات المراتب ، وأنت تعلم أنه لا يتأتى على كل الاقوال ، وقيل : (الأخرى) صفة للعزى لأنها ثانية اللات ، والثانية يقال لها (الأخرى) وأخرت لموافقة رؤوس الآى ، وقال الحسن ابن الفضل : فى الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير والعزى الأخرى (ومناة الثالثة) ولعمري إنه ليس بشئ ، والكلام خطاب لعبدة هذه المذكورات وقد كانوا مع عبادتهم لها يقولون : إن الملائكة عليهم السلام وتلك المعبودات الباطلة بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فقل لهم توبيخاً وتبكيثاً (أفرايتم) الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شئون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهى عليه عند كثير ، ومفعولها الثانى على ما اختاره بعضهم محذوف لدلالة الحال عليه ، فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل فى ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وإحكام قدرته ونفاذ أمره رأيت هذه الاصنام مع غاية حقارتها بنات الله سبحانه وتعالى * وقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ لَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ٢١ ﴾ توبيخ مبنى على ذلك التوبيخ ومداره تفضيل جانب أنفسهم على جنابه عز وجل حيث جعلوا له تعالى الاناث واختاروا لأنفسهم الذكور ، ومناط الاول نفس تلك النسبة ، وقيل : المعنى (أفرايتم) هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله سبحانه مع ما تقدم من عظمتها ، وقيل : المعنى أخبروني عن آلهتكم هل لها شئ من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة فى الآى السابقة ، وقيل : المعنى أظننتم أن هذه الاصنام التى تعبدونها تنفعكم ، وقيل : المعنى (أفرايتم) هذه الاصنام إن عبدتموها لا تنفعكم وإن تركتموها لا تضركم ، ولا يخفى أن قوله تعالى : (ألكم) الخ لا يلتئم مع ما قبله على جميع هذه الاقوال التثامه على القول السابق ، وقيل : إن قوله سبحانه : (ألكم) الخ فى موضع المفعول الثانى للرؤية وخلوها عن العائد إلى المفعول الاول لما أن الاصل أخبرونى أن اللات والعزى ومناة ألكم الذكروله هن أى تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ وهو على تكلفه يقتضى اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير الدليل على جناب الله تعالى العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه ، وفى الكشف وجه النظم الجليل أنه بعد ما صور أمر الوحي تصويراً تاماً وحقيقه بأن ما يستمع به وحى لا شبهة فيه لانه رأى الآتى به وعرفه حق المعرفة قال سبحانه : (أفتمارونه على ما يرى) على معنى أتلاحونه بعد هذه البيانات على ما يرى من الآيات المحققة لانه على بينة من ربه سبحانه هادياً مهدياً ، وأنى يبقى للمراء مجال - وقد رآه نزلة أخرى - ١٩

وعرفه حق المعرفة، ثم قيل : (لقد رأى من آيات) الخ تنبيهها على أن ما عتد منها فهو أيضا نفي للضلالة والغواية وتحقيق للدراية والهداية *

وقوله تعالى : (أفرايتم) عطف على تمارونه وإدخال الهمزة لزيادة الانكار والفاء لأن القول بأمثاله مسبب عن الطبع والعناد وعدم الاصغاء لداعى الحق، والمعنى أبعد هذا البيان تستمرون على ما أنتم عليه من المراءفترون اللات والعزى ومناة أولاداً له تعالى ثم أحسها وسد مسد المفعول الثانى قوله تعالى : (ألكم) الخ زيادة للانكار فعلى هذا ليس (أفرايتم) فى معنى الاستخبار وراز أن يكون فى معناه على معنى (أفتمارونه) فأخبرونى هل لكم الذكر وله الأثنى ، والقول مقدر أى فقل لهم أخبرونى والمعنى هو كذا تهكما وتنبيهها على أنه نتيجة مرآتهم وأن من كان هذا معتقده فهو على الضلال الذى لا ضلال بعده ولا يبعد عن أمثاله نسبة الهادين المهديين إلى ما هو فيه من النقص انتهى، وما ذكره أولاً وأولى وهو ليس بالبعيد عما ذكرنا (تلك) إشارة إلى القسمة المفهومة من الجملة الاستفهامية (إذا قسمة ضيزى ٢٢) أى جائزة حيث جعلتم له سبحانه ما تستنكفون منه وبذلك فسر ضيزى ابن عباس . وقتادة ، وفى معناه قول سفيان منقوصة، وابن زيد مخالفة، ومجاهد ومقاتل عوجاء، والحسن غير معتدلة، والظاهر أنه صفة، واختلاف فى يائه فقليل : منقلبة عن واو، وقيل : أصلية، ووزنه فعلى بضم الفاء كجلى وأثنى، ثم كسرت لتسلم الياء كما فعل ذلك فى ييض جمع أبيض فان وزنه فعل بضم الفاء كحمر ثم كسرت الفاء لما ذكر ومثله شائع، ولم يجعل وزنه فعلى بالكسر ابتداءً لما ذهب إليه سيديويه من أن فعلى بالكسر لم يجئ عن العرب فى الصفات وجعله بعضهم كذلك متمسكا بورود ذلك . فقد حكى ثعلب مشية حيكى، ورجل كيصى، وغيره امرأة عزهى وامرأة سعلى، ورد بأنه من النوادر والحمل على الكثير المطرد فى بابيه أولى، وأيضاً يمكن أن يقال فى حيكى و كيصى ما قيل فى ضيزى، ويمنع ورود عزهى وسعلى فان المعروف عزهاة وسعلاة، وجوز أن يكون ضيزى فعلى بالكسر ابتداءً على أنه مصدر كذكرى ووصف به مبالغة، ومجئ هذا الوصف فى المصادر كما ذكر، والاسماء الجامدة كدفلى وشعرى، والجمع كجلى كثير، وقرأ ابن كثير ضئزى بالهمز على أنه مصدر وصف به، وجوز أن يكون وصفاً وهو مضموم عومل معاملة المعتل لانه يؤول إليه . وقرأ ابن زيد ضيزى بفتح الضاد وبالياء على أنه كدعوى أو كسكرى، ويقال ضئوزى بالواو والهمز وضم الفاء؛ وقد حكى الكسائى ضاز يضاز ضازاً بالهمز وأنشد الاخفش :

فان تنأ عنها تقتنصك وإن تغب فسهمك (مضئوز) وأنفك راغم

والاكثر ضاز بلا همز كما فى قول امرئ القيس :

(ضازت) بنو أسد بحكمهم إذ يجعلون الرأس كالذنب

وأنشده ابن عباس على تفسيره السابق (إن هى) الضمير للاصنام أى ما الاصنام باعتبار الألوهية التى تدعوها (إلا أسماء) محضة ليس فيها شىء مما أصلا من معنى الألوهية، وقوله تعالى : (سميتوهآ) صفة للاسماء وضميرها لها لا للاصنام، والمعنى جعلتموها أسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست إلى الاسم فجعلناها جعله اسماً للمسمى وإن قيست إلى المسمى فجعلناها جعله مسمى للاسم وإنما اختير ههنا

المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الاصنام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله سبحانه : (ما تعبدون من دونه إلا أسماء) الآية لأن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية ، وقيل : هي للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم أنها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقرابين ، وتعقب بأنه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل إنما هي في سلب الالهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء الوصف بطريق الاولوية أى ماهى شئ من الاشياء إلا أسماء خالية عن المسميات رضعتموها ﴿ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ ﴾ بمقتضى الاهواء الباطلة ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ برهان يتعلقون به ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ ﴾ أى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بها ﴿ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ إلا توهم أن ماهم عليه حق توهم باطلا ، فالظن هنا مراد به التوهم وشاع استعماله فيه ، ويفهم من كلام الراغب أن التوهم من أفراد الظن ﴿ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ أى والذي تشتهيه أنفسهم الامارة بالسوء على أن (ما) موصولة وعائدها مقدر - وأل - فى النفس للعهد ، أو عوض عن المضاف اليه ، وجوز كون (ما) مصدرية وكذا جوز كون - أل - للجنس والنفس من حيث هي إنما تهوى غير الأفضل لأنها مجبولة على حب الملاذ وإنما يسوقها إلى حسن العاقبة العقل ، والالتفات فى (يتبعون) إلى الغيبة للايدان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم ، وحكاية جناياتهم لغيرهم ، وقرأ ابن عباس . وابن مسعود . وابن وثاب . وطلحة . والاعمش وعيسى بن عمر - يتبعون - بتاء الخطاب ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾ حال من ضمير ﴿ يَتَّبِعُونَ ﴾ مقرر لبطلان ماهم عليه من اتباع الظن والهوى ، والمراد بالهدى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو القرآن العظيم على أنه بمعنى الهادى أو جعله هدى مبالغة أى ما يتبعون إلا ذلك ، والحال لقد جاءهم من ربهم جل شأنه ما ينبغى لهم معه تركه واتباع سبيل الحق *

وحاصله (يتبعون) ذلك فى حال ينافيه ، وجوز أن تكون الجملة معترضة وهى أيضا مؤكدة لبطلان ذلك ﴿ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ۚ ﴾ (أم) منقطعة مقدرة - بيل - وهى للانتقال من بيان أن ماهم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهوى أنفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يجدى نفعا أصلا ؛ والهمزة وهى للانكار والنفي أى بل ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه ، ومفاده قيل : رفع الإيجاب الكلى ومرجعه إلى سالبة جزئية ، واليه يشير قول بعضهم : المراد نفي أن يكون للكفرة ما كانوا يطمعون فيه من شفاعة الآلهة والظفر بالحسنى عند الله تعالى يوم القيامة وما كانوا يشتهونه من نزول القرآن على رجل من إحدى القريتين عظيم ونحو ذلك ، ويفهم من كلام بعض المحققين أن المراد السلب الكلى ، والمعنى لاشئ مما يتمناه الانسان مملوكا له مختصا به يتصرف فيه حسب إرادته ويتضمن ذلك نفي أن يكون للكفرة ما ذكر وليس الانسان خاصا بهم كما قيل ، وقوله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ۚ ﴾ ٢٥ تعليلا لانتفاء ذلك فان اختصاص ملك أمور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتضى لانتفاء أن يكون للانسان أمر من الامور بل ماشاء الله تعالى له كان وما لم يشأ لم يكن ، وقدست الآخرة اهتماما برد ما هو أهم أطماعهم عندهم من الفوز فيها ، ولذا أرف ذلك بقوله تعالى :

﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً ﴾ وإقناطهم عما طمعوا به من شفاعاة الملائكة عليهم السلام موجب لإقناطهم عن شفاعاة الاصنام بطريق الاولوية (وكم) خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء، والخبر الجملة المنفية، وجمع الضمير في شفاعتهم مع أفراد الملك باعتبار المعنى أى وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئاً من الإغناء في وقت من الاوقات ﴿ إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ ﴾ لهم في الشفاعاة *

﴿ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ أن يشفعوا له ﴿ وَيَرْضَى ٢٦ ﴾ ويراه سبحانه أهلاً للشفاعة من أهل التوحيد والايان، وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله تعالى بمعزل . وعنه بألف ألف منزل ، وجوز أن يكون المراد إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة بالشفاعة ويراه عز وجل أهلاً لها ، وأياً ما كان فالمعنى على أنه إذا كان حال الملائكة في باب الشفاعاة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ، والكلام قيل من باب :

* على لاجب لا يهتدى بمناره * فاصله لاشفاعاة لهم ولا غناء بدون أن يأذن الله سبحانه الخ ، وقيل : هو وارد على سبيل الفرض فلا يخالف قوله تعالى : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) ، وقرأ زيد بن علي شفاعته بإفراد الشفاعاة والضمير ، وابن مقسم شفاعاتهم بجمعهما وهو اختيار صاحب الكمال أبي القاسم الهذلي ، وأفردت الشفاعاة في قراءة الجمهور قال أبو حيان : لأنها مصدر ولأنهم لو شفع جميعهم لواحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئاً ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ﴿ لَيَسْمُونَهُنَّ الْمَلَائِكَةَ ﴾

المنزهين عن سمات النقصان على الإطلاق ﴿ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ٢٧ ﴾ فانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عما يقولون ، (والملائكة) في معنى استغراق المفرد فيكون التقدير ليسمون كل واحد من (الملائكة تسمية الانثى) أى يسمونه بنتاً لأنهم إذا قالوا ذلك فقد جعلوا كل واحد منهم بنتاً ، فالكلام على وزان كسانا الامير حلة أى كسا كل واحد منا حلة ، والإفراد لعدم اللبس ، ولذا لم يقل تسمية الإناث فلا حاجة إلى تأويل الانثى بالإناث ولا إلى كون المراد الطائفة الانثى ، وما ذكر أولاً قيل : مبنى على أن تسمية الانثى في النظم الجليل ليس نصباً على التشبيه وإلا فلا حاجة اليه أيضاً ، وفي تعليق التسمية بعدم الايمان بالآخرة إشعار بأنها في الشناعة والفضاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترأ عليها إلا من لا يؤمن بها رأساً ، وقوله تعالى :

﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ حال من فاعل (يسمون) وضمير به للمذكور من التسمية وبهذا الاعتبار ذكر ، أو باعتبار القول أى يسمونهم إناثاً ، والحال أنهم لا علم لهم بما يقولون أصلاً ، وقرأ أبى بها أى بالتسمية ، أو بالملائكة ﴿ إِنَّ يَتَّبِعُونَ ﴾ أى ما يتبعون في ذلك ﴿ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ أى التوهم الباطل ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ ﴾ أى جنس الظن كما يلوح به الإظهار في موقع الاضمار ، وقيل : الإظهار ليستقل الكلام استقلال المثل *

﴿ لَا يُغْنِي مَنْ أُلْحِقَ شَيْئاً ﴾ من الإغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشئ وما هو عليه إنما يدرك إدراكاً معتداً به إذا كان عن يقين لا عن ظن وتوهم فلا يعتد بالظن في شأن المعارف الحقيقية أعنى المطالب الاعتقادية التى يلزم فيها الجزم ولولم يكن عن دليل ، وإنما يعتد به في العمليات وما يؤدي إليها *

وفسر بعضهم الحق بالله عز وجل لقوله سبحانه : (ذلك بأن الله هو الحق) ، واستدل بالآية من لم يعتبر

التقليد في الاعتقادات - وفيه بحث - والظاهرية على إبطاله مطلقاً ، وإبطال القياس ورده على أتم وجه في الأصول ، وما أخرج ابن أبي حاتم عن أيوب قال : قال عمر بن الخطاب : احذروا هذا الرأي على الدين فأنما كان الرأي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مصيباً لأن الله تعالى كان يريه وإنما هو منا تكلف وظن (وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) هو أحد أدلتهم على إبطال القياس أيضاً ، وقد حكى الآمدي في الاحكام نحوه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فقال : قال ابن عمر : اتهموا الرأي عن الدين فإن الرأي منا تكلف وظن (وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) وأجاب عنه بأن غايته الدلالة على احتمال الخطأ فيه وليس فيه ما يدل على إبطاله ، وأن المراد بقوله : (إن الظن) الخ استعمال الظن في مواضع اليقين وليس المراد به إبطال الظن بدليل صحة العمل بظواهر الكتاب والسنة ، ويقال نحوه هذا في كلام عمر رضي الله تعالى عنه ، وقد ذكر جملة من الآثار استدلل بها المبطل على ما زعمه وردّها كلها فمن أراد ذلك فليراجعه ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا ﴾ أي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به إلى وصفهم بما في حيز صلته من الأوصاف القبيحة ، وتعليل الحكم بها أي فأعرض عمن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم الحق وهو القرآن العظيم . المنطوي على بيان الاعتقادات الحقة . المشتمل على علوم الأولين والآخرين . المذكور للآخرة وما فيها من الأمور المرغوب فيها والمرهوب عنها ، والمراد بالاعراض عنه ترك الأخذ بما فيه وعدم الاعتناء به ، وقيل : المراد بالذكر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وبالأعراض عنه ترك الأخذ بما جاء به ، وقيل : المراد به الإيمان ، وقيل : هو على ظاهره والاعراض عنه كناية عن الغفلة عنه عز وجل ﴿ وَلَمْ يَرْدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٢٩ ﴾ راضياً بها قاصراً نظره عليها جاهداً فيما يصلحها كالنضر بن الحرث . والوليد بن المغيرة ، والمراد من الأمر المذكور النهي عن المبالغة في الحرص على هداهم كأنه قيل . لا تبالغ في الحرص على هدى من تولى عن ذكرنا وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته وقصارى سعيه ، وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي أمر الحياة الدنيا المفهوم من الكلام ولذا ذكر اسم الإشارة ، وقيل : أي مأداهم إلى ما هم فيه من التولى وقصر الإرادة على الحياة الدنيا ، وقيل : ذلك إشارة إلى الظن الذي يتبعونه ، وقيل : إلى جعلهم الملائكة بنات الله سبحانه وكلا القولين كما ترى ﴿ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ أي منتهى علمهم لا علم لهم فوجه اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الإرادة على الحياة الدنيا . والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد ، وضمير (مبلغهم) - لمن - وجمع باعتبار معناه كما أن إفراده قبل باعتبار لفظه ، وقوله سبحانه :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ٣٠ ﴾ تعليل للأمر بالاعراض ، وتكرير قوله تعالى : (هو أعلم) لزيادة التقرير والایذان بكمال تباين المعلومين ، والمراد (بمن ضل) من أصر على الضلال ولم يرجع إلى الهدى أصلاً ، و (بمن اهتدى) من شأنه الاهتداء في الجملة ، أي هو جل شأنه المبالغ في العلم بمن لا يرعوى عن الضلال أبداً ، وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره سبحانه فلا تتعب نفسك في دعوتهم ولا تبالغ في الحرص عليها فانهم من القبيل الأول ، وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي له ذلك على الوجه الآتم أي خلقاً ومملكاً لا غيره عز وجل أصلاً لا استقلالاً ولا اشتراكاً ، ويشعر بفعل يتعلق به

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أى خلق ما فيهما ليجزى الضالين بعقاب ما عملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة بياناً لحاله؛ أو بمثل ما عملوا، أو بسبب ما عملوا على أن الباء صلة الجزاء بتقدير مضاف أولسببية بلا تقدير ﴿وَيَجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ أى اهتدوا ﴿بِالْحُسْنَى﴾ أى بالمشوبة الحسنى التى هى الجنة، أو بأحسن من أعمالهم أو بسبب الأعمال الحسنى تكميل لما قبل لأنه سبحانه لما أمره عليه الصلاة والسلام بالاعراض نفى توهم أن ذلك لأنهم يتركون سدى، وفى العدول عن ضمير ربك إلى الاسم الجامع ما ينبئ عن زيادة القدرة وأن الكلام مسوق لو عيد المعرضين وأن تسوية هذا الملك العظيم لهذه الحكمة فلا بد من ضال ومهتد، ومن أن يلحق كل ما يستحقه، وفيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يلحق الحسنى جزاءً لتبليغه وهم يلحقون السوئى جزاءً لتكذيبهم، وكرر فعل الجزاء لابرار كالاعتناء به والتنبية على تباين الجزاءين *

وجوز أن يكون معنى (فأعرض) الخ لا تقابلهم بصنيعهم وكلهم إلى ربك أنه أعلم بك وبهم فيجزى كلا ما يستحقه، ولا يخفى ما فى العدول عن الضميرين فى (بمن ضل) (وبمن اهتدى) وجعل قوله تعالى: (ليجزى) على هذا متعلقاً بما يدل عليه قوله تعالى: (إن ربك هو أعلم) الخ أى ميز الضال عن المهتدى وحفظ أحوالهم (ليجزى) الخ، وقوله سبحانه: (ولله ملك السموات) جملة معترضة تؤكد حديث أنهم يحزون البتة ولا يهملون كأنه قيل: هو سبحانه أعلم بهم وهم تحت ملكه وقدرته، وجوز على ذلك المعنى أن يتعلق (ليجزى) بقوله تعالى: (ولله ما فى السموات) كما تقدم على تأكيد أمر الوعيد، أى - هو أعلم بهم - وإنما سوى هذا الملك للجزاء، ورجح بعضهم ذلك المعنى بالوجهين المذكورين على ما مر، وجوز فى جملة (لله ما فى السموات) كونها حالا من فاعل أعلم سواء كان بمعنى عالم أولاً، وفى (ليجزى) تعلقه - بضل - واهتدى - على أن اللام للعاقبة أى هو تعالى (أعلم بمن ضل) ليؤول أمره إلى أن يحزبه الله تعالى بعمله، (وبمن اهتدى) ليؤول أمره إلى أن يحزبه بالحسنى، ولا يخفى بعده، وأبعد منه بمراحل تعلقه بقوله سبحانه: (لا تغنى شفاعتهم) كما ذكره مكى، وقرأ زيد بن على - لنجزى - ونجزى بالنون فيهما ﴿الَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْأَثَمِ﴾ بدل من الموصول الثانى وصيغة الاستقبال فى صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره. أو يان. أو نعت. أو منصوب على المدح. أو مرفوع على أنه خبر محذوف؛ و(الاثم) الفعل المبطىء عن الثواب وهو الذنب. وكبائر ما يكبر عقابه، وقرأ حمزة. والكسائى. وخلف - كبير الاثم - على إرادة الجنس، أو الشرك ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ ما عظم قبحه من الكبائر فعطفه على ما تقدم من عطف الخاص على العام، وقيل: الفواحش والكبائر مترادفان ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ ما صغر من الذنوب وأصله ما قل قدره، ومنه لَمَّةُ الشعر لأنها دون الوفرة، وفسره أبو سعيد الخدرى بالنظرة. والغمزة. والقبلة وهو من باب التمثيل، وقيل: معناه الدنو من الشئ دون ارتكاب له من الممت بكذا أى نزلت به وقاربته من غير موافقة - وعليه قول الرماني - هو الهمم بالذنب وحديث النفس دون أن يواقع، وقول ابن المسيب: ما خطر على القلب، وعن ابن عباس. وابن زيد هو ما ألموا به من الشرك والمعاصى فى الجاهلية قبل الاسلام، والآية نزلت لقول الكفار للمسلمين قد كنتم بالأمس تعملون أعمالنا فهى مثل قوله تعالى: (وأن تجمعوا بين الاختين إلا ما قد سلف) على ما فى البحر، وقيل: هو مطلق الذنب *

وفي رواية عن ابن عباس أنه ما يلم به المرء في الحين من الذنوب ثم يتوب، والمعظم على تفسيره بالصغائر والاستثناء منقطع، وقيل: إنه لاستثناء فيه أصلاً، و(إلا) صفة بمعنى غير إما لجعل المضاف إلى المعرف باللام الجنسية أعنى كبائر الاثم في حكم النكرة، أو لأن غير و(إلا) التي بمعناها قد يتعرفان بالاضافة كما في (غير المغضوب) وتعقبه بعضهم بأن شرط جواز وقوع (إلا) صفة كونها تابعة لجمع منبكر غير محصور ولم يوجد هنا، ورد بأن هذا مذهب إليه ابن الحاجب، وسيبويه يرى جواز وقوعها صفة مع جواز الاستثناء فهو لا يشترط ذلك، وتبعه أكثر المتأخرين، نعم كونها هنا صفة خلاف الظاهر ولا داعي إلى ارتكابها، والآية عند أكثرين دليل على أن المعاصي منها كبائر ومنها صغائر وأنكر جماعة من الأئمة هذا الانقسام وقالوا: سائر المعاصي كبائر، منهم الاستاذ أبو إسحق الأسفرائيني، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمين في الارشاد، وتقى الدين السبكي. وابن القشيري في المرشد بل حكاه ابن فورك عن الأشاعرة. واختاره في تفسيره فقال: معاصي الله تعالى كلها عندنا كبائر وإنما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالاضافة، وحكى الانقسام عند المعتزلة، وقال: إنه ليس بصحيح، وقال القاضي عبد الوهاب: لا يمكن أن يقال في معصية إنها صغيرة إلا على معنى أنها تصغر باجتناّب الكبائر ويوافق ذلك ما رواه الطبراني عن ابن عباس لكنه منقطع أنه ذكر عنده الكبائر فقال: كل ما نهى الله تعالى عنه فهو كبيرة، وفي رواية كل شيء عصي الله تعالى فيه فهو كبيرة، والجمهور على الانقسام قيل: ولا خلاف في المعنى، وإنما الخلاف في التسمية، والاطلاق لاجماع الكل على أن من المعاصي ما يقدر في العدالة ومنها ما لا يقدر فيها وإنما الأولون فروا من التسمية فكريها تسمية معصية الله تعالى صغيرة نظراً إلى عظمة الله عز وجل وشدة عقابه سبحانه وإجلاله جل شأنه عن تسمية معصيته صغيرة لأنها بالنظر إلى باهر عظمته كبيرة أي كبيرة، ولم ينظر الجمهور إلى ذلك لأنه معلوم؛ وقسموها إلى ما ذكر لظواهر الآيات والاحاديث ولذلك قال الغزالي: لا يليق إنكار الفرق بين الكبائر والصغائر وقد عرفنا من مدارك الشرع، ثم القائلون بالفرق اختلفوا في حد الكبيرة فقيل: هي ما لحق صاحبها عليها بخصوصها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة وهي عبارة كثير من الفقهاء، وقيل: كل معصية أوجبت الحد - وبه قال البغوي. وغيره - والأول أوفق لما ذكره في تفصيل الكبائر إذ عدوا الغيبة والنميمة والعقوق وغير ذلك منها ولا حد فيه فهو أصح من الثاني وإن قال الرافعي: إنهم إلى ترجيحه أميل، وقد يقال: يرد على الأول أيضاً أنهم عدوا من الكبائر ما لم يرد فيه بخصوصه وعيد شديد *

وقيل: هي كل مانص الكتاب على تحريمه أو وجب في جنسه حد وترك فريضة تجب فوراً والكذب في الشهادة والرواية واليمين، زاد الهروي. وشريح وكل قول خالف الاجماع العام، وقيل: كل جريمة تؤخذ بقلة اكرثا مرتكبها بالدين ورقة الديانة وهو المحمكي عن إمام الحرمين، ورجحه جمع لما فيه من حسن الضبط، وتعقب بأنه بظاهره يتناول صغيرة الخسة، والامام - كما قال الأذرعى - إنما ضبط به ما يبطل العدالة من المعاصي الشاملة لذلك لا الكبيرة فقط، نعم هو أشمل من التعريفين الأولين، وقيل: هي ما أوجب الحد أو توجه إليه الوعيد ذكره الماوردي في فتاويه، وقيل: كل محرم لعينه منهي عنه لمعنى في نفسه فإن فعله على وجه يجمع وجهين أو جوهها من التحريم كان فاحشة، فالزنا كبيرة وبحليلة الجار فاحشة والصغيرة تعاطى ما تنقص رتبته عن رتبته المنصوص عليه. أو تعاطيه على وجه دون المنصوص عليه فإن تعاطاه على وجه يجمع وجهين أو أكثر من التحريم

كان كبيرة. فالقبلة . واللمس . والمفاخذة صغيرة ، ومع حليلة الجار كبيرة كذا نقله ابن الرفعة وغيره عن القاضي حسين عن الحليمي ، وقيل : هي كل فعل نص الكتاب على تحريمه أي بلفظ التحريم وهو أربعة أشياء ، أكل الميتة ، ولحم الخنزير ، ومال اليتيم ، والفرار من الزحف ورد بمنع الحصر ، وقيل : إنها كل ذنب قرن به حد ، أو وعيد . أو لعن بنص كتاب . أو سنة . أو علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به ذلك . أو أكثر . أو أشعر بتهاون مرتكبه في دينه إشعاراً صغر الكبائر المنصوص عليها بذلك كما لو قتل من يعتقد معصوما فظهر أنه مستحق لدمه أو وطئ امرأة ظاناً أنه زان بها فاذا هي زوجته أو أمته ، واليه ذهب شيخ الاسلام البارزي وقال : هو التحقيق ، وقيل : غير ذلك ، واعتمد الواحد أنها لا حد لها يحصرها فقال : الصحيح أن الكبيرة ليس لها حد يعرفها العباد به وإلا لا تقتحم الناس الصغائر واستباحوها ولكن الله تعالى أخفى ذلك عنهم ليجتهدوا في اجتناب المنهي عنه رجاء أن تجتنب الكبائر ، ونظير ذلك إخفاء الاسم الأعظم . والصلاة الوسطى . وليلة القدر . وساعة الاجابة ، وقال العلامة ابن حجر الهيتمي : كل ما ذكر من الحدود إنما قصده التقريب فقط وإلا فهي ليست بحدود جامعة ، وكيف يمكن ضبط ما لا مطعم في ضبطه ؟ وذهب جمع إلى تعريفها بالعد ، فعن ابن عباس أنها ما ذكره الله تعالى في أول سورة النساء إلى قوله سبحانه : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) *

وقيل : هي سبع وروى ذلك عن علي كرم الله تعالى وجهه . وعطاء . وعبيد بن عمير ، واستدل له بما في الصحيحين «اجتنبوا السبع الموبقات . الاشرار بالله تعالى . والسحر . وقتل النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق . وأكل مال اليتيم . وأكل الربا . والتولي يوم الزحف . وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» وقيل : خمس عشرة ، وقيل : أربع عشرة ، وقيل : أربع ، وعن ابن مسعود ثلاث ، وفي رواية أخرى عشرة ، وقال شيخ الاسلام العلاني : المنصوص عليه في الاحاديث أنه كبيرة خمس وعشرون ، وتعقبه ابن حجر بزيادة على ذلك ، وقال أبو طالب المكي : هي سبع عشرة أربع في القلب . الشرك . والاصرار على المعصية . والقنوط . والامن من المسكر ، وأربع في اللسان . القذف . وشهادة الزور . والسحر ، وهو كل كلام يغير الانسان أو شيئاً من أعضائه . واليمين الغموس وهي التي تبطل بها حقاً أو تثبت بها باطلاً ، وثلاث في البطن . أكل مال اليتيم ظلماً . وأكل الربا . وشرب كل مسكر ، واثنان في الفرج . الزنا . واللواط : واثنان في اليد القتلة . والسرقه ، وواحدة في الرجل . الفرار من الزحف ، وواحدة في جميع الجسد عقوق الوالدين ، وفيه مافيه ، وروى الطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رجلاً قال له : كم الكبائر سبع هي ؟ فقال هي إلى سبع مائة أقرب منها إلى سبع غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار ، وقد ألف فيها غير واحد من العلماء ، وفي كتاب الزواجر تأليف العلامة ابن حجر مافيه كفاية فإيراجع ، والله تعالى الموفق وإنا لنستغفره وتوب اليه ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر ، فالجملة تعليل لاستثناء اللطم ، وتنبيه على أن إخراجها عن حكم المؤاخذه ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية ، وجوز أن يكون المعنى له سبحانه أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ، ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمة تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه عز وجل ، وزعم بعض جواز كون الموصول مبتدأ وهذه الجملة خبره والرابط محذوف أي (واسع المغفرة) لهم ليس بشئ كما لا يخفى .

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ أي بأحوالكم من كل أحد ﴿ إِذْ أَنْشَأَكُمْ ﴾ في ضمن إنشاء أيكم آدم عليه السلام *

﴿ مَنْ الْأَرْض ﴾ إنشاءً إجمالاً حسبها مر تحقيقه ، وقيل : إنشاؤهم من الارض باعتبار أن المني الذي يتكونون منه من الاغذية التي منشؤها من الارض ، وأياً ما كان - فاذا - ظرف - لأعلم - وهو على بابيه من التفضيل . وقال مكي : هو بمعنى عالم إذ تعلق علمه تعالى بأحوالهم في ذلك الوقت لا مشارك له تعالى فيه ، وتعقب بأنه قد يتعلق علم من أطلعه الله تعالى من الملائكة عليه ، وقيل : (إذ) منصوب بمحذوف ، والتقدير اذكروا (إذ أنشأكم) وهو كما ترى ﴿ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ ﴾ ووقت كونكم أجنة ﴿ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه سبحانه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التي من جماتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لأصابكم وباله ، فالجملة استئناف مقرر لما قبلها وذكر (في بطون أمهاتكم) مع أن الجنين ما كان في البطن للإشارة إلى الاطوار كما أشرنا إليه ، وقيل : لتأكيد شأن العلم لما أن بطن الام في غاية الظلمة ، والفاء في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ لترتيب النهي عن تزكية النفس على ماسبق من أن عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه سبحانه بصدوره عنكم أي إذا كان الامر كذلك فلا تشنوا على أنفسكم بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو بركاء العمل وزيادة الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته جل شأنه ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ المعاصي جميعاً وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بأن فيهم من يتقيا بأسرها كذا في الارشاد ، وقيل : اتقى الشرك ، وقيل : اتقى شيئاً من المعاصي ، والآية نزلت على ما قيل : في قوم من المؤمنين كانوا يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وهذا مذموم منهى عنه إذا كان بطريق الاعجاب ، أو الرياء أما إذا لم يكن كذلك فلا بأس به ولا يعد فاعله من المزكين أنفسهم ، ولذا قيل : المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر ، ولا فرق في التزكية بين أن تكون عبارة وأن تكون إشارة وعد منها التسمية بنحو برة ، أخرج أحمد . ومسلم . وأبو داود . وابن مردويه . وابن سعد عن زينب بنت أبي سلمة أنها سميت برة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم سموها زينب » وكذا غير عليه الصلاة والسلام إلى ذلك اسم برة بنت جحش ، وتغيير مثل ذلك مستحب وكذا ما يوقع نفيه بعض الناس في شيء من الطيرة كبركة ويسار ، والنهي عن التسمية به للتنزيه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى جابر : « إن عشت إن شاء الله أنهى أمتي أن يسموا نافعاً وأفلح وبركة » محمول كما قال النووي على إرادة أنهى نهى تحريم ، والظاهر أن كراهة ما يشعر بالتزكية مخصوصة بما إذا كان الاشعار قويا كما إذا كان الاسم قبل النقل ظاهر الدلالة على التزكية مستعملاً فيها فلا كراهة في التسمية بما يشعر بالمدح إذا لم يكن كذلك كسعيد وحسن ، وقد كان لعمر رضي الله تعالى عنه ابنة يقال لها : عاصية فسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جميلة كذا قيل ، والمقام بعد لا يخلو عن بحث فليراجع ، وقيل : معنى - لا تزكوا أنفسكم - لا يزي بعضكم بعضاً ، والمراد النهي عن تزكية السمعة أو المدح للدنيا ، أو تزكية على سبيل القطع ، وأما التزكية لاثبات الحقوق ونحوه فهي جائزة ، وذهب بعضهم إلى أن الآية نزلت في اليهود .

أخرج الواحدى . وابن المنذر . وغيرهما عن ثابت بن الحرث الانصارى قال : « كانت اليهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا : هو صديق فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله تعالى في بطن أمها إلا يعلم سعادتها أو شقاوتها » فأنزل الله سبحانه عند ذلك (هو أعلم بكم) الآية .

(أَفْرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ٣٣) أى عن اتباع الحق والثبات عليه (وَأَعْطَى قَلِيلًا) أى شيئاً قليلاً ، أو إعطاءً قليلاً (وَأَكْدَى ٣٤) أى قطع العطاء من قولهم حفر فأكدى إذا باغ إلى كديه أى صلابه فى الارض فلم يمكنه الحفر ، قال مجاهد. وابن زيد: نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد سمع قراءة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجلس اليه ووعظه فقرب من الاسلام وطمع فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم إنه عاتبه رجل من المشركين ، وقال له : أترك ملة آبائك ؟ ارجع إلى دينك واثبت عليه وأنا أحمّل عنك كل شئ. تخافه فى الآخرة لكن على أن تعطينى كذا وكذا من المال فوافقوه الوليد على ذلك ورجع عما هم به من الاسلام وصل ضللاً بعيداً ، وأعطى بعض المال لذلك الرجل ثم أمسك عنه وشح ، وقال الضحاك : هو النضر بن الحرث أعطى خمس قلائص لفقيه من المهاجرين حتى ارتد عن دينه وضمن له أن يحمل عنه ما أثم رجوعه ، وقال السدى : نزلت فى العاص بن وائل السهمى كان يوافق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض الأمور ، وقال محمد بن كعب : فى أبي جهل قال : والله ما يأمر محمد إلا بمكارم الاخلاق ، والاول هو الأشهر الأنسب لما بعده من قوله سبحانه : (أَعْنَدُهُ عِلْمُ الْغَيْبِ) إلى آخره ، وأما ما فى الكشف من أنها نزلت فى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان يعطى ماله فى الخير فقال له عبد الله بن سعيد بن أبي سرح : يوشك أن لا يبقى لك شئ. فقال عثمان : إن لى ذنوباً وخطايا وإنى أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه فقال عبد الله : أعطنى ناقتك برحلتها وأنا أحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاها وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فباطل - كما قال ابن عطية - ولا أصل له ، وعثمان رضى الله تعالى عنه منزه عن مثل ذلك ، و(أفرايت) هنا على ما فى البحر بمعنى أخبرنى ومفعولها الاول الموصول ، والثانى الجملة الاستفهامية ، والفاء فى قوله تعالى : (فَهُوَ يَرَى) للتسبب عما قبله أى أعنده علم بالأمور الغيبية فهو بسبب ذلك يعلم أن صاحبه يتحمل عنه يوم القيامة ما يخافه ، وقيل : يرى أن ماسمعه من القرآن باطل ، وقال الكلبي : المعنى أنزل عليه قرآن فرأى أن ماصنعه حق ، وأياً ما كان - فيرى - من الرؤية القلبية ، وجوز أن تكون من الرؤية البصرية أى فهو يبصر ما خفى عن غيره بما هو غيب (أَمْ لَمْ يَنْبَأْ) أى بل ألم يخبر •

(بِمَا فى صُحُفِ مُوسَى) وهى التوراة (وَأَبْرَاهِيمَ) وبما فى صحف إبراهيم التى نزلت عليه (الَّذى وفى) أى وفروا أتم ما أمر به ، أو بالغ فى الوفاء بما عاهد عليه الله تعالى ، وقال ابن عباس : وفى بسهام الاسلام كلها ولم يوفها أحد غيره وهى ثلاثون سهماً منها عشرة فى براءة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآيات ، وعشرة فى الأحزاب (إن المسلمين والمسلمات) الآيات ، وست فى - قد أفاح المؤمنون - الآيات التى فى أولها ، وأربع فى سأل سائل (والذين يصدقون بيوم الدين) الآيات ، وفى حديث ضعيف عن أبي أمامة يرفعه ، وفى بأربع ركعات كان يصلين فى كل يوم ، وفى رواية يصلين أول النهار •

وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس مرفوعاً أيضاً «ألا أخبركم لمسمى الله تعالى إبراهيم خليله الذى وفى أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية» وقال عكرمة : (وفى) بتبليغ هذه العشرة أن لا تترك إلى آخره (وقيل ، وقيل :) والاولى العموم وهو مروي عن الحسن قال : ما أمره الله تعالى بشئ إلا وفى به وتخصيصه عليه السلام بهذا الوصف لاحتماله ما لا يحتمله غيره ، وفى قصة الذبح ما فيه كفاية

(٩٢ - ج ٢٧ - تفسير روح المعاني)

وخص هذان النبيان عليهما السلام بالذكر قيل: لأنه فيما بين نوح . وإبراهيم كانوا يأخذون الرجل بابنه وبأبيه وعمه وخاله ، والزوج بامرأته ، والعبد بسيده فأول من خالفهم إبراهيم وقرر ذلك موسى ولم يأت قبله مقرر مثله عليه السلام ، وتقديمه لما أن صحفه أشهر عندهم وأكثر ، وقرأ أبو أمانة الباهلي . وسعيد بن جبير . وأبو مالك الغفاري . وابن السميع . وزيد بن علي (وفي) بتخفيف الفاء ﴿الَّا تَزُرُّ وَازَرَّةً وَزُرَّ أُخْرَى﴾ أي أنه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن (أن) هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف ، والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل مما في صحف موسى ، أو الرفع على أنه خبر مبتدا محذوف والاستئناف بياني كأنه قيل: ما في صحفهما؟ فقليل: هو (أن لا تزور) الخ ، والمعنى أنه لا يؤخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ، ولا يقدح في ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره لا وزر غيره ، وقوله تعالى:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ﴾ بيان لعدم إثابة الانسان بعمل غيره إثر بيان عدم مؤاخذته بذنب غيره (وأن) كاختها السابقة ، و(ما) مصدرية وجوز كونها موصولة أي ليس له إلا سعيه ، أو إلا الذي سعى به وفعله ، واستشكل بأنه وردت أخبار صحيحة بنفع الصدقة عن الميت ، منها ما أخرجه مسلم . والبخاري . وأبو داود . والنسائي عن عائشة «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن أمي افلست نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم» وكذا بنفع الحج .

أخرج البخاري . ومسلم . والنسائي عن ابن عباس قال: «أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: إن أختي نذرت لأن تحج وأنها ماتت فقال النبي عليه الصلاة والسلام: لو كان عليها دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم قال: فحق الله أحق بالقضاء» وأجيب بأن الغير لما نوى ذلك الفعل له صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فكأنه بسعيه ، وهذا لا يتأتى إلا بطريق عموم المجاز ، أو الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يجوز ، وأجيب أيضاً بأن سعى غيره لما لم ينفعه إلا مبنياً على سعى نفسه من الايمان فكأنه سعيه ، ودل على بناءه على ذلك ما أخرجه أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة وأن هشام ابنه نحر حصته خمسين وأن عمرأ سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقال: «أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك» وأجيب بهذا عما قيل: إن تضعيف الثواب الوارد في الآيات ينافي أيضاً القصر على سعيه وحده ، وأنت تعلم ما في الجواب من النظر ، وقال بعض أجلة المحققين إنه ورد في الكتاب والسنة ما هو قطعي في حصول الانتفاع بعمل الغير وهو ينافي ظاهر الآية فتقيد بما لا يهبه العامل ، وسأل إلى خراسان عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله تعالى: (والله يضاعف لمن يشاء) فقال: ليس له بالعدل إلا ما سعى وله بالفضل ما شاء الله تعالى فقبل عبد الله رأس الحسين ، وقال عكرمة: كان هذا الحكم في قوم إبراهيم . وموسى عليهما السلام ، وأما هذه الأمة فلانسان منها سعى غيره يدل عليه حديث سعد بن عباد «هل لأمي إذا تطوعت عنها؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم: نعم» وقال الربيع: الانسان هنا الكافر ، وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره ، وعن ابن عباس أن الآية منسوخة بقوله تعالى: (والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم) وقد أخرج عنه ما يشعر به أبو داود

والنحاس كلاهما في النسخ ، وابن جرير . وابن المنذر . وابن مردويه ، وتعقب أبو حيان رواية النسخ بأنها لا تصح لأن الآية خبر لم تتضمن تسكيناً ولا نسخ في الاخبار . وما يتوهم جواباً من أنه تعالى أخبر في شريعة موسى . وإبراهيم عليهما السلام أن لا يجعل الثواب لغير العامل ثم جعله لمن بعدهم من أهل شريعتنا مرجعه إلى تقييد الاخبار لا إلى النسخ إذ حقيقة أن يراد المعنى ، ثم من بعد ذلك ترتفع إرادته ، وهذا تخصيص الارادة بالنسبة إلى أهل الشرائع فافهمه ، وقيل : اللام بمعنى على أى ليس على الانسان غير سعيه ، وهو بعيد من ظاهرها ومن سياق الآية أيضاً فانها وعظ للذي تولى وأعطى قليلاً وكفى ، والذي أميل إليه كلام الحسين ، ونحوه كلام ابن عطية قال : والتحرير عندي في هذه الآية أن ملاك المعنى هو اللام من قوله سبحانه : (لأنسان) فإذا حققت الشئ الذي حق الانسان أن يقول فيه لى كذا لم تجده إلا سعيه وما يكون من رحمة بشفاعة ، أو رعاية أب صالح ، أو ابن صالح ، أو تضعيف حسنات ، أو نحو ذلك فليس هو للانسان ولا يسعه أن يقول لى كذا وكذا إلا على تجوز ، وإلحاق بما هو حقيقة انتهى .

ويعلم من مجموع ما تقدم أن استدلال المعتزلة بالآية على أن العبد إذا جعل ثواب عمله أى عمل كان لغيره لا ينجعل ويلغو جعله غير تام ؛ وكذا استدلال الامام الشافعى بها على أن ثواب القراءة لا تلحق الأموات . وهو مذهب الامام مالك . بل قال الامام ابن الهمام : إن مالكا . والشافعى لا يقولان بوصول العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة بل غيرها كالصدقة والحج ، وفي الاذكار للنووى عليه الرحمة المشهور من مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وجماعة أنها لا تصل ، وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء ومن أصحاب الشافعى إلى أنها تصل ، فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان ، والظاهر أنه إذا قال ذلك ونحوه كوهبت ثواب ما قرأته لفلان بقلبه كفى ، وعن بعضهم اشتراط نية النيابة أول القراءة وفي القلب منه شئ ، ثم الظاهر أن ذلك إذا لم تكن القراءة بأجرة أما إذا كانت بها كما يفعله أكثر الناس اليوم فانهم يعطون حفظة القرآن أجرة ليقرؤا لموتاهم فيقرؤون لتلك الأجرة فلا يصل ثوابها إذ لا ثواب لها ليصل لحرمة أخذ الأجرة على قراءة القرآن وإن لم يحرم على تعليمه كما حققه خاتمة الفقهاء المحققين الشيخ محمد الأمين بن عابدين الدهشقى رحمه الله تعالى ، وفي الهداية من كتاب الحج عن الغير إطلاق صحة جعل الانسان عمله لغيره ولو صلاة وصوماً عند أهل السنة والجماعة ، وفيه ما علبت مامر آتفا .

وقال الخفاجى : هو محتاج إلى التحرير وتحريه أن محل الخلاف العبادة البدنية هل تقبل النيابة فتسقط عن لزمته بفعل غيره سواء كان باذنه أم لا بعد حياته أم لا فهذا وقع في الحج كما ورد في الاحاديث الصحيحة ، أما الصوم فلا ، وما ورد في حديث « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » وكذا غيره من العبادات فقال الطحاوى : إنه كان في صدر الاسلام ثم نسخ وليس الكلام في الفدية وإطعام الطعام فانه بدل وكذا إهداء الثواب سواء كان بعينه أو مثله فانه دعاء وقبوله بفضله عز وجل كالصدقة عن الغير فاعرفه انتهى فلا تغفل .

(وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى . ع) أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه من أريته الشئ ، وفي البحريره حاضر و القيامة ويطالعون عليه تشریفاً للمحسن وتوبيخاً للمسيئ (ثُمَّ يُجْزَاهُ) أى يجزى الانسان سعيه ، يقال : جزاه الله عز وجل بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ، وقوله تعالى :

﴿الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى﴾ ٤١ مصدر مبين للنوع وإذا جاز وصف المجزى به بالأوفى جاز وصف الحدث عن الجزاء للابسته له ، وجوز كونه مفعولا به بمعنى المجزى به وحيث يكون الفعل في حكم المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل . ولا بأس لأن الثاني بالحذف والايصال لا التوسع فيجئ فيه الخلاف ، وبعضهم يجعل الجزاء منصوباً بنزع الخافض ، وجوز أن يكون الضمير المنصوب في (يجزاه) للجزاء لا للسعي ، و (الجزاء الأولي) عليه عطف بيان ، أو بدل كما في قوله تعالى : (وأسروا النجوى الذين ظلموا) وتعقبه أبو حيان بأن فيه إبدال الظاهر من الضمير وهي مسألة خلافية والصحيح المنع ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ ٤٢ أي إن انتهاء الخلق ورجوعهم إليه تعالى لا إلى غيره سبحانه استقلالاً ولا اشتراكاً ، والمراد بذلك رجوعهم إليه سبحانه يوم القيامة حين يحشرون ولهذا قال غير واحد : أي إلى حساب ربك أو إلى ثوابه تعالى من الجنة وعقابه من النار الانتهاء ، وقيل : المعنى أنه عز وجل منتهى الأفكار فلا تزال الأفكار تسير في يدها حقائق الأشياء وماهياتها والاحاطة بما فيها حتى إذا وجهت إلى حرم ذات الله عز وجل وحقائق صفاته سبحانه وقفت وحرنت وانتهت سيرها ، وأيد بما أخرجه البغوي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال في الآية : « لا فكرة في الرب » وأخرجه أبو الشيخ في العظمة عن سفيان الثوري ، وروى عنه عليه الصلاة والسلام « إذا ذكر الرب فأنهوا » ، وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال : « مر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على قوم يتفكرون في الله فقال : تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لن تقدروه » وأخرج أبو الشيخ عن أبي ذر قال : « قال رسول الله ﷺ : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا » .

واستدل بذلك من قال باستحالة معرفته عز وجل بالكنه ، والبحث في ذلك طويل ، وأكثر الأدلة النقلية على عدم الوقوع ، وقرأ أبو السمال ، وإن بالكسر هنا وفيما بعد على أن الجمل منقطعة عما قبلها فلا تكون بما في الصحف ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ٤٣ خلق فعل الضحك والبكاء ، وقال الزمخشري : خلق قوتي الضحك والبكاء ، وفيه دسيسة اعتزال ، وقال الطيبي : المراد خلق السرور والحزن أو ما يسر ويحزن من الأعمال الصالحة والطالحة ، ولذا قرن بقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ٤٤ وعليه فهو مجاز ولا يخفى أن الحقيقة أيضاً تناسب الاماتة والاحياء لاسيما والموت يعقبه البكاء غالباً والاحياء عند الولاد الضحك وما أحسن قوله :

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً والناس حولك يضحكون سروراً

فاجهد لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

وقال مجاهد . والكلي : (أضحك) أهل الجنة (وأبكى) أهل النار ، وقيل : (أضحك) الأرض بالنبات (وأبكى) السماء بالمطر ، وتقديم الضمير وتكرير الاسناد للحصر أي أنه تعالى فعل ذلك لا غيره سبحانه ، وكذا في أنه (هو أَمَاتَ وَأَحْيَا) فلا يقدر على الإماتة والإحياء غير عز وجل ، والقاتل إنما ينقض البنية الانسانية ويفرق أجزاءها والموت الحاصل بذلك فعل الله تعالى على سبيل العادة في مثله فلا إشكال في الحصر ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ٤٥ من نوع الانسان وغيره من أنواع الحيوانات ولم يذكر الضمير على طرز ما تقدم لأنه لا يتوهم نسبة خلق الزوجين إلى غيره عز وجل ﴿من نطفة إذا تمنى﴾ ٤٦ أي تدفق في الرحم

يقال : أمني الرجل ومنى بمعنى ، وقال الاخفش : أى تقدر يقال منى لك المانى أى قدر لك المقدر ، ومنه المنا الذى يوزن به فيما قيل ، والمنية وهى الاجل المقدر للحيوان ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْآخِرَى ٤٧ ﴾ أى الاحياء بعد الاماتة وفاء بوعده جل شأنه ، وفى البحر لما كانت هذه النشأة يذكرها الكفار بولغ بقوله تعالى عليه كأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه ، وفى الكشف قال سبحانه : (عليه) لأنها واجبة فى الحكمة ليجازى على الاحسان والاساءة وفيه مع كونه على طريق الاعتزال نظر ، وقرأ ابن كثير . وأبو عمرو - النشأة - بالمد وهى أيضاً مصدر نشأه الثلاثي ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ٤٨ ﴾ وأعطى القنية وهو ما يبقى ويدوم من الأموال ببقاء نفسه أو أصله كالرياض والحيوان والبناء ، وإفراد ذلك بالذكر مع دخوله فى قوله تعالى : (أغنى) لأن القنية أنفوس الأموال وأشرفها ، وفى البحر يقال : قنيت المال أى كسبته ويعدى أيضاً بالهمزة والتضعيف فيقال : أقناه الله تعالى مالا وقناه الله تعالى مالا ، وقال الشاعر :

لم من غنى أصاب الدهر ثروته ومن فقير (يقنى) بعد إقلال

أى يقنى المال ، وعن ابن عباس (أغنى) مول ، (وأقنى) أرضى . وهو بهذا المعنى مجاز من القنية قال الراغب : وتحقيق ذلك أنه جعل له قنية من الرضا والطاعة وذلك أعظم القنائين ، والله تعالى در من قال :

هل هى إلا مدة وتنقضى ما يغلب الايام إلا من رضى

وعن ابن زيد . والاخفش (أقنى) أفقر ، ووجه بأنهما جعلتا الهمزة فيه للسلب والازالة كما فى أشكى ، وقيل : إنهما جعلتا (أقنى) بمعنى جعل له الرضا والصبر قنية كناية عن ذلك ليظهر فيه الطباق كما فى (أمات وأحيا) (وأضحك) (وأبكى) وفسره بأفقر أيضا الحضرى إلا أنه كما أخرج عنه ابن جرير . وأبو الشيخ قال (أغنى) نفسه سبحانه و (أفقر) الخلائق اليه عز وجل ، والظاهر على تقدير اعتبار المفعول فى جميع الافعال المتقدمة أن يكون من المحدثات الصالحة لتعلق الفعل ، وعندى أن (أغنى) سبحانه نفسه كأوجد جل شأنه نفسه لا يخلو عن سماجة وإيهام محذور ، وإنما لم يذكر مفعول لأن القصد إلى الفعل نفسه ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى ٤٩ ﴾ هى (الشعرى) العبور بفتح العين المهملة والباء الموحدة والراء المهملة بعد الواو ، وتقال (الشعرى) أيضا على الغميصاء بغين معجمة مضمومة وميم مفتوحة بعدها ياء . ثناء تحتية وصاد مهملة ومد ، والاولى فى الجوزاء ، وإنما قيل لها العبور لأنها عبرت المجرة فلقيت سهيلا ولأنها تراه إذا طلع كأنها ستعب وتسمى أيضا كلب الجبار لأنها تتبع الجوزاء المسماة بالجبار كما يتبع الكلب الصائد أو الصيد ، والثانية فى ذراع الاسد المبسوطة ، وإنما قيل لها الغميصاء لأنها بكت من فراق سهيل فغمصت عينها ، والغمص ماسال من الرمص وهو وسخ أبيض يجتمع فى الموق ، وذلك من زعم العرب أنهما أختا سهيل ، وفى القاموس من أحاديثهم أن الشعرى العبور قطعت المجرة فسميت عبورا وبكت الاخرى على أثرها حتى غمصت ويقال لها الغموص أيضا ، وقيل : زعموا أن سهيلا و (الشعرى) كانا زوجين فانحدر سهيل وصار يمانيا فاتبعه الشعرى فعبرت المجرة فسميت العبور وأقامت الغميصاء وسميت بذلك لأنها دون الاولى ضياء ، وكل ذلك من تخيلاتهم الكاذبة التى لا حقيقة لها ، والمتبادر عند الاطلاق وعدم الوصف العبور لأنها أكبر جرماً وأكثر ضياءاً وهى التى عبت من دون الله سبحانه فى الجاهلية .

قال السدى : عبتا حمير . وخزاعة ، وقال غيره : أول من عبدها أبو كبشة رجل من خزاعة ، أو هو سيدهم

واسمه وخز بن غالب وكان المشركون يقولون للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم : ابن أبي كبشة شبهوه به لمخالفته قومه في عبادة الاصنام ، وذكر بعضهم أنه أحد أجداده عليه الصلاة والسلام من قبل أمه وأنهم كانوا يزعمون أن كل صفة في المرء تسرى إليه من أحد أصوله فيقولون نزع إليه عرق كذا ، وعرق الخال نزاع ، وقيل : هو كنية وهب بن عبد مناف جده صلى الله تعالى عليه وسلم من قبل أمه ، وقولهم له عليه الصلاة والسلام ذلك على ما يقتضيه ظاهر القاموس لانه صلى الله تعالى عليه وسلم في الشبه الخلقي دون المخالفة ، وقيل : كنية زوج حليلة السعدية مرضعته عليه الصلاة والسلام ، وقيل : كنية عم ولدها ولكونها عبت من دونه عز وجل خصت بالذكر ليكون ذلك تجهيلاً لهم بجعل المربوب رباً ، وللمزيد الاعتناء بذلك جيء بالجملة على ما نطق به النظم الجليل .

ومن العرب من كان يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم ويزعمون أنها تقطع السماء عرضاً وسائر النجوم تقطعها طولاً ويتكلمون على المغيبات عند طلوعها ففي قوله تعالى : (وأنه هو رب الشعري) إشارة إلى نفي تأثيرها * (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى) * أي القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح كما قاله ابن زيد والجمهور ، وقال الطبري : وصفت بالاولى لأن في القبائل (عاداً) أخرى وهي قبيلة كانت بمكة مع العماليق وهم بنو لقيم بن هزال ، وقال المبرد : عاد الأخرى هي ثمود ، وقيل : الجبارون ، وقيل : عاد الاولى ولد عاد بن إرم بن عوف بن سام بن نوح ، وعاد الأخرى من ولد عاد الاولى ، وفي الكشف (الاولى) قوم هود والأخرى إرم ، والله تعالى أعلم . وجوز أن يراد بالاولى المتقدمون الاشراف : وقرأ قوم عاد الولي بحذف الهمزة ونقل ضمها إلى اللام قبلها ، وقرأ نافع . وأبو عمرو - عاداً لولي - بإدغام التتوين في اللام المنقول اليها حركة الهمزة المحذوفة ، وعاب هذه القراءة المازني . والمبرد ، وقالت العرب : في الابتداء بعد النقل - الحمر ، والحمر - فهذه القراءة جاءت على الحمر فلا عيب فيها ، وأتى قالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو كما في قوله :

* أحب الموقدين إلى موسى * وكأقرب بعضهم - على سؤقه - وفيه شذوذ ، وفي حرف أبي عاد غير مصروف للعلمية والتأنيث ومن صرفه فباعبار الحى ، أو عامله معاملة هند لكونه ثلاثياً ساكن الوسط ﴿ وَثُمُودٌ ﴾ عطف على (عاداً) ولا يجوز أن يكون مفعولاً - لا بقى - في قوله تعالى : ﴿ قَمَّاءُ بَقِيَّ ﴾ لأن - ما - النافية لها صدر الكلام والفاء على ما قيل : مانعة أيضاً فلا يتقدم معمول ما بعدها ، وقيل : هو معمول - لا هالك - مقدر ولا حاجة إليه ، وقرأ عاصم . وحمزة . - ثمود - بلا تنوين ويقفان بغير ألف ، والباقون بالتنوين ويقفون بالألف ، والظاهر أن متعلق (أبقى) يرجع إلى عاد و ثمود معاً أي فما أبقى عليهم ، أي أخذهم بذنوبهم ، وقيل : أي ما أبقى منهم أحداً ، والمراد ما أبقى من كفارهم ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ حذف على (عاداً) أيضاً ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبل إهلاك عاد و ثمود ، وصرح بالقبلية لأن نوحاً عليه السلام آدم الثاني وقومه أول الطاغين والهاالكين * (إِنَّهُمْ كَانُوا أَهْمَ أَظْلَمَ وَأَطْغَى) * أي من الفريقين حيث كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكاد يتحرك وكان الرجل منهم يأخذ بيد ابنه يتمشى به إليه يحذره منه ويقول : يا بني إن أبي مشى بي إلى هذا وأنا مثلك يومئذ فأياك أن تصدقه فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية أبيه ولم يتأثروا من دعائه وقد دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وقيل : ضمير (إنهم) يعود على جميع من تقدم عاد و ثمود وقوم نوح أي كانوا أظلم من قريش وأطغى منهم ، وفيه من التسلية للنبي عليه الصلاة والسلام

مالا يخفى ، و (هم) يجوز أن يكون تأكيداً للضمير المنصوب ويجوز أن يكون فصلاً لأنه واقع بين معرفة وأفعل التفضيل ، وحذف المفعول مع الواقع خبراً لكان لأنه جار مجرى خبر المبتدأ وحذفه فصيح فيه فكذلك في خبر كان ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ هي قرى قوم لوط سميت بذلك لأنها اتفتكت بأهلها أى انقلبت بهم ، ومنه الإفك لأنه قلب الحق ، وجوز أن يراد بالمؤتفكة كل ما انقلبت مساكنه ودثرت أماكنه *

وقرأ الحسن - والمؤتفكات - جمعاً ﴿أَهْوَى﴾ أى أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها على جناح جبريل عليه السلام إلى السماء ، وقال المبرد : جعلها تهوى *

والظاهر أن أهوى ناصب للمؤتفكة وآخر العامل لكونه فاصلة ، وجوز أن يكون - المؤتفكة - معطوفاً على ما قبله و (أهوى) مع فاعله جملة في موضع الحال بتقدير قد ، أو بدره توضيح كيفية إهلاهم .

﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ فيه تهويل للعذاب وتعميم لما أصابهم منه لأن الموصول من صيغ العموم والتضعيف في غشاهما يحتمل أن يكون للتعدي فيكون (ما) مفعولاً ثانياً والفاعل ضميره تعالى ، ويحتمل أن يكون للتكثير والمبالغة ف (ما) هي الفاعل ﴿فَبَأَى الْآءَ رَبِّكَ تَمَارَى﴾ تتشكك والتفاعل هنا مجرد عن التعدد في الفاعل والمفعول للمبالغة في الفعل ، وقيل : إن فعل التمارى للواحد باعتبار تعدد متعلقه وهو الآلاء المتمارى فيها ، والخطاب قيل : لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أنه من باب الإلهاب والتعريض بالغير ، وقيل : للانسان على الإطلاق وهو أظهر والاستفهام للانكار ، والآلاء جمع إلى النعم ، والمراد بها ما عدى الآيات قبل وسمى الكل بذلك مع أن منه نقماً لما في النقم من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتفاع للأنبياء والمؤمنين فهي نعم بذلك الاعتبار أيضاً ، وقيل : التعبير بالآلاء للتغليب وتعقب بأن المقام غير مناسب له ، وقرأ يعقوب . وابن محيصن - ربك تمارى - بناء مشددة ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى﴾ الإشارة إلى القرآن . وقال أبو مالك : إلى الأخبار عن الامم ، أو الإشارة إلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، والنذير يحىء مصدراً ووصفاً ، والنذر جمعه مطلقاً وكل من الامرين محتمل هنا ، ووصف (النذر) جمعاً للوصف بالاولى على تأويل الفرقه ، أو الجماعة ، واختير على غيره رعاية للفاصلة ، وأياً ما كان فالمراد (هذا نذير من) جنس (النذر الاولى) *

وفي الكشف أن قوله تعالى : (هذا نذير) الخ فذلكم للكلام إما لما عدى من المشتمل عليه الصحف وإما لجميع الكلام من مفتتح السورة فتدبر ولا تغفل ﴿أَزَفَتِ الْأَزَقَةُ﴾ أى قربت الساعة الموصوفة بالقرب في غير آية من القرآن ، فال في (الأزقة) كالعهد للجنس ، وقيل : (الأزقة) علم بالغلبة للساعة هنا ، وقيل : لا بأس بآراء الجنس ووصف القريب بالقرب للمبالغة ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى غير الله تعالى أو إلا الله عز وجل ﴿كَاشِفَةٌ ٥٨﴾ نفس قادرة على كشفها إذا وقعت لكنه سبحانه لا يكشفها ، والمراد بالكشف الازالة ، وقريب من هذا ما روى عن قتادة . وعطاء . والضحاك أى إذا غشيت الخلق أهواها وشدائدها لم يكشفها ولم يرددها عنهم أحد ، أوليس لها الآن نفس كاشفة أى مزيلة للخوف منها فانه باق إلى أن يأتي الله سبحانه بها وهو مراد الزمخشري بقوله : أوليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير ، وقيل : معناه لو وقعت الآن لم يرددها ، وقتها أحد إلا الله تعالى ، فالكشف بمعنى التأخير وهو إزالة مخصوصة ، وقال الطبري . والزجاج : المعنى

ليس لها من دون الله تعالى نفس كاشفة تكشف وقت وقوعها وتبينه لأنها من أخفى المغيبات ، فالكشف بمعنى التبيين والآية كقوله تعالى: (لا يجليها لوقتها إلا هو) والتاء في (كاشفة) على جميع الواجه للتأنيث ، وهو لتأنيث الموصوف المحذوف كما سمعت ، وبعضهم يقدر الموصوف حالا ، والاول أولى ؛ وجوز أن تكون للمبالغة مثلها في علامة ، وتعقب بأن المقام ياباه لا يهامه ثبوت أصل الكشف لغيره عز وجل وفيه نظر ، وقال الرماني .
وجماعة : يحتمل أن يكون (كاشفة) مصدراً كالعافية ، وخاتمة الاعين أى ليس لها كشف من دون الله تعالى
(أفمن هذا الحديث) أى القرآن (تعجبون ٥٩) إنكاراً ﴿ وتضحكون ﴾ استهزاء مع كونه أبعد شئ من ذلك ﴿ ولاتبكون ٦٠ ﴾ حزن أعلى ما فرطتم في شأنه وخوفاً من أن يحقق بكم ما حاق بالأمم المذكورة
(وأنتم سمدون ٦١) أى لاهون كما روى عن ابن عباس جواباً للنافع بن الأزرق ، وأنشد عليه قول هزيلة بنت بكر وهي تبكي قوم عاد :

ليت (عاداً) قبلوا الحق ولم يبدوا جحوداً

قيل : قم فانظر اليهم ثم دع عنك (السمود)

وفي رواية أنه رضى الله تعالى عنه سئل عن السمود ، فقال : البرطمة وهي رفع الرأس تكبراً أى وأنتم رافعون رموسكم تكبراً ، وروى تفسيره بالبرطمة عن مجاهد أيضاً ، وقال الراغب : السامد اللاهى الرافع رأسه - من سمد البعير فى سيره - إذا رفع رأسه ، وقال أبو عبيدة : السمود الغناء بلغة حمير يقولون : يا جارية اسمدى لنا أى غنى لنا ، وروى نحوه عن عكرمة ، وأخرج عبد الرزاق . والبزار . وابن جرير . والبيهقى فى سننه . وجماعة عن ابن عباس أنه قال : هو الغناء باليمانية وكانوا إذا سمعوا القرآن غنوا تشاغلاً عنه ، وقيل : يفعلون ذلك ليشغلوا الناس عن استماعه ، والجملة الاسمية على جميع ذلك حال من فاعل - لاتبكون - ومضمونها قيد للنفي والانكار متوجه إلى نفي البكاء ووجود السمود ، وقال المبرد : السمود الجمود والخشوع كما فى قوله :

رمى الحدثن نسوة آل سعد بمقدار سمدن له (سموداً)

فرد شعورهن السود بيضاً ورد وجوههن البيض سوداً

والجملة عليه حال من فاعل - تبكون - أيضاً إلا أن مضمونها قيد للنفي ، والانكار واردة على نفي البكاء والسمود معاً فلا تغفل ، وفى حرف أبى . وعبد الله تضحكون - بغير واو ، وقرأ الحسن - تعجبون تضحكون - بغير واو وضم التامين وكسر الجيم والحاء ، واستدل بالآية كما فى أحكام القرآن على استحباب البكاء عند سماع القرآن وقراءته ، أخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة قال : « لما نزلت (أفمن هذا الحديث) الآية بكى أصحاب الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله ﷺ حنينهم بكى معهم فبكينا ببيكائه فقال عليه الصلاة والسلام : لا يلج النار من بكى من خشية الله تعالى ولا يدخل الجنة مصر على معصيته ولو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » وأخرج أحمد فى الزهد . وابن أبى شيبه . وهناد . وغيرهم عن صالح أبى الخليل قال : لما نزلت هذه الآية (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون) ما ضحك النبى ﷺ بعد ذلك إلا أن يتبسم ، ولفظ عبد بن حميد « فما روى النبى عليه الصلاة والسلام ضاحكاً ولا متبسماً حتى ذهب من الدنيا » وفيه سد باب الضحك عند قراءة القرآن ولو لم يكن استهزاءً والعياذ بالله عز وجل .

﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ٦٢ ﴾ الفاء لترتيب الأمر أو موجهه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالتعجب والضحك وحقية مقابلته بما يليق به ، ويدل على عظم شأنه أي وإذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله تعالى الذي أنزله واعبدوه جل جلاله ، وهذه آية سجدة عند أكثر أهل العلم ، وقد سجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عندها . أخرج الشيخان . وأبو داود . والنسائي . وابن مردويه عن ابن مسعود قال : « أول سورة أنزلت فيها سجدة (والنجم) فسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسجد الناس كلهم إلا رجلا » الحديث . وأخرج ابن مردويه . والبيهقي في السنن عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما « قال : صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرا النجم فسجد بنا فأطال السجود » وكذا عمر رضي الله تعالى عنه ، أخرج سعيد ابن منصور عن سبرة قال : صلى بنا عمر بن الخطاب الفجر فقرا في الركعة الأولى سورة يوسف ، ثم قرأ في الثانية سورة النجم فسجد ، ثم قام فقرا إذا زلزلت ثم ركع ، ولا يرى مالك السجود هنا ، واستدل له بما أخرجه أحمد . والشيخان . وأبو داود . والترمذي . والنسائي والطبراني وغيرهم عن زيد بن ثابت قال : قرأت النجم عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يسجد فيها ، وأجيب بأن الترك إنما ينافي وجوب السجود وليس بمجمع عليه وهو عند القائل به على التراخي في مثل ذلك على المختار وليس في الحديث ما يدل على نفيه بالكلية فيحتمل أنه عليه الصلاة والسلام سجد بعد ، وكذا زيد رضي الله تعالى عنه ، نعم التأخير مكروه تنزيهاً ولعله فعل ليان الجواز ، أو لعذر لم نطلع عليه ، وما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس من قوله : « إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل منذ تحول إلى المدينة » ناف وضعيف ، وكذا قوله فيما رواه أيضا عنه « كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسجد في النجم بمكة فلما هاجر إلى المدينة تركها » على أن الترك إنما ينافي ما سمعت الوجوب ، والله تعالى أعلم .

﴿ سورة القمر ﴾

وتسمى أيضا (اقتربت) وعن ابن عباس أنها تدعى في التوراة الميضة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه ، أخرجه عنه البيهقي في شعب الايمان لكن قال : إنه منكر (وهي مكة) في قول الجمهور ، وقيل : ما نزل يوم بدر ، وقال مقاتل : مكة إلا ثلاث آيات (أم يقولون) إلى (وأمر) واقتصر بعضهم على استثناء (سيهزم الجمع) الخ ، ورد بما أخرجه ابن أبي حاتم . والطبراني في الاوسط . وابن مردويه عن أبي هريرة قال : أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل يوم بدر (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وقال عمر بن الخطاب : قلت : يا رسول الله أي جمع يهزم ؟ فلما كان يوم بدر وانهمزت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتاً بالسيف وهو يقول : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكانت ليوم بدر ، وفي الدر المنثور : أخرج البخاري عن عائشة قالت : « نزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة وإلى لجارية اللعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) » ويرد به وبما قبله ما حكى عن مقاتل أيضا ، وقيل : (إلا أن المتقين) الآيتين وآياها خمس وخمسون بالاجماع ، ومناسبة أولها لآخر السورة التي قبلها ظاهرة فقد قال سبحانه : (ثم أزفت الآزقة) وهنا (اقتربت الساعة) وقال الجلال السيوطي : لا يخفى ما في توالي هاتين السورتين من حسن التناسق (١٠م - ٢٧ج - تفسير روح المعاني)

للتناسب في التسمية لما بين - النجم ، والقمر - من الملازمة ، وأيضا إن هذه بعد تلك - كالأعراف بعد الانعام ، وكالشعراء بعد الفرقان ، وكالصفات بعد يس - في أنها تفصيل لأحوال الأمم المشار إلى إهلاكهم في قوله تعالى : (وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح) إلى قوله سبحانه : (والمؤتفة أهوى) .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ أي قربت جداً ﴿ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ ﴾ انفصل بعضه عن بعض وصار فرقتين وذلك على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الهجرة بنحو خمس سنين فقد صح من رواية الشيخين . وابن جرير عن أنس أن أهل مكة سألوه عليه الصلاة والسلام أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما ، وخبر أبي نعيم من طريق الضحاك عن ابن عباس - أن أحبار اليهود سألو آية فأراهم الله تعالى القمر قد انشق - لا يقول عليه ، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرقتين فرقة على الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا » ومن حديثه أيضاً « انشق القمر على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة فقال رجل : انتظروا ما يأتكم به السفار فان محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فجاء السفار فأخبروهم بذلك » رواه أبو داود . والطيالسي ، وفي رواية البيهقي « فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا : رأيناه » فأنزل الله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر) *

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس من وجه ضعيف قال : « اجتمع المشركون على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة . وأبو جهل بن هشام . والعاص بن وائل . والعاص بن هشام . والاسود بن عبد يغوث . والاسود بن المطلب . وربيع بن الاسود . والنضر بن الحرث فقالوا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قينقاع فقال لهم النبي ﷺ : « إن فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربه عز وجل أن يعطيه ما سألو فأمسى القمر قدمثل نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قينقاع ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادي يا أبا سلمة بن عبد الأسد . والأرقم بن الأرقم اشهدوا » *

والاحاديث الصحيحة في الانشقاق كثيرة ، واختلف في تواتره فقليل : هو غير متواتر ، وفي شرح المواقف الشريفي أنه متواتر وهو الذي اختاره العلامة ابن السبكي قال في شرحه لمختصر ابن الحاجب : الصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق شتى بحيث لا يمتري في تواتره انتهى باختصار ، وقد جاءت أحاديثه في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم على كرم الله تعالى وجهه . وأنس . وابن مسعود . وابن عباس . وحذيفة . وجبير بن مطعم . وابن عمر . وغيرهم ، نعم إن منهم من لم يحضر ذلك كابن عباس فانه لم يكن مولوداً إذ ذاك وكأنس فانه كان ابن أربع أو خمس بالمدينة ، وهذا لا يطعن في صحة الخبر كما لا يخفى ، ووقع في رواية البخاري . وغيره عن ابن مسعود « كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمنى فانشق القمر » ولا يعارض ما صح عن أنس أن ذلك كان بمكة لأنه لم يصرح بأنه عليه الصلاة والسلام كان ليلتئذ بمكة ، فالمراد أن الانشقاق كان والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذ ذاك مقيم بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ، ووقع في نظم السيرة للحافظ أبي الفضل العراقي ما هو نص في وقوع الانشقاق مرتين . وظاهر في أنه مجمع على وقوعه كذلك حيث قال : وانشق مرتين بالاجماع ، وكان مستند الأول ما أخرجه

عبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه . والبيهقي في الدلائل من طريق مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقا شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث ، وأما الاجماع فغير مسلم ، وفي المواهب قال الحافظ ابن حجر : أظن أن قوله: بالاجماع يتعلق - بانشق - لا بمرتين فاني لأعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولعل قائل مرتين أراد فرقتين ، وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات انتهى ، ولا يخفى أن هذا التأويل مع بعده لا يتسنى في خبر ابن مسعود المذکور آنفا لمكان شقتين وهي بمعنى فرقتين ومرتين معاً ، والذي عندي في تأويل ذلك أن مرتين في كلام ابن مسعود قيد للرؤية وتعددتها لا يقتضي تعدد الانشقاق بأن يكون رآه منشقا فصرف نظره عنه ثم أعاده فراه كذلك لم يتغير فيه إشارة إلى أنها رؤية لاشبهة فيها وقد فعل نحو ذلك الكفرة ، أخرج أبو نعيم من طريق عطاء عن ابن عباس قال : انتهى أهل مكة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله؟ فهبط جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قل لأهل مكة أن يجتمعوا هذه الليلة يروا آية فأخبرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمقالة جبريل عليه السلام فخرجوا ليلة أربع عشرة فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة فنظروا ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا فقالوا ما هذا إلا سحر فأنزل الله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) فلو قال أحد هؤلاء رأيت القمر منشقا ثلاث مرات على معنى تعدد الرؤية صح بلا غبار ولم يقتض تعدد الانشقاق فليخرج كلام ابن مسعود على هذا الطرز ليجمع بين الروايات ، ثم هذا الحديث إن صح كان دليلاً لما أشار إليه البوصيري في قوله :

شق عن صدره وشق له البدن ومن شرط كل شرط جزاء

من أن الشق كان ليلة أربع عشرة لأن البدر هو القمر ليلة أربع عشرة ويعلم من ذلك ما في قول العلامة ابن حجر الهيتمي في شرحه : ظاهر التعبير بالبدر دون القمر أن الشق كان ليلة أربع عشرة ولم أر له في ذلك سلفاً ، ولعله أراد بالبدر مطلق القمر ، ويؤيد كونه ليلة البدر ما أخرجه الطبراني ، وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : سحر القمر فنزلت (اقتربت الساعة) إلى (مستمر) فإن الكسوف وإن جاز عادة أن يكون ليلة الثالث عشر وليلة الخامس عشر إلا أن الأغلب كونه ليلة الرابع عشر ولا ضرورة إلى حمل الكسوف في هذا الخبر على الانشقاق إذ لا مانع كما في البداية والنهاية أن يكون قد حصل للقمر مع انشقاقه كسوف ، نعم ذكر فيها أن سياق الخبر غريب ثم إن القمر بعد انشقاقه لم تفارق قطعاته السماء بل بقيتا فيهما متباعدتين تباعداً ما لحظتهما ثم اتصلتا ، وما يندكره بعض القصاص من أنه دخل في جيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخرج من كه فباطل لا أصل له كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن شيخه العماد بن كثير وأعنة الله تعالى على من وضعه . وما في خبر أبي نعيم - الذي أخرجه من طريق الضحاك عن ابن عباس من أنه انشق فصار قرين أحدهما على الصفا والآخر على المروة قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب - لا يعول عليه ، كيف وقد تضمن ذلك الخبر أن الانشقاق وقع لطلب أخبار اليهود وأن القائل (هذا سحر مستمر) هم ، وهو مخالف لما نطقت به الأخبار الصحيحة الكثيرة كما لا يخفى على المتتبع ، وقد شاع « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشار إلى القمر بسبابته الشريفة فانشق » ولم أره في خبر صحيح والله تعالى أعلم .

وأنكر الفلاسفة أصل الانشقاق بناءً على زعمهم استحالة الخرق والالتئام على الاجرام العلوية ودليلهم على ذلك أوهن من بيت العنكبوت وقد خرق بأدنى نسمة من نسمات أفكار أهل الحق العلويين خرقاً لا يقبل الالتئام بكابين في موضعه ، وقال بعض الملاحدة : لو وقع لنقل متواتراً واشترك أهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة لأنه أمر محسوس مشاهد والناس فيه شركاء والطباع حريصة على رواية الغريب ونقل ما لم يعهد ، ولا أغرب من انشقاق هذا الجرم العظيم ولم يعهد أصلاً في الزمن القديم ولو كان له أصل لخلد أيضاً في كتب التسيير والتنجيم ولذكروه أهل الارصاد فقد كانت موجودة قبل البعثة بكثير وإطباقهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره مما لا تجوزه العادة ، وإيضاً لا يعقل سبب خرق هذا الجرم العظيم وإيضاً خرقه يوجب صوتاً هائلاً أشد من أصوات الصواعق المهلكة بأضعاف مضاعفة لا يبعد هلاك أكثر أهل الأرض منه ، وإيضاً متى خرق وصار قطعتين ذهبت منه قوة التجاذب كالجبل إذا انشق فيلزم بقاؤه منشقاً ولا أقل من أن يبقى كذلك سنين كثيرة ، والجواب عن ذلك أنه وقع في الليل وزمان الغفلة وكان في زمان قليل ورؤية القمر في بلد لا تستلزم رؤيته في جميع البلاد ضرورة اختلاف المطالع فقد يكون القمر طالعاً على قوم غائباً عن آخرين ومكسوفاً عند قوم غير مكسوف عند آخرين والاعتناء بأمر الارصاد لم يكن بمثابة اليوم وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد والانشقاق لا يختلف به منازل ولا يتغير به سيزه غاية ما في الباب أن يحدث في القطعة الشرقية قوة سير لتلحق أختها الغربية ، وأى مانع من أن يخلق الله تعالى فيها من السرعة نحو ما خلق الله سبحانه في ضوء الشمس فقد قال أهل الحكمة الجديدة : إن بين الأرض والشمس ثلثمائة ألف فرسخ وأربعون ألف فرسخ وأن ضوءها ليصل إلى الأرض في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية فيقطع الضوء في كل ثانية سبعين ألف فرسخ ولا يلزم أن يعلم سبب كل حادث بل كثير من الحوادث المتكررة المشاهدة لم يوقف على أسبابها كروية الكواكب قريبة مع بعدها المفرط فقد ذكروا أنهم لم يقفوا على سببه ويكفي في ذلك عدم وقوفهم على سبب الإبصار بالعين على الحقيقة ولو أخبرهم مخبر بفرض إن لم يكن لهم أبصار بخواص البصر مع كونه قطعة شحم صغيرة معروفة أحوالها عند أهل التشريح لأنكروا عليه غاية الانكار وكذبوه غاية التكذيب ونسبوه إلى الجنون . ومن سلم تأثير النفوس إلى حد أن يصرع الشخص آخر بمجرد النظر إليه وتوجيه نفسه نحوه لم يستبعد أن يكون هناك سبب نحو ذلك ، وقد صح في إصابة العين أن بعض الاعراب ممن له عين صائبة يفلق سنام الناقة فلقنتين ، وربما تصور له من رمل فينظر إليه ويفلقه فينفلق سنامها مع عدم رؤيته لها نفسها وهذا كله من باب المماشة وإلا فإرادة الله تعالى كافية في الانشقاق وكذا في كل المعجزات وخوارق العادات ولو كان لكل حادث سبب لزم التسلسل وقد قامت الأدلة على بطلانه ، وكون الخرق يوجب صوتاً هائلاً ممنوع فيما نحن فيه ومثله ذهاب التجاذب والاجسام مختلفة من حيث الخواص فلا يلزم اتحاد جرم القمر والأرض فيها ويمكن أن يكون إحدى القطعتين كالجبل العظيم بالنسبة إلى الأرض إذا ارتفع عنها بقاسر مثلاً جذبته إليه إذ لم يخرج عن حد جذبها على ما زعموه ويلتزم في تلك القطعة عدم الخروج عن حد الجذب على أنها في غنى عن كل ذلك أيضاً بعد إثبات الامكان . ل قدرته عز وجل وأنه سبحانه فعال لما يريد .

والحاصل أنه ليس عند المنكر سوى الاستبعاد ولا يستطيع أن يأتي بدليل على الاستحالة الذاتية ولو انشق ، والاستبعاد في مثل هذه المقامات قريب من الجنون عند من له عقل سليم ، وروى عن الحسن أنه قال : هذا

الانشقاق بعد النفخة الثانية، والتعبير بالماضي لتحقيق الوقوع، وروى ذلك عن عطاء أيضاً، ويؤيده ما تقدم الذي عليه الاكثرون قراءة حذيفة وقد انشق القمر فان الجملة عليها حالية فتقتضي المقارنة لاقترب الساعة ووقوع الانشقاق قبل يوم القيامة، وكذا قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا ﴾ فانه يقتضي أن الانشقاق آية رأوها وأعرضوا عنها، وزعم بعضهم أن انشقاق القمر عبارة عن انشقاق الظلمة عند طلوعه وهذا كما يسمى الصبح فلما عند انفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن الانفلاق بالانشقاق كما في قوله النابغة:

فلما أدبروا ولهم دوى دعانا عند (شق) الصبح داعي

وزعم آخر أن معنى انشق القمر وضع الامر وظهر وكلا الزعمين مما لا يعول عليه ولا يلتفت اليه ولا أظن الداعي اليهما عند من يقر بالساعة التي هي أعظم من الانشقاق ويعترف بالعقائد الاسلامية التي وقع عليها الاتفاق سوى عدم ثبوت الاخبار في وقوع ذلك على عهده عليه الصلاة والسلام عنده، ومنشأ ذلك القصور التام والتمسك بشبهه هي على طرف الثام، ومع هذا لا يكفر المنكر بناءً على عدم الاتفاق على تواتر ذلك وعدم كون الآية نصاً فيه، والاخراج من الدين أمر عظيم فيحتاج فيه ما لا يحتاط في غيره والله تعالى الموفق.

والظاهر أن المراد باقتراب الساعة القرب الشديد الزماني، وكل آت قريب، وزمان العالم مديد، والباقي بالنسبة إلى الماضي شيء يسير، ومال الامام إلى ان المراد به قربها في العقول والاذهان، وحاصله أنها ممكنة إمكاناً قريباً لا ينبغي لاحد إنكارها، واستعمال الاقتراب مع أنه أمر مقطوع به كاستعمال (لعل) في قوله تعالى: (لعل الساعة تكون قريباً) مع أن الامر معلوم عند الله تعالى وانشقاق القمر آية ظاهرة على هذا القرب، وعلى الاول قيل: هو آية لاصل الامكان الذي يقتضيه قرب الوقوع، وقيل: هو آية لقرب الوقوع ومعجزة للنبي ﷺ باعتبار أن الله تعالى مخبر في كتبه السالفة بأنه إذا قربت الساعة انشق القمر معجزة وكلاهما كما ترى، واختار بعضهم أنه آية لصدق النبي عليه الصلاة والسلام في جميع ما يقول ويبلغ ربه سبحانه لانه معجزة له ﷺ ومنه دعوى الرسالة والاخبار باقتراب الساعة وغير ذلك، و(آية) نكرة في سياق الشرط فتعم، فالمعنى (وإن يروا كل آية يعرضوا) عن التأمل فيها ليقفوا على وجه دلالتها وعلو طبقتها ﴿ وَيَقُولُوا سَحْرٌ ﴾ أي هذا أو هو أي مانراه سحر ﴿ مُسْتَمِرٌّ ۚ ﴾ أي مطرد دائم يأتي به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على مر الزمان وهو ظاهر في ترادف الآيات وتتابع المعجزات.

وقال أبو العالية: والضحاك: (مستمر) محكم موثق من المرة بالفتح أو الكسر بمعنى القوة وهو في الاصل مصدر مررت الحبل مرة إذا قتلته فتلا محكما فأريد به مطلق المحكم مجازاً مرسلاً، وقال أنس. ويومان. ومجاهد. والكسائي. والفراء. واختاره النحاس. مستمر أي ما ز داهب زائل عن قريب عللوا بذلك أنفسهم ومنوها بالآمانى الفارغة كأنهم قالوا: إن حاله عليه الصلاة والسلام وما ظهر من معجزاته سبحانه.

• سحابة صيف عن قريب تقشع • (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) وقيل: (مستمر) مشتد المرارة أي مستبشع عندنا منفور عنه لشدة مرارته يقال: مر الشيء وأمر إذا صار مرّاً وأمر غيره وممره يكون لازماً ومتعدياً، وقيل: (مستمر) يشبه بعضه بعضاً أي استمرت أفعاله على هذا الوجه من التخيلات، وقيل: (مستمر) ما ر من الأرض إلى السماء أي بلغ من سحره أنه سحر القمر وهذا ليس بشئ، ولعل الانسب

بغلهم في العناد والمكابرة ماروى عن أنس ومن معه ، وقرئ - وأن يروا - بالبناء للفعول من الاراءة ﴿ وَكَذَّبُوا ﴾ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبما أظهره الله تعالى على يده من الآيات ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ التي زينها الشيطان لهم ، وقيل : (كذبوا) الآية التي هي انشقاق القمر (واتبعوا أهواءهم) وقالوا سحر القمر أو سحرت أعيننا والقمر بحاله ، والعطف على الجزاء السابق وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ، وقيل : العطف على (اقتربت) والجملة الشرطية اعتراض لبيان عادتهم إذا شاهدوا الآيات ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۝٣ ﴾ استئناف مسوق للرد على الكفار في تكذيبهم ببيان أنه لا فائدة لهم فيه ولا يمنع علو شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو لإقناطهم عما علقوا به أمانهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا : (سحر مستمر) ببيان ثبوته ورسوخه أي وكل أمر من الامور منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسيصير إلى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه ، وللإشارة إلى ظهور هذه الغاية لأمره عليه الصلاة والسلام لم يصرح بالمستقر عليه ، وفي الكشف أي كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها وأن أمره ﷺ سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل وسيظهر له عاقبتهم أو وكل أمر من أمره عليه الصلاة والسلام ، وأمرهم مستقر أي سيثبت ويستقر على حالة نصره أو خذلان في الدنيا أو سعادة وشقاوة في الآخرة ، قال في الكشف : والكلام على الاول تذييل جار مجرى المثل وعلى الثاني تذييل غير مستقل ، وقرأ شيبه (مستقر) بفتح القاف ورويت عن نافع ، وزعم أبو حاتم أنها لا وجه لها وخرجت على أن مستقراً مصدر بمعنى استقرار ، وحمله على كل أمر بتقدير مضاف أي ذو مستقر ولو لم يقدر وقصد المبالغة صح ، وجوز كونه اسم زمان أو مكان بتقدير مضاف أيضاً أي ذو زمان استقرار ، أو ذو موضع استقرار ، وتعقب بأن كون كل أمر لا بد له من زمان أو مكان أمر معلوم لا فائدة في الاخبار به ، وأجيب بأن فيه إثبات الاستقرار له بطريق الكناية وهي أبلغ من التصريح . وقرأ زيد بن علي (مستقر) بكسر القاف والجر ، وخرج على أنه صفة أمر وأن كل معطوف على الساعة أي اقتربت الساعة ، واقترب كل أمر يستقر ويتبين حاله أي بقربها ، قال في الكشف : وفيه شمة من التجريد وتهويل عظيم حيث جعل في اقترابها اقتراب كل أمر يكون له قرار وتبين حال بما له وقع ، وقوله تعالى : (وانشق القمر) على هذا إما على تقدير قد وينصره القراءة بها ، وإما منزل منزلة الإعراض لكونه مؤكداً لقرب الساعة ، وقوله سبحانه : (وإن يروا آية) الخ مستطرد عند ذكر انشقاق القمر *

واعترض ذلك أبو حيان بأنه بعيد . لكثرة الفواصل بين المعطوف والمعطوف عليه وجعل الكلام عليه نظير - أكلت خبزاً ، وضربت خالداً ، وإن يجئ زيد أكرمه ، ورحل إلى بني فلان ، ولحماً بعطف - لحماً على خبزاً - ثم قال بل لا يوجد مثله في كلام العرب ، وتعقب بأنه ليس بشئ لأنه إذا دل على العطف الدليل لا يعد ذلك مانعاً منه على أن بين الآية والمثال فرقا لا يخفى ، وقال صاحب اللوامح إن (مستقر) خبر كل ، والجر للجوار ، واعتراض - أبو حيان أيضاً بأنه ليس بجيد لأن الجر على الجوار في غاية الشذوذ في مثله إذ لم يعهد في خبر المبتدأ ، وإنما عهده في الصفة على اختلاف النحاة في وجوده ، واستظهر كون كل مبتدأ وخبره مقدر كآت ، أو معمول به ونحوه مما يشعر به الكلام أو مذكور بعد وهو قوله تعالى : (حكمة بالغه) وقد اعترض بينهما بقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ﴾ في القرآن ﴿ مِنَ الْأَنْبَاءِ ﴾ أي أخبار القرون الخالية ، أو أخبار الآخرة ، والجار والمجرور

في موضع الحال من ما في قوله عز وجل : ﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ قدم عليه رعاية للفاصلة وتويقاً اليه و (من) للتبويض ، أو للتبيين بناءً على المختار من جواز تقديمه على المبين ، قال الرضى : إنما جاز تقديم (من) المبينة على المبهم في نحو - عندي من المال ما يكفى - لانه في الاصل صفة لمقدر أى شئ من المال ، والمذكور عطف بيان للمبين المقدر قبلها ليحصل البيان بعد الابهام أى بالله لقد جاءهم كائناً من الانباء ما فيه ازدجار لهم ومنع عما هم فيه من القبائح ، أو موضع ازدجار ومنع ، وهى أنباء التعذيب ، أو أنباء الوعيد ، وأصل (مزدجر) مزيج بالهاء موضع الدال وتاء الافتعال تقلب دالامع الدال والذال والراء للتناسب ، وقرئ مزجر بقلبها زايًا وإدغام الزاي فيها ، وقرأ زيد بن علي مزجر اسم فاعل من أجزأ أى صار ذازجر كأعشب صار ذاعشب ﴿ حَكْمَةٌ بَلَّغَةٌ ﴾ أى واصله غاية الاحكام لا خلل فيها ، ورفع (حكمة) على أنها بدل كل ، أو اشتغال من (ما) ، وقيل : من (مزدجر) أو خبر مبتدأ محذوف أى هى ، أو هذه على أن الإشارة لما يشعر به الكلام من إرسال الرسل وإيضاح الدليل والانذار لمن مضى ، أو إلى ما في الأنباء ، أو إلى الساعة المقتربة ، والآية الدالة عليها - كما قاله الامام وتقدم آتياً - احتمال كونها خبراً عن كل في قراءة زيد ، وقرأ اليماني (حكمة بالغة) بالنصب حالاً من (ما) فإنها موصولة أو منكرة موصوفة ، ويجوز مجئ الحال منها مع تأخرها أو هو بتقدير أعنى *

﴿ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝ ﴾ نفي للاغناء أو استفهام إنكارى والفاء لترتيب عدم الإغناء على مجئ الحكمة البالغة مع كونه مظنة للإغناء وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار ، و (ما) على الوجه الثانى في محل نصب على أنها مفعول مطلق أى فإى إغناء تغنى النذر ، وجوز أن تكون في محل رفع على الابتداء ، والجملة بعدها خبر ، والعائد مقدر أى فما تغنيه النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر ، وجوز أن يكون جمع نذير بمعنى الانذار ، وتعقب بأن حق المصدر أن لا يثنى ولا يجمع وأن يكون مصدرأ كالانذار ، وتعقب بأنه يأباه تأنيث الفعل المسند اليه وكونه باعتبار أنه بمعنى النذارة لا يخفى حاله ﴿ فَقَوْلَ عَنْهُمْ ﴾ الفاء للسببية والمسبب التولى أو الامر به والسبب عدم الاغناء أو العلم به ، والمراد بالتولى إما عدم القتال ، فالآية منسوخة ، وإما ترك الجدال للجلاد فهى محكمة ، والظاهر الاول ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ ظرف - ليخرجون - أو مفعول به لا ذكر مقدرأ ، وقيل : لا تنتظر ، وجوز أن يكون ظرفاً لتغنى ، أو لمستقر وما بينهما اعتراض ، أو ظرفاً - ليقول الكافر - أو - لتول - أى تول عن الشفاعة لهم يوم القيامة ، أو هو معمول له بتقدير إلى ، وعليه قول الحسن - فتول عنهم إلى يوم - *

والمراد استمرار التولى والكل كما ترى ، والداعى إسرائيل عليه السلام ، وقيل : جبرائيل عليه السلام ، وقيل : ملك غيرهما موكل بذلك ، وجوز أن يكون الدعاء للاعادة في ذلك اليوم كالامر في (كن فيكون) على القول بأنه تمثيل ، فالداعى حينئذ هو الله عز وجل ، وحذفت الواو من (يدع) لفظاً لالتقاء الساكنين ورسمياً اتباعاً للفظ ، والياء من (الداع) تخفيفاً ، وإجراء لال مجرى التنوين لأنها تعاقبه ، والشئ يحمل على ضده كما يحمل على نظيره ﴿ إِلَى شَيْءٍ نُّكِّرُ ﴾ أى فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة ويكنى بالنكر عن الفظيع لانه في الغالب منكر غير معهود ، وجوز أن يكون من الإنكار ضد الإقرار وأيما كان فهو وصف على فعل بضمين وهو قليل في الصفات ، ومنه - روضة أنف لم ترع ، ورجل شلل خفيف في الحاجة سريع حسن الصحبة

طيب النفس ، وسجح لين سهل . وقرأ الحسن . وابن كثير . وشبل (نكر) بإسكان الكاف كما قالوا : شغل وشغل ، وعسر وعسر وهو إسكان تخفيف ، أو السكون هو الاصل والضم للاتباع ، وقرأ مجاهد . وأبو قلابة . والجحدري . وزيد بن علي (نكر) فعلا ماضياً مبنياً للفعول بمعنى أنكر (خُشِعاً أَبْصَارُهُمْ) حال من فاعل (يَخْرُجُونَ) أي يخرجون (من الأجداث) أي القبور أذلة أبصارهم من شدة الهول أي أذلاء من ذلك ، وقدم الحال لتصرف العامل والاهتمام ، وفيه دليل على بطلان مذهب الجرمي من عدم تجويز تقدم الحال على الفعل وإن كان متصرفاً ، ويرده أيضاً قولهم : شتى ثوب الحلبة ، وقوله :

سريعاً يهون الصعب عند ألى النهى إذا بر جاء صادق قابلاً البأسا

وجعل حالا من ذلك لقوله تعالى : (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) إلى قوله تعالى : (خاشعة أبصارهم) . وقيل : هو حال من الضمير المفعول المحذوف في (يدع الدع) أي يدعوهم الدع ؛ وتعقب بأنه لا يطابق المنزل وأيضاً يصير حالا مقدرة لأن الدعاء ليس حال خشوع البصر وليست في الكثرة كغيرها وكذلك جعله مفعول - يدعو - على معنى يدعو فريقاً خاشعاً أبصارهم أي سيخشع وإن كان هذا أقرب مما قيل ، وقيل : هو حال من الضمير المجزور في قوله تعالى : (فتولى عنهم) وفيه ما لا يخفى ، وأبصارهم فاعل خشعاً وطابقه الوصف في الجمع لأنه إذا كسر لم يشبه الفعل لفظاً فتحسن فيه المطابقة وهذا بخلاف ما إذا جمع جمع مذ كرسالم فإنه لم يتغيرزته وشبهه للفعل فينبغي أن لا يجمع إذا رفع الظاهر المجموع على اللغة الفصيحة دون لغة أكلوني البراغيث ، لكن الجمع حينئذ في الاسم أخف منه في الفعل كما قال الرضي ، ووجه ظاهر ، وفي التسهيل إذا رفعت الصفة اسماً ظاهراً مجموعاً فإن أمكن تكسيرها - كمررت برجل (قيام) غلبانه - فهو أولى من أفرادها - كمررت برجل (قائم) غلبانه - وهذا قول المبرد ومن تبعه والسمع شاهد له كقوله :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجملي

وقوله : بمطرد لدن صحاح كموبه وذى روتق غضب يقدا لقوانسا

وقال الجمهور : الأفراد أولى والقياس معهم ، وعليه قوله :

ورجال حسن أوجههم من إيراد بن نزار بن معد

وقيل : إن تبع مفرداً فالأفراد أولى - كرجل (قائم) غلبانه - وإن تبع جمعاً فالجمع أولى - كرجال قيام غلبانهم - وأما التثنية والجمع السالم فعلى لغة أكلوني البراغيث ؛ وجوز أن يكون في (خشعاً) ضمير مستتر ، و (أبصارهم) بدلا منه ، وقرأ ابن عباس . وابن جبير . ومجاهد . والجحدري . وأبو عمرو . وحمة . والكسائي - خاشعاً - بالأفراد ، وقرأ أبى . وابن مسعود - خاشعة - وقرئ - خشع - على أنه خبر مقدم ، و (أبصارهم) مبتدأ ، والجملة في موضع الحال ، وقوله تعالى : (كأنهم جرّادٌ منتشرٌ ۝ ٧) حال أيضاً وتشبيههم بالجراد المنتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الاقطار ، وجاء تشبيههم بالفراش المبثوث ولهم يوم الخروج سهم من الشبه لسكل ، وقيل : يكونون أولاً كالفراش حين يمجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون لأن الفراش لاجهة لها تقصدها ، ثم كالجوار المحشر إذا توجهوا إلى المحشر فهما تشبيهان باعتبار وقتين ، وحكى ذلك عن مكى بن أبى طالب •

(مهطعين إلى الدع) سرعين إليه قال أبو عبيدة : وزاد بعضهم ما دى أعناقهم ، وآخر مع هز ورهق ومد بصر ،

وقال عكرمة : فاتحين آذانهم إلى الصوت ، وعن ابن عباس ناظرين إليه لا تقلع أبصارهم عنه وأنشد قول تبع :
تعبدني نمر بن سعد وقد أرى نمر بن سعد لي (مطيع ومهطع)

وفي رواية أنه فسر به خاضعين وأنشد البيت ، وقيل : خافضين ما بين أعينهم ، وقال سفيان : شاخصة أبصارهم إلى السماء ، وقيل : أصل الهطع مد العنق ، أو مد البصر ، ثم يكتنى به عن الاسراع ، أو عن النظر والتأمل فلا تغفل ،
﴿ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسَرٌ ۝ ﴾ صعب شديد لما يشاهدون من مخايل هوله وما يرتقبون من سوء

منقلبهم فيه ، وفي إسناد القول المذكور إلى الكفار تلويح بأنه على المؤمنين ليس كذلك ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ شروع في تعداد بعض ماذكر من الأنباء الموجبة للازدجار ، ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثيرها بها تقريراً لفحوى قوله تعالى : (فما تغني النذر) والفعل منزل منزلة اللازم أي فعلت التكذيب قبل تكذيب قومك قوم

نوح ، وقوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾ تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى : (ونادى نوح ربه فقال) الخ ، وفيه مزيد تحقيق وتقرير للتكذيب ، وجوز أن يكون المعنى كذبوا تكذيباً إثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقبيه قرن آخر مكذب مثله ، أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبداً أي لما كانوا مكذبين للرسل جاحدين للنبوة رأساً كذبوا نوحاً لأنه من جملة الرسل ، والفاء عليه سببية ، وقيل : معنى كذبت قصدت التكذيب وابتدأته ، ومعنى فكذبوا أتموه وبلغوا نهايته كما قيل في قوله : قد جبر الدين الإله فجبر * وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وتشنيع لمكذبيه *
﴿ وَقَالُوا مَجْنُونٌ ﴾ أي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون فقالوا هو مجنون ﴿ وَأَزْدُ جَرٍ ۝ ﴾ عطف على - قالوا - وهو إخبار منه عز وجل أي وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية والتخويف قاله ابن زيد ، وقرأ (لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين) وقال مجاهد : هو من تمام قولهم أي هو مجنون ، وقد ازدجرته الجن وذهبت بلبه وتخبطته ، والاول أظهر وأبلغ ، وجعل مبنياً للمفعول لغرض الفاصلة ، وطهر الالسنه عن ذكرهم دلالة على أن فعلهم أسوأ من قولهم ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي ﴾ أي باني *

وقرأ ابن أبي إسحق . وعيسى . والأعمش . وزيد بن علي . ورويت عن عاصم - (إني) بكسر الهمزة على إضمار القول عند البصريين ، وعلى إجراء الدعاء مجرى القول عند الكوفيين ﴿ مَغْلُوبٌ ﴾ من جهة قومي مالى قدرة على الانتقام منهم ﴿ فَأَتَّصِرُ ۝ ١٠ ﴾ فانتقم لى منهم ، وقيل : فانتصر لنفسك إذ كذبوا رسولك ، وقيل : المراد - بمغلوب - غلبتني نفسى حتى دعوت عليهم بالهلاك وهو خلاف الظاهر وما دعا عليه السلام عليهم إلا بعد اليأس من إيمانهم ، والتأكيد لمزيد الاعتناء بأمر الترحم المقصود من الاخبار *

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمَرٍ ۝ ١١ ﴾ أي منصب ، وقيل : كثير قال الشاعر :

أعيناى جودا بالدموع (الهوامر) على خير باد من معد وحاضر

والباء للآلة مثلها في فتحت الباب بالمفتاح ، وجوز أن تكون للبابسة والاول أبلغ ، وفي الكلام استعارة تمثيلية بتشبيه تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء وانشق أديم الخضراء . وهو الذى ذهب إليه الجمهور ، وذهب قوم إلى أنه على حقيقته وهو ظاهر كلام ابن عباس *

أخرج ابن المنذر . وابن أبي حاتم عنه أنه قال : لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب ، وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماء آن ، وفي رواية لم تقلع أربعين يوماً ، وعن النقاش أنه أريد بالأبواب المجرة وهي شرح السماء كشرح العيبة ، والمعروف من الارصاد أن المجرة كواكب صغار متقاربة جداً ، والله تعالى أعلم .

ومن العجيب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين فأهلكهم الله تعالى بمطلوبهم ، وقرأ ابن عامر . وأبو جعفر . والاعرج . ويعقوب (ففتحنا) بالتشديد لكثرة الأبواب ، والظاهر أن جمع القلة هنا للكثرة ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله فجرنا عيون الأرض فغير إلى التمييز للبالغة بجعل الأرض كلها متفجرة مع الإبهام والتفسير ، فالتمييز محول عن المفعول ، وجعله بعضهم محولا عن الفاعل بناءً على أنه الأكثر ، والأصل انفجرت عيون الأرض وتحويله كما يكون عن فاعل الفعل المذكور يكون عن فاعل فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق - وهذا منه - وهو تكلف لا حاجة إليه ، ومنع بعضهم بحج التمييز من المفعول فأعرب (عيوناً) حالاً مقدرة ، وجوز عليه أن يكون مفعولاً ثانياً لفجرنا على تضمينه ما يتعدى إليه أي صيرنا بالتفجير الأرض عيوناً وكان ذلك على ما في بعض الروايات أربعين يوماً ، وقرأ عبد الله . وأصحابه . وأبو حيوة . والمفضل عن عاصم (فجرنا) بالتخفيف ﴿ فَالتَّقَى الْمَاءُ ﴾ أي ماء السماء وماء الأرض ، والإفراد لتحقيق أن التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة بل بطريق الاختلاط والاتحاد ، وقرأ على كرم الله تعالى وجهه . والحسن . ومحمد بن كعب . والجحدري - الماء آن - والتثنية لقصد بيان اختلاف النوعين وإلا فالماء شامل لماء السماء وماء الأرض ، ونحوه قوله :

لنا (إبلان) فيهما ما علمتم فعن (أيها) ما شئتم فتسكبوا

وقيل: فيها إشارة إلى أن ماء الأرض فار بقوة وارتفع حتى لاقي ماء السماء وفي ذلك مبالغة لا تفهم من الأفراد ، وقرأ الحسن أيضاً - ما وان - بقلب الهمزة واو أو كقولهم: علبا وان كما قال الزمخشري ، ولم يرد أنه نظيره بل أراد كما أن هنالك إبدالاً بعلّة أنها غير أصلية لأنها زائدة للحاق كذلك ههنا لأنها مبدلة والبديل وإن كان من الهاء لكنها أجريت مجرى البديل عن الواو فقليل في النسبة فيه : ماوى ، وجاء في جمعه أمواء كما جاء أمواه ، ولا يبعد أن يكون من ثناه بالواو قاسه على النسبة كذا في الكشف ، وعنه أيضاً المايان بقلب الهمزة ياءاً .

﴿ عَلَى أَمْرٍ قَدُودَر ﴾ أي كائناً على حال قدرها الله تعالى في الازل من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهي أن ما نزل على قدر ما خرج .

وقيل : إن ماء الأرض علا سبعة عشر ذراعاً ونزل ماء السماء مكلاً أربعين ، وقيل : ماء الأرض كان أكثر وله مقدار معين عند الله عز وجل ، أو على أمر قدره الله تعالى وكتبه في اللوح المحفوظ وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ، ورجحه أبو حيان بأن كل قصة ذكرت بعد ذكر الله تعالى فيها هلاك المسكين فيكون هذا كناية عن هلاك هؤلاء ، و(على) عليه للتعليل ، ويحتمل تعلقها بالتقى . وفيه رد على أهل الأحكام النجومية حيث زعموا أن الطوفان لاجتماع الكواكب السبعة ما عدا الزهرة في برج مائى ، وقرأ أبو حيوة . وابن مقسم (قدر) بتشديد الدال ﴿ وَحَمَلْنَاهُ ﴾ أي نوحاً عليه السلام ﴿ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ ﴾ أخشاب عريضة ﴿ وَدُسَّرَ ﴾ أي مسامير كما قاله الجمهور . وابن عباس في رواية ابن جرير ، وابن المنذر جمع دسار ككتاب وكتب ، وقيل :

(دسر) كسقف وسقف. وأصل الدسر الدفع الشديد بقهر فسمى به المسمار لأنه يدق فيدفع بشدة . وقيل : حبال من ليف تشد بها السفن . وقال الليث : خيوط تشد بها ألواحها ، وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة . والحسن أنها مقادير السفينة وصدورها الذي تضرب به الموج وتدفعه . وروى عن ابن عباس نحوه . وأخرج عن مجاهد أنها عوارض السفينة أي الخشبات التي تعرض في وسطها . وفي رواية عنه هي أضلاع السفينة . وأياً ما كان فقوله تعالى : (ذات ألواح ودسر) من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات على سبيل الكناية كقولهم : حتى مستوى القامة عريض الاظفار في الكناية عن الانسان وهو من فصيح الكلام وبديعه . ونظير الآية قول الشاعر :

مفرشى صهوة الحصان ولكن (قميصى) مسرودة من حديد

فانه أراد قميصى درع . وقوله يصف هزال الابل :

تراءى الها في كل عين مقابل ولو في (عيون النازيات بأكرع)

فانه أراد في عيون الجراد لأن النزوب بالأكرع يختص بها . وأما كونه على حذف الموصوف لدلالة الصفة عليه على ما في المفصل وغيره فكلام نحوي ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ بمراى منا . وكنى به عن الحفظ أى تجرى في ذلك الماء بحفظنا وكلاءنا ، وقيل : بأوليائنا يعنى نوحا عليه السلام ومن آمن معه يقال : مات عين من عيون الله تعالى أى ولى من أوليائه سبحانه ، وقيل : بأعين الماء التي فجرناها ، وقيل : بالحفظة من الملائكة عليهم السلام سماهم أعيناً وأضافهم اليه جل شأنه والاول أظهر ، وقرأ زيد بن علي . وأبو السمال - بأعيننا - بالادغام *

﴿ جَزَاءُ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ١٤ ﴾ أى فعلنا ذلك جزاء لمن كفر به وهو نوح عليه السلام فانه كان نعمة أنعمها الله تعالى على قومه فكفروها وكذا كل نبي نعمة من الله تعالى على أمته ، وجوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعاً أي لمن كفر به وهو نوح عليه السلام أيضاً أى جحدت نبوته ، فالكفر عليه ضد الايمان ، وعلى الاول كفران النعمة ، وعن ابن عباس . ومجاهد من يراد به الله تعالى كأنه قيل : غضباً وانتصاراً لله عز وجل وهو كما ترى ، وقرأ مسلمة بن محارب - كفر - بإسكان الفاء خفف فعل كما في قوله : « لو عصر منه البان والمسك (انعصر) » وقرأ يزيد بن رومان بموقتادة . وعيسى (كفر) مبنياً للفاعل فمن يراد بها قوم نوح عليه السلام لا غير ، وفي هذه القراءة دليل على وقوع الماضي بغير قد خبراً لكان وهو مذهب البصريين وغيرهم يقول لابد من وقوع قد ظاهرة أو مقدره ، وجوز أن تكون (كان) زائدة كأنه قيل : جزاء لمن (كفر) ولم يؤمن ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا ﴾ أى أبقينا السفينة ﴿ آيَةً ﴾ بناءً على ما روى عن قتادة . والنقاش أنه بقى خشبها على الجودي حتى رآه بعض أوائل هذه الأمة ، أو أبقينا خبرها ، أو أبقينا جنسها وذلك بإبقاء السفن ، أو - تركنا - بمعنى جعلنا ، وجوز كون الضمير للفعلة وهي إنجاء نوح عليه السلام ومن معه وإغراق الكافرين ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكَّرٍ ﴾ أى معتبر بتلك الآية الحزبية بالاعتبار ، وقرأ قتادة على ما نقل ابن عطية - مذكر - بالذال المعجمة على قلب تاء الافتعال ذالا وإدغام الذال في الذال ، وقال صاحب اللوامح : قرأ قتادة فهل من - مذكر - بتشديد الكاف من التذكير أى من يذكر نفسه أو غيره بها ، وقرئ مذتكر بذال معجمة بعدها تاء الافتعال فهو الاصل ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ١٥ ﴾ استفهام تعظيم وتعجيب أى كانا علي كيفية هائلة

لا يحيط بها الوصف، والنذر - مصدر كالانذار، وقيل: جمع نذير بمعنى الانذار، وجعله بعضهم بمعنى المنذر منه، وليس بشئ، وكذا جعله بمعنى المنذر، وكان يحتمل أن تكون ناقصة فكيف في موضع الخبر؟ وتامة فكيف في موضع الحال؟ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ الخ جملة قسمية وردت في آخر القصص الأربع تقريراً لمضمون ما سبق من قوله تعالى: (ولقد جاءهم) الخ وتنبيها على أن كل قصة منها مستقلة بإيجاب الادكار كافية في الازدجار، ومع ذلك لم يحصل فيها اعتبار، أي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي للتذكر والاتعاظ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ إنكار ونفي للمتعظ على أبلغ وجه وآكده يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم، وقيل: المعنى سهلنا القرآن للحفظ لما اشتمل عليه من حسن النظم وسلاسة اللفظ وشرف المعاني وصحتها وعروقه عن الوحشي ونحوه فله تعلق بالقلوب وحلاوة في السمع فهل من طالب لحفظه ليعان عليه؟ ومن هنا قال ابن جبير: لم يستظهر شئ من الكتب إلا لسهولة غير القرآن، وأخرج ابن المنذر: وجماعة عن مجاهد أنه قال: يسرنا القرآن هونا قراءته *

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس لولا أن الله تعالى يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله تعالى *

وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً مثله * وأخرج ابن المنذر عن ابن سيرين أنه مرّ برجل يقول سورة خفيفة فقال: لا تقل ذلك ولكن قل سورة يسيرة لأن الله تعالى يقول: (ولقد يسرنا القرآن للذكر) والمعنى الذي ذكر أولاً أنسب بالمقام، ولعل خبر أنس إن صح ليس تفسيراً للآية، وجوز تفسير (يسرنا) بهيأنا من قولهم: يسر ناقته للسفر إذا رحلها، ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه قال الشاعر:

وقمت إليه باللبام (ميسراً) هنالك يحزني الذي كنت أصنع

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ شروع في قصة أخرى ولم تعطف وكذا ما بعدها من القصص إشارة إلى أن كل قصة مستقلة في القصد والاتعاظ ولما لم يكن لقوم نوح اسم علم ذكروا بعنوان الإضافة ولما كان لقوم هود علم وهو (عاد) ذكروا به لأنه أبلغ في التعريف، والمراد كذبت عاد هوداً عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له عليه السلام روما للاختصار ومسارة إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب، وقوله:

﴿فَكَيْفَ كَانَتْ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ لتوجيه قلوب السامعين نحو الإصغاء إلى ما يلقي اليهم قبل ذكره لالتحويله وتعظيمه وتعجيبيهم من حاله بعد بيانه ما قبله وما بعده كأنه قيل: (كذبت عاد) فهل سمعتم، أو فاسمعوا كيف عذابي وإنذارى لهم، وقيل: هو للتحويل أيضاً لغرابة ما عذبوا به من الريح وانفراده بهذا النوع من العذاب، وفيه بحث، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ استئناف لبيان ما أجمل أولاً، والصرصر الباردة على ما روى عن ابن عباس: وقتادة: والضحاك، وقيل: شديدة الصوت وتمايم الكلام قد مر في (فصلت) *

﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ شؤم عليهم ﴿مُسْتَمِرّاً﴾ ذلك الشؤم لأنهم بعد أن أهلكوا لم يزالوا معذبين في البرزخ حتى يدخلوا جهنم يوم القيامة، والمراد باليوم مطلق الزمان لقوله تعالى: (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات)، وقوله سبحانه: (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) والمشهور أنه يوم الأربعاء

وكان آخر شؤال على معنى أن ابتداء إرسال الريح كان فيه فلا ينافي آيتي (فصلت . والحاقة) *
 وجوز كون (مستمر) صفة يوم أى في يوم استمر عليهم حتى أهالكهم ، أو شمل كبيرهم وصغيرهم حتى لم تبق
 منهم نسمة على أن الاستمرار بحسب الزمان أو بحسب الاشخاص والافراد لكن على الاول لا بد من تجوز
 بإرادة استمرار نحسه ، أو يجعل اليوم بمعنى مطلق الزمان لأن اليوم الواحد لم يستمر فتدبر، وجوز كون (مستمر)
 بمعنى محكم وكونه بمعنى شديد المرارة وهو مجاز عن بشاعته وشدة هوله إذ لا طعم له ، وجوز كونه بدلا ،
 أو عطف بيان وهو كما ترى، وقرأ الحسن (يوم نحس) بتنوين يوم وكسر حاء نحس ، وجعله صفة ليوم فيتعين
 كون (مستمر) صفة ثانية له ، وأيد بعضهم بالآية ما أخرجه وكيع في الغرر . وابن مردويه . والخطيب البغدادي
 عن ابن عباس مرفوعا آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر وأخذ بذلك كثير من الناس فتطبروا منه وتركوا
 السعي لمصالحهم فيه ويقولون له : أربعاء لا تدور ، وعليه قوله :

لقاؤك للبكر فال سوء ووجهك - أربعاء لا تدور -

وذلك مما لا ينبغي ، والحديث المذكور في سنده مسلسلة بن الصلت قال أبو حاتم : متروك ، وجزم ابن الجوزي
 بوضعه؛ وقال ابن رجب : حديث لا يصح ورفعه غير متفق عليه فقد رواه الطيوري من طريق آخر موقوفا على ابن عباس ،
 وقال السخاوي : طريقه كلها واهية، وضعفوا أيضا خبر الطبراني يوم الاربعاء يوم نحس مستمر ، والآية قد علمت
 معناها، وجاء في الأخبار والآثار ما يشعر بمدحه ففي منهاج الحليمي، وشعب البيهقي أن الدعاء يستجاب يوم
 الاربعاء بعيد الزوال ، وذكر برهان الاسلام في تعليم المتعلم عن صاحب الهداية أنه ما بدى شئ يوم الاربعاء
 إلا وتم وهو يوم خلق الله تعالى فيه النور فلذلك كان جمع من المشايخ يتحرون ابتداء الجلوس للتدريس فيه ،
 واستحب بعضهم غرس الاشجار فيه لخبر ابن حبان . والديلمي عن جابر مرفوعا «من غرس الاشجار يوم الاربعاء
 وقال : سبحان الباعث الوارث أتته أكلها » نعم جاءت أخبار وآثار تشعر بخلاف ذلك ، ففي الفردوس عن عائشة
 مرفوعا « لولا أن تكره أمتي لأمرتها أن لا يسافروا يوم الاربعاء ، وأحب الايام إلى الشيوخ فيها يوم الخميس »
 وهو غير معلوم الصحة عندي *

وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس . وابن عدي . وتمام في فوائده عن أبي سعيد مرفوعا يوم السبت يوم مكر وخديعة .
 ويوم الاحد يوم غرس وبناء . ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق . ويوم الثلاثاء يوم حديد وبأس . ويوم
 الاربعاء لا أخذ ولا عطاء . ويوم الخميس يوم طلب الحوائج والدخول على السلطان . والجمعة يوم خطبة ونكاح ،
 وتعقبه السخاوي بأن سنده ضعيف ، وروى ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا ، وخرجه الحاكم من طريقين آخرين
 « لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الاربعاء » وفي بعض الآثار النهي عن قص الاظفار يوم الاربعاء وأنه يورث
 البرص ، وكره بعضهم عيادة المرضى فيه ، وعليه قيل :

لم يؤت في الأربعاء مريض إلا دفن - اه في الخميس

وحكى عن بعضهم أنه قال لآخيه : أخرج معي في حاجة فقال : هو الاربعاء قال : فيه ولد يونس قال : لا جرم
 قد بانت له بركته في اتساع موضعه وحسن كسوته حتى خلاصه الله تعالى قال : وفيه ولد يوسف عليه السلام
 قال : فما أحسن ما فعل أخوته حتى طال حبسه وغرته قال : وفيه نصر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم يوم
 الاحزاب قال : أجل لكن - بعد أن زاغت الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر - ونقل المناوي عن البحر أن

أخباره عليه الصلاة والسلام عن نحوسة آخر أربعاء في الشهر من باب التطير ضرورة أنه ليس من الدين بل فعل الجاهلية ولا مبنى على قول المنجمين أنه يوم عطار وهو نحس مع النحوس سعد مع السعد وفاته قول باطل، ويجوز أن يكون من باب التخويف والتحذير أي احذروا ذلك اليوم لما نزل فيه من العذاب وكان فيه من الهلاك وجددوا فيه لله تعالى توبة خوفاً أن يلحقكم فيه بؤس كما وقع لمن قبلهم، وهذا كما قال حين أتى الحجر: لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين إلى غير ذلك، وحكى أيضاً عن بعضهم أنه قال: التطير مكروه كراهية شرعية إلا أن الشرع أباح لمن أصابه في آخر أربعاء شئ في مصالحه أن يدع التصرف فيه لا على جهة التطير واعتقاد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله تعالى بل على جهة اعتقاد إباحة الإمساك فيه لما كرهته النفس لا اقتفاءً للتطير ولكن إثباتاً للرخصة في التوقي فيه لمن يشاء مع وجوب اعتقاد أن شيئاً لا يضر شيئاً، ونقل عن الحلبي أنه قال: علمنا ببيان الشريعة أن من الأيام نحساً، ويقابل النحس السعد وإذا ثبت الأول ثبت الثاني أيضاً، فالأيام منها نحس ومنها سعد كالأشخاص منهم شقى ومنهم سعيد، لكن زعم أن الأيام والسكواكب تنحس أو تسعد باختيارها أوقاتاً وأشخاصاً باطل، والقول - إن السكواكب قد تكون أسباباً للحسن والقبح والخير والشر والكل فعل الله تعالى وحده - بما لا بأس به، ثم قال المناوي: والحاصل أن توقي الأربعاء على جهة الطيرة وظن اعتقاد المنجمين حرام شديد التحريم إذ الأيام كلها لله تعالى لا تنفع ولا تضر بذاتها وبدون ذلك لا ضير ولا محذور فيه؛ ومن تطير حاق به نحوسته، ومن أيقن بأنه لا يضر ولا ينفع إلا الله عز وجل لم يؤثر فيه شئ من ذلك كما قيل:

تعلم أنه لا طير إلا على (متطير) وهو الثبور

انتهى، وأقول كل الأيام سواء ولا اختصاص لذلك يوم الأربعاء وما من ساعة من الساعات إلا وهي سعد على شخص نحس على آخر باعتبار ما يحدث الله تعالى فيها من الملائم والمنافر والخير والشر، فكل يوم من الأيام يتصف بالامرئين لاختلاف الاعتبار وإن استنحس يوم الأربعاء لوقوع حادث فيه فليست نحس كل يوم فما أوج الليل في النهار والنهار في الليل إلا لا يلاذ الحوادث، وقد قيل:

ألا إنما الأيام أبناء واحد وهذي الليالي كلها أخوات

وقد حكى أنه صبح ثمود العذاب يوم الأحد، وورد في الآثار ولا أظنه يصح - نعوذ بالله تعالى من يوم الأحد فإن له حداً أحد من السيف - ولو صح فلعله في أحد مخصوص علم بالوحي ما يحدث فيه، وزعم بعضهم - أن من المجرب الذي لم يخط قط أنه متى كان اليوم الرابع عشر من الشهر القمري الأحد وفعل فيه شئ لم يتم - غير مسلم، وورد في الفردوس من حديث ابن مسعود - خلق الله تعالى الأمراض يوم الثلاثاء، وفيه أنزل إبليس إلى الأرض، وفيه خلق جهنم، وفيه سلط الله تعالى ملك الموت على أرواح بني آدم. وفيه قتل قابيل هابيل، وفيه توفي موسى وهرون عليهم السلام، وفيه ابتلى أيوب - الحديث، وهو إن صح لا يدل على نحوسته غاية أنه وقع فيه ما وقع وقد وقع فيه غير ذلك مما هو خير، ففي رواية مسلم - خلق المنفق أي ما يقوم به المعاش يوم الثلاثاء - وإذا تتبعنا التواريخ وقفت على حوادث عظيمة في سائر الأيام، ويكفي في هذا الباب أن حادثة عاد استوعبت أيام الأسبوع فقد قال سبحانه: (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) فإن كانت النحوسة لذلك فقل لي أي يوم من الأسبوع خلا منها؟ ومثل أمر النحوسة فيما أرى أمر تخصيص كل يوم بعمل كما

يزعمه كثير من الناس ، ويذكرون في ذلك آياتنا نسبها الحافظ الدمياطى لعل كرم الله تعالى وجهه وهى

فنعم اليوم (يوم السبت) حقاً لصيد إن أردت ببلا امتراء
وفى (الاحد) البناء لان فيه تبنى الله فى خلق السماء
وفى (الاثنين) إن سافرت فيه سترجع بالنجاح وبالثناء
ومن يرد الحجامة (فالثلاثا) فى ساعاته هرق الدماء
وإن شرب امرؤ يوماً دواءً فنعم اليوم يوم (الاربعاء)
وفى (يوم الخميس) قضاء حاج فان الله يأذن بالقضاء
وفى (الجمعات) تزويج وعرس ولذات الرجال مع النساء
وهذا العلم لا يدريه إلا نبي أو وصي الانبياء

ولا أظنها تصح ، وقصارى ما أقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا دخل في ذلك لوقت ولا غيره، نعم لبعض الاوقات شرف لا ينكر كيوم الجمعة وشهر رمضان وغير ذلك ، ول بعضها عكس ذلك كالأوقات التي تكره فيها الصلاة لكن هذا أمر ومحل النزاع أمر فاحفظ ذاك ، والله تعالى يتولى هداك ، وقوله تعالى :

﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾ يجوز أن يكون صفة للريح وأن يكون حالاً منها لأنها وصفت فقربت من المعرفة ، وجوز أن يكون مستأنفاً، وجيء - بالناس - دون ضمير عادي: ليشمل ذكورهم وإناثهم - والنزع - القلع، روى أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فقلعتهم الريح وصرعهم موتى *

﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَنْقَعَرٍ ٢٠ ﴾ أى منقلع عن مغارسه ساقط على الارض ، وقيل: شبهوا بأعجاز النخل وهى أصولها بلا فروع لأن الريح كانت تقلع رموسهم فتبقى أجساداً وجشاً بلا رموس ، ويزيد هذا التشبيه حسناً أنهم كانوا ذوى جثث عظام طوال ، والنخل اسم جنس يذكر نظراً للفظ كانهما ويؤنث نظراً للمعنى كافي قوله تعالى: (أعجاز نخل خاوية) واعتبار كل فى كل من الموضعين للفاصلة، والجملة التشبيهية حال من الناس وهى حال مقدرة ، وقال الطبرى: فى الكلام حذف والتقدير فتركهم كأنهم الخ ، فالكاف على ما فى البحر فى موضع نصب بالمحذوف وليس بذاك ، وقرأ أبو نهيك أعجز على وزن أفعل نحو ضبع وأضبع ، وقوله تعالى :

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ٢١ ﴾ تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار مع ما تقدم، وقيل: إن الأول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة، و(كان) للشاكلة، أو للدلالة على تحقيقه على عادته سبحانه فى إخباره ، وتعقب بأنه يأباه ترتيب الثانى على العذاب الدنيوى *

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٢٢ ﴾ الكلام فيه كالذى مر ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ٢٣ ﴾ بالرسول عليهم الصلاة والسلام فان تكذيب أحدهم وهو صالح عليه السلام هنا تكذيب لكل لا تفاههم على أصول الشرائع ، وجوز أن يكون مصدراً ، أو جمعاً له وأن يكون جمع نذير بمعنى المنذر منه فلا تغفل *

﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا ﴾ أى كائناً من جنسنا على أن الجار والمجرور فى موضع الصفة - لبشراً - واتصابه بفعل يفسره - تتبع - بعد أى أتبع بشراً ﴿ وَاحِدًا ﴾ أى منفرداً لا تبع له ، أو واحداً من آحادهم لا من أشرافهم كما يفهم من التفسير

الدال على عدم التعيين وهو صفة أخرى لبشر وتأخير مع إفراده عن الصفة الأولى مع كونها شبه الجملة للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفات هذا التنبيه ، وقرأ أبو السمال فيما ذكر الهذلي في كتابه الكامل . وأبو عمرو الداني - أبشر منا واحداً - برفعهما على أن - بشر - مبتدأ ، وما بعد صفته ، وقوله تعالى : ﴿ تَتَّبِعُهُ ﴾ خبره . ونقل ابن خالويه . وصاحب اللوامح . وابن عطية عن أبي السمال رفع - بشر - ونصب (واحداً) وخرج ذلك ابن عطية على أن رفع - بشر - إما على إضمار فعل مبني للمفعول والتقدير أينبأ بشر ، وإما على الابتداء والخبر جملة (تتبعه) ، ونصب (واحداً) على الحال إما من ضمير النصب في (تتبعه) . وإمامن الضمير المستقر في (منا) وخرج صاحب اللوامح نصب (واحداً) على هذا أيضاً ، وأما رفع بشر فخرجه على الابتداء وإضمار الخبر أي أبشر منا يبعث إلينا أو يرسل أو نحوهما ، وتقدم الاستفهام يرجح تقدير فعل يرفع به : (إنا إذا) أي إذا اتبعنا بشراً منا واحداً ﴿ لَنِي ضَلَّلَ ﴾ عظيم عن الحق ﴿ وَسُعِّرَ ٢٤ ﴾ أي نيران جمع سعير * وروى أن صالحاً عليه السلام كان يقول لهم : إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا : إن اتبعناك كنا إذا كما تقول ، فالكلام من باب التعكيس والقول بالموجب ، وجمع السعير باعتبار الدرجات ، أو للمبالغة ، وروى عن ابن عباس ما يحتمل ما قلنا فانه قال : أي لني بعد عن الحق وعذاب ، وفي رواية أخرى عنه تفسير السعير بالجنون على أنه اسم مفرد بمعنى ذلك يقال ناقة مسعورة إذا كانت تفرط في سيرها كأنها مجنونة قال الشاعر :

كأن بها (سعراً) إذا العيس هزها ذميل وإرخاء من السير متعب

والأول أوجه وأصح ﴿ أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ أي أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بذلك ، والتعبير بألقى دون أنزل قيل : لانه يتضمن العجلة في الفعل ﴿ بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ ٢٥ ﴾ أي شديد البطر وهو على ما قال الراغب : دهش يعتري من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقوقها ووضعها إلى غير وجهها ، ويقاربه الطرب وهو خفة أكثر ما تعتري من الفرح . ومرادهم ليس الأمر كذلك بل هو كذا وكذا حمله شدة بطره وطلبه التعظيم علينا على ادعاء ذلك ، وقرأ قتادة . وأبو قلابة - بل هو الكذب الأشهر - بلام التعريف فيهما وبفتح الشين وشد الراء ، وسيأتي إن شاء الله تعالى قريباً ما في ذلك ، وقوله تعالى :

﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَابِ الْأَشْرُ ٢٦ ﴾ حكاية لما قاله سبحانه وتعالى لصالح عليه السلام وعداً له ووعداً لقومه ، والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده ، والمراد بالغد وقت نزول العذاب الدنيوي بهم ، وقيل : يوم القيامة فهو لمطلق الزمان المستقبل وعبر به لتقريبه ، وعليه قول الطرماح :

ألا علماني قبل نوح النوائح وقبل اضطراب النفس بين الجوانح
وقبل (غد) يالهف نفسي على غد إذا راح أصحابي ولست برائح

أي (سيعلمون) البتة عن قريب (من الكذاب الأشهر) الذي حمله أشره وطره على ما حمله أصالح أم من كذبه ، والمراد سيعلمون أنهم هم الكذابون الأشرون لكن أورد ذلك مورد الإبهام إيماءً إلى أنه بما لا يكاد يخفى ، ونحوه قول الشاعر :

فلئن لقيتك خالين لتعلمن (أي وأيك) فارس الاحزاب

وقرأ ابن عامر . وحمزة . وطلحة . وابن وثاب . والأعمش . ستمعلمون - بناء الخطاب على حكاية ما قال لهم صالح مجيباً لهم، وفي الكشف أو هو كلام على سبيل الالتفات، قال صاحب الكشف : أي هو كلام الله تعالى لقوم ثمود على سبيل الالتفات اليهم إما في خطابه تعالى لرسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نظير ما حكاه سبحانه عن شعيب (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم) بعد ما استرسلوا هلاكاً وهو من بليغ الكلام فيه دلالة على أنهم أحقاء بهذا الوعيد وكأنهم حضور في المجلس حول اليهم الوجه لينعى عليهم جناياتهم . وإما في خطابه عز وجل لصالح عليه السلام والمنزل حكاية ذلك الكلام المشتمل على الالتفات . وعلى التقديرين لا إشكال فيه كما توهم . ولفظ الزمخشري على الأول أدل وهو أبلغ انتهى، ومن التفت إلى ما قاله الجمهور في الالتفات لا أظنه تسكن نفسه بما ذكر فتأمل ، وقرأ مجاهد فيما ذكره صاحب اللوامح . وأبو قيس الأودي (الأشر) بثلاث ضمات وتخفيف الراء . ويقال : أشر وأشر تحذر وحذر فضمة الشين لغة وضم الهمزة تبع لها *

وحكى الكسائي عن مجاهد ضم الشين دون الهمزة فهو كندس . وقرأ أبو حيوة (الأشر) أفعل تفضيل أي الأبلغ في الشرارة وكذا قرأ قتادة . وأبو قلابة أيضاً هو قليل الاستعمال وإن كان على الأصل كالآخر في قول ربيعة : بلال خير الناس وابن الآخر * وقال أبو حاتم : لا تكاد العرب تتكلم بالآخر - و (الأشر) إلا في ضرورة الشعر وأنشد البيت ، وقال الجوهري : لا يقال (الأشر) إلا في لغة رديئة ، وقوله تعالى :

﴿ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ ﴾ الخ استئناف مسوق لبيان مبادئ الموعود على ما هو الظاهر، وبه يتعين كون المراد بالغد وقت نزول العذاب الديوي بهم دون يوم القيامة، والارسل حقيقة في البعث وقد جعل هنا كناية عن الإخراج، وأريد المعنى الحقيقي معه كما أوماً إليه بعض الأجلة أي إنا مخرجوا الناقة التي سألوها من الهضبة وباعثوها ﴿ فَتَنَةً لَهُمْ ﴾ امتحاناً، وجوز إبقاؤها على معناها المعروف ﴿ فَأَرْتَقِبْهُمْ ﴾ فانتظرهم وتبصر ما هم فاعلون ﴿ وَأَصْطَبِرْ ٢٧ ﴾ على أذاهم ولا تعجل حتى يأتي أمر الله تعالى ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ ﴾ وأخبرهم بأن ماء البئر التي لهم ﴿ قَسَمَ يَنْهَهُمْ ﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم، و (بينهم) لتغليب العقلاء، وقرأ معاذ عن أبي عمرو (قسمة) بفتح القاف ﴿ كُلُّ شَرِبَ ﴾ نصيب وحصه منه ﴿ مَحْتَضِرٌ ٢٨ ﴾ يحضره صاحبه في نوبته فتحضر الناقة تارة ويحضره أخرى، وقيل : يتحول عنه غير صاحبه من حضر عن كذا تحول عنه وقيل : يمنع عنه غير صاحبه مجاز عن الحظر بالظاء بمعنى المنع بعلاقة السببية فانه مسبب عن حضور صاحبه في نوبته وهو كما ترى ، وقيل : يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها، والمعنى كل شرب من الماء واللبن تحضرونه أنتم ﴿ فَنَادَوْا ﴾ أي فأرسلنا الناقة وكانوا على هذه الوتيرة من القسمة فلموا ذلك وعزموا على عقر الناقة (فنادوا) لعقرها ﴿ صَاحِبَهُمْ ﴾ وهو قدار بن سالف أحيمر ثمود وكان أجراًهم ﴿ فَتَعَاطَى ﴾ العقر أي فاجترأ على تعاطيه مع عظمه غير مكترث به *

﴿ فَعَقَّرَ ٢٩ ﴾ فأحدث العقر بالناقة ، وجوز أن يكون المراد فتعاطى الناقة فعقرها ، أو فتعاطى السيف فقتلها ، وعلى كل فمفعول تعاطى محذوف والتفريع لا غبار عليه ، وقيل : تعاطى منزل منزلة اللازم على أن معناه أحدث

ماهية التعاطي، وقوله تعالى: (فعقر) تفسير له لا متفرع عليه ولا يخفى ركا كسته، والتعاطى التناول مطلقاً على ما يفهم من كلام غير واحد، وزاد بعضهم قيد بتكليف ونسبة العقر اليهم في قوله تعالى: (فعقروا الناقة) لأنهم كانوا راضين به ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٌ ٣٠﴾ الكلام فيه كالذى تقدم ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هي صيحة جبريل عليه السلام صباح يوم الاحد كما حكى المناوى عن الزمخشري في طرف منازلهم ﴿فَكَانُوا﴾ أى فصاروا ﴿كَهَشِيمٍ الْمُحْتَظَرِ ٣١﴾ أى كالشجر اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لما شيته في الشتاء *

وفي البحر الهشيم ماتفتت وتمشم من الشجر، و(المحتظر) الذى يعمل الحظيرة فانه يتفتت منه حالة العمل ويتساقط أجزاء مما يعمل به، أو يكون الهشيم ما يابس من الحظيرة بطول الزمان تطؤه البهائم فيتشيم، وتعقب هذا بأن الاظهر عليه كهشيم الحظيرة، والحظيرة الزرية التى تصنعها العرب. وأهل البوادي للواشى والسكنى من الأغصان والشجر المورق والقصب من الحظر وهو المنع *

وقرأ الحسن. وأبو حيوة. وأبو السمال. وأبو رجا. وعمرو بن عبيد (المحتظر) بفتح الظاء على أنه اسم مكان. والمراد به الحظيرة نفسها أو هو اسم مفعول قيل: ويقدر له موصوف أى (كهشيم) الحائط (المحتظر) أو لا يقدر على أن (المحتظر) الزرية نفسها كما سمعت. وجوز أن يكون مصدراً أى كهشيم الاحتظار أى ماتفتت حالة الاحتظار ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٢٢﴾ كما مر ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ٢٣﴾ على قياس النظير السابق ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ملصكا على ما قيل - يحصبهم أى يرميهم بالحصباء والحجارة أو هو اسم للريح التى تحصب ولم يرد بها الحدوث كما فى ناقة ضامر وهو وجه التذكير، وقال ابن عباس: هو ما حصبوا به من السماء من الحجارة فى الريح، وعليه قول الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام تضربنا (بحاصب) كنديف القطن منشور

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ خاصته المؤمنين به، وقيل: آله ابنتاه ﴿نَجِّنِيهِمْ بِسَحَرٍ ٢٤﴾ أى فى سحر وهو آخر الليل، وقيل: السدس الأخير منه، وقال الراغب: السحر والسحرة اختلاط ظلام آخر الليل بصفاء النهار وجعل اسما لذلك الوقت، ويجوز كون الباء للباسة والجار والمجرور فى موضع الحال أى ملتبسين (بسحر) داخين فيه ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ أى إنعاماً منا وهو علة لنجينا، ويجوز نصبه بفعل مقدر من لفظه، أو بنجينا لأن التنجية إنعام فهو كقعدت جلوساً ﴿كَذَلِكَ﴾ أى مثل ذلك الجزاء العجيب ﴿نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ٢٥﴾ نعمتنا بالايمان والطاعة ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرُهُمْ﴾ لوط عليه السلام ﴿بَطُشْتَنَا﴾ أخذتنا الشديدة بالعذاب *

وجوز أن يراد بها نفس العذاب ﴿فَتَمَارَوْا﴾ فكذبوا ﴿بِالنُّذُرِ ٢٦﴾ متشاكين، فالفعل مضمن معنى التمكنذيب ولولاه تعدى بنى ﴿وَلَقَدْ رَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ صرفوه عن رآيه فيهم وطلبوا الفجور بهم وهذا من إسناد ما للبعض للجميع لرضاهم به ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أى أزلنا أثرها وذلك بمسحها وتسويتها كسائر الوجوه، وهو كما قال أبو عبيدة، وروى أن جبريل عليه السلام استأذن ربه سبحانه فى عقوبتهم ليلة جاءوا وعالجوا الباب ليدخلوا عليهم فصفقهم بجناحه فتركهم عرياناً يترددون لا يهتدون إلى طريق خروجهم حتى أخرجهم لوط عليه السلام

وقال ابن عباس والضحاك : إنما حجب إدراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً فجعل ذلك كالطمس فعبر به عنه *
وقرأ ابن مقسم (فطمسنا) بتشديد الميم للتكثير في المفعول ﴿ فذوقوا عَذَابِي وَنُذِرْ ٣٧ ﴾ أى فقلنا لهم ذلك على السنة الملائكة عليهم السلام ، فالقول في الحقيقة لهم وأسند إليه تعالى مجازاً لأنه سبحانه الأمر أو القائل ظاهر الحال فلا قول وإنما هو تمثيل ، والمراد بالعذاب الطمس وهو من جملة ما أنذروه *
﴿ وَلَقَدْ صَبَحَهمُ بُكْرَةً ﴾ أول النهار وهي أخص من الصباح فليس في ذكرها بعده زيادة وكان ذلك أول شروق الشمس ، وقرأ زيد بن علي (بكرة) غير مصروقة للعلمية والتأنيث على أن المراد بها أول نهار مخصوص *
﴿ عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ٣٨ ﴾ يستقر بهم ويدوم حتى يسلمهم إلى النار، أو لا يدفع عنهم، أو يبلغ غايته *
﴿ فذوقوا عَذَابِي وَنُذِرْ ٣٩ ﴾ حكاية لما قيل لهم بعد التصحيح من جهته تعالى تشديداً للعذاب ، أو هو تمثيل *
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ٤٠ ﴾ تقدم ما فيه من الكلام ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ٤١ ﴾ *
صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابرز كالاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ملاقوه من العذاب وقوة إيجابها للاعتاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بأن نفسه أولى بذلك فانه رأس الطغيان ومدعى الألوهية ، والقول : بأنه إشارة إلى إسلامه مما لا يلتفت إليه ، (النذر) إن كان جمع نذير بمعنى الانذار فالأمر ظاهر وكذا إن كان مصدراً ، وأما إن كان جمع نذير بمعنى المنذر فالمراد به موسى وهرون وغيرهما لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أى وبالله تعالى لقد جاءهم المنذرون ، أو الانذرات ، أو الانذار ، وقوله تعالى : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا ﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجيئ النذر كأنه قيل : فماذا فعل آل فرعون حينئذ ؟ فقيل : كذبوا بجميع آياتنا وهي آيات الأنبياء كلهم عليهم السلام فان تكذيب البعض تكذيب للكل ، أو هي الآيات التسع ، وجوز الواحدى أن يراد بالنذر نفس الآيات فقوله سبحانه : (بآياتنا) من إقامة الظاهر مقام الضمير والأصل كذبوا بها ، وزعم بعض غلاة الشيعة وهم المسلمون بالكشفية في زماننا أن المراد - بالآيات كلها - على كرم الله تعالى وجهه فإنه الإمام المبين المذكور في قوله تعالى : (وكل شئ أحصيناه في إمام مبين) وأنه كرم الله تعالى وجهه ظهر مع موسى عليه السلام لفرعون وقومه فلم يؤمنوا - وهذا من الهذيان بمكان - نسأل الله تعالى العفو والعافية ﴿ فَأَخَذْنَاَهُمْ ﴾ أى آل فرعون ، وزعم بعض أن ضمير (كذبوا) وضمير أخذناهم عائدان على جميع من تقدم ذكره من الأمم وتم الكلام عند قوله تعالى : (النذر) وليس بشئ ، والفاء للتفريع أى (فأخذناهم) وقهرناهم لأجل تكذيبهم ﴿ (أَخَذَ عَزِيزٌ) ﴾ لا يغالب ﴿ مُّقْتَدِرٌ ٤٢ ﴾ *
لا يعجزه شئ ، ونصب أخذ على المصدرية لا على قصد التشبيه * (أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) * أى الكفار المعدودين قوم نوح : وهود : وصالح : ولوط : وآل فرعون ، والمراد الخيرية باعتبار الدنيا وزينتها ككثرة القوة والشدة ووفور العدد والعدة ، أو باعتبار لين الشكيمة في الكفر بأن يكون الكفار المحدث عنهم بالخيرية أقل عناداً وأقرب طاعة وانقياداً ، وظاهر كلام كثير أن الخطاب هنا عام للمسلمين وغيرهم حيث قالوا : (أَكْفَارُكُمْ) يامعشر العرب (خير) الخ والاستفهام إنكارى في معنى النفي فكأنه قيل : ما كفاركم خير من أولئكم الكفار المعدودين بأن يكونوا أكثر منهم قوة وشدة وأوفر عدداً وعدة ، أو بأن يكونوا ألين شكيمة في الكفر والعصيان

والضلال والطغيان بل هم دونهم في القوة وما أشبهها من زينة الدنيا، أو أسوأ حالا منهم في الكفر ، وقد أصاب من هو خير ما أصاب فكيف يطمعون هم في أن لا يصيبهم نحو ذلك ، وكذا قيل : في الخطاب في قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ وجعل بتقدير أم الكفاركم وهو إضراب وانتقال إلى تنكيت آخر فكأنه قيل : بل الكفاركم براءة وأمن من تبعات ما يعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية فلذلك يصرون على ما هم عليه ولا يخافون ، واختار بعضهم في هذا أنه خاص بالكفار ، وقالوا في قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴾ إنه إضراب من التبكيت المذكور إلى تبكيت آخر بطريق الالتفات لا يذان بإفضاء حالهم إلى الاعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم ، أي بل يقولون واثقين بشوكتهم نحن جماعة أمرنا مجتمع لا يرام ولا يضام ، أو (منتصر) من الأعداء لا يغلب ، أو متناصرين نصر بعضنا بعضاً * والذي يترجح في نظر الفقير أن الخطاب في الموضوعين خاص على ما يقتضيه السياق بكفار أهل مكة أو العرب وهو ظاهر في الموضوع الثاني لا يحتاج إلى شيء ، وأما في الموضوع الأول فوجهه أن تكون الإضافة مثلها في الدراهم كلها كذا ، وطور سيناء ، ويوم الأحد ولم يقل أنتم للتخصيص على كفرهم المقتضى لهلاكهم ، ويجوز أن يعتبر في (أ كفاركم) ضرب من التجريد الذي ذكره في نحو (لهم فيها دار الخلد) فكأنه جرد منهم كفار وأضيفوا إليهم ، وفي ذلك من المبالغة ما فيه ، ويجوز أن يكون هذا وجهاً للعدول عن أنتم ، وربما يترجح به كون الخيرية المنفية باعتبار لين الشكيمة في الكفر وكأنه لما خوف سبحانه الكفار الذين كذبوا الآيات وأعرضوا عنها ، وقالوا هي سحر مستمر بذكر ما حل بالأمم انسلفة مما تبرق وترعد منه أسارير الوعيد قال عز وجل لهم : لم لا تخافون أن يحل بكم مثل ما حل بهم أنتم أقل كفراً وعناداً منهم ليسكون ذلك سبباً للآمن من حلول نحو عذابهم بكم أم أعطاكم الله عز وجل براءة من عذابه أم أنتم أعز منهم منتصرون على جنود الله تعالى وعدل سبحانه عن أم أنتم جميع منتصر إلى ما في النظم الجليل للإشارة إلى أن ذلك مما لا تحقق له أصلاً إلا باللفظ ومحض الدعوى التي لا يوافق عليها فتأمل ، فأسرار كلام الله تعالى لا تنتهي ، ثم لا تعجل بالاعتراض على ما قلناه وإن لم يكن لناسلف فيه حسبنا تدبنا ، ثم إن (جميع) على ما أشير إليه بمعنى الجماعة التي أمرها مجتمع وليس من التأكيد في شيء بل هو خبر (نحن) ، وجوز أن يكون بمعنى مجتمع خبر مبتدأ محذوف وهو (أمرنا) والجملة خبر (نحن) وأن يكون هو الخبر والاسناد مجازي ، و (منتصر) على ما سمعت إما بمعنى متمنع يقال : نصره فانتصر إذا منعه فامتنع * والمراد بالامتناع عدم المغلوبة أو هو بمعنى منتقم من الأعداء أو هو من النصر بمعنى العون ، والافتعال بمعنى التفاعل كالاختصاص والتخاصم وكان الظاهر منتصرون إلا أنه أفرد باعتبار لفظ الجميع فانه مفرد لفظاً جمع معنى ورجح هنا جانب اللفظ عكس بل أنتم قوم تجهلون لحفة الأفراد مع رعاية الفاصلة وليس في الآية رعاية جانب المعنى أولاً ، ثم رعاية جانب اللفظ ثانياً على عكس المشهور ، وإن كان ذلك جائزاً على الصحيح كما لا يخفى على الخبير ، وقرأ أبو حيوة . وموسى الأسواري . وأبو البرهسم - أم تقولون - بقاء الخطاب ، وقوله تعالى :

﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ ﴾ رد لقولهم ذلك والسين للتأكيد أي يهزم جمعهم البتة ﴿ وَيُؤْتُونَ الدُّبْرَ ٤٥ ﴾ أي الأدبار ، وقد قرئ كذلك ، والإفراد لإرادة الجنس الصادق على الكثير مع رعاية الفواصل ومشكلة القرائن ، أولاً أنه في تأويل يولى كل واحد منهم دبره على حد كسانا الأمير حلة مع الرعاية المذكورة أيضاً وقد كان هذا يوم بدر وهو من دلائل النبوة لأن الآية مكية ، وقد نزلت حيث لم يفرض جهاد ولا كان قتال ولذا قال عمر

رضى الله تعالى عنه : يوم نزلت أى جمع يهزم أى من جموع الكفار ؟ ولم يتعرض لقتال أحد منهم ، وقد تقدم الخبر .
 وبما أشرنا إليه يعلم أن قول الطيبي في هذه الرواية نظر لأن همزة الإنكار في (أم يقولون) الخ دلت على أن
 المنهزمين من هم ناشئ عن الغفلة عن مراد عمر رضى الله تعالى عنه ، وقرأ أبو حيوة . وموسى الاسوارى .
 وأبو البرهسم - ستهزم الجمع - بفتح التاء وكسر الزاى خطاباً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونصب الجمع
 على المفعولية ، وقرأ أبو حيوة أيضاً . ويعقوب - ستهزم - بالنون مفتوحة وكسر الزاى على إسناد الفعل إلى
 ضمير العظمة ، وعن أبي حيوة . وابن أبي عبة (ستهزم) الجمع بفتح ائياء مبنياً للفاعل ونصب الجمع أى ستهزم
 الله تعالى الجمع ، وقرأ أبو حيوة . وداود بن أبي سالم عن أبي عمرو - وتولون - بقاء الخطاب ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾
 أى ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعدهم وعذابهم وهذا من طلائعه ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدهى ﴾ أى أعظم داهية
 وهى الامر المنكر الفظيع الذى لا يهتدى إلى الخلاص عنه ﴿ وَأَمْرٌ ٤٦ ﴾ وأشد مرارة فى الذوق وهو استعارة
 لصعوبتها على النفس ، وقيل : أقوى وليس بذاك وإظهار الساعة فى موضع إضمارها التريية تهويلها ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ ﴾
 من الأولين والآخرين ﴿ فِي ضَلَالٍ ﴾ فى هلاك ﴿ وَسُعْرٌ ٤٧ ﴾ ونيران مسعرة أو فى ضلال عن الحق ونيران
 فى الآخرة ، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : فى خسران وجنون ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ ﴾
 أى يجرون ﴿ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾ متعلق بقول مقدر بعده أى يوم يسحبون يقال لهم ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ٤٨ ﴾
 وجوز أن يكون متعلقاً بمقدر يفهم مما قبل أى يعذبون ، أو يهانرن ، أو نحوه ، وجملة القول عليه حال من
 ضمير (يسحبون) وجوز كونه متعلقاً - بذوقوا - على أن الخطاب للمكذبين المخاطبين فى قوله تعالى : (أ كفاركم)
 الخ أى ذوقوا أيها المكذبون محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم يوم يسحب المجرمون المتقدمون ، والمراد حشرهم
 معهم والنسوية بينهم فى الآخرة كما ساووه فى الدنيا وهو كما ترى ، والمراد - بمس سقر - ألمها على أنه مجاز مرسل
 عنه بعلاقة السببية فإن مسها سبب للتألم بها وتعلق الذوق بمثل ذلك شائع فى الاستعمال ، وفى الكشف (مس
 سقر) كقولك وجد مس الحى وذاق طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم بحرها ولحققتهم بايلامها فكانها تمسهم
 مساً بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذى ويؤلم وهو مشعر بأن فى الكلام استعارة مكنية نحو (ينقضون
 عهد الله) ويحتمل غير ذلك ، (وسقر) علم لجهنم - أعادنا الله تعالى منها ببركة كلامه العظيم وحرمة حبيبه عليه
 أفضل الصلاة وأكمل التسليم - من سقرته للنار وصقرته بابدال السين صاداً لاجل القاف إذا لوحته وغيرت لونه
 قال ذو الرمة يصف ثور الوحش :

إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بأفنان مربوع الصريمة معبل

وعدم الصرف للعلمية والتأنيث ، وقرأ عبد الله إلى النار ، وقرأ محبوب عن أبي عمرو (مس سقر) بادغام السين
 فى السين ، وتعقب ذلك ابن مجاهد بأن إدغامه خطأ لأنه مشدد ، والظن بأبي عمرو أنه لم يدغم حتى حذف إحدى
 السينين لاجتماع الأمثال ثم أدغم ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ ﴾ من الأشياء ﴿ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ أى مقدراً مكتوباً فى اللوح
 قبل وقوعه ، فالقدر بالمعنى المشهور الذى يقابل القضاء ، وحمل الآية على ذلك هو المأثور عن كثير من السلف ،
 وروى الامام أحمد . ومسلم . والترمذى . وابن ماجه عن أبي هريرة قال : « جاء مشركو قريش يخاصمون

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في القدر فنزلت (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شئ خلقناه بقدر) وأخرج البخاري في تاريخه والترمذي وحسنه . وابن ماجه . وابن عدى . وابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « صنفان من أمتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية » أنزلت فيهم آية في كتاب الله (إن المجرمين في ضلال وسعر) إلى آخر الآيات ، وكان ابن عباس يكره القدرية جداً ، أخرج عبد بن حميد عن أبي يحيى الأعرج قال سمعت ابن عباس - وقد ذكر القدرية - يقول : لو أدر كت بعضهم لفعلت به كذا وكذا ثم قال : الزنا بقدر . والسرقة بقدر . وشرب الخمر بقدر * وأخرج عن مجاهد أنه قال : قلت لابن عباس : مات قول فيمن يكذب بالقدر؟ قال : اجمع بيني وبينه قلت : مات صنع به؟ قال : أخنقه حتى أقتله ، وقد جاء ذمهم في أحاديث كثيرة ، منها ما أخرجه أحمد . وأبو داود . والطبراني عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم » . وجوز كون المعنى إنا كل شئ خلقناه مقدرأ محكما مستوفى فيه مقتضى الحكمة التي يدور عليها أمر التكوين ، فالآية من باب (وخلق كل شئ فقدره تقديرأ) ونصب (كل) بفعل يفسره ما بعده أى إنا خلقنا كل شئ خلقناه ، وقرأ أبو السمال قال : ابن عطية . وقوم من أهل السنة برفع كل وهو على الابتداء ، وجملة (خلقناه) هو الخبر ، و (بقدر) متعلق به كما في القراءة المتواترة ، فتدل الآية أيضاً على أن كل شئ مخلوق بقدر ولا ينبغي أن تجعل جملة خلقناه صفة ، ويجعل الخبر (بقدر) لاختلاف القراءتين معنى حينئذ ، والاصل توافق القراءات ، وقال الرضى : لا يتفاوت المعنى لان مراده تعالى بكل شئ كل مخلوق سواء نصبت (كل) أو رفعته وسواء جعلت (خلقناه) صفة مع الرفع ، أو خبراً عنه ، وذلك إن خلقنا كل شئ بقدر لا يريد سبحانه به خلقنا كل ما يقع عليه اسم شئ لانه تعالى لم يخلق جميع الممكنات غير المتناهية واسم الشئ يقع على كل منها ، وحينئذ نقول : إن معنى (كل شئ خلقناه بقدر) على أن خلقناه هو الخبر (كل) مخلوق مخلوق (بقدر) وعلى أن (خلقناه) صفة (كل شئ) مخلوق كائن . والمعنيان واحد إذ لفظ (كل) في الآية مختص بالمخلوقات سواء كان (خلقناه) صفة له أو خبراً ، وتعقبه السيد السند قدس سره بأنه لقائل أن يقول : إذا جعلنا (خلقناه) صفة كان المعنى (كل) مخلوق متصف بأنه مخلوق كائن بقدر ، وعلى هذا لا يمتنع نظراً إلى هذا المعنى أن يكون هناك مخلوقات غير متصفة بتلك الصفة فلا تندرج تحت الحكم ، وأما إذا جعلناه خبراً أو نصبنا (كل شئ) فلا مجال لهذا الاحتمال نظراً إلى نفس المعنى المفهوم من الكلام فقد اختلف المعنيان قطعاً ولا يجديه نفعا أن كل مخلوق متصف بتلك الصفة في الواقع لأنه إنما يفهم من خارج الكلام ولا شك أن المقصود ذلك المعنى الذي لا احتمال فيه ، وذكر نحوه الشهاب الخفاجي ولكون النصب نصاً في المقصود اتفقت القرآت المتواترة عليه مع احتياجه إلى التقدير وبذلك يترجح على الرفع الموهم لخلافه وإن لم يحتج إليه * ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ ﴾ أى ما شأننا إلا فعلة واحدة على نهج لا يختلف وتيرة لا تتعدد وهي لا يسجد بلا معالجة ومشقة ، أو ما أمرنا إلا كلمة واحدة ، وهى قوله تعالى : (كن) فالامر مقابل النهى وواحد الأمور ، فإذا أراد عز وجل شيئاً قال له : (كن فيكون) ﴿ كَلَّمَكَ بِالْبَصَرِ ۝ ٥ ﴾ أى فى السير والسرعة ، وقيل : هذا فى قيام الساعة فهو كقوله تعالى : (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر) ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا شِيعَةً ﴾ أى أشباهكم فى الكفر

من الامم السالفة ، وأصله جمع شيعة وهم من يتقوى بهم المرء من الاتباع ولما كانوا في الغالب من جنس واحد أريد به ما ذكر إما باستعماله في لازمه ، أو بطريق الاستعارة ، والحال قرينة على ذلك ، وقيل : هو باق على حقيقته أى أتباعكم ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ متعظ بذلك ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ ﴾ من الكفر والمعاصي ، والضمير المرفوع للأشياء كما روى عن ابن عباس . والضحاك . وقتادة . وابن زيد ، رجلة (فعلوه) صفة (شئ) والرابط ضمير النصب ، وقوله تعالى : ﴿ فِي الزُّبُرِ ﴾ متعلق بكون خاص خبر المبتدأ أى كل شئ فعلوه في الدنيا مكتوب في كتب الحفظه غير مغفول عنه ، وتفسير (الزبر) . اللوح المحفوظ كما حكاه الطبرسي ليس بشئ ، ولم يختلف القراء في رفع (كل) وليست الآية من باب الاشتغال فلا يجوز النصب لعدم بقاء المعنى الحاصل بالرفع لو عمل المشتغل بالضمير في الاسم السابق كما هو اللازم في ذلك الباب إذ يصير المعنى ههنا حيثئذ فعلوا (في الزبر) كل شئ . إن علقنا الجار - بفعلوا وهم لم يفعلوا شيئاً من أفعالهم في الكتب بل فعلوها في أماكنهم والملائكة عليهم السلام كتبوها عليهم في الكتب ، أو فعلوا كل شئ مكتوب (في الزبر) إن جعلنا الجار نعتاً لكل شئ ، وهذا وإن كان معنى مستقيماً إلا أنه خلاف المعنى المقصود حالة الرفع وهو ما تقدم آنفاً ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ﴾ من الاعمال كما روى عن ابن عباس . ومجاهد وغيرهما ، وقيل : منها ومن كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿ مُسْتَطَرٌّ ﴾ مسطور مكتوب في اللوح بتفصيله وهو من السطر بمعنى الكتب ، ويقال : سطرت واستطرت بمعنى ، وقرأ الأعمش . وعمران . وعصمة عن أبي بكر عن عاصم (مستطر) بتشديد الراء ، قال صاحب اللوامع : يجوز أن يكون من - طر - النبات والشارب إذا ظهر ، والمعنى كل (صغير و كبير) ظاهر في اللوح مثبت فيه ويجوز أن يكون من الاستطار لكن شدد الراء للوقف على لغة من يقول - جعفر وي فعل - بالتشديد وقفاً أى ثم أجرى الوصل مجرى الوقف ووزنه على التوجيه الأول مستفعل وعلى الثاني مفتعل ، ولما كان بيان حال سوء الكفرة بقوله تعالى : (إن المجرمين) الخ بما يستدعى بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ التهيب والترغيب بين سبحانه ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقال عز قائلنا : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ أى من الكفر والمعاصي ، وقيل : من الكفر •

﴿ فِي جَنَّاتٍ ﴾ عظيمة الشأن ﴿ وَنَهَرٍ ﴾ أى أنهار كذلك ، والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل ، وعن ابن عباس تفسيره بالسعة ، وأنشد عليه قول لبيد بن ربيعة - كما في الدر المنثور - أوفيس بن الخطيب - كما في البحر - يصف طعنة :

ملكته بها كفى (فأنهت) فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

أى أوسعت فتقها ، والمراد بالسعة سعة المنازل على ما هو الظاهر ، وقيل : سعة الرزق والمعيشة ، وقيل : ما يعمهما وأخرج الحكيم والترمذي في نوادر الأصول عن محمد بن كعب قال : (ونهر) أى في نور وضياء وهو على الاستعارة بتشبيه الضياء المنتشر بالماء المتدفق من منبعه ، وجوز أن يكون بمعنى النهار على الحقيقة ، والمراد أنهم لا ظلمة ولا ليل عندهم في الجنات ، وقرأ الأعرج . ومجاهد . وحيد . وأبو السمال . والفياض بن غزوان (ونهر) بسكون الهاء ، وهو بمعنى (نهر) مفتوحها ، وقرأ الأعمش . وأبو نهيك . وأبو مجلز . واليماني (ونهر) بضم النون والهاء ، وهو جمع نهر المفتوح أو الساكن - كأسد وأسد ، ورهن ورهن - وقيل : جمع نهار ، والمراد أنهم لا ظلمة ولا ليل

عندهم كما حكي فيأمر ، وقيل : قرئ بضم النون وسكون الهاء ﴿ في مَقْعَدٍ صَدَق ﴾ في مكان مرضى على أن الصدق مجاز مرسل في لازمه أو استعارة ، وقيل : المراد صدق المبشر به وهو الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو المراد أنه ناله من ناله بصدقه وتصديقه للرسول عليهم السلام ، فالإضافة لأدنى ملابسة ، وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه : مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق ، وهو المقعد الذي يصدق الله تعالى فيه مواعيد أوليائه بأنه يبيح عز وجل لهم النظر إلى وجهه الكريم ، وإفراد المقعد على إرادة الجنس .

وقرأ عثمان البتي - في مقاعد - على الجمع وهي توضح أن المراد بالمقعد المقاعد ﴿ عِنْدَ مَلِكٍ ﴾ أي ملك عظيم الملك ، وهو صيغة مبالغة وليست الياء من الاشباع ﴿ مُقْتَدِرٌ ٥٥ ﴾ قادر عظيم القدرة ، والظرف في موضع الحال من الضمير المستقر في الجار والمجرور ، أو خبر بعد خبر ، أو صفة لمقعد صدق ، أو بدل منه ، والعندية للقرب الرتبى ، وذكر بعضهم أنه سبحانه أبهم العندية والقرب ونكر - مليكا ، ومقتدراً - للإشارة إلى أن ملكه تعالى وقدرته عز وجل لا تدرى الأفهام كنههما وأن قربهم منه سبحانه بمنزلة من السعادة والكرامة بحيث لا عين رأت ولا أذن سمعت مما يحل عن البيان وتكل دونه الأذهان .

وأخرج الحكيم الترمذي عن بريدة - عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى : (إن المتقين) الخ قال : إن أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالأعمال فلا تقر أعينهم قط كما تقر بذلك ولم يسمعوا شيئاً أعظم منه ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحلهم قرية أعينهم ناعمين إلى مثلهما من الغد - وإذا صح هذا فهو من المتشابه كآلية فلا تغفل ، ولهذين الاسمين الجليلين شأن في استجابة الدعاء على ما في بعض الآثار .

أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب قال : دخلت المسجد وأنا أرى أنى أصبحت فاذا على ليل طويل وليس فيه أحد غيرى فتمت فسمعت حركة خلفي ففرعت فقال : أيها الممتلئ قلبه فرقا لا تفرق أو لا تفرع وقل اللهم إنك ملك مقدر ما تشاء من أمر يكون ثم سل ما بدالك قال : فمألت الله تعالى شيئاً إلا استجاب لي وأنا قول : اللهم إنك ملك مقدر ما تشاء من أمر يكون فأسعدني في الدارين وكن لي ولا تكن علي وانصرني على من بغى علي وأعزني من هم الدين وقهر الرجال وشماتة الأعداء ، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ سورة الرحمن عز وجل ﴾

وسميت في حديث أخرجه البيهقي عن علي كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً « عروس القرآن » ورواه موسى ابن جعفر رضي الله تعالى عنهما عن آبائه الأطهار كذلك (وهي مكية) في قول الجمهور ، وأخرج ذلك ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير . وعائشة رضي الله تعالى عنهم . وابن النحاس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وأخرج ابن الضريس . وابن مردويه . والبيهقي في الدلائل عنه أنها نزلت بالمدينة ، وحكي ذلك عن مقاتل ، وحكاها في البحر عن ابن مسعود أيضاً ، وحكي أيضاً قولاً آخر عن ابن عباس وهو أنها مدنية سوى قوله تعالى :

(يسأله من في السموات والارض) الآية ، وحكى الاستثناء المذكور في جمال القراء عن بعضهم ولم يعينه ، وعدد آياتها ثمان وسبعون آية في الكوفي والشامي ، وسبع وسبعون في الحجازي ، وست وسبعون في البصري . ووجه مناسبتها لما قبلها على ما قال الجلال السيوطي : أنه لما قال سبحانه في آخر ما قبل (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) ثم وصف عز وجل حال المجرمين (في سقر) ؛ وحال المتقين (في جنات ونهر) فصل هذا الاجمال في هذه السورة أتم تفصيل على الترتيب الوارد في الاجمال فبدأ بوصف مرارة الساعة ، والاشارة إلى شدتها ، ثم وصف النار وأهلها ، ولذا قال سبحانه : (يعرف المجرمون بسيماهم) ولم يقل الكافرون ، أو نحوه لا اتصاله معنى بقوله تعالى هناك : (إن المجرمين) ، ثم وصف الجنة وأهلها ، ولذا قال تعالى فيهم : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وذلك هو عين التقوى ولم يقل ولمن آمن ، أو أطاع ، أو نحوه لتتوافق الالفاظ في التفصيل والمفصل ؛ ويعرف بما ذكر أن هذه السورة كالشرح لآخر السورة قبلها ، وقال أبو حيان في ذلك : أنه تعالى لما ذكر هناك مقر المجرمين في سقر ، ومقر المتقين (في جنات ونهر عند مليك مقتدر) ذكر سبحانه هنا شيئاً من آيات الملك وآثار القدرة ، ثم ذكر جل وعلا مقر الفريقين على جهة الإسهاب إذ كان ذكره هناك على جهة الاختصار ، ولما أبرز قوله سبحانه : (عند مليك مقتدر) بصورة التنكير فكان سائلاً يسأل ويقول من المتصف بهاتين الصفتين الجليلتين ؟ فقل : (الرحمن) الخ ، والأولى عندي أن يعتبر في وجه المناسبة أيضاً ما في الإرشاد وهو أنه تعالى لما عدد في السورة السابقة منازل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل ، وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لتذكر الناس واتعاضهم ونعى عليهم إعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدينية والآفاقية وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بمواجب شكرها ، وهذا التكرار أحلى من السكر إذا تكرر ، وفي الدرر والغرر لعلم الهدى السيد المرتضى التكرار في سورة (الرحمن) إنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة ، فكما ذكر سبحانه نعمة أنعم بها وبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره ألم أحسن إليك بأن خولتك في الاموال ؟ ألم أحسن إليك بأن فعلت بك كذا وكذا ؟ فيحسن فيه التكرير لا اختلاف ما يقرر به وهو كثير في كلام العرب وأشعارهم كقول مهلهل يرثي طليبا :

على أن ليس عدلا من كليب	إذا ماضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب	إذا رجف العضاه من الدبور
على أن ليس عدلا من كليب	إذا خرجت مخبأة الخدور
على أن ليس عدلا من كليب	إذا ما أعلنت نجوى الأمور
على أن ليس عدلا من كليب	إذا خيف المخوف من الثغور
على أن ليس عدلا من كليب	غداة تأثل الأمر الكبير
على أن ليس عدلا من كليب	إذا ما خار جاش المستجير

ثم أنشد قصائد أخرى على هذا النمط ولولا خوف الملل لأوردتها ، ولا يرد على ما ذكره أن هذه الآية قد ذكرت بعد ما ليس نعمة لما ستعلمه إن شاء الله تعالى في محله ، وقسم في الاتقان التكرار إلى أقسام ، وذكر أن منه ما هو لتعدد المتعلق بأن يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير ما تعلق به الاول ؛ ثم قال : وهذا القسم يسمى بالترديد وجعل منه قوله تعالى : (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فأنها وإن تكررت إحدى وثلاثين مرة فكل واحدة

تتعلق بما قبلها ولذلك زادت على ثلاثة ولو كان الجميع عائداً على شيء واحد لما زاد على ثلاثة لأن التأكيدي لا يزيد عليها كما قال ابن عبد السلام. وغيره، وهو حسن إلا أنه نظر في إطلاق قوله: إن التأكيدي الخ بأن ذلك في التأكيدي الذي تابع أما ذكر الشيء في مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع وإن لزم منه التأكيدي فافهم، ويبدأ سبحانه من النعم بتعليم القرآن فقال عز قائلًا:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ عِلْمَ الْقُرْآنِ ٢﴾ لأنه أعظم النعم شأنًا وأرفعها مكانًا كيف لا وهو مدار للسعادة الدنيوية والدنيوية وعيار على السكتب السماوية ما من مرصد ترنو إليه أحداق الامم إلا وهو منشؤه ومناطه، ولا مقصد تمتد نحوه أغناق الهمم إلا وهو منهجه وصراطه، ونصبه على أنه مفعول ثانٍ - لعلم - ومفعوله الأول محذوف لدلالة المعنى عليه - أي علم الإنسان القرآن - وهذا المفعول هو الذي كان فاعلا قبل نقل فعل الثلاثي إلى فعل المضعف، وسها الامام فحسب أن المحذوف المفعول الثاني حيث قال: علم لا بد له من مفعول ثانٍ وترك للإشارة إلى أن النعمة في التعليم لا في تعليم شخص دون شخص، ويمكن أن يقال: أراد أنه لا بد له من مفعول آخر مع هذا المفعول فلا جزم بسهوه، وقيل: المقدر جبريل عليه السلام أو الملائكة المقربين عليهم السلام، وقيل: محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى القولين يتضمن ذلك الإشارة إلى أن القرآن كلام الله عز وجل، والقول الأول أظهر وأنسب بالمقام، ولى في تعليم غير جبريل عليه السلام من الملائكة الكرام تردد ما بناء على ما في الاتقان نقلا عن ابن الصلاح من أن قراءة القرآن كرامة أكرم الله تعالى بها البشر فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك وأنهم حريصون لذلك على استماعه من الإنس، وإنما لم اعتبر عمومهم للنصوص الدالة على أن جبريل عليه السلام كان يقرأ القرآن وكأنه بك لا تسلم صحة ما ذكر وإن استثنى منه جبريل عليه السلام، وقيل: (علم) من العلامة ولا تقدير أي جعل القرآن علامة وآية لمن اعتبر، أو علامة للنبوته ومعجزة، وهذا على ما قيل: يناسب ما ذكر في مفتح السورة السابقة من قوله تعالى: (وانشق القمر) وتناسب السورتان في المفتح حيث افتتحت الأولى بمعجزة من باب الهيبة وهذه بمعجزة من باب الرحمة •

وقد أبعد القائل ولو أبدى ألف مناسبة، فالذي ينبغي أن يعلم أنه من التعليم، والمراد بتعليم القرآن قيل: إفادة، انعلم به لا بمعنى إفادة العلم بالفاظه فقط بل بمعنى إفادة ذلك والعلم بمعانيه على وجه يعتد به وهو متفاوت وقد يصل إلى العلم بالحوادث الكونية من إشاراته ورموزه إلى غير ذلك فإن الله تعالى لم يغفل شيئا فيه • أخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة عن أبي هريرة مرفوعا «إن الله لو أغفل شيئا لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة» وأخرج ابن جرير. وابن أبي حاتم عن ابن مسعود أنزل في هذا القرآن علم كل شيء وبين لنا فيه كل شيء. ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن، وقال ابن عباس: لو ضاع لي عقل بعير لوجدته في كتاب الله تعالى؛ وقال المرسى: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم كالخلفاء الأربعة، ثم ورث عنهم التابعون لهم باحسان، ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حملة الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، وفسر بعضهم التعليم بتبنيه النفس لتصور المعاني، وجوز الامام أن يراد به هنا جعل الشخص بحيث يعلم القرآن فالآية كقوله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر) وهو بهذا المعنى مجاز كما لا يخفى، و﴿الرحمن﴾ مبتدأ. والجملة بعده خبره كما هو الظاهر، وإسناد

تعليمه إلى اسم (الرحمن) للايدان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها ، وتقديم المسند اليه إما للتأكيد أو للحصر، وفيه من تعظيم شأن القرآن ما فيه ، وقيل : (الرحمن) خبر مبتدأ محذوف ، أو مبتدأ خبره محذوف أى الله الرحمن ، أو الرحمن ربنا وما بعد مستأنف لتعديد نعمه عز وجل وهو خلاف الظاهر ، ثم أتبع سبحانه نعمة تعليم القرآن بخلق الانسان فقال تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ ﴾ لأن أصل النعم عليه ، وإنما قدم ما قدم منها لأنه أعظمها ، وقيل : لأنه مشير إلى الغاية من خلق الانسان وهو كماله في قوة العلم والغاية متقدمة على ذى الغاية ذهنياً وإن كان الأمر بالعكس خارجاً ، والمراد بالانسان الجنس وبخلقه إنشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة ، ثم أتبع عز وجل ذلك بنعمة تعاليم (البيان) فقال سبحانه : ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۚ ﴾ لأن البيان هو الذى به يتمكن عادة من تعلم القرآن وتعليمه ، والمراد به المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير * والمراد بتعليمه نحو مامر ، وفى الإرشاد أن قوله تعالى : (خلق الانسان) تعيين للتعلم ، وقوله سبحانه : (علمه البيان) تبيين لكيفية التعليم ، والمراد بتعليم البيان تمكين الانسان من بيان نفسه ، ومن فهم بيان غيره إذ هو الذى يدور عليه تعليم القرآن . وقيل : بناءً على تقدير المفعول المحذوف الملائكة المقربين إن تقديم تعليم القرآن لتقدمه وقوعاً فهم قد علموه قبل خلق الانسان وربما يرمز اليه قوله تعالى : (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسسه إلا المطهرون) وفى النظم الجليل عليه حسن زائد حيث أنه تعالى ذكر أموراً علوية وأموراً سفلية وكل علوى قابله بسفلى ويأتى هذا على تقدير المفعول جبريل عليه السلام أيضاً ، وقال الضحاك : (البيان) الخير والشر ، وقال ابن جريج : سبيل الهدى وسبيل الضلالة ، وقال يمان : الكتابة والكل كما ترى ، وجوز أن يراد به القرآن وقد سماه الله تعالى بياناً فى قوله سبحانه : (هذا بيان) وأعيد ليكون الكلام تفصيلاً لإجمال علم القرآن وهذا فى غاية البعد . وقال قتادة : (الانسان) آدم . و (البيان) علم الدنيا والآخرة ، وقيل : (البيان) أسماء الاشياء كلها . وقيل : التكلم بلغات كثيرة ، وقيل : الاسم الأعظم الذى علم به كل شئ ، ونسب هذا إلى جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه * وقال ابن كيسان : (الانسان) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وعليه قيل : المراد بالبيان بيان المنزل . والكشف عن المراد به كما قال تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) أو الكلام الذى يشرح به المجمع والمبهم فى القرآن أو القرآن نفسه على ما سمعت آنفاً ، أو نحو ذلك مما يناسبه عليه الصلاة والسلام ويليق به من المعانى السابقة ، ولعل ابن كيسان يقدر مفعول علم الانسان مراداً به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أيضاً ، وهذه أقوال بين يديك ، والمتبادر من الآيات الكريمة لا يخفى عليك ولا أظنك فى مرية من تبادر ما ذكرناه فيها أو لا . ثم إن كلا من الجملتين الأخيرتين خبر عن المبتدأ كجملة (علم القرآن) وكذا قوله تعالى : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ ﴾ والجار والمجرور فيه خبر بتقدير مضاف أى جرى (الشمس والقمر) كأنه أو مستقر (بحسبان) أو الخبر محذوف والجار متعلق به أى يجريان بحسبان وهو مصدر بالغفران بمعنى الحساب . كما قال قتادة . وغيره . أى هما يجريان (بحسبان) مقدر فى بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاقوات ويعلم السنون والحساب ، وقال الضحاك . وأبو عبيدة : هو جمع حساب كسحاب وشهبان أى هما يجريان بحسابات شتى فى بروجهما ومنازلهما ، وقال مجاهد : الحسبان الفلك المستدير من حسبان الرحا وهو ما أحاط بها من أطرافها المستديرة ، وعليه فالباء للظرفية ، والجار والمجرور فى موضع

الخبر من غير احتياج إلى ما تقدم ، والمراد كل من (الشمس والقمر) في فلك ، والجمهور على الأول وجريان الشمس والقمر مما لا ينبغي أن يشك فيه .

وفلاسفة العصر كانوا يزعمون أن الشمس لا تجرى أصلاً ، وأن القمر يجرى على الأرض ، والأرض تجرى على الشمس ، وقد سمعنا أنهم عدلوا منذ أعوام عن ذلك ، فزعموا أن للشمس حركة على كوكب آخر وهذا يدل على أنهم لم يكن عندهم برهان على دعواهم الأولى كما كان يقوله من كان ينتصر لهم ، والظاهر أن حالهم اليوم بل وغداً مثل حالهم بالأمس ، ونحن مع الظواهر حتى يقوم الدليل القطعي على خلافها وحينئذ نميل إلى التأويل وبابه واسع ، ومثل هذه الجملة قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ فان المعطوف على الخبر خبر ، والمراد - بالنجم - النبات الذي ينجم أى يظهر ويطلع من الأرض ولاساق له ، وبالشجر النبات الذي له ساق ، وهو المروى عن ابن عباس . وابن جبير . وأبي رزین ، والمراد بسجودهما انقيادهما له تعالى فيما يريد بهما طبعاً ، شبه جريهما على مقتضى طبيعتهما بانقياد الساجد لخالقه وتعظيمه له . ثم استعمل اسم المشبه به في المشبه فهناك استعارة مصرحة تبعية ، وقال مجاهد . وقتادة . والحسن - النجم - نجم السماء وسجوده بالغروب ونحوه ، وسجود الشجر بالظل واستدارته عند مجاهد . والحسن ، وفي رواية أخرى عن مجاهد أن سجودهما عبارة عن انقيادهما لما يريد سبحانه بهما طبعاً ، والجمهور على تفسير النجم بما سمعت أولاً قبل لأن اقترانه بالشجر يدل عليه ، وإن كان تقدم (الشمس والقمر) يتوهم منه أنه بمعناه المعروف ففيه تورية ظاهرة ، وإخلاء الجمل الثانية . والثالثة . والرابعة عن العاطف لورودها على نهج التعديد مع الإشارة إلى أن كلاهما تضمنته نعمة مستقلة تقتضى الشكر ، وقد قصرنا في أدائه ولو عطف مع شدة اتصالها وتناسبها ربما توهم أن الكل نعمة واحدة .

وتوسط العاطف بين الرابعة والخامسة رعاية لتناسبهما من حيث التقابل لما أن (الشمس والقمر) علويان (والنجم والشجر) سفليان ، ومن حيث أن كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله عز وجل وخلوهما عن الرابط اللفظي مع كونهما خبرين للتعويل على كمال قوة الارتباط المعنوي إذ لا يتوهم ذهاب الوهم إلى كون حال (الشمس والقمر) بتسخير غيره تعالى ، ولا إلى كون سجود النجم والشجر لسواه سبحانه فكأنه قيل : الشمس والقمر بحسبانه (والنجم والشجر يسجدان) له كذا قالوه ، وفي الكشف : تبيننا لما ذكره صاحب الكشف في هذا المقام أخلى الجمل أى التى قبل الشمس والقمر بحسبان عن العاطف لأن الغرض تعديد النعم وتبكيك المنكر كما يقال : زيد أغناك بعد فقر ، أعزك بعد ذل ، كثرك بعد قلة ، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه كأنه لما عد نعمة حرك منه حتى يتأمل هل شكرها حق شكرها أم لا ، ثم يأخذ في أخرى ولوجئ بالعاطف صارت كواحدة ولم يكن من التحريك فى شئ ، ولما قضى الوطر من التعديد المحرك والتبكيك بذكر ما هو أصل النعم على نمط رد الكلام على منهاجه الاصلى من تعداد النعم واحدة بعد أخرى على التناسب والتقارب بحرف النسق ، وفيه تنبيه على أن النعم لا تحصى فليكتف بتعديد أجلها رتبة للغرض المذكور .

وجملة (الشمس والقمر بحسبان) ليست من أخبار المبتدا ، والزخشرى إنما سأل عن وجه الربط ، وأجاب بأن الربط حاصل بالوصل المعنوى كأنه بعد ما بكت ونبه أخذ يعد عليه أصول النعم ليثبت على ما طلب منه من الشكر ، وهذا كما تقول فى المثال السابق بعد قولك : فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد دانت له أقرانك وأطاعته إخوانك وبسط نواله فيمن تحت ملكته ولم يخرج أحد من حيطة عدله ونصفته ، فلا يشك ذوارب أنها جمل

منقطعة عن الأولى إعراباً متصلة بها اتصالاً معنوياً أورثها قطعها لأنها سبقت لغرض وهذه لآخر ، وقريب من هذا الاتصال اتصال قوله تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم) الآية بقوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب) الآية انتهى *

وقد أبعد المغزى فيما أرى إلا أن ظاهر كلام الكشاف يقتضى كون قوله تعالى : (الشمس والقمر بحسبان) من الأخبار فتأمل ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾ أى خلقها مرفوعة ابتداءً لأنها كانت مخفوضة ورفعها ، والظاهر أن المراد برفعها الرفع الصورى الحسى ، ويجوز أن يكون المراد به ما يشمل الصورى والمعنوى بطريق عموم المجاز أو الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يرى جوازه . ورفعها المعنوى الرتبى لأنها منشأ أحكامه تعالى وقضاياه . وهنزل أو امره سبحانه ومحل ملائكته عز وجل ، وقرأ أبو السمال (والسما) بالرفع على الابتداء ، ولا إشكال فيه لأن الجملة عليه اسمية معطوفة على مثلها ، وإنما الاشكال فى النصب لأنه بفعل مضمّر على شريطة التفسير أى ورفع السما فتكون الجملة فعلية فان عطفت على جملة - النجم والشجر يسجدان - الكبرى لزم تخالف الجملتين المعطوفة والمعطوف عليها بالاسمية والفعلية وهو خلاف الأولى ، وإن عطفت على جملة (يسجدان) الصغرى لزم أن تكون خبراً - للنجم والشجر - مثلها ، وذلك لا يصح إذ لا عائد فيها اليهما ، وكذا يقال فى العطف على كبرى وصغرى (الشمس والقمر بحسبان) وأجاب أبو على باختيار الثانى ، وقال : لا يلزم فى المعطوف على الشئ أن يعتبر فيه حال ذلك الشئ ، وتلا باب قولهم متقلداً سيفاً ورمحاً ، وبعضهم باختيار الأول ويحسن التخالف إذا تضمن نكتة ، قال الطيبي : الظاهر أن يعطف على جملة (الشمس والقمر بحسبان) ليؤذن بأن الأصل أجرى الشمس والقمر ، وأسجد النجم والشجر ، فعدل إلى معنى دوام التسخير والانقياد فى الجملتين الأولىين ، ومعنى التوكيد فى الأخيرة والكلام فيما يتعلق بالرفع والنصب فيما إذا ولى العاطف جملة ذات وجهين مفصل فى كتب النحو ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ أى شرع العدل وأمر به بأن وفر على كل مستعد مستحقه ، ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام : « بالعدل قامت السموات والأرض » أى بقيت على أبلغ نظام وأتقن إحكام ، وقال بعضهم : المراد بقاء من فيهما من الثقيلين إذ لولا العدل أهلك أهل الأرض بعضهم بعضاً ، وأما الملا الأعلى فلا يقع بينهم ما يحتاج للحكم والعدل ، فذكرهم المبالغة ، والذي أختاره أن المراد بالسموات والأرض العالم جميعه ولا شك أنه لولا العدل لم يكن العالم منتظماً . ومنشأ ما ذكره القائل ظن أن المراد بالعدل فى الحديث العدل فى الحكم لفصل الخصومات ونحوه وليس كما ظن بل المراد به عدل الله عز وجل وإعطاؤه سبحانه كل شئ خلقه . وتفسير الميزان بما ذكر هو المروى عن مجاهد . والطبرى . والاكثرين ، وهو مستعار للعدل استعارة تصريحية ؛ وعن ابن عباس . والحسن . وقتادة . والضحاك أن المراد به ما يعرف به مقادير الاشياء من الآلة المعروفة والمكيال المعروف ونحوهما ، فالمعنى خلقه موضوعاً مخفوضاً على الأرض حيث علق به أحكام عبادته وقضاياهم المنزلة من السماء وما تعبد بهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم ، والمشهور أنه بهذا المعنى مجاز أيضاً من استعمال المقيد فى المطلق ، وقيل : هو حقيقة ، فالواضح لم يضعه إلا لما يعرف به المقادير على أى هيئة ومن أى جنس كان ، والناس لما ألفوا المعروف لا يكاد يتبادر إلى أذهانهم من لفظ (الميزان) سواء ، وقيل : المراد به المعروف واللفظ فيه حقيقة ولا يسلم الوضع للعام .

ورجح القولان الآخران بأن ما بعد أشد ملائمة لهما وبين الوضع والرفع عليهما تقابل، وقد قرأ عبد الله - وخفض الميزان - والاول بأنه أتم فائدة فزن ذلك بميزان ذهرك ﴿الَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أى لئلا تطغوا فيه أى حقه وشأنه بأن تعتدوا وتتجاوزوا ما ينبغى فيه على أن (أن) ناصبة و(لا) نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى: (وضع الميزان) وجوز ابن عطية . والزحشرى كون (أن) تفسيرية ، و(لا) ناهية . واعترضه أبو حيان بأنه لم يتقدم جملة فيها معنى القول وهو شرط فى صحة جعل (أن) مفسرة ، وأجيب بأن وضع الميزان فيه ذلك لأنه بالوحى وإعلام الرسل عليهم السلام، وزعم بعضهم أن التفسير متعين لأنه لا معنى لوضع الميزان لئلا تطغوا فى الميزان إذ المناسب الموزون ونحوه ، وفيه ما لا يخفى، وفى البحر قرأ إبراهيم (ووضع الميزان) بإسكان الضاد ، وخفض الميزان على أن (وضع) مصدر مضاف إلى ما بعده ولم يبين هل (وضع) مرفوع أو منصوب ، فان كان مرفوعاً فالظاهر أنه مبتدأ (وأن لا تطغوا) بتقدير الجار فى موضع الخبر. وإن كان منصوباً فالظاهر أن عامله مقدر أى وفعل (وضع الميزان) أو ووضع وضع الميزان (أن لا تطغوا) الخ ، وقرأ عبدالله - لا تطغوا - بغير (أن) على إرادة القول أى قائلًا ، أو نحوه لا قل - كما قيل - و(لا) ناهية بدليل الجزم .

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ قوموا وزنكم بالعدل ، وقال الراغب: هذا إشارة إلى مراعاة المعدلة فى جميع ما يتحرراه الانسان من الأفعال والأقوال، وعن مجاهد أن المعنى أقيموا لسان الميزان بالعدل إذا أردتم الأخذ والإعطاء ، وقال سفيان بن عيينة: الإقامة باليد ، والقسط بالقلب، والظاهر أن الجملة عطف على الجملة المنفية قبلها ولا يضر فى ذلك كونها إنشائية ، وتلك خبرية لأنها لتأويلها بالمفرد تجردت عن معنى الطلب ، وجعل بعضهم (لا) فى الاولى مطلقاً ناهية حرصاً على التوافق ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أى لا تنقصوه فان من حقه أن يسوى لأنه المقصود من وضعه وكرره لفظ (الميزان) بدون إضماره كما هو مقتضى الظاهر تشديداً للتوصية وتأكيذاً للامر باستعماله والحث عليه، بل فى الجمل الثلاث تكرر ما معنى لذلك، وقرئ (ولا تخسروا) بفتح التاء وضم السين، وقرأ زيد بن على . وبلال بن أبى بردة بفتح التاء وكسر السين .

وحكى ابن جنى . وصاحب اللوامع عن بلال أنه قرأ بفتحهما ، وخرج ذلك الزحشرى على أن الاصل - ولا تخسروا فى الميزان - فحذف الجار، وأوصل الفعل بناءً على أنه لم يجز إلا لازماً ، وتعقبه أبو حيان بأن خسر قد جاء متعدياً كقوله تعالى: (خسروا أنفسهم) (وخسر الدنيا والآخرة) فلا حاجة إلى دعوى الحذف والإيصال، وأجيب بأنه على تقدير أن يكون متعدياً هنا لا بد من القول بالحذف والإيصال لان المعنى على حذف المفعول به أى لا تخسروا أنفسكم فى الميزان أى لا تكونوا خاسريها يوم القيامة بسبب الميزان بأن لا تراعوا ما ينبغى فيه ، والراغب جوز حمل الآية على القراءة المشهورة على نحو هذا فقال : إن قوله تعالى: (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) يجوز أن يكون إشارة إلى تحرى العدالة فى الوزن وترك الحيف فيما يعاطاه فيه ، ويجوز أن يكون إشارة إلى تعاطى ما لا يكون به فى القيامة خاسراً فيكون بمن قال سبحانه فيه : (من خفت موازينه) وكلا المعنيين متلازمان ، وقيل: المعنى على التعدى بتقدير مضاف أى موزون الميزان، أو جعل الميزان مجازاً عن الموزون فيه فتأمل ولا تغفل ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ خلقها ووضعها مخفوضة عن السماء حسبما يشاهد ، وقال الراغب: الوضع هنا الإيجاد والخلق وكان مراده ما ذكر ، وقيل: أى خفضها مدحوة على الماء ،

والظاهر على تقدير اعتبار الدحو أنه لا حاجة إلى اعتبار أنه سبحانه خلقها كذلك بل لا يصح لانها لم تخلق مدحوة وإنما دحيت بعد على ما روى عن ابن عباس ، ثم إن كونها على الماء مبنى على ما اشتهر أنه عز وجل خلق الماء قبلها وخلقها سبحانه من زبده ﴿لَلْأَنَامُ ١٠﴾ قال ابن عباس . وقتادة . وابن زيد . والشعبي . ومجاهد على ما في مجمع البحرين : الحيوان كله ، وقال الحسن : الانس والجن .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس هم بنو آدم فقط ولم أر هذا التخصيص لغيره رضى الله تعالى عنه ، ففي القاموس الانام الخلق أو الجن والانس ، أو جميع ما على وجه الارض ، ويحتمل أنه أراد أن المراد به هنالك بناءً على أن اللام للانتفاع وأنه محمول على الانتفاع التام وهو للانس أتم منه لغيرهم ، والاولى عندي ما حكى عنه أولاً ، وقرأ أبو السمال (والارض) بالرفع ، وقوله تعالى : ﴿ فِيهَا فَكَّهُةٌ ﴾ الخ استئناف مسوق لتقرير ما أفادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعاً لنفع الانام ، وقيل : حال مقدرة من الارض ، أو من ضميرها ، فالأحسن حينئذ أن يكون الحال هو الجار والمجرور ، و (فاكهة) رفع على الفاعلية والتنوين بمعونة المقام للتكثير أى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به ﴿ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ١١ ﴾ هى أوعية التمر أعنى الطلع على ما روى عن ابن عباس جمع - كم - بكسر الكاف وقد تضم ، وهذا فى - كم - الثمر ، وأما - كم - القميص فهو بالضم لا غير ، أو كل ما يكوم ويغطي من ليف وسعف وطلع فانه مما ينتفع به كالمكوم من الثمر والجوار مثلاً ، واختاره من اختاره ، ومما ذكر يعلم فائدة التوصيف ﴿ وَالْحَبُّ ﴾ هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ﴿ ذُو الْعَصْفِ ﴾ قيل : هو ورق الزرع ، وقيد بعضهم باليابس ، وأخرج ابن جرير . وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه التبن ، وأخرج ابن جرير . وابن المنذر عن الضحاك أنه القشر الذى يكون على الحب ، وعن السدى . والفراء أنه بقل الزرع وهو أول ما ينبت ، وأخرجه غير واحد عن الخبر أيضاً ، واختار جمع ما روى عنه أولاً ، وفي توصيف الحب بما ذكر تنبيه على أنه سبحانه كما أنعم عليهم بما يقوتهم من الحب أنعم عليهم بما يقوت بهائمهم من العصف ﴿ وَالرِّيحَانُ ١٢ ﴾ هو كل مشموم طيب الريح من النبات على ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد ، وأخرج عن الحسن أنه قال : هو ريحانكم هذا أى الريحان المعروف ؛ وأخرج عن مجاهد أنه الرزق بل قال ابن عباس : كما أخرج هو أيضاً عنه كل ريحان فى القرآن فهو رزق ، وزعم الطبرسى أنه قول الأكثر ، وعليه قول بعض الاعراب ، وقد قيل له : إلى أين أطلب من ريحان الله فانه أراد من رزقه عز وجل ، ووجه إطلاقه عليه أنه يرتاح له ، وظاهر كلام الكشف أنه أطلق وأريد منه اللب ليطابق العصف ويوافق المراد منه فى قراءة حمزة . والكسائى . والاصمعى عن أبي عمرو (والريحان) بالجر عطفاً على (العصف) إذ يبعد عليها حمله على المشموم والقريب حمله على اللب فكأنه قيل : والحب ذر العصف الذى هو رزق دوابكم ، وذو اللب الذى هو رزق لكم ، وجوز أن يكون الريحان فى هذه القراءة عطفاً على فاكهة كما فى قراءة الرفع ، والجر للمجاورة وهو كما ترى ، والزنجشري بعد أن فسر (الأكمام) بما ذكرناه ثانياً فيها (والريحان) باللب قال : أراد سبحانه فيها ما يتلذذ به من الفواكه ، والجامع بين التغذى والتلذذ - وهو ثمر النخل - وما يتغذى به - وهو الحب - وهو على ما فى الكشف بيان لظاهر وجه الامتنان وأنه مستوعب لأقسام ما يتناول فى حال الرفاهية لأنه إنما للتلذذ الخالص وهو الفاكهة ، وأوله وللتغذى أيضاً

وهو ثمر النخل ، أو للتغذى وحده وهو الحب ، ولما كان الأخيران أدخل في الامتنان شفع كلا بعلاوة فيها منة أيضاً ، وأنت تعلم أنه إذا كان المقصود من النخل ثمره المعروف فالعطف على أسلوب ملائحته وجبريل كما قيل به في قوله تعالى : (فيها فاكهة ونخل ورمان) وإذا كان ما يعمه وسائر ما ينتفع به منه كالجار والكفري ، فالعطف ليس على ذلك ، وجعل صاحب الكشف قول الزمخشري بعد تفسير (الاكمام) بالمعنى الأعم وكله منتفع به كالمكوم إشارة إلى هذا ، ثم قال : ولا ينافي جعله منه في قوله تعالى : (فيها فاكهة) الخ نظراً إلى أن الجنة دار تخلص للتلذذ فالنظر هنالك إلى المقصود وهو الثمر فقط فتأمل .

وقرأ ابن عامر . وأبو حيوة . وابن أبي عتبة . والحب ذا العصف والريحان - بنصب الجميع ، وخرج على أنه بتقدير وخلق الحب الخ ، وقيل : يجوز تقدير أخص ، وفيه دغدغة ، وجوزوا أن يكون الريحان بمعنى اللب حالة الرفع وحالة النصب على حذف مضاف والأصل وذو أو وذا الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه و (الريحان) فيعلان من الروح . فأصله ريوحان قلبت الواو ياءاً لاجتماعهما مع ياء ساكنة قبلها وأدغمت في الياء فصار ريوحان بالتشديد ثم حذفت الياء الثانية التي هي عين الكلمة فقبل : ريوحان كما قيل : ميت وهين بسكون الياء . وعن أبي على الفارسي أنه فعلان وأصله روحان بفتح الراء وسكون الواو قلبت واؤه ياءاً للتخفيف وللفرق بينه وبين الروحان بمعنى ماله روح ﴿ فَبَأَىءَ الْآءِ رَبُّكَ تَكْذِبَانَ ١٣ ﴾ الخطاب للثقلين لانهما داخلان في

الانام على ما اخترناه ، أو لأن الانام عبارة عنهما على ما روى عن الحسن ، وسينطق بهما في قوله تعالى : (سنفرغ لكم آية الثقلان) وفي الاخبار كما ستعلمه إن شاء الله تعالى قريباً ما يؤيده ، وقد أبعدهم من ذهب إلى أنه خطاب للذكر والاثني من بني آدم ، وأبعد أكثر منه من قال : إنه خطاب على حد (ألقيا في جهنم) ويأشترطى أضربا عنقه ، يعني أنه خطاب للواحد بصورة الاثنين والفاء لترتيب الإنكار ، والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للإيمان والشكر حتماً ، والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بشيء من آلائه تعالى كفرهم به إما بإنكار كونه منه عز وجل مع عدم الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند إليه من النعم الدينية ، وإما بإنكار كونه منه تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة إليهم بإسناده إلى غيره سبحانه استقلالاً ، أو اشتراكاً صريحاً ، أو دلالة فإن إشرافهم لآلهتهم به تعالى في العبادة من دواعي إشرافهم له به تعالى فيما يوجبها ، والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب لا محالة أي فاذا كان الأمر كما فصل (فبأى) فرد من أفراد نعم ممالككما ومريكم بلك النعم (تكذبان) مع أن كلامها ناطق بالحق شاهد بالصدق ويندب أن يقول سامع هذه الآية : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ، فقد أخرج البزار . وابن جرير . وابن المنذر . والدارقطني في الأفراد . وابن مردويه . والخطيب في تاريخه بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما « أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ سورة (الرحمن) على أصحابه فسكتوا فقال : مالي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم ما أتيت على قول الله تعالى : (فبأى آلاء ربكما تكذبان) إلا قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » .

وأخرج الترمذي وجماعة وصححه الحاكم عن جابر بن عبد الله نحوه ، وقرئ (فبأى) بالتنوين في جميع السورة

كانه حذف منه المضاف إليه وأبدل منه (آلاء ربكما) بدل معرفة من نكرة *

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ١٤ ﴾ تمهيد للتوبيخ على إخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين ، والمراد بالانسان آدم عند الجمهور . وقيل: الجنس وساغ ذلك لأن أباهم مخلوق مما ذكر ، والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة ، وأصله - كما قال الراغب - تردد الصوت من الشئ اليابس . ومنه قيل: صل المسمار ، وقيل: هو الممتن من الطين من قولهم: صل اللحم ، وكان أصله صلال فقلبت إحدى اللامين صاداً ويعد ذلك قوله سبحانه: (كالفخار) وهو الحذف أعني ما أحرق من الطين حتى تحجر وسمى بذلك لصوته إذا نقر كأنه تصور بصورة من يكثر التفاخر ، وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً فلا تنافي بين الآية الناطقة بأحدها وبين ما نطق بأحد الآخرين ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ ﴾ هو أبو الجن وهو إبليس قاله الحسن ، وقال مجاهد : هو أبو الجن وليس بإبليس ، وقيل: هو اسم جنس شامل للجن كلهم ﴿ (من مارج) ﴾ من لُهب خالص لادخان فيه - كما هو رواية عن ابن عباس - وقيل : هو اللهب المختلط بسواد النار ، أو بخضرة وصفرة وحمرة - كما روى عن مجاهد - من مرج الشئ إذا اضطرب واختلط ، و(من) لا ابتداء الغاية ، وقوله تعالى: ﴿ (من نار ١٥) ﴾ بيان لما رج والتنكير للطابقة ولأن التعريف لكنه عليه فكأنه قيل: خلق من نار خالصة ، أو مختلطة على التفسيرين ، وجوز جعل (من) فيه ابتدائية فالتنكير لأنه أريد نار مخصوصة متميزة من بين النيران لاهذه المعروفة ، وأياً ما كان فالما رج بالنسبة إلى الجان كالتراب بالنسبة إلى الانسان ، وفي الآية رد على من يزعم أن الجن نفوس مجردة ﴿ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦) ﴾ مما أفاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوايغ النعم ﴿ (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ١٧) ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو رب الخ ، والذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة - رب مشرق الشمس صيفاً وشتاءً ومغربيها - كذلك على ما أخرجه جماعة عن ابن عباس ، وروى عن مجاهد . وقتادة . وعكرمة أن (المشرقين) مشرقا الشتاء ومشرق الصيف ، و(المغربين) مغرب الشتاء ومغرب الصيف بدون ذكر الشمس ، وقيل: المشرقان مشرقا الشمس والقمر ، والمغربان مغرباهما وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن (المشرقين) مشرق الفجر ومشرق الشفق ، و(المغربين) مغرب الشمس ومغرب الشفق ، وحكى أبو حيان في المغربين نحو هذا ، وفي المشرقين أنهما مطلع الفجر ومطلع الشمس والمعول ما عليه إلا كثرون من مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما ، ومن قضية ذلك أن يكون سبحانه رب ما بينهما من الموجودات ، وقيل : (رب) مبتدأ والخبر قوله تعالى : (مرج) الخ ، وليس بذاك *

وقرأ أبو حيوة . وابن أبي عبله (رب) بالجر على أنه بدل من ربكما ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨ ﴾ بما في ذلك من فوائد لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته *

﴿ (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) ﴾ أي أرسلهما وأجراهما من - مرجت - الدابة - في المرعى - أرسلتها فيه ، والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب ﴿ يَلْتَقِيَانِ ١٩ ﴾ أي يتجاوران وتتماس سطوحهما لا فصل بينهما في مرأى العين ، وقيل : أرسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان ينشعبان منه ، وروى هذا عن قتادة لكنه

أورد عليه أنه لا يوافق قوله تعالى: (مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، وعليه قيل : جملة (يلتقيان) حال مقدرة إن كان المراد - إرسالهما إلى المحيط ، أو المعنى اتحاد أصليهما إن كان المراد إرسالهما إليه ﴿ يَدْنُهُمَا بَرْزَخٌ ﴾ أى حاجز من قدرة الله تعالى ، أو من أجرام الارض كما قال قتادة ﴿ لَا يَبْغِيَانِ ٢٠ ﴾ أى لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية بالسكية بناءً على الوجه الأول فيما سبق ، أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما بناءً على الوجه الثاني ، وروى هذا عن قتادة أيضاً ، وفي معناه ما أخرجه عبد الرزاق . وابن المنذر عن الحسن (لا يبغيان) عليكم فيغرقانكم ، وقيل : المعنى لا يطلبان حالا غير الحال التي خلقا عليها وسخرها لها ﴿ فَبَئِىَ ءَالَاءَ رَبِّكَ كُفَّكَتْ أَبْصَارُ ٢١ ﴾ مما لكما في ذلك من المنافع ﴿ يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ ﴾ صغار الدر ﴿ وَالْمَرْجَانَ ٢٢ ﴾ كباره كما أخرج ذلك عبد بن حميد . وابن جرير عن علي كرم الله تعالى وجهه . ومجاهد ، وأخرجه عبد عن الربيع . وجماعة منهم المذكوران . وابن المنذر . وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس ، وأخرج ابن جرير عنه أنه قال : (اللؤلؤ) ما عظم منه (والمرجان) اللؤلؤ الصغار . وأخرج هو . وعبد الرزاق . وعبد بن حميد عن قتادة نحوه ، وكذا أخرج ابن الأنباري في الوقف والابتداء عن مجاهد ، وأظن أنه إن اعتبر في اللؤلؤ معنى التلاؤلؤ واللمعان وفي المرجان معنى المرج والاختلاط فالأوفق لذلك ما قيل : ثانياً فيهما ، وأخرج عبد الرزاق . والفريابي . وعبد بن حميد . وابن جرير . وابن المنذر . والطبري عن ابن مسعود أنه قال : - المرجان - الخرز الأحمر أعنى البسذ وهو المشهور المتعارف ، و (اللؤلؤ) عليه شامل للكبار والصغار ، ثم إن اللؤلؤ بناء غريب قيل : لا يحفظ منه في كلام العرب أكثر من خمسة هو ، والجوؤ جو الصدر وقرية بالبحرين ، والدؤدؤ آخر الشهر أو ليلة خمس وست وسبع وعشرين . أو ثمان وتسع وعشرين . أو ثلاث ليال من آخره ، والبؤبؤ بالباء الموحدة الاصل . والسيد الظريف . ورأس المسكحلة . وإنسان العين . ووسط الشيء ، واليؤيؤ بالياء آخر الحروف طائر كالباشق ، ورأيت في كتب اللغة على هذا البناء غيرها وهو الضؤضؤ الاضل للطائر . والنؤنؤ بالنون المسكثر قلب الحدة . والعاجز الجبان ، ومن ذلك شؤشؤ دعاء الحمار إلى الماء وزجر الغنم والحمار للبضى . أو هو دعاء للغنم لتأكل ، أو تشرب . وأما المرجان فقد ذكره صاحب القاموس في مادة - مرج - ولم يذكر ما يفهم منه أنه مغرب ، وقال أبو حيان في البحر : هو اسم أعجمي مغرب . وقال ابن دريد : لم أسمع فيه بفعل متصرف . وقرأ طلحة - اللؤلؤ - بكسر اللام الأخيرة . وقرئ اللؤلؤ بقلب الهمزة المتطرفة ياءاً ساكنة بعد كسر ما قبلها وكل من ذلك لغة . وقرأ نافع . وأبو عمرو (يخرج) مبنياً للفعول من الإخراج ، وقرئ (يخرج) مبنياً للفاعل منه ونصب (اللؤلؤ والمرجان) أى يخرج الله تعالى . واستشكلت الآية على تفسير البحرين بالعذب والمالح دون بحرى فارس والروم بأن المشاهد خروج (اللؤلؤ والمرجان) من أحدهما وهو الملح . فكيف قال سبحانه : (منهما) ؟ وأجيب بأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال : يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميعه ولكن من بعضه ، وكما تقول خرجت من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره ، وقد ينسب إلى الاثنين ما هو لاحدهما كما يسند إلى الجماعة ما صدر من واحد منهم . ومثله على ما في الانتصاف (على رجل من القريتين عظيم) وعلى ما نقل عن الزجاج

(سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً) ، وقيل: إنهما لا يخرجان إلا من ملتقى العذب والملح ويرده المشاهدة وكأن من ذكره مع ما تقدم لم يذكره لكونه قولاً آخر بل ذكره لتقوية الاتحاد فينبذ تكون علاقة التجوز أقوى . وقال أبو علي الفارسي : هذا من باب حذف المضاف والتقدير يخرج من أحدهما وجعل (من القريتين) من ذلك . وهو عند تقدير معنى لا تقدير إعراب . وقال الرمانى: العذب منهما كاللقاح للمالح فهو كما يقال الولد يخرج من الذكر والانثى أى بواسطتهما ، وقال ابن عباس، وعكرمة : تكون هذه الأشياء في البحر بنزول المطر لأن الأصداف في شهر نيسان تتلقى ماء المطر بأفواهها فتكون منه ، ولذا تقل في الجذب ، وجعل عليه ضمير (منهما) للبحرين باعتبار الجنس ولا يحتاج إليه بناءً على ما أخرجه ابن جرير عنه أن المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الأرض *

وأخرج هو . وابن المنذر عن ابن جبير نحوه إلا أن في تكون المرجان بناءً على تفسيره بالبسد من ماء المطر كاللؤلؤ تردداً وإن قالوا: إنه يتكون في نيسان ، وقال بعض الأئمة: ظاهر كلام الله تعالى أولى بالاعتبار من كلام الناس، ومن علم أن اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب وهب أن الغواصين ما أخرجه إلا من الملح ، ولكن لم قلت أن الصدف لا يخرج بأمر الله تعالى من الماء العذب إلى الماء المالح فإن خروجه محتمل تلذذاً بالملوحة كما تلذذ المتوحمة بها في أوائل حملها حتى إذا خرج لم يمكنه العود ، وكيف يمكن الجزم بما قلتم وكثير من الأمور الأرضية الظاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا المفاوز وداروا البلاد فكيف لا يخفى أمر ما في قعر البحر عليهم ، والله تعالى أعلم ((ومن غريب التفسير)) ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال: (مرج البحرين يلتقيان) على . وفاطمة رضى الله تعالى عنهما (بينهما برزخ لا يبغيان) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما *

وأخرج عن إياس بن مالك (١) نحوه لكن لم يذكر فيه البرزخ ، وذكر الطبرسي من الإمامية في تفسيره مجمع البيان الأول بعينه عن سليمان الفارسي . وسعيد بن جبيرة . وسفيان الثوري ، والذي أراه أن هذا إن صح ليس من التفسير في شيء بل هو تأويل كتأويل المتصوفة لكثير من الآيات ، وكل من على . وفاطمة رضى الله تعالى عنهما عند أعظم من البحر المحيط علماً وفضلاً ، وكذا كل من الحسين رضى الله تعالى عنهما أبهى وأبهج من اللؤلؤ والمرجان بمراتب جاوزت حد الحساب ((فَبَأَىءَ الْآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ٢٣)) بما في ذلك من الزينة والمنافع الجليلة فقد ذكر الأطباء أن (اللؤلؤ) يمنع الخفقان . والبحر . وضعف الكبد . والكلى . والحصى . وحرقة البول . والسدد . واليرقان . وأمراض القلب . والسموم . والوسواس . والجنون . والتوحش . والربو شرباً . والجذام . والبرص . والبهق . والآثار مطلقاً بالطل إلى غير ذلك ، وأن المرجان أعنى البسد يفرح ويزيل فساد الشهوة ولو تعليقاً . ونفث الدم . والطحال شرباً . والدمعة . والبياض . والسلاق . والجرب كحلا إلى غير ذلك مما هو مذكور في كتبهم ((وَلَهُ الْجَوَارِ)) السفن جمع جارية وخصها سبحانه بأنها له وهو تعالى له ملك السموات والأرض وما فيهن للإشارة إلى أن كونهم هم منشئها لا يخرجها من ملكه عز وجل حيث كان تمام منفعتها إنما هو منه عز وجل ، وقرأ عبد الله . والحسن . وعبد الوارث عن أبي عمرو - الجوار -

يأظهار الرفع على الراء لان المحذوف لما تناسوه أعطوا ما قبل الآخر حكمه كما في قوله :
لها ثنانيا أربع حسان وأربع فكلها (ثمان)

(الْمُنَشَّاتُ) أي المرفوعات الشرع - كما قال مجاهد - من أنشأه بمعنى رفعه ، وقيل : المرفوعات على الماء وليس بذاك ، وكذا ما قيل المصنوعات ، وقرأ الاعمش . وحمزة . وزيد بن علي . وطلحة . وأبو بكر بخلاف عنه (المنشآت) بكسر الشين أي الرافعات الشرع ، أو اللاتي ينشئن الامواج بجريهن ، أو اللاتي ينشئن السير إقبالا وإدبار ، وفي الكل مجاز ، وشدد الشين ابن أبي عبله ، وقرأ الحسن (المنشآت) وحد الصفة ودل على الجمع الموصوف كقوله تعالى : (أزواج مطهرة) وقلب الهمزة ألفا على حد قوله * إن السباع (لتهدا) في مراتبها * يريد لتهدا والتاء لتأنيث الصفة كتبت تاء على لفظها في الاصل ﴿ فِي الْبَحْرِ كَأَلَّا عِلْمَ ٢٤ ﴾ كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل ﴿ فَبَآئٍ ءِالَاءَ رَبِّكَ كَذَّبَانَ ٢٥ ﴾ من خلق مواد السفن والارشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه وتعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ أي على الارض التي وضعت للانام من الحيوانات والمركبات و(مَنْ) للتغليب ؛ أول الثقلين ﴿ فَان ٢٦ ﴾ هالك ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ أي ذاته عز وجل ، والمراد هو سبحانه وتعالى ، فالإضافة بيانية وحقيقة الوجه في الشاهد الجارحة واستعماله في الذات مجاز مرسل كاستعمال الأيدي في النفس ، وهو مجاز شائع ، وقيل : أصله الجهة واستعماله في الذات من باب الكناية وتفسيره بالذات هنا مبني على مذهب الخلف القائلين بالتأويل ، وتعيين المراد في مثل ذلك دون مذهب السلف ، وقد قررناه لك غير مرة فتذكره وعض عليه بالنواجذ *

والظاهر أن الخطاب في - ربك - للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه تشريف عظيم له عليه الصلاة والسلام ، وقيل : هو للصالح له لعظم الأمر ونخامته ، وفي الآية عند المؤولين كلام كثير منه ماسمعت ، ومنه ما قيل : الوجه بمعنى القصد ويراد به المقصود ، أي ويبقى ما يقصده ربك عز وجل من الأعمال ، وحمل كلام من فسر به العمل الصالح على ذلك وفيه ما فيه ، وأقرب منه ما قيل : وجهه تعالى الجهة التي أمرنا عز وجل بالتوجه إليها والتقرب بها إليه سبحانه ، ومرجع ذلك العمل الصالح أيضاً والله جل شأنه يبقيه للعبد إلى أن يجازيه عليه ولذا وصف بالبقاء ؛ أولاً لأنه بالقبول صار غير قابل للفناء لما أن الجزاء عليه قام مقامه وهو باق ، ولا يخفى أن كلا القولين غير مناسب للتعليم في (كل من عليها) وقيل : وجهه سبحانه الجهة التي يليها الحق أي يتولاها بفضله ويفيضاها على الشئ من عنده أي إن ذلك باق دون الشئ في حد ذاته فانه فان في كل وقت ، وقيل : المراد بوجهه سبحانه وجهه الممكن وهي جهة حيثية ارتباطه وانتسابه إليه تعالى ، والإضافة لأدنى ملازمة فالممكن في حد ذاته أي إذا كان مستقلاً غير مرتبط بعلة أعنى الوجود الحق كان معدوماً لان ظهوره إنما نشأ من العلة ولولاها لم يكن شيئاً مذكوراً ، وقول العلامة البيضاوي : لو استقرت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله تعالى أي الوجه الذي يلي جهته سبحانه محمول على ذلك عند بعض المحققين وإن كان قد فسر الوجه قبل بالذات ، وللعلماء في تقرير كلامه اختلاف ، فمنهم من يجعل قوله : لو استقرت الخ تنمة لتفسيره الأول ،

ومنهم من يجعله وجهاً آخر ، وهو على الأول أخذ بالخاص ، وعلى الثاني قيل : يحتمل التطبيق على كل من مذاهب في الممكنات الموجودة ، وذلك أنها إما موجودة حقيقة بمعنى أنها متصفة بالوجود اتصافاً حقيقياً بأن يكون الوجود زائداً عليها قائماً بها ، وهو مذهب جمهور الحكماء والمتكلمين ، وإمام وجودية مجازاً وليس لها اتصاف حقيقي بالوجود بأن يكون الوجود قائماً بها بل إطلاق الوجود عليها كإطلاق الشمس على الماء ، وإليه ذهب المتألهون من الحكماء . والمحققون من الصوفية إلا أن ذوق المتألهين أن علاقة المجاز أن لها نسبة مخصوصة إلى حضرة الوجود الواجب على وجوه مختلفة وأنحاء شتى ، والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق ، فالوجود عندهم جزئي حقيقي قائم بذاته لا يتصور عروضة لشيء ولا قيامه به ومعنى كون الممكن موجوداً أنه مظهر له ومجلى ينبجلى فيه نوره - فالله نور السموات والأرض - والممكنات بمنزلة المرايا المختلفة التي تنعكس إليها أشعة الشمس وينصبغ كل منها بصبغ يناسبه ، ومذاق المحققين من الصوفية أن علاقة المجاز أنها بمنزلة صفات قائمة بذات الواجب سبحانه إذ ليس في الوجود على مذاقهم ذوات متعددة بعضها واجب وبعضها ممكن بل ذات واحدة لها صفات متكررة وشئون متعددة وتجليات متجددة (قل الله ثم ذرهم) والمشهور أنه لا فرق بين المذاقين .

ووجه التطبيق على الأول أن يقال : المراد من الوجه الذي يلي جهته تعالى هو الوجوب بالغير إذ الممكن - وإن كان موجوداً حقيقة عند الجمهور - لكن وجوده مستفاد من الواجب بالذات ، وجهة الاستفادة ليست هي الذات ولا شيئاً آخر من الجهات والوجوه كالأمكن . والمعلولية . والجوهرية . والعرضية . والبساطة . والتركيب وسائر الأمور العامة لأن كلاهما جهته الحسية ، ومقتضى الفطرة الإمكانية البعيدة بمراحل عن الوجوب الذاتي المنافية له ، وإنما جهة الشرف القريبة المناسبة للوجوب الذاتي جهة الوجوب بالغير فهو وجه يلي جهة الواجب ويناسبه في كونه وجوباً وإن كان بالغير ، ولذا يعقبه فيضان الوجود ، ولذا تسميهم يقولون : الممكن ما لم يجب لم يوجد *

ووجه التطبيق على الثاني أن يقال : الوجه الذي يلي جهته تعالى هو تلك النسبة المخصوصة المصححة لإطلاق لفظ الوجود عليها ولو مجازاً ، فالمعنى (كل من عليها فان) معدوم لا يصح أن يطلق لفظ الوجود عليه ولو مجازاً إلا باعتبار الوجه الذي يلي جهته تعالى أي النسبة المخصوصة إلى حضرة تعالى ، هي كونه مظهراً له سبحانه ، ووجه التطبيق على الثالث أن يقال : المراد بالوجه الذي يلي جهته تعالى كونها شئون واعتبارات له تعالى . فالمعنى (كل من عليها) معدوم من جميع الوجوه والاعتبارات إلا من الوجه الذي يلي جهته سبحانه والاعتبار الذي يحصل مقيساً إليه عز وجل ، وهو كونه شأناً من شئونه واعتباراً من اعتباراته جل شأنه فتأمل مستعيناً بالله عز وجل .

﴿ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٢٧ ﴾ أي يحله الموحدون عن التشبيه بخلقه ويثبتون له ما يليق بشأنه تعالى شأنه فهذا راجع إلى ماله سبحانه من التعظيم في قلوب من عرفه عز وجل أو الذي يقال في شأنه : ما أجلك وما أكرمك أي هو سبحانه من يستحق أن يقال في شأنه ذلك قيل أو لم يقل فهو راجع إلى ماله تعالى من الكمال في نفسه باعتبار قصور الإدراك عن شأوه ، أو من عنده الجلال والإكرام للموحدين فهو راجع إلى الفعل أي يحل الموحدين ويكرمهم ، وفسر بعض المحققين (الجلال) بالاستغناء المطاق (والاكرام) بالفضل التام وهذا ظاهر ، ووجه الأول بأن الجلال العظمة وهي تقتضي ترفعه تعالى عن الموجودات ويستلزم أنه سبحانه غنى عنها ، ثم ألحق بالحقيقة ، ولذا قال الجوهرى : عظمة الشيء الاستغناء عن غيره وكل محتاج حقير ، وقال الكرماني :

إنه تعالى له صفات عدمية مثل (لا شريك له) وتسمى صفات الجلال لما أنها تؤدي بحمل عن كذا جل عن كذا و صفات وجودية - كالحياة . والعلم - وتسمى صفات الاكرام ، وفيه تأمل *
والظاهر أن (ذو) صفة للوجه ، ويتضمن الوصف بملذ كر على ما ذكره البعض الإشارة إلى أن فناء (من عليها) لا يخل بشأنه عز وجل لأنه الغنى المطلق ، والإشارة إلى أنه تعالى بعد فنائهم يفيض على الثقلين من آثار كرمه ما يفيض وذلك يوم القيامة ، ووصف الوجه بما وصف يبعد كونه عبارة عن العمل الصالح أو الجهة على ما سمعت آنفاً وكأن من يقول بذلك يقول : (ذو) خبر مبتدا محذوف هو ضمير راجع إلى الرب وهو في الأصل صفة له ، ثم قطعت عن التبعية ، ويؤيده قراءة أبي . وعبد الله - ذي الجلال - بالياء على أنه صفة تابعة للرب ، وذكر الراغب أن هذا الوصف قد خص به عز وجل ولم يستعمل في غيره ، فهو من أجل أوصافه سبحانه ، ويشهد له ما رواه الترمذي عن أنس . والامام أحمد عن ربيعة بن عامر مرفوعاً « أظنوا بياذا الجلال والاكرام » أي الزموا واثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم ، وروى الترمذي . وأبو داود . والنسائي عن أنس « أنه كان مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورجل يصلي ثم دعا فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام يا حي يا قيوم ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : لأصحابه أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى » *

﴿ فَبَأَى آءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ۚ ﴾ (٢٨) مما يتضمنه ما ذكره فان الفناء باب للبقاء ، والحياة الأبدية ، والإثابة بالنعمة السرمدية ، وقال الطيبي : المراد من الآية السابقة ملزوم معناها لأنها كناية عن مجئ وقت الجزاء وهو من أجل النعم ، ولذلك خص (الجلال والاكرام) بالذكر لأنهما يدلان على الإثابة والعقاب المراد منها تخويف العباد وتحذيرهم من ارتكاب ما يترتب عليه العقاب ، والتحذير من مثل ذلك نعمة ، فلذا رتب عليها بالفناء قوله تعالى : (فَبَأَى آءَ) الخ ، وليس بذاك ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قاطبة ما يحتاجون إليه في ذواتهم حدوثاً وبقاءً وفي سائر أحوالهم سؤالاً مستمراً بلسان المقال أو بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمنزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود أصلاً فهم في كل آن سائلون *
وأخرج عبد بن حميد . وابن المنذر عن أبي صالح (يسأله من في السموات) الرحمة ، ومن في - الأرض - المغفرة والرزق ، وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج (يسأله) الملائكة عليهم السلام الرزق لأهل الأرض والمغفرة . وأهل الأرض يسألونها جميعاً وما تقدم أولى . ولا دليل على التخصيص *

والظاهر أن الجملة استئناف . وقيل : هي حال من - الوجه - والعامل فيها (يبقى) أي هو سبحانه دائم في هذه الحال ، ولا يخفى حاله على ذي تمييز ﴿ كُلَّ يَوْمٍ ﴾ كل وقت من الاوقات ولحظة من اللحظات *

﴿ هُوَ فِي شَأْنِ ۚ ﴾ من الشئون التي من جملتها إعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ أشخاصاً ، ويفنى آخرين ويأتي بأحوال ويذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته عز وجل المبنية على الحكم البالغة ، وأخرج البخاري في تاريخه . وابن ماجه . وابن حبان . وجماعة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية : « من شأنه

أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين » زاد البزار « ويجيب داعياً » ، وقيل : إن الله تعالى في كل يوم ثلاث عساكر . عسكر من الاصلاب إلى الارحام . وعسكر من الارحام إلى الدنيا . وعسكر من الدنيا إلى القبور ، والظاهر أن المراد بيان كثرة شئونه تعالى في الدنيا فكل يوم على معنى كل وقت من أوقات الدنيا .

وقال ابن عيينة : الدهر عند الله تعالى يومان ، أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والإمارة والاحياء . وثانيهما اليوم الذي هو يوم القيامة فشأنه سبحانه فيه الجزاء والحساب ، وعن مقاتل إن الآية نزلت في اليهود قالوا : إن الله تعالى لا يقضى يوم السبت شيئاً فرد عز وجل عليهم بذلك ، وسأل عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن الجمع بين هذه الآية وما صح من أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة فقال : شئون يديها لا شئون يبتديها ، وانتصب (كل يوم) على الظرف ، والعامل فيه هو العامل في قوله تعالى : (في شأن) ، و (هو) ثابت المحذوف : فكأنه قيل هو ثابت في شأن كل يوم ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ٣٠ ﴾ مما يسعف به سؤالكم وما يخرج لكم بيديه من مكنى عدم حيناً فحيناً ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ الفراغ في اللغة يقتضى سابقة شغل . والفراغ للشئ يقتضى لاحقيته أيضاً ، والله سبحانه لا يشغله شأن عن شأن فجعل انتهاء الشئون المشار إليها بقوله تعالى : (كل يوم هو في شأن) يوم القيامة إلى واحد هو جزاء المكلفين فراغاً لهم على سبيل التمثيل لأن من ترك أشغاله إلى شغل واحد يقال : فرغ له واليه فشبه حال هؤلاء . وأخذه تعالى في جزائهم فحسب بحال من فرغ له ، وجازت الاستعارة التصريحية التبعية في (سنفرغ) بأن يكون المراد سنأخذ في جزائكم فقط الاشتراك الأخذ في الجزاء فقط ، والفراغ عن جميع المهام إلى واحد في أن المعنى به ذلك الواحد ، وقيل : المراد التوفر في الانتقام والنكابة ، وذلك أن الفراغ للشئ يستعمل في التهديد كثيراً كأنه فرغ عن كل شئ لأجله فلم يبق له شغل غيره فيدل على التوفر المذكور ، وهو كناية فيمن يصح عليه ، ومجاز في غيره كالذي نحن فيه ، ولعل مراد ابن عباس . والضحاك بقولهما - كما أخرج ابن جرير عنهما - هذا وعيد من الله تعالى لعباده ماذكر ، والخطاب عليه قيل : للمجرمين ، وتعقب بأن النداء الآتي يأباه ، نعم المقصود بالتهديد هم ، وقيل : لمانع من تهديد الجميع ، ثم إن هذا التهديد إنما هو بما يكون يوم القيامة ، وقول ابن عطية : يحتمل أن يكون ذلك توعداً بعذاب الدنيا بما لا يكاد يلتفت إليه ، وقيل : إن فرغ يكون بمعنى قصد ، واستدل عليه بما أنشده ابن الأنباري لجرير :

ألان وقد (فرغت) إلى نير فهذا حين كنت لهم عذاباً

أى قصدت ، وأنشد النحاس : فرغت إلى العبد المقيد في الحجل * وفي الحديث « لا تفرغ عنك يا خبيث » قاله صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطباً به أذب العقبة يوم يبعثها أى لا قصدن إبطال أمرك ، ونقل هذا عن الخليل . والكسائي . والفراء ، والظاهر أنهم حملوا ما في الآية على ذلك ، فالمراد حينئذ تعلق الإرادة تعلقاً تنجيزياً بجزائهم ، وقرأ حمزة . والكسائي . وأبو حيوة . وزيد بن علي - سيفرغ - بياء الغيبة ، وقرأ قتادة . والاعرج (سنفرغ) بنون العظمة . وفتح الراء مضارع فرغ بكسر ها - وهو لغة تميم - كما أن (سنفرغ) في قراءة الجمهور مضارع فرغ بفتحها لغة الحجاز ، وقرأ أبو السمال . وعيسى (سنفرغ) بكسر النون وفتح الراء وهي - على ما قال أبو حاتم - لغة سفلى مضر ، وقرأ الأعشى . وأبو حيوة بخلاف عنهما . وابن أبي عملة . والزعفراني

- سيفرغ - بضم الياء وفتح الراء مبنيًا للمفعول؛ وقرأ عيسى أيضاً (سيفرغ) بفتح النون وكسر الراء ، والاعرج أيضاً - سيفرغ - بفتح الياء والراء وهى لغة ، وقرأ سافرغ بهمزة المتكلم وحده، وقرأ أبى (سيفرغ) إليكم عداه يالى فليل: للحمل على القصد، أو لتضمنه معناه أى (سيفرغ) قاصدين إليكم ﴿ آيَةُ الثَّقَلَانِ ٣١ ﴾ هما الانس والجن من ثقل الدابة وهو ما يحمل عليها جعلت الارض كالحمولة والانس والجن ثقلاها، وما سواهما على هذا كالعلاوة، وقال غير واحد: سميا بذلك لثقلهما على الارض ، أولرزانة رأيهما وقدرهما وعظم شأنهما ، ويقال لكل عظيم القدر بما يتنافس فيه : ثقل ، ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى» وقيل: سميا بذلك لأنهما مثقلان بالتكليف ، وعن الحسن لثقلهما بالذنوب ﴿ فَبَايَءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٢ ﴾ التى من جملتها التنبيه على ما ستلقونه يوم القيامة للتحذير عما يودى إلى سوء الحساب ﴿ يَمَعَشَرُ الْجَنُّ وَالْأَنسُ ﴾ هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشاقة فخطبوا بما ينبىء عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تنفى بما كلفوه وكأنه لما ذكر سبحانه أنه مجاز للعباد لا محالة عقب عز وجل ذلك ببيان أنهم لا يقدرّون على الخلاص من جزائه وعقابه إذا أراد فقل سبحانه : (يامعشر الجن والانس) ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ ﴾ إن قدرتم ، وأصل الاستطاعة طلب طوعية الفعل وتأتيه *

﴿ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله تعالى فارين من قضائه سبحانه ﴿ فَانفُذُوا ﴾ فاخرجوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابه عز وجل، والامر للتعجيز ﴿ لَا تَنفُذُونَ ﴾ لا تقدرّون على النفوذ ﴿ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ٣٣ ﴾ أى بقوة وقهروأتم عن ذلك بمعزل وألف ألف منزل، روى أن الملائكة عليهم السلام ينزلون يوم القيامة فيحيطون بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجهها إلا وجدوا الملائكة أحاطت به، وقيل: هذا أمر يكون فى الدنيا ، قال الضحاك : بينما الناس فى أسواقهم انفتحت السماء ونزلت الملائكة قهرا بالجن والانس فتحقق بهم الملائكة وذلك قبيل قيام الساعة، وقيل: المراد إن استطعتم الفرار من الموت ففروا، وقيل: المعنى إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا بما فى السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن (لا تنفذون) ولا تعلمون إلا بيينة وحجة نصبها الله تعالى فتخرجون عليها بأفكاركم ، وروى ما يقاربه عن ابن عباس والأنسب بالمقام لا يخفى *

وقرأ زيد بن على إن استطعتما رعاية للنوعين وإن كان تحت كل أفراد كثيرة والجمع لرعاية تلك الكثرة وقد جاء كل فى الفصح نحو قوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)

﴿ فَبَايَءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٤ ﴾ أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة، وقيل : على الوجه الآخر فيما تقدم أى مما نصب سبحانه من المصاعد العقلية والمعارض النقلية فتنفذون بها إلى ما فوق السموات العلا ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا ﴾ استئناف فى جواب سؤال مقدر عن الداعى للفرار أو عما يصيبهم أى يصب عليكم ﴿ شَوَاطِئُ ﴾ هو اللهب الخالص كما روى عن ابن عباس ، وأنشد عليه أبو حيان قول حسان: هجوتك فاختضعت لنا بذل بقافية تأجج (كالشواط)

وقيل : اللهب المختلط بالدخان، وقال مجاهد : اللهب الأحمر المنقطع، وقيل : اللهب الأخضر، وقال الضحاك : الدخان الذي يخرج من اللهب، وقيل : هو النار والدخان جميعاً، وقرأ عيسى . وابن كثير . وشبل (شواظ) بكسر الشين ﴿مِّنْ نَّارٍ﴾ متعلق - يرسل - أو بمضمر هو صفة - لشواظ - و (من) ابتدائية أى كائن من نار والتنوين للتفخيم ﴿وَنُحَّاسٌ﴾ هو الدخان الذي لاهب فيه كما قاله ابن عباس لنافع بن الأزرق وأنشدله قول الأعشى ، أو النابغة الجعدي :

تضئ كضوء السراج السلي ط لم يجعل الله فيه (نحاساً)

وروى عنه أيضاً ، وعن مجاهد أنه الصفر المعروف أى يصب على رموس كما صفر مذاب ، والراغب فسرهُ باللهب بلادخان ثم قال : وذلك لشبهه في اللون بالنحاس ، وقرأ ابن أبي إسحق . والنخعي . وابن كثير . وأبو عمرو (ونحاس) بالجر على أنه عطف على نار ، وقيل : على (شواظ) وجر للجوار فلا تغفل *
وقرأ الكلبي . وطلحة . ومجاهد بالجر أيضاً لكنهم كسروا النون وهو لغة فيه ، وقرأ ابن جبير - ونحس - كما تقول يوم نحس ، وقرأ عبد الرحمن بن أبي بكرة . وابن أبي إسحق أيضاً - ونحس - مضارعاً ، وماضيه حسه أى قتله أى ونقتل بالعذاب ، وعن ابن أبي إسحق أيضاً - ونحس - بالحركات الثلاث في الحاء على التخيير . وحظلة ابن عثمان - ونحس - بفتح النون وكسر السين ، والحسن . وإسماعيل - ونحس - بضمتين والكسر ، وهو جمع - نحاس - كلحاف ولحف ، وقرأ زيد بن علي - نرسل - بالنون - شواظاً - بالنصب - ونحاساً - كذلك عطفاً على شواظاً

﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ ٣٥﴾ فلا تمتنعان وهذا عند الضحاك في الدنيا أيضاً *

أخرج ابن أبي شيبة عنه أنه قال في الآية : تخرج نار من قبل المغرب تحشر الناس حتى إنها لتحشر القردة والخنزير تبيت معهم حيث باتوا وتقبل حيث قالوا ، وقال في البحر : المراد تعجيز الجن والانس أى أتما بحال من يرسل عليه هذا فلا يقدر على الامتناع مما يرسل عليه ﴿فَبَأَىءَ الْآءِ رَبُّكَ مَا تَكْذِبَانِ ٣٦﴾ فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتْ السَّمَاءُ﴾ أى انصدعت يوم القيامة ، وحديث امتناع الخرق حديث خرافة ، ومثله ما يقوله أهل الهيئة اليوم في السماء على أن الانشقاق فيها على زعمهم أيضاً متصور ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أى كالوردة في الحمرة ، والمراد بها النور المعروف قاله الزجاج . وقتادة ، وقال ابن عباس . وأبو صالح : كانت مثل لون الفرس الورد ، والظاهر أن مرادهما كانت حمراء *
وقال الفراء : أريد لون الفرس الورد يكون في الربيع إلى الصفرة ، وفي الشتاء إلى الحمرة ، وفي اشتداد البرد إلى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل ، وروى هذا عن الكلبي أيضاً ، وقال أبو الجوزاء : (وردة) صفراء والمعول عليه إرادة الحمرة ، ونصب (وردة) على أنه خبر - كان - ، وفي الكلام تشبيه بليغ ، وقرأ عبيد بن عمير (وردة) بالرفع على أن - كان - تامة أى فصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد لانه بمعنى كانت منها ، أو فيها سماء وردة مع أن المقصود أنها نفسها كذلك فهو كقول قتادة بن مسلمة :

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة نحو المغانم أو يموت كريم

حيث غنى بالكريم نفسه ، وقوله تعالى : ﴿كَأَلَدِّهَانَ ٣٧﴾ خبر ثان لكانت - أو نعت - لوردة - أو حال

من اسم - كانت - على رأى من أجازة أى كدهن الزيت كما قال تعالى : (كالمهل) وهو دردى الزيت ، وهو إما جمع دهن كقسط وقراط ، أو اسم لما يدهن به كالخزام والادام ، وعليه قوله فى وصف عينين كثيرى التذارف :

كأنهما مرادتا متعجل فریان لما تدهنا (بدهان)

وهو الدهن أيضا إلا أنه أخص لأنه الدهن باعتبار إشرابه الشئ، ووجه الشبه الذوبان وهو فى السماء على م قيل من حرارة جهنم وكذا الحمرة ، وقيل : اللمعان ، وقال الحسن : أى كالدهان المختلفة لأنها تتلون ألوانا ، وقال ابن عباس : الدهان الأديم الأحمر ، ومنه قول الاعشى :

وأجرد من كرام الخيل طرف كأن على شواكله (دهانا)

وهو مفرد ، أو جمع ، واستدل الثانى بقوله :

تبعن (الدهان) الحمر كل عشية بموسم بدر أو بسوق عكاظ

وإذا شرطية جوابها مقدر أى كان ما كان مما لا تطيقه قوة البيان ، أو وجدت أمراً هائلا ، أو رأيت ما يذهل الناظرين وهو الناصب إذا ، ولهذا كان مفرعاً ومسبباً عما قبله لأن فى إرسال الشواظ ما هو سبب لحدوث أمر هائل ، وأرويته فى ذلك الوقت ﴿ فَبَآئٍ ۖ إِلَّا رَبُّكُمْ تَكْذِبَانَ ۝ ٣٨ ﴾ فان الاخبار بنحو ما ذكر مما يزرع عن الشر فهو لطف أى لطف ونعمة أى نعمة ﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ أى يوم إذ تنشق السماء حسبما ذكر *

﴿ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ۝ ٣٩ ﴾ لأنهم يعرفون بسيماهم وهذا فى موقف ، وما دل على السؤال من نحو قوله تعالى : (فوربك لنسألنهم أجمعين) فى موقف آخر قاله عكرمة وقتادة ، وموقف السؤال على ما قيل : عند الحساب ، وترك السؤال عند الخروج من القبور ، وقال ابن عباس : حيث ذكر السؤال فهو سؤال توبيخ وتقدير ، وحيث نفي فهو استخبار محض عن الذنب ، وقيل : المنفى هو السؤال عن الذنب نفسه والمثبت هو السؤال عن الباعث عليه ، وأنت تعلم أن فى الآيات ما يدل على السؤال عن نفس الذنب *

وحكى الطبرسى عن الرضا رضى الله تعالى عنه أن من اعتقد الحق ثم أذنب ولم يتب عذب فى البرزخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه ، ولعمري إن الرضا لم يقل ذلك ، وحمل الآية عليه مما لا يلتفت إليه بعين الرضا كما لا يخفى ، وضمير ذنبه للانس وهو متقدم رتبة لأنه نائب عن الفاعل ، وإفراده باعتبار اللفظ ، وقيل : لما أن المراد فرد من الانس كأنه قيل : لا يسأل عن ذنبه إنسى ولا جنى ، وقرأ الحسن وعمر بن عبيد - ولا جان -

بالهمز فراراً من التقاء الساكنين وإن كان على حذو ﴿ فَبَآئٍ ۖ إِلَّا رَبُّكُمْ تَكْذِبَانَ ۝ ٤٠ ﴾ يقال فيه نحو ما سمعت فى سابقه ﴿ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾ استئناف يجرى مجرى التعليل لا تنفاه للسؤال ، و (المجرمون) قيل : من وضع الظاهر موضع الضمير للإشارة إلى أن المراد بعض من الانس وبعض من الجن وهم المجرمون فيكون ذلك كقوله تعالى : (لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) ، و - سيماهم - على ما روى عن الحسن سواد الوجوه وزرقة العيون ، وقيل : ما يعلوهم من الكآبة والحزن ، وجوز أن تكون أمورا آخر - كالعمى . والبكم . والصمم - *

وقرأ حماد بن سليمان بسيماهم ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي ﴾ جمع ناصية وهى مقدم الرأس ﴿ وَالْأَقْدَامِ ۝ ٤١ ﴾ جمع قدم وهى قدم الرجل المعروفة والباء للآلة مثلها فى أخذت بخطام الدابة ، والجار والمجرور نائب الفاعل ،

وقال أبو حيان: إن الباء للتعدية والفعل مضمن معنى ما يعدى بها أى فيسحب بالنواصي الخ، رفيه بحث. وظاهر كلام غير واحد أن -أل- عوض عن المضاف إليه الضمير أى بنواصيرهم وأقدامهم، ونص عليه أبو حيان فقال: -أل- فيهما عوض عن الضمير على مذهب الكوفيين، والضمير محذوف على مذهب البصريين أى بالنواصي والاقدام منهم، وأنت تعلم أن الخلاف بين أهل البلدين فيما إذا احتيج إلى الضمير الربط ولا احتياج إليه هنا، نعم المعنى على الضمير وكيفية هذا الأخذ على ما روى عن الضحاك أن يجمع الملك بين ناصية أحدهم وقدميه في سلسلة من وراء ظهره ثم يكسر ظهره ويلقيه في النار، وقيل: تأخذ الملائكة عليهم السلام بعضهم سحبا بالناصية وبعضهم سحبا بالقدم، وقيل: تسحبهم الملائكة عليهم السلام تارة بأخذ النواصي وتارة بأخذ الأقدام، فالواو بمعنى أو التي للتقسيم وهو خلاف الظاهر، وإبهام الفاعل لأنه كالمتمعين، وقيل: للرمز إلى عظمته فقد أخرج ابن مردويه والضياء المقدسي في صفة النار عن أنس قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «والذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم حتى يقبضوا على من قبضوا بالنواصي والاقدام» (فَبَأَىءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يقال فيه نحو ما تقدم، وقوله تعالى:

(هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ) مقول قول مقدر معطوف على قوله تعالى: (يُؤْخَذُ) الخ أى ويقال هذه الخ. أو مستأنف في جواب ماذا يقال لهم لأنه مظنة للتوبيخ والتقريع، أو حال من أصحاب النواصي بناءً على أن التقدير نواصيرهم أو النواصي منهم، وما في البين اعتراض على الأول والآخر وكان أصل (التي يكذب بها المجرمون) التي كذبت بها فعديل عنه لما ذكر للدلالة على استمرار ذلك وبيان لوجه توبيخهم وعقلته *

(يَطُوفُونَ فِيهَا) أى يترددون بين نارها (وَيَيْنَحِمُونَ) ماء حار (ءَانِ ۝ ٤٤) متناه إناءه وطبخه بالغ في الحرارة أقصاها، قال قتادة: الحميم يغلى منذ خاق الله تعالى جهنم والمجرم ويعاقب بين تصلية النار وشرب الحميم، وقيل: يحرقون في النار ويصب على رؤوسهم الحميم، وقيل: إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم، وقيل: يغمسون في واد في جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فتتخام أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى لهم خلقا جديداً، وعن الحسن أنه قال: (حميم آن) النحاس انتهى حره، وقيل: (آن) حاضر *

وقرأ السلي يطفون، والاعمش. وظلحة. وابن مقسم (يطوفون) بضم الياء وفتح الطاء وكسر الواو

مشددة، وقرئ (يطوفون) أى يتطوفون (فَبَأَىءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ٤٥) هو أيضا كما تقدم

(وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) الخ شروع في تعديد الآلاء التي تفاض في الآخرة، و(مقام) مصدر ميمي بمعنى القيام مضاف إلى الفاعل أى (ولمن خاف) قيام ربه وكونه مهيمنا عليه مراقباً له حافظاً لأحواله، فالقيام هنا مثله في قوله تعالى: (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وهذا مروي عن مجاهد: وقتادة، أو هو اسم مكان، والمراد به مكان وقوف الخلق في يوم القيامة للحساب، والاضافة إليه تعالى لامية اختصاصية لأن الملك له عز وجل وحده فيه بحسب نفس الامر، والظاهر والخلق قائمون له كما قال سبحانه: (يقوم الناس لرب العالمين) منتظرون ما يحل عليهم من قبله جل شأنه، وزعم بعضهم أن الاضافة على هذا الوجه لادنى ملاسبة وليس بشيء، وقيل: المعنى (ولمن خاف) مقامه عند ربه على أن المقام مصدر أو اسم مكان وهو للخائف نفسه، وإضافته

للرب لانه عنده تعالى فهي مثلها في قولهم : شاة رقود الحلب ، وهي بمعنى - عند - عند الكوفيين أى رقود عند الحلب ، وبمعنى اللام عند الجمهور كما صرح به شراح التسهيل وليست لأدنى ملابسة كما زعم أيضا ، ثم إن المراد بالعندية هنا مما لا يخفى ، وجوز أن يكون مقحما على سبيل الكناية ، فالمراد ولمن خاف ربه لكن بطريق برهاني بليغ ، ومثله قول الشماخ :

ذعرت به القطا ونفيت عنه (مقام الذنب) كالرجل اللعين (١)

وهو الاظهر على ما ذكره صاحب الكشف ، والظاهر أن المراد ولكل فرد فرد من الخائفين :

﴿ جَنَّاتٌ ٤٦ ﴾ ف قيل : إحداهما منزله ومحل زيارة أحبائه له ، والأخرى منزل أزواجه وخدمه ، واليه ذهب الجبائي ، وقيل : بستانان بستان داخل قصره وبستان خارجه ، وقيل : منزلان ينتقل من أحدهما إلى الآخر لتوفر دواعي لذته وتظهر ثمار كرامته ، وأين هذا ممن يطوف بين النار ، وبين حميم آن ؟ ؟
وجوز أن يقال : جنة لعقيدته وجنة لعمله ، أو جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي ، أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه ، أو إحداهما روحانية والأخرى جسمانية ، ولا يخفى أن الصفات الآتية ظاهرة في الجسمانية .
وقال مقاتل : جنة عدن وجنة نعيم ، وقيل : المراد لكل خائفين منك جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجنى ، فإن الخطاب للفريقين ، وهذا عندي خلاف الظاهر ، وفي الآثار ما يبعده ، فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن أنه كان شابا على عهد رضى الله تعالى عنه ملازم للمسجد والعبادة فعشقه جارية فأتته في خلوة فكلمته فحدثته نفسه بذلك فشهو شهوة فغشى عليه فجاء عم له فحمله إلى بيته فلما أفاق قال : يا عم انطلق إلى عمر فاقربه منى السلام وقل له ما جزاء من خاف مقام ربه ؟ فانطلق فأخبر عمر وقد شهق الفتى شهوة أخرى فمات فوقف عليه عمر رضى الله تعالى عنه فقال : لك جنتان لك جنتان .

والخوف فى الأصل توقع مكروه عند أمارة مظنونة أو معلومة ويضاده الأمن قال الراغب : والخوف من الله تعالى لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد بل إنما يراد به الكف عن المعاصي وتحري الطاعات ، ولذلك قيل : لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركا ، ويؤيد هذا تفسير ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الخائف هنا كما أخرج ابن جرير عنه بمن ركب طاعة الله تعالى وترك معصيته *

وقول مجاهد : هو الرجل يريد الذنب فيذكر الله تعالى فيدع الذنب ، والذي يظهر أن ذلك تفسير باللائم ، وقد يقال : إن ارتكاب الذنب قد يجامع الخوف من الله تعالى وذلك كما إذا غلبته نفسه ففعله خائفاً من عقابه تعالى عليه ، وأيد ذلك بما أخرجه أحمد . والنسائي . والطبراني . والحكيم الترمذى فى نواذر الاصول . وابن أبى شيبه . وجماعة عن أبى الدرداء « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت : وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : الثانية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ فقال الثالثة : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : نعم وإن رغم أنف أبى الدرداء » وأخرج الطبراني . وابن مردويه من طريق الجريري عن أخيه قال : سمعت محمد بن سعد يقرأ - ولمن خاف مقام ربه جنتان وإن زنى وإن سرق - فقلت : ليس فيه وإن زنى وإن سرق

(١) ضمير (هـ) ر (عنه) راجع الى المام فى البيت قبله . وماء قد وردت لوصل أروى . عليه الطير كالورق اللجين .

وهو من قصيدة للشماخ مدح بها عرابة بن أوس الخزرجي . والشاهد فى قوله : (مقام الذنب) *

فقال : سمعت أبا الدرداء رضى الله تعالى عنه يقرؤها كذلك فأنا أقرأها كذلك حتى أموت، وصرح بعضهم أن المراد بالخوف في الآية أشده فتأمل . وجاء في شأن هاتين الجنتين من حديث عياض بن غنم مرفوعاً « إن عرض كل واحدة منهما مسيرة مائة عام » والآية على ما روى عن ابن الزبير . وابن شاذان نزلت في أبي بكر * وأخرج ابن أبي حاتم . وأبو الشيخ في العظمة عن عطاء أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ذكر ذات يوم وفكر في القيامة . والموازين . والجنة . والنار . وصفوف الملائكة . وطى السموات . ونسف الجبال وتكوير الشمس . وانتثار الكواكب فقال : وددت أنى كنت خضراً من هذه الخضر تأتي على بهيمة فتأكلنى وأنى لم أخلق فنزلت (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧ ذَوَاتَا أَفْنَانِ ٨ ﴾ صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيهها على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ ، وجوز أن يكون خبر مبتدأ مقدر أى هما ذواتا ، وأياً ما كان فهو تثنية - ذات - بمعنى صاحبة فانه إذا تثنى فيه لغتان ذاتا على لفظه وهو الأقيس كما يثنى مذكره ذوا ، والآخرى (ذواتا) برده إلى أصله فان التثنية ترد الأشياء إلى أصولها ، وقد قالوا : أصل ذات ذوات لكن حذف الواو تخفيفاً ، وفرقا بين الواحد والجمع ودلت التثنية ورجوع الواو فيها على أصل الواحد وليس هو تثنية الجمع كما يتوهم وتفصيله في باب التثنية من شرح التسهيل ، والأفنان إما جمع فن بمعنى النوع ولذا استعمل في العرف بمعنى العلم أى ذواتا أنواع من الاشجار والثمار ، وروى ذلك عن ابن عباس . وابن جبير . والضحاك ، وعليه قول الشاعر :

ومن كل (أفنان) اللذاذة والصبا لهوت به والعيش أخضر ناضر

وإما جمع فن وهو مادق ولان من الأغصان كما قال ابن الجوزى ، وقد يفسر بالغصن ، وحمل على التسامح وتخصيصها بالذكر مع أنها ذواتا قصب وأوراق وثمار أيضا لانها هى التى تورق وتثمر . فمنها تمتد الظلال . ومنها تجنى الثمار فى الوصف تذكير لهما فكأنه قيل : (ذواتا) ثمار وظلال لكن على سبيل الكناية وهى أخصر وأبلغ ، وتفسيره بالأغصان على أنه جمع فن مروي عن ابن عباس أيضا ، وأخرجه ابن جرير عن مجاهد قال أبو حيان : وهو أولى لأن أفعالا فى فعل أكثر منه فى فعل بسكون العين كفن ، ويجمع هو على فنون * .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٩ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ١٠ ﴾ صفة أخرى لجنتان أو خبر ثان للمبتدأ المقدر أى فى كل منهما عين تجري بالماء الزلال تسمى إحدى العينين بالتسليم ، والآخرى بالسلسيل ، وروى هذا عن الحسن ، وقال عطية العوفى : (عينان) إحداهما من ماء غير آسن ، والآخرى من خمر لذة للشاربين ، وقيل : (عينان) من الماء (تجريان) حيث شاء صاحبهما من الاعالى والاسافل من جبل من مسك ، وعن ابن عباس (عينان) مثل الدنيا أضعافا مضاعفة (تجريان) بالزيادة والكرامة على أهل الجنة * .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١١ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ١٢ ﴾ صنفان معروف وغريب لم يعرفوه فى الدنيا ، أورطب ويابس ولا يقصر يابسه عن رطبه فى الفضل والطيب ، وأخرج عبد بن حميد . وابن المنذر . وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : قال ابن عباس فى هذه الآية : ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهى فى الجنة حتى الحنظل ، ونقل هذا فى البحر عن ابن عباس أيضا بزيادة إلا أنه حلو ، والجملة كالجملة التى قبلها * .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣ مَتَّكِمَيْنِ ﴾ حال من قوله تعالى : -ولمن خاف- وجمع رعاية للمعنى بعد الافراد

رعاية للفظ ، وقيل : العامل محذوف أى يتنعمون متكئين ، وقيل : مفعول به بتقدير أعنى ، والاتكاه من صفات المتنعم الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب ، والمعنى متكئين فى منازلهم ﴿ عَلَى فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ أَسْتَبْرَقٍ ﴾ من ديباج ثخين قال ابن مسعود - كما رواه عنه جمع . وصححه الحاكم - أخبرتم بالبطن فكيف بالظواهر ، وقيل : ظواهرها من سندس ، وعن ابن جبير من نور جامد ، وفى حديث من نور يتلأأ وهو إن صح وقف عنده * وأخرج ابن جرير . وغيره عن ابن عباس أنه قيل له : (بطائنها من أستبرق) فماذا الظواهر ؟ قال : ذلك مما قال الله تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) وقال الحسن : البطائن هى الظواهر وروى عن قتادة ، وقال الفراء : قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لأن كلاهما يكون وجهاً والعرب تقول : هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء ، والحق أن البطائن هنا مقابل الظواهر على الوجه المعروف ، وقرأ أبو حيو (فرش) بسكون الراء ، وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك قال : قرأ عبد الله على (سرر . وفرش بطائنها من أستبرق) ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ ﴾ أى ما يجنى ويؤخذ من أشجارهما من الثمار ، فجنى اسم أو صفة مشبهة بمعنى المجنى ﴿ دَان ٥٤ ﴾ قريب يناله القائم . والقاعد . والمضطجع ، قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : تدنو الشجرة حتى يجتنيها لى الله تعالى إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء مضطجعا ، وعن مجاهد ثمار الجنتين دانية إلى أفواه أربابها فيتناولونها متكئين فإذا اضطجعوا نزلت يازاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك ، وقرأ عيسى (وجنى) بفتح الجيم وكسر النون كأنه أمال النون وإن كانت الألف قد حذفت فى اللفظ كما أمال أبو عمرو (حتى نرى الله جهرة) وقرئ (وجنى) بكسر الجيم وهو لغة فيه .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان ٥٥ فَيَهِن ٥٥ ﴾ أى الجنان المدلول عليها بقوله تعالى : (ولمن خاف مقام رب جنتان) فانه يلزم من أنه لكل خائف جنتان تعدد الجنان ، وكذا على تقدير أن يكون المراد لكل خائفين من الثقلين جنتان لاسيما وقد تقدم اعتبار الجمعية فى قوله تعالى : (متكئين) وقال الفراء : الضمير لجنتان ، والعرب توقع ضمير الجمع على المثنى ولا حاجة اليه بعدما سمعت ، وقيل : الضمير للبيوت والقصور المفهومة من الجنتين أو للجنتين باعتبار ما فيها مما ذكر ، وقيل : يعود على الفرش ، قال أبو حيان : وهذا قول حسن قريب المأخذ ، وتعقب بأن المناسب للفرش - على - ، وأجيب بأنه شبه تمكهن على الفرش بتمكن المظروف فى الظرف وإثاره للشعار بأن أكثر حاله الاستقرار عليها ، ويجوز أن يقال : الظرفية للإشارة إلى أن الفرش إذا جلس عليها ينزل مكان الجالس منها ويرتفع ما أحاط به حتى يكاد يغيب فيها كما يشاهد فى فرش الملوك المترفين التى حشوها ريش النعام ونحوه ، وقيل : الضمير للآلاء المعدودة من - الجنتين . والعينين . والفاكهة والفرش . والجنى والمراد معهن ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ ﴾ أى نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ، أو يقصرن طرف الناظر اليهن عن التجاوز إلى غيرهن ، قال ابن رشيق فى قول امرئ القيس :

من (القاصرات الطرف) لو (دب محول من الذر فوق الأنف منها لأثرا)

أراد بالقاصرات الطرف أنها منكسرة الجفن خافضة النظر غير متطلعة لما بعد ولا ناظرة لغير زوجها ، ويجوز أن يكون معناه أن طرف الناظر لا يتجاوزها كقول المتنبي :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حديق نطاقاً انتهى فلا تغفل، والأكثر على أول المعنيين اللذين ذكرناهما بل في بعض الأخبار ما يدل على أنه تفسير نبوي • أخرج ابن مردويه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال في ذلك « لا ينظرن إلا إلى أزواجهن » ومتى صح هذا ينبغي قصر الطرف عليه ، وفي بعض الآثار تقول الواحدة منهن لزوجها : وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك فالحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي ، و(الطرف) في الأصل مصدر فلذلك وحد ﴿ لَمْ يَطْمِثْنِ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ٥٦ ﴾ قال ابن عباس : لم يفتضهن قبل أزواجهن إانس ولا جان ، وفيه إشارة إلى أن ضمير قبلهن للأزواج ، ويدل عليه (قاصرات الطرف) وفي البحر هو عائد على من عاد عليه الضمير في (متكئين) ، وأصل الطمث خروج الدم ولذلك يقال للحيض طمث ، ثم أطلق على جماع الإبكار لما فيه من خروج الدم ، وقيل : ثم عمم لكل جماع ، وهو المروى هنا عن عكرمة ، وإلى الأول ذهب الكثير ، وقيل : إن التعبير به للإشارة إلى أنهم يوجدن أبكاراً كلها جومعن ، ونفي طمثن عن الانس ظاهر ، وأما عن الجن فقال مجاهد . والحسن : قد تجماع الجن نساء البشر مع أزواجهن إذا لم يذكر الزوج اسم الله تعالى فنفي هنا جميع المجامعين وقيل : لا حاجة إلى ذلك إذ يكفي في نفي الطمث عن الجن إمكانية منهم ، ولا شك في إمكان جماع الجنى إنسية بدون أن يكون مع زوجها الغير الذي ذكر اسم الله تعالى ، ويدل على ذلك ما رواه أبو عثمان سعيد بن داود الزبيدي قال : كتب قوم من أهل اليمن إلى مالك يسألونه عن نكاح الجن وقالوا : إن ههنا رجلاً من الجن يزعم أنه يريد الحلال فقال ما أرى بذلك بأساً في الدين ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل قيل : من زوجك ؟ قالت : من الجن فيكثر الفساد في الإسلام ، ثم إن دعوى أن الجن تجماع نساء البشر جماعاً حقيقياً مع أزواجهن إذا لم يذكر اسم الله تعالى غير مسلمة عند جميع العلماء ، وقوله تعالى : (وشاركهم في الأموال والأولاد) غير نص في المراد فلا يخفى ، وقال ضمرة بن حبيب : الجن في الجنة لهم قاصرات الطرف من الجن نوعهم ، فالمعنى لم يطمث الانسيات أحد من الانس ، ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن ، وقد أخرج نحو هذا عنه ابن أبي حاتم ، وظاهره أن ما للجن لسن من الحور • ونقل الطبرسي عنه أنهم من الحور وكذا الانسيات ، ولا مانع من أن يخلق الله تعالى في الجنة حوراً للانس يشاكلهم يقال لهم لذلك إنسيات ، وحوراً للجن يشاكلهم يقال لهم لذلك جنيات ، ويجوز أن تكون الحور كلهن نوعاً واحداً ويعطى الجنى منهن لكنه في تلك النشأة غيره في هذه النشأة ، ويقال : ما يعطاه الانسى منهن لم يطمثها إانس قبله ، وما يعطاه الجنى لم يطمثها جنى قبله وبهذا فسر البلخي الآية ، وقال الشعبي . والكلي : تلك القاصرات الطرف من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ أنشئت النشأة الآخرة خلق قبل ، والذي يعطاه الإانس زوجته المؤمنة التي كانت له في الدنيا ويعطى غيرها من نساءها المؤمنات أيضاً . وكذا الجنى يعطى زوجته المؤمنة التي كانت له في الدنيا من الجن ويعطى غيرها من نساء الجن المؤمنات أيضاً ، ويبعد أن يعطى الجنى من نساء الدنيا الإنسيات في الآخرة • والذي يغلب على الظن أن الانسى يعطى من الانسيات والحور والجنى يعطى من الجنيات والحور ولا يعطى إانس جنية ، ولا جنى إنسية وما يعطاه المؤمن إنسياً كان أو جنياً من الحور شئ يليق به وتشتهي نفسه ، وحقيقة تلك النشأة وراء ما يخطر بالبال ، واستدل بالآية على أن الجن يدخلون الجن ويجمعون فيها كالانس فهم باقون فيها منعمين ببقاء المعذنين منهم في النار ، وهو مقتضى ظاهر ما ذهب إليه أبو يوسف . ومحمد . وابن أبي ليلى .

والاوزاعى . وعليه الاكثر - كما ذكره العيني في شرح البخارى - من أنهم يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية، ويدخلون الجنة فان ظاهره أنهم كالانس يوم القيامة، وعن الامام أبى حنيفة ثلاث روايات الاولى أنهم لا ثواب لهم إلا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا كسائر الحيوانات، الثانية أنهم من أهل الجنة ولا ثواب لهم أى زائد على دخولها، الثالثة التوقف قال الكردرى: وهو فى أكثر الروايات، وفى فتاوى أبى إسحق بن الصغار أن الامام يقول: لا يكونون فى الجنة ولا فى النار ولكن فى معلوم الله تعالى .

ونقل عن مالك وطائفة أنهم يكونون فى ربض الجنة، وقيل: هم أصحاب الاعراف، وعن الضحاك أنهم يلهمون التسبيح والذكر فيصيرون من لذته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة وعلى القول بدخولهم الجنة قيل: نراهم ولا يرونا عكس ما كانوا عليه فى الدنيا، واليه ذهب الحرث المحاسبى، وفى اليواقيت الخواص منهم يرونا كما أن الخواص منا يرونهم فى الدنيا، وعلى القول بأنهم يتنعمون فى الجنة قيل: إن تنعمهم بغير رؤيته عز وجل فانهم لا يرونه، وكذا الملائكة عليهم السلام ما عدا جبريل عليه السلام فانه يراه سبحانه مرة ولا يرى بعدها على ما حكاه أبو إسحق إبراهيم بن الصغار فى فتاويه عن أبيه، والاصح ما عليه الاكثر مما قدمناه أنهم لا فرق بينهم وبين البشر فى الرؤية وتماه فى محله، وقرأ طلحة . وعيسى . وأصحاب عبد الله (يطمئن) بضم الميم هنا وفيما بعد، وقرأ أناس بضمه فى الاول وكسره فى الثانى . وناس بالعكس . وناس بالتخيير، والجحدرى بفتح الميم فيهما، والجملة صفة - لقاصرات الطرف - لأن إضافتها لفظية أو حال منها لتخصيصها بالإضافة

((فَبَايَءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧)) وقوله تعالى: ((كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ٥٨)) إما صفة لقاصرات الطرف، أو حال منها كالتى قبل أى مشبهات بالياقوت والمرجان، وقول النحاس: إن الكاف فى موضع رفع على الابتداء ليس بشئ كما لا يخفى، أخرج عبد الرزاق . وعبد بن حميد . وابن جرير عن قتادة أنه قال فى الآية فى صفاء الياقوت وبياض اللؤلؤ، وعن الحسن نحوه، وفى البحر عن قتادة فى صفاء الياقوت . وحمرة المرجان فحمل المرجان على ما هو المعروف، وقيل: مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجه وبالمرجان أى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها وتخصيص الصغار على ما فى الكشف لأنه أنصح بياضاً من الكبار، وقيل: يحسن هنا إرادة الكبار كما قيل فى معناه لانه أوفق بقوله تعالى: ((كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ)) فلا تغفل .

وأخرج أحمد . وابن حبان . والحاكم وصححه . والبيهقى فى البعث والنشور عن أبى سعيد عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ((كَأَنَّهُنَّ)) الخ قال: ينظر إلى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها تضى ما بين المشرق والمغرب وأنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يوضح سوقها من وراء ذلك .

وأخرج عبد بن حميد . والطبرانى . والبيهقى فى البعث عن ابن مسعود قال: إن المرأة من الخوارج العين يرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم من تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاج البضاء .

((فَبَايَءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩)) وقوله تعالى: ((هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ٦٠)) استئناف مقرر لمضمون ما قبله أى ما جزاء الاحسان فى العمل إلا الاحسان فى الثواب، وقيل: المراد ما جزاء التوحيد إلا الجنة وأيد بظواهر كثير من الآثار، أخرج الحليم الترمذى فى نوادر الأصول . والبغوى فى تفسيره . والديلمى فى مسند الفروس . وابن النجار فى تاريخه عن أنس قال: «قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) فقال: وهل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: يقول: هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة؟ وأخرج ابن النجار في تاريخه عن علي كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً بلفظ «قال الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه» الخ ووراء ذلك أقوال تقرب من مائة قول، واختير العموم ويدخل التوحيد دخولاً أولياً، والصوفية أوردوا الآية في باب الإحسان وفسروه بما في الحديث «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قالوا: فهو اسم يجمع أبواب الحقائق، وقرأ ابن أبي إسحق إلا الإحسان يعني بالإحسان قاصرات الطرف اللاتي تقدم ذكرهن ﴿فَبَإَىٰ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦١﴾ وقوله تعالى:

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ٦٢﴾ مبتدأ وخبر أي ومن دون تينك الجنتين في المنزلة والقدر جنتان أخريان، قال ابن زيد والاكثرون الأوليان للسابقين وهاتان لأصحاب اليمين، وقد أخرج ابن جرير. وابن أبي حاتم. وابن مردويه عن أبي موسى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقوله سبحانه: (ومن دونهما جنتان) قال: جنتان من ذهب للبقيين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين» وقال الحسن: الأوليان للسابقين والآخران للتابعين، وروى موقوفاً وصححه الحاكم عن أبي موسى، وزعم بعضهم أن الأوليين للخائفين والآخرين لذرياتهم الذين ألحقوا بهم ولم أجده مستنداً من الآثار، وحكى في البحر عن ابن عباس أنه قال: (ومن دونهما) في القرب للنعيمين والمؤخرتا الذكر أفضل من الأوليين، وادعى أن الصفات الآتية أمدح من الصفات السابقة ووافقه من وافقه، وسيأتي تمام الكلام في ذلك إن شاء الله تعالى *

﴿فَبَإَىٰ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٣﴾ وقوله تعالى: ﴿مُدْهَامَتَانِ ٦٤﴾ صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما تقدم من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالإنكار والتوبيخ أو خبر مبتدأ محذوف أي همامدهامتان من الدهمة وهي في الأصل على ما قال الراغب سواد الليل ويعبر بها عن سواد الفرس وقد يعبر بها عن الخضرة الكاملة اللون كما يعبر عنها بالخضرة إذا لم تكن كاملة وذلك لتقاربهما في اللون، ويقال: ادهام ادهيما فهو مدهام على وزن مفعال إذا اسود أو اشتدت خضرته، وفسرها هنا ابن عباس. ومجاهد. وابن جبير. وعكرمة. وعطاء بن أبي رباح. وجماعة بخضراوان، بل أخرج الطبراني. وابن مردويه عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه قال: «سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله تعالى: (مدهامتان) فقال عليه الصلاة والسلام: خضراوان» والمراد أنهما شديداً الخضرة والخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد وذلك من الرى من الماء كما روى عن ابن عباس. وابن الزبير. وأبي صالح قيل: إن في وصف هاتين الجنتين بما ذكر إشعاراً بأن الغالب عليهما النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض كما أن في وصف السابقتين بذوات أفنان إشعاراً بأن الغالب عليهما الأشجار فإن الأشجار توصف بأنها ذوات أفنان والنبات يوصف بالخضرة الشديدة فلاقتصار في كل منهما على أحد الأمرين مشعر بما ذكر وبني على هذا كون هاتين الجنتين دون الأوليين في المنزلة والقدر كيف لا والجنة الكثيرة الظلال والثمار أعلى وأعلى من الجنة القليلة الظلال والثمار، ومن ذهب إلى تفضيل هاتين الجنتين مع اختصاص الوصف بالخضرة بالنبات وكذا كونه أغلب من وصف الأشجار به فكثيراً ما تسمع الناس يقولون إذا مدحوا بستاناً أشجاره خضر يانعة وهو أظهر في مدحه بأنه ذو ثمار من ذى أفنان، وهو يشعر أيضاً بكثرة مائه والاعتناء بشأنه وبعده عن التصوح والهلاك *

﴿ فَبَآئٍ ۖ أَلَاءَ رَبِّكَ ۖ تُكَذِّبَانِ ٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ٦٦ ﴾ فوارتان بالماء على ماهو الظاهر ، وفي البحر النضخ فوران الماء ، وفي الكشف . وغيره النضخ أكثر من النضج بالحاء المهملة لانه مثل الرش وهو عندهم فضل الجنتين الأوليين دون الجرى ، فالمدح به دون المدح به ، وعليه قول البراء بن عازب فيما أخرج ابن المنذر . وابن أبي حاتم العينان اللتان تجريان خير من النضاحتين ، ومن ذهب إلى تفضيل هاتين يقول في الفوران جرى مع زيادة حسن فان الماء إذا فار وارتفع وقع متناثر القطرات كجبات اللؤلؤ المتناثرة كما يشاهد في الفوارات المعروفة ، أو يقول بما أخرجه ابن أبي شيبة . وابن أبي حاتم عن أنس (نضاختان) بالمسك والعنبر تنضخان على دور الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا ، أو بما أخرجه ابن أبي شيبة . وعبد بن حميد عن مجاهد (نضاختان) بالخير ، ولفظ ابن أبي شيبة بكل خير .

﴿ فَبَآئٍ ۖ أَلَاءَ رَبِّكَ ۖ تُكَذِّبَانِ ٦٧ فِيهِمَا فَكَّهُةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ٦٨ ﴾ عطف الأخيرين على الفاكهة عطف جبريل وميكال عليهما السلام على الملائكة بياناً لفضلهما ، وقيل : إنهما في الدنيا لما لم يخلصا للتفكه فان النخل ثمره فاكهة وطعام ، والرمان فاكهة ودواء عدا جنساً آخر فعطفا على الفاكهة وإن كان كل ما في الجنة للتفكه لانه تلذذ خالص ، ومنه قال الامام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه : إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رماناً أو رطباً لم يحنث ، وخالفه أصحابه ثم إن نخل الجنة ورمانها وراء ما نعرفه .

أخرج ابن المبارك . وابن أبي شيبة . وهناد . وابن أبي الدنيا . وابن المنذر . والحاكم وصححه . وآخرون عن ابن عباس نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرانيفها ذهب أحمر وسعفها كسوة أهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد وليس له عجم وحكمه حكم المرفوع . وفي حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً أصوله فضة وجذوعه فضة وسعفه حلل وحمله الرطب الخ . وأخرج ابن أبي حاتم . وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً قال عليه الصلاة والسلام : « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كمثل البعير المقتب » وهذا المدح بحسب الظاهر دون المدح في قوله تعالى في الجنتين السابقتين : (فيهما من كل فاكهة زوجان) ومن ذهب إلى تفضيلهما يقول إن التتوين في فاكهة للتعميم بقرينة المقام نظير ما قيل في قوله تعالى : (علمت نفس ما أحضرت) فيكون في قوة فيها كل (فاكهة) ويزيد ما في النظم الجليل على ما ذكر بتضمنه الإشارة إلى مدح بعض أنواعها ، وقال الامام الرازي : إن (ما) هنا كقوله تعالى : (فيهما من كل فاكهة زوجان) وذلك لأن الفاكهة أنواع أرضية وشجرية كالبطيخ وغيره من الأرضيات المزروعات والنخل وغيرها من الشجريات فقال تعالى : (مدهامتان) لأنواع الخضر التي فيها الفواكه الأرضية ، وفيها أيضاً الفواكه الشجرية وذكر سبحانه منها نوعين الرطب والرمان لانهما متقابلان أحدهما حلوا والآخريه حامض ، وأحدهما حار والآخريه بارد ، وأحدهما فاكهة وغذاء والآخريه فاكهة ، وأحدهما من فواكه البلاد الحارة والآخريه من فواكه البلاد الباردة ، وأحدهما أشجاره تكون في غاية الطول والآخريه ليس كذلك ، وأحدهما ما يؤكل منه بارز وما لا يؤكل كامن والآخريه بالعكس فهما كالضدين ، والإشارة إلى الطرفين تتناول الإشارة إلى ما بينهما كما في قوله تعالى : (رب المشرقين ورب المغربين) انتهى ، ولعل الأول أولى ﴿ فَبَآئٍ ۖ أَلَاءَ رَبِّكَ ۖ تُكَذِّبَانِ ٦٩ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرٌ ﴾ صفة أخرى لجنتان ، أو خبر بعد خبر للابتداء المحذوف كالجملة التي قبلها ،

ويجوز أن تكون مستأنفة والكلام في ضمير الجمع هنا كالكلال فيه في قوله تعالى: (فيهن قاصرات الطرف) و(خيرات) قال أبو حيان: جمع خيرة وصف بني علي فعلة من الخير كما بنوا من الشر فقالوا شريرة ، وقال الزمخشري: أصله (خيرات) بالتشديد تخفف كقوله عليه الصلاة والسلام: «هينون لينون» وليس جمع خير بمعنى أخير فإنه لا يقال فيه خيرون ولا خيرات ، ولعله لأن أصل اسم التفضيل أن لا يجمع خصوصاً إذا نسك ، وقرأ بكر بن حبيب. وأبو عثمان النهدي . وابن مقسم (خيرات) بتشديد الياء وهو يؤيد أن أصله كذلك ، وروى عن أبي عمرو (خيرات) بفتح الياء كأنه جمع خائرة جمع على فعلة ﴿حَسَّانٌ ٧٠﴾ قيل: أي حسان الخنّاق والخنّاق . وأخرج عبد الرزاق . وعبد بن حميد . وابن جرير عن قتادة أنه قال في الآية : (خيرات) الأخلاق (حسان) الوجوه ، وأخرج ذلك ابن جرير . والطبراني . وابن مردويه عن أم سلمة مرفوعاً * ﴿فَبَأَىءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١﴾ وقوله تعالى : ﴿حُورٌ﴾ بدل من (خيرات) وهو جمع حوراء وكذا جمع أحور ، والمراد يبيض لما أخرجه ابن المنذر . وغيره عن ابن عباس وروته أم سلمة أيضاً عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقال ابن الأثير: الحوراء هي الشديدة يياض العين الشديدة سوادها ، وفي القاموس الحور بالتحريك أن يشتد يياض يياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حوالها أوشدة يياضها وسوادها في يياض الجسد ، أو اسوداد العين كلها مثل الظباء ولا يكون في بني آدم بل يستعار لها ، وإذا صح حديث أم سلمة لم يعدل في القرآن عن تفسير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم * ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ٧٢﴾ أي مخدرات يقال: امرأة قصيرة ومقصورة أي مخدرة ملازمة لبيتها لا تطوف في الطرق ، قال كثر عزة :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتَ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَى وَلَمْ تَشْعُرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرِ

عنيت (قصيرات الحجال) ولم أرد قصار الخطأ شر النساء البحائر

والنساء يمدحن بملازمتهم البيوت لدلالاتها على صيانتهم كما قال قيس بن الاسلت :

وتكسل عن جاراتها فيزرنها وتغفل عن ألياتهن (فتعذر)

وهذا التفسير مأثور عن ابن عباس . والحسن . والضحاك وهو رواية عن مجاهد ، وأخرج ابن أبي شيبة . وهناد بن السري . وابن جرير عنه أنه قال : (مقصورات) قلوبهن وأبصارهن ونفوسهن على أزواجهن ، والأول أظهر ، و(في الخيام) عليه متعلق بمقصورات ، وعلى الثاني يحتمل ذلك ، ويحتمل كونه صفة ثانية لحور فلا تغفل ، والخيام جمع خيمة - وهي على مافي البحر - بيت من خشب وثمام وسائر الحشيش ، وإذا كان من شعر فهو بيت ولا يقال له خيمة . وقال غير واحد: هي كل بيت مستدير أو ثلاثة أعواد أو أربعة يلقى عليها الثمام ويستظل بها في الحر أو كل بيت يبنى من عيدان الشجر وتجمع أيضاً على خيمات وخيم بفتح فسكون وخيم بالفتح وكعنب - والخيام هنا بيوت من لؤلؤ - أخرج ابن أبي شيبة وجماعة عن ابن عباس أنه قال: الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة أربعة فراسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وأخرج جماعة عن أبي الدرداء أنه قال: الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً من در ، وأخرج البخاري . ومسلم . والترمذي . وغيرهم عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها للثوم

أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن، إلى ذلك من الاخبار، وقوله سبحانه: (فيهن) الخ دون ما تقدم في الجنتين السابقتين أعني قوله عز وجل: (فيهن قاصرات الطرف) إلى قوله تعالى: (كأنهن الياقوت والمرجان) في المدح عند من فضلهما على الأخيرتين قيل لما في (مقصورات) على التفسير الثاني من الإشعار بالقصر في القصر، وأما على تفسيره الأول فكونه دونه ظاهراً وإن لم يلاحظ كونها مخدرة فيما تقدم، أو يجعل قوله تعالى: (كأنهن الياقوت والمرجان) كناية عنه لانهما مما يصاب كما قيل: جوهره أحقاقها الخدور * ومن ذهب إلى تفضيل الأخيرتين يقول: هذا أمدح لعموم (خيرات حسان) الصفات الحسنة خلقاً وخُلُقاً ويدخل في ذلك قصر الطرف وغيره بما يدل عليه التشبيه بالياقوت والمرجان، والمراد بالقاصر على التفسير الثاني لمقصورات القاصر الطبيعي بقرينة المقام فيكون فيه إشارة إلى تعذر ترك القصر عنهن، و (قاصرات الطرف) ربما يوهم أن القصر باختيارهن فتى شئن قصرن وهن لم يشأن لم يقصرن *

﴿فَبَآئٍ ءِآلَاءُ رَبِّكَآ تُكَذِّبَآنَ ٧٣﴾ وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌ ٧٤﴾ الكلام فيه كاللزام في نظيره ﴿فَبَآئٍ ءِآلَاءُ رَبِّكَآ تُكَذِّبَآنَ ٧٥﴾ وقوله سبحانه: ﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾ قيل: بتقدير يتنعمون متكبرين أو أعني متكبرين، والضمير لاهل الجنتين المدلول عليهم بذكرهما ﴿عَلَى رَفْرَفٍ﴾ اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرقة، وعلى الوجهين يصح وصفه بقوله تعالى: ﴿خُضْرٌ﴾ وجعله بعضهم جمعاً لهذا الوصف ولا يخفى أن أمر الوصفية لا يتوقف على ذلك الجعل، وفسره في الآية على كرم الله تعالى وجهه. وابن عباس: والضحاك بفضول المحابس وهي ما يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه، وقال الجوهري: الرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس واشتقاقه من رف إذا ارتفع، وقال الحسن: فيما أخرجه ابن المنذر وغيره عنه - هي البسط *

وأخرج عن عاصم الجحدري أنها الوسائد، وروى ذلك عن الحسن أيضاً. وابن كيسان: وقال الجبائي: الفرش المرتفعه، وقيل: ما تدلى من الأسرة من غالي الثياب، وقال الراغب: ضرب من الثياب مشبهة بالرياض، وأخرج ابن جرير: وجماعة عن سعيد بن جبير أنه قال: الرفرف رياض الجنة، وأخرج عبد بن حميد نحوه عن ابن عباس وهو عليه - كما في البحر - من رف النبات نعم وحسن، ويقال الرفرف لكل ثوب عريض وللريق من ثياب الديباج ولاطراف الفسطاط والخباء الواقعة على الأرض دون الاطناب والاولتاد، وظاهر كلام بعضهم أنه قيل بهذا المعنى هنا وفيه ثنى ﴿وَعَبَقَرَى﴾ هو منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل عجيب غريب من الفرش وغيرها فعناه الشيء العجيب النادر، ومنه ما جاء في عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه فلم أرى عبقرياً يفري فريه، ولتناسى تلك النسبة قيل: إنه ليس بمنسوب بل هو مثل كرمى وبختى كما نقل

عن قطرب، والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع وهو قوله تعالى: ﴿حَسَّانَ ٧٦﴾ حملا على المعنى، وقيل: هو اسم جمع أو جمع واحده عبقرية، وفسره الآكثرون بعتاق الزرابي، وعن أبي عبيدة هو ما كله وشى من البسط * وروى غير واحد عن مجاهد أنه الديباج الغليظ، وعن الحسن أنها بسط فيها صور وقد سمعت ما نقل عنه في الرفرف فلا تغفل عما يقتضيه العطف

وقرأ عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. ونصر بن عاصم الجحدري. ومالك بن دينار. وابن محيصن.

وزهير الفرقبي وغيرهم رفارف جمع لا ينصرف (خضر) يسكون الضاد، وعباقرى بكسر القاف وفتح الياء مشددة، وعنهم أيضا ضم الضاد، وعنهم أيضا فتح القاف قاله صاحب اللوامح، ثم قال أما منع الصرف من عباقرى. فلجأورته لرفارف يعنى للمشاطلة وإلا فلا وجه لمنع الصرف، مع ياء النسب إلا في ضرورة الشعر انتهى * وقال ابن خالويه. قرأ - على رفارف خضر وعباقرى - النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، والجحدري. وابن محيصن، وقد روى عن ذكرنا - على رفارف خضر وعباقرى - بالصرف، وكذلك روى عن مالك بن دينار، وقرأ أبو محمد. المروزي وكان نحويا - على رفارف خضر - بوزن فعال، وقال صاحب الكامل: قرأ رفارف بالجمع ابن مصرف. وابن مقسم. وابن محيصن، واختاره شبل. وأبو حيوة. والجحدري. والزعفراني وهو الاختيار لقوله تعالى: (خضر)، وعباقرى بالجمع وبكسر القاف من غير تنوين ابن مقسم. وابن محيصن، وروى عنهما التنوين * وقال ابن عطية: قرأ زهير الفرقبي (١) رفارف بالجمع وترك الصرف، وأبو طعمة المدني. وعاصم فيماروى عنه رفارف بالصرف. وعثمان رضى الله تعالى عنه كذلك، وعباقرى بالجمع والصرف، وعنه وعباقرى بفتح القاف والياء على أن اسم الموضع عباقر بفتح القاف، والصحيح فيه عبقري، وقال الزمخشري: قرىء عباقرى كدائني * وروى أبو حاتم عباقرى بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته، وقال الزجاج: هذه القراءة لا تخرج لها لان ما جاوز الثلاثة لا يجمع بياء النسب فلو جمعت عبقري قلت: عباقرى نحو مهلب ومهالبة ولا تقول مهالبي * وقال ابن جنى: أما ترك صرف عباقرى فشاذ في القياس ولا يستند كرشذوذ مع استعماله، وقال ابن هشام: كونه من النسبة إلى الجمع كدائني باطل فان من قرأ بذلك قرأ رفارف خضر بقصد المجانسة ولو كان كما ذكر كان مفرداً ولا يصح منع صرفه كدائني وقد صحت الرواية بمنعه الصرف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من باب كرسى وكراسى وهو من صيغة متتهى الجموع لكنها خالفت القياس في زيادة ما بعد الألف على المعروف كما ذكره السهيلي، وقال صاحب الكشف: فتح القاف لا وجه له بوجه والمذكور في المنتقى عن النبي ﷺ الكسر * وأما منع الصرف فليس بمتعين ليرد بل وجهه أنه نصب على محل رفرف على حد يذهب في نجد وغورا. وإضافته إلى (حسان) مثل إضافة حور إلى عين في قراءة عكرمة كأنه قيل: عباقرى مفارش، أو نمارق حسان فهو من باب أخلاق ثياب لان أحد الوصفين قائم مقام الموصوف، ولعل عبقري وعباقر مثل عرفة وعرفات انتهى، فأحط بجوانب الكلام ولا تغفل، وقرأ ابن هرمز (خضر) بضم الضاد وهي لغة قليلة ومن ذلك قول طرفة:

أيها القينات في مجلسنا جردوا منها وراداً (وشقر)

وقول الآخر: وما انتميت إلى خود ولا (كشف) وللائام غداة الروع أوزاع

فشقر جمع أشقر، وكشف جمع كشف وهو من ينهزم في الحرب، وهذا الوصف بقوله تعالى. (متكئين على رفرف) الخ دون الوصف بقوله سبحانه: (متكئين على فرش بطائنها من استبرق) عند القائل بتفضيل الجنتين السابقتين لما في هذا الوصف من الإشارة إلى أن الظاهر مما يعجز عنها الوصف * ومن ذهب إلى تفضيل الأخيرتين يقول: الرفرف ما يطرح على ظهر الفراش وليست الفرش التي يطرح عليها الرفرف مذكورة فيجوز أن يكون ترك ذكرها للإشارة إلى عدم إحاطة الوصف بها ظهارة وبطانة وهو أبلغ من الأول، ولا يسلم أن تلك الفرش هي العبقري، أو يقول الرفرف الفرش المرتفعة وترك التعرض لسوى لونها وهو الخضرة التي ميل الطباع

(١) هكذا بقافين وقد مر بالفاء بعد الراء قاف، وفي البحر العرقبي بالعين المهملة تدبر

اليها أشد وهي جامعة لأصول الألوان الثلاثة على ما بينه الإمام يشير إلى أنها لما لا تكاد تحيط بحقيقة عبارات، وقد يقال غير ذلك فتأمل، وينبغي على القول بتفضيل الأخيرتين وكونهما لطائفة غير الطائفة المشار اليهم بمن خاف أن لا يفسر من خاف بمن له شدة الخوف بحيث يختص بأفضل المؤمنين وأجلهم، أو يقال إنهما مع الأولين لمن خاف مقام ربه ويكون المعنى (ولمن خاف مقام ربه) أيضاً (جنتان) صفتهم كيت وكيت من دون تينك الجنتين، وعليه قيل: (جنتان) عطف على (جنتان) قبله (ومن دونهما) في موضع الحال، وذهب بعضهم إلى أن هاتين الجنتين سواء كانتا أفضل من الأولين أم لا لمن خاف مقام ربه عز وجل فله يوم القيامة أربع جنان * قال الطبرسي: والاخيرتان دون الأولين أى أقرب إلى قصره ومجالسه ليتضاءفله السرور بالتنقل من جنة إلى جنة على ما هو معروف من طبع البشر من شهوة مثل ذلك وهو أبعد عن الملل الذي طبع عليه البشر، وأنت تعلم أن الآية تحتل ذلك احتمالاً ظاهراً لكن ما تقدم من حديث أبي موسى رضى الله تعالى عنه ياباه فاذا صح ولو موقوفاً - إذ حكم مثله حكم المرفوع - لم يكن لنا العدول عما يقتضيه، وقد روى عنه أيضاً حديث مرفوع

ذكره الجلال السيوطي في الدر المنثور يشعر بأن الجنان الأربع هي جنان الفردوس *

وأخرج عنه أحمد . والبخاري . ومسلم . والترمذي . والنسائي . وابن ماجه . وغيرهم أنه قال: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « جنان الفردوس أربع . جنتان من ذهب حليتهما وآيتهما وما فيهما . وجنتان من فضة حليتهما وآيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » والظاهر على هذا أنه يشترك الألوف في الجنة الواحدة من هذه الجنان، ومعنى قوله تعالى: (ومن خاف) الخ عليه ما لا يخفى، ثم إن قاصرات الطرف إن كن من الانس فهن أجل قدراً وأحسن منظراً من الحور المقصورات في الخيام بناماً على أنهن النساء المخلوقات في الجنة .

فقد جاء من حديث أم سلمة « قلت يا رسول الله: أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة، قلت: يا رسول الله وبم ذاك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن ألبس الله وجوههن . النور وأجسادهن الحرير يرض الوجوه خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقان ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً طوبى لمن كنا له وكان لنا » إلى غيره من الأخبار ويكون هذا مؤيداً للقول بتفضيل الجنتين الأوليين على الأخيرتين ولعله إنما قدم سبحانه ذكر الاتكاء أولاً على ذكر النساء لأنه عز وجل ذكر في صدر الآية الخوف حيث قال سبحانه: (ومن خاف مقام ربه جنتان) فناسب التعجيل بذكر ما يشعر بزواله إشعاراً ظاهراً وهو الاتكاء فانه من شأن الآمنين، وآخر سبحانه ذكره ثانياً عن ذكرهن لعدم ما يستدعى التقديم وكونه بما يكون للرجل عادة بعد فراغ ذهنه عما يحتاجه المنزل من طعام وشراب وقينة تكون فيه، وإذا قلنا: إن الحور كالجوارى في المنزل كان أمر التقديم والتأخير أوقع، وقال الامام في ذلك: إن أهل الجنة ليس عليهم تعب وحركة فهم متنعرون دائماً لكن الناس في الدنيا على أقسام منهم من يجتمع مع أهله اجتماع مستوفز وعند قضاء وطره يغتسل وينتشر في الارض للكسب، ومنهم من يكون متردداً في طلب الكسب وعند تحصيله يرجع إلى أهله ويستريح عما لحقه من تعب قبل قضاء الوطر أو بعده فانه عز وجل قال في أهل الجنة: (متكئون) قبل اجتماعهم بأهاليهم متكئون بعد الاجتماع ليعلم أنهم دائمون على السكون، ولا يخفى أن هذا على ما فيه لا يحسم السؤال إذ لقائل

أن يقول لم لم يعكس أمر التقديم والتأخير في الموضوعين مع أنه يتضمن الإشارة إلى ذلك أيضاً، ثم ذكر في ذلك وجهاً ثانياً وهو على ما فيه مبنى على ما لا مستند له فيه من الآثار فتدبر ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ٤٧﴾ وقوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في هذه السورة الكريمة من آلائه جل شأنه الفائضة على الأنام، - فتبارك - بمعنى تعالى لأنه يكون بمعناه وهو أنسب بالوصف الآتي، وقد ورد في الأحاديث «تعالى اسمه» أي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة من اسم (الرحمن) المنبئ عن إفاضة الآلاء المفصلة، وارتفع مما يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها، وإذا كان حال اسمه تعالى بملازمة دلالاته عليه سبحانه كذلك فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى ؟؟ * وقيل: الاسم بمعنى الصفة لأنها علامة على موصوفها، وقيل: هو مقحم كما في قول من قال: ثم اسم السلام عليكما، وقيل: هو بمعنى المسمى، وزعم بعضهم إن الأنسب بما قصد من هذه السورة الكريمة وهو تعدد الآلاء والنعم تفسير (تبارك) بكثرة خيراته ثم إنه لا بعد في إسناده بهذا المعنى لاسمته تعالى إذ به يستمطر فيغاث ويستنصر فيعان، وقوله سبحانه: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٧٨﴾ صفة للرب ووصف جل وعلا بذلك تكميلاً لما ذكر من التنزيه والتقدير، وقرأ ابن عامر. وأهل الشام - ذو - بالرفع على أنه وصف للاسم ووصفه بالجلال والاكرام بمعنى التكريم واضح *

هذا (ومن باب الإشارة) في بعض الآيات (الرحمن علم القرآن) إشارة إلى ما أودعه سبحانه في الأرواح الطيبة القدسية من العلوم الحقائقية الاجمالية عند استوائه عز وجل على عرش الرحمانية (خلق الانسان) الكامل الجامع (عليه البيان) وهو تفصيل تلك العلوم الاجمالية (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) (الشمس والقمر بحسبان) يشير إلى شمس النبوة وقمر الولاية الدائرتين في فلك وجود الانسان بحساب التجليات ومراتب الاستعدادات، و(النجم) القوى السفلية (والشجر) الاستعدادات العلوية (يسجدان) يتذللان بين يديه تعالى عند الرجوع إليه سبحانه (والسما) سماء القوى الالهية القدسية (رفعها) فوق أرض البشرية (ووضع الميزان) القوة المميزة (أن لا تطغوا في الميزان) لا تتجاوزوا عند أخذ الحظوظ السفلية وإعطاء الحقوق العلوية * وجوز أن يكون (الميزان) الشريعة المطهرة فإنها ميزان يعرف به الكامل من الناقص (والأرض) أرض البشرية (وضعها) بسطها وفرشها (الانعام) للقوى الانسانية (فيها فاكهة) من فواكه معرفة الصفات الفعلية (والنخل ذات الأكام) وهي الشجرة الانسانية التي هي المظهر الأعظم وذات أطوار كل طور مستور بطور آخر (والحب) هو حب الحب المبذور في مزارع القلوب السليمة من الدغل (ذو العصف) أوراق المكاشفات (والريحان) ريحان المشاهدة (رب المشرقين ورب المغربين) رب مشرق شمس النبوة ومشرق قمر الولاية في العالم الجسماني ورب مغربها في العالم الروحاني (مرج البحرين) بحر سماء القوى العلوية وبحر أرض القوى السفلية (يلتقيان بينهما برزخ) حاجز القلب (ينخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أنواع أنوار الأسرار ونيران الأشواق (وله الجوار المنشآت) سفن الخواطر المستخرة في بحر الانسان (كل من عليها فان) ما شمس رائحة الوجود (ويبقى وجه ربك) الجهة التي تليه سبحانه وهي شئونه عز وجل (ذو الجلال) أي الاستغناء التام عن جميع المظاهر (والاكرام) الفيض العام يفيض على القوابل حسبما استعدت له وسألته بلسان حالها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (يسأله من في السموات

والارض) الخ ، واستدل الشيخ الاكبر محي الدين قدس سره بقوله سبحانه: (كل يوم هو في شأن) على شرف التلون ، وكذا استدل به على عدم بقاء الجوهر آئين ، وعلى هذا الطرز ما قيل في الآيات بعد ، وذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى: (فبأى آلاء ربكماتك تذبذبون) قد ذكر إحدى وثلاثين مرة، ثمانية منها عقيب تعداد عجائب خلقه تعالى . وذكر المبدأ والمعاد ، وسبعة عقيب ذكر ما يشعر بالنار وأهوالها على عدد أبواب جهنم ، وثمانية في وصف الجنة الأولى ومثلها في وصف الجنة الثانية اللتين دونهما على عدد أبواب الجنة فكانه أشير بذلك إلى أن من اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الجنة من الله تعالى ووقاه جهنم ذات الأبواب السبعة ، والله تعالى أعلم بإشارات كتابه وحقائق خطابه ودقائق كلامه التي لا تحيط بها الأفهام وتبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام *

﴿ سورة الواقعة ﴾

﴿ مكية ﴾ كما أخرجه البيهقي في الدلائل وغيره عن ابن عباس : وابن مردويه عن ابن الزبير ، واستثنى بعضهم قوله تعالى: (ثلاثة من الأولين وثلاثة من الآخرين) كما حكاه في الالتقان وكذا استثنى قوله سبحانه: (فلا أقسم بمواقع النجوم) إلى (تكذبون) لما أخرجه مسلم في سبب نزوله وسيأتي إن شاء الله تعالى ، وفي مجمع البيان حكاية استثناء قوله تعالى: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) عن ابن عباس . وقبادة وعدداً تسع وتسعون في الحجازي والشامي ، وسبع وتسعون في البصري ، وست وتسعون في الكوفي ، وتفصيل ذلك فيما أعد لمثله ، وهي وسورة الرحمن متواخية في أن في كل منهما وصف القيامة والجنة والنار ، وقال في البحر : مناسبتها لما قبلها أنه تضمن العذاب للمجرمين والنعم للمؤمنين ، وفاضل سبحانه بين جنتي بعض المؤمنين وجنتي بعض آخر منهم فانقسم المكلفون بذلك إلى كافر ومؤمن فاضل ومؤمن مفضول ، وعلى هذا جاء ابتداء هذه السورة من كونهم أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة وسابقين ، وقال بعض الأجلة انظر إلى اتصال قوله تعالى: (إذا وقعت الواقعة) بقوله سبحانه: (فإذا انشقت السماء) وأنه اقتصر في الرحمن على ذكر انشقاق السماء ، وفي الواقعة على ذكر رج الأرض فكان السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة فذكر في كل شيء ، وقد عكس الترتيب فذكر في أول هذه مافي آخر تلك وفي آخر هذه مافي أول تلك فافتتح في سورة الرحمن بذكر القرآن ، ثم ذكر الشمس والقمر ، ثم ذكر النبات ، ثم خلق الإنسان والجنان ، ثم صفة يوم القيامة ، ثم صفة النار ، ثم صفة الجنة ، وهذه ابتداءها بذكر القيامة ، ثم صفة الجنة ، ثم صفة النار ؛ ثم خلق الإنسان ، ثم النبات ، ثم الماء ، ثم النار ، ثم ذكرت النجوم ولم تذكر في الرحمن كما لم يذكر هنا الشمس والقمر ، ثم ذكر الميزان فكانت هذه كالمقابلة لتلك وكالمتضمنة لرد العجز على الصدر ، وجاء في فضلها آثار *

أخرج أبو عبيد في فضائله . وابن الضريس . والحريث بن أبي سامة . وأبو يعلى . وابن مردويه . والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال : « سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » . وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس نحوه مرفوعاً ، وأخرج ابن مردويه عن أنس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « سورة الواقعة سورة الغنى فاقروها وعلوها أولادكم » .

وأخرج الديلمي عنه مرفوعاً « علموا نساءكم سورة الواقعة فانها سورة الغنى » *

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١) أي إذا حدثت القيامة على أن (وقعت) بمعنى حدثت و(الواقعة) علم بالغلبة أو منقول للقيامة ، وصرح ابن عباس بأنها من أسمائها وسميت بذلك للايذان بتحقيق وقوعها لا محالة كأنها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط فليس الاسناد كما في - جاءني جاء - فانه لغو لدلالة كل فعل على فاعل له غير معين ، وقال الضحاك : (الواقعة) الصيحة وهي النفخة في الصور ، وقيل : (الواقعة) صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة وليس بشئ ، و(إذا) ظرف متضمن معنى الشرط على ما هو الظاهر ، والعامل فيها عند أبي حيان الفعل بعدها فهي عنده في موضع نصب - بوقعت - كسائر أسماء الشرط وليست مضافة إلى الجملة ، والجمهور على إضافتها فقليل : هي هنا قد سلبت الظرفية ووقعت مفعولاً به لا ذكر محذوفاً ، وقيل : لم تسلب ذلك وهي منصوبة بليس ، وصنيع الزمخشري يشعر باختياره * وقيل : بمحذوف وهو الجواب أي (إذا وقعت الواقعة) كان كيت وكيت ، قال في الكشف : هذا الوجه العربي الجزل فالنصب باضمار اذكر إنما كثر في إذ ، وبليس إنما يصح إذا جعلت لمجرد الظرفية وإلا لوجب الفاء في ليس ، وأبو حيان تعقب النصب بليس بأنه لا يذهب إليه نحوي لأن ليس في التثنية ك(ما) وهي لا تعمل ، فكذا ليس فانها مسلوبة الدلالة على الحدث والزمان ، والقول : بأنها فعل على سبيل المجاز ، والعامل في الظرف إنما هو ما يقع فيه من الحدث فحيث لا حدث فيها لا عمل لها فيه ، ثم ذكر نحو ما ذكر صاحب الكشف من وجوب الفاء في ليس إذا لم تجرد عن الشرطية ؛ واعتراض دعواه أن (ما) لا تعمل بأنهم صرحوا بجواز تعلق الظرف بها لتأويلها باتنفي وأنه يكفي له رائحة الفعل ، ويقاس عليها في ذلك ليس ، وكذا دعوى وجوب الفاء في ليس إذا لم تجرد (إذا) عن الشرطية بأن لزوم الفاء مع الأفعال الجامدة إنما هو في جواب إن الشرطية لعملها كما صرحوا به . وأما (إذا) فدخول الفاء في جوابها على خلاف الأصل . وسيأتى إن شاء الله تعالى فيها قولان آخران ، وبعد القيل والقال الأولى كون العامل محذوفاً وهو الجواب كما سمعنا . وفي إبهامه تهويل وتفخيم لأمر الواقعة * وقوله تعالى : (لَيْسَ لَوْقَعَتَهَا كَاذِبَةٌ ٣) إما اعتراض يؤكّد تحقيق الوقوع . أو حال من الواقعة كما قال ابن عطية ، و(كاذبة) اسم فاعل وقع صفة لموصوف محذوف أي نفس ، وقيل : مقالة والاول أولى لأن وصف الشخص بالكذب أكثر من وصف الخبر به . و(الواقعة) السقطة القوية وشاعت في وقوع الأمر العظيم وقد تخصص بالحرب ولذا عبر بها هنا واللام للتوقيت مثلها في قولك : كتبته لخمس خلون أي لا يكون حين وقوعها نفس كاذبة على معنى تكذب على الله تعالى وتكذب في تكذيبه سبحانه وتعالى في خبره بها ، وإيضاحه أن منكر الساعة الآن مكذب له تعالى في أنها تقع وهو كاذب في تكذيبه سبحانه لانه خبر على خلاف الواقع وحين تقع لا يبقى كاذباً مكذباً ، بل صادقاً مصداقاً ، وقيل : على معنى ليس في وقت وقوعها نفس كاذبة في شئ من الأشياء ، ولا يخفى أن صحته مبنية على القول بأنه لا يصدر من أحد كذب يوم القيامة ؛ وأن قولهم : (والله ربنا ما كنا مشركين) مجاب عنه بما هو مذكور في محله أو اللام على حقيقتها ، و(كاذبة) صفة لذلك المحذوف أيضاً أي (ليس لوقعتها) نفس كاذبة بمعنى لا ينكر وقوعها أحد ولا يقول للساعة لم تكوني لأن الكون قد تحقق كما يقول لها في الدنيا بلسان القول أو الفعل لأن من اغتر بزخارف الدنيا فقد كذب الساعة في وقوعها

باسان الحال لن تكونى، وهذا كما تقول لمخاطبك ليس لنا ملك ولمعروفك كاذب أى لا يكذبك أحد فيقول. إنه غير واقع، وفيه استعارة تمثيلية لان الساعة لا تصلح مخاطباً إلا على ذلك إما على سبيل التخيل من باب لو قيل: للشحم أين تذهب، وهو الاظهر وإما على التحقيق، وجوز كون (كاذبة) من قولهم كذبت نفسه وكذبتة إذا منته الأمانى وقربت له الامور البعيدة وشجعتة على مباشرة الخطب العظيم، واللام قيل: على حقيقة أنها أيضاً أى ليس لها إذا وقعت نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها.

وفى الكشف إن اللام على هذا الوجه للتوقيت كما على الوجه الاول، وجوز أيضاً كون (كاذبة) مصدراً بمعنى التكذيب وهو التشييط وأمر اللام ظاهر أى ليس لوقعتها ارتداد ورجعة كالحملة الصادقة من ذى سطوة قاهرة، وروى نحوه عن الحسن. وقتادة، وذكر أن حقيقة التكذيب بهذا المعنى راجعة إلى تكذيب النفس، كذبتها وإغرائها وتشجيعها وأنشد على ذلك لزهير:

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا مالم يث (كذب عن أقرانه) صدقا

ويجوز جعل الكاذبة بمعنى الكذب على معنى ليس للوقعة كذب بل هى وقعة صادقة لا تطاق على نحو - حملة صادقة، وحملة لها صادق - أو على معنى ليس هى فى وقت وقوعها كذب لانه حق لاشبهة فيه، ولعل ما ذكر أظهر مما تقدم وإن روى نحوه عن سمعت، نعم قيل: عليهما إن مجئ المصدر على زنة الفاعل نادر، وقوله عز وجل: ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ ﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هى خافضة لأقوام رافعة لا آخرين كما قال ابن عباس، وأخرجه عنه جماعة، والجملة تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها الخفض والرفع كما يشاهد فى تبدل الدول وظهور الفتن من ذل الأعزة وعز الأذلة، وتقديم الخفض على الرفع لتشديد التهويل، أو بيان لما يكون يؤمئذ من حط الاشقياء إلى الدركات ورفع السعداء إلى درجات الجنات، وعلى هذا قول عمر رضى الله تعالى عنه: خفضت أعداء الله تعالى إلى النار ورفعت أوليائه إلى الجنة، أو بيان لما يكون من ذلك ومن إزالة الأجرام عن مقارها ونثر الكواكب وتسير الجبال فى الجو كالسحاب، والضحاك بعد أن فسر الواقعة بالصيحة قال: خافضة تخفض قوتها لتسمع الأذن (رافعة) ترفعها لتسمع الأقصى، وروى ذلك أيضاً عن ابن عباس. وعكرمة، وقدر أبو على المبتدأ مقروناً بالفاء أى فهى (خافضة) وجعل الجملة جواب إذا فكأنه قيل: (إذا وقعت الواقعة) خفضت قوماً ورفعت آخرين، وقرأ زيد بن على. والحسن. وعيسى. وأبو حيوة. وابن أبى عتبة. وابن مقسم. والزعفرانى. واليزيدى فى اختياره (خافضة رافعة) بنصبهما، ووجهه أن يجعل حالين عن الواقعة على أن (ليس لوقعتها كاذبة) اعتراض أو حالين عن وقوعها، وقوله سبحانه: ﴿ إِذَا رُجَّتْ الْأَرْضُ رَجًا ۝ ﴾ أى زلزلات وحركات تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة - أو - رافعة.. على أنه من باب الأعمال، أو بدل من (إذا وقعت) كما قال به غير واحد، وقال ابن جنى. وأبو الفضل الرازى: (إذا رجت) فى موضع رفع على أنه خبر للبتدا الذى هو (إذا وقعت) وليست واحدة منهما شرطية بل هى بمعنى وقت أى وقت وقوعها وقت رج الأرض، وادعى ابن مالك أن (إذا) تكون مبتدأ، واستدل بهذه الآية، وقال أبو حيان: هو بدل من (إذا وقعت) وجواب الشرط عندى ملفوظ به وهو قوله تعالى: (فأصحاب الميمنة) والمعنى إذا كان كذا وكذا، فأصحاب الميمنة ما أسعدهم وما أعظم ما يجازون به أى إن سعادتهم وعظم رتبهم

عند الله عز وجل تظهر في ذلك الوقت الشديد الصعب على العالم، وفيه بعد ﴿ وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ٥ ﴾ أي فتت كما قال ابن عباس . ومجاهد حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق إذا لته ، وقيل: سيقت وسيرت من أما كنها من بس الغنم إذا ساقها فهو كقوله تعالى: (وسيرت الجبال) *

وقرأ زيد بن علي (رجت، وبست) بالبناء للفاعل أي ارتجت وتفتتت ، وفي كلام هند بنت الحنيس تصف ناقة بما يستدل به على حملها - عينها هاج وصلاتها راج ، وهي تمشي وتفتاج - ﴿ فَكَانَتْ ﴾ فصارت بسبب ذلك ﴿ هَبَاءً ﴾ غباراً ﴿ مُنْبَثًّا ٦ ﴾ متفرقا ، والمراد مطلق الغبار عند الاكثرين ، وقال ابن عباس: هو ما يثور مع شعاع الشمس إذا دخلت من كوة ، وفي رواية أخرى عنه أنه الذي يطير من النار إذا اضطربت *

وقرأ النخعي - منبثاً - بالتاء المنطوقة بنقطتين من فوق من البت بمعنى القطع ، والمراد به ما ذكر من البت بالمثلثة ﴿ وَكُنْتُمْ ﴾ خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا كما ذهب اليه الكثير ، وقال بعضهم: خطاب للامة الحاضرة فقط، والظاهر إن - كان - أيضا بمعنى صار أي وصرتم ﴿ أَزْوَاجًا ﴾ أي أصنافا ﴿ ثَلَاثَةً ٧ ﴾ وكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود أو في الذكر فهو زوج ، قال الراغب: الزوج يكون لكل واحد من القرينين من الذكر والانثى في الحيوانات المتزاوجة ولكل قرينين فيها، وفي غيرها كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بآخر مماثلا له أو مضادا ، وقوله تعالى :

﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ٩ ﴾ تفصيل للازواج الثلاثة مع الإشارة الاجالية إلى أحوالهم قبل تفصيلها ، والدائر على ألسنتهم أن أصحاب الميمنة مبتدأ ، وقوله تعالى : (ما أصحاب الميمنة) (ما) فيه استفهامية مبتدأ ثان . و (أصحاب) خبره ، والجملة خبر المبتدأ الاول والرابط الظاهر القائم مقام الضمير ، وكذا يقال في قوله تعالى : (وأصحاب المشأمة) الخ ، والأصل في الموضعين ما هم ؟ أي أي شيء هم في حالهم وصفتهم فان (ما) وإن شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد تطلب بها الصفة والحال كما تقول ما زيد ؟ فيقال : عالم ، أو طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل في المقصود وهو التفخيم في الاول والتفضيع في الثاني ، والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفضاعة كأنه قيل : (فأصحاب الميمنة) في غاية حسن الحال (وأصحاب المشأمة) في نهاية سوء الحال ، وقيل : جملة (ما أصحاب) خبر بتقدير القول على ما عرف في الجملة الانشائية إذا وقعت خبراً أي مقول في حقهم (ما أصحاب) الخ فلا حاجة إلى جعله من إقامة الظاهر مقام الضمير وفيه نظر ، و (الميمنة) ناحية اليمين ، أو اليمين والبركة ، (والمشأمة) ناحية الشمال من اليد الشؤمي وهي الشمال ، أو هي من الشؤم مقابل اليمين ، ورجح إرادة الناحية فيهما بأنها أوفق بما يأتي في التفصيل ، واختلفوا في الفريقين فقليل : أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية ، وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذاً من تيمنهم باليمين وتشؤمهم بالشمال كما تسمع في السانح والبارح ، وهو مجاز شائع ، وجوز أن يكون كناية ، وقيل : الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائهم ، وقيل : الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ، وقيل : أصحاب اليمين وأصحاب الشؤم ، فان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والاشقياء شائمين على أنفسهم

بمعاصيهم ، وروى هذا عن الحسن . والربيع ، وقوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ هو الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة ، ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الأصناف وأقدمهم في الفضل ليرد في ذكرهم بيان محاسن أحوالهم على أن إيرادهم بعنوان السبق مطلقاً معرض عن إحرازهم قصب السبق من جميع الوجوه .
 واختلف في تعيينهم فقيل : هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلثم وتوان ، وروى هذا عن عكرمة . ومقاتل ، وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون . وحبيب النجار الذي ذكر في يس . وعلى بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه و كل رجل منهم سابق أمته وعلى أفضلهم ، وقيل : هم الذين سبقوا في حيازة السكالات من العلوم اليقينية ومراتب التقوى الواقعة بعد الإيمان ، وقيل : هم الأنبياء عليهم السلام لأنهم مقدمو أهل الأديان ، وقال ابن سيرين : هم الذين صلوا إلى القبلتين كما قال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) وعن ابن عباس هم السابقون إلى الهجرة ، وعن علي كرم الله تعالى وجهه هم السابقون إلى الصلوات الخمس ، وأخرج أبو نعيم . والدليل عن ابن عباس مرفوعاً أول من يهجر إلى المسجد وآخر من يخرج منه .

وأخرج عبد بن حميد : وابن المنذر عن عبادة بن أبي سودة مولى عبادة بن الصامت قال : بلغنا أنهم السابقون إلى المساجد والخروج في سبيل الله عز وجل ، وعن الضحاك هم السابقون إلى الجهاد ، وعن ابن جبير هم السابقون إلى التوبة وأعمال البر ، وقال كعب : هم أهل القرآن ، وفي البحر في الحديث « سئل عن السابقين فقال : هم الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس حكمهم لأنفسهم » ، وقيل : الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم دام عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق ، ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبته فهذا صاحب اليمين ، ورجل ابتكر الشرف في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ، وعن ابن كيسان أنهم المسارعون إلى كل مادعا الله تعالى إليه ورجحه بعضهم بالعموم ، وجعل ما ذكر في أكثر الأقوال من باب التمثيل ، وأياً ما كان فالشائع أن الجملة مبتدأ وخبر والمعنى (والسابقون) هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت فخامتهم كقوله :

• أنا أبو النجم وشعري شعري • وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضلهم ما لا يخفى ، وقيل متعلق السبق بخالف متعلق السبق الثاني أي السابقون إلى طاعة الله تعالى (السابقون) إلى رحمته سبحانه ، أو (السابقون) إلى الخير (السابقون) إلى الجنة ، والتقدير الأول محكي عن صاحب المرشد •

وأنت تعلم أن الحمل مفيد بدون ذلك كما سمعت بل هو أبغ وأنسب بالمقام وأياً ما كان فقوله تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۙ ﴾ ، مبتدأ وخبر والجملة استئناف بياني ، وقيل : (السابقون) السابق مبتدأ

(والسابقون) اللاحق تأكيد له وما بعد خبر وليس بذاك أيضاً لفوات مقابلة ما ذكر لقوله تعالى : (فأصحاب) الخ ولأن القسمة لا تكون مستوفاة حينئذ ، ولفوات المبالغة المفهومة من نحو هذا التركيب على ما سمعت مع أنهم أعني السابقين أحق بالمدح والتعجيب من حالهم من السابقين ولفوات ما في الاستئناف بأولئك المقربون من الفخامة وإنما لم يقل - السابقون ما السابقون - على منوال الأولين لأنه جعل أمراً مفروغاً مسلماً مستقلاً في المدح والتعجيب ، والاشارة بأولئك إلى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ،

و(المقربون) من القربة بمعنى الخطوة أى أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل الذين أنبلوا خطوة ومكانة عند الله تعالى ، وقال غير واحد : المراد الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم .
هذا وفي الارشاد الذى تقتضيه جرالة التنزيل أن قوله تعالى : (فأصحاب الميمنة) خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله سبحانه : (وأصحاب المشأمة) وقوله جل شأنه : (والسابقون) فان المترقب عند بيان انقسام الناس إلى الاقسام الثلاثة بيان أنفس الاقسام .

وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك بإسنادها إليها ، والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة ، والثالث السابقون خلا أنه لما أخر بيان أحوال القسمين الأولين عقب كلامهما بجملة معترضة بين القسمين منبهة عن تراعى أحوالهما فى الخير والشر إنباءً إجمالياً مشعراً بأن لأحوال كل منهما تفصيلاً مترقباً لكن لا على أن (ما) الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على مارآه سيئويه فى أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان أن أصحاب الميمنة أمر بديع كما يفيد كونه (ما) خبراً لا بيان أن أمراً بديعاً أصحاب الميمنة كما يفيد كونها مبتدأ وكذا الحال فى (ما أصحاب المشأمة) ، وأما القسم الأخير فحيث قرن به بيان محاسن أحواله لم يحتج فيه إلى تقديم النموذج فقوله تعالى : (السابقون) مبتدأ والإظهار فى مقام الاضمار للتفخيم و (أولئك) مبتدأ ثان ، أو بدل من الاول وما بعده خبر له ، أو للثانى ، والجملة خبر للاول انتهى ، وقيل عليه : إنه ليس فى جعل جملة الاستفهام وقوله سبحانه : (السابقون) إخباراً لما قبلها بيان لأوصاف الاقسام وأحوالها تفصيلاً حتى يقال : حقها أن تبين بعد أنفس الاقسام بل فيه بيان الاقسام مع إشارة إلى تراعى أحوالها فى الخير والشر والتعجب من ذلك .

وأيضاً مقتضى ما ذكره أن لا يذكر (ما أصحاب اليمين) و (ما أصحاب الشمال) فى التفصيل ، وتعقب هذا بأن الذكر محتاج إلى بيان نكتة على الوجه الدائر على ألسنتهم كاحتياجه اليه على هذا الوجه ، ولعلها عليه أنه لما عقب الأولين بما يشعر بأن لأحوال كل تفاصيل مترتبة أعيد ذلك للاعلام بأن الأحوال العجيبة هى هذه فلتسمع ، والذى يتبادر للنظر الجليل ما فى الارشاد من كون أصحاب الميمنة وكذا كل من الآخرين خبر مبتدأ محذوف كما سمعت لأن المتبادر بعد بيان الانقسام ذكر نفس الاقسام على أن تكون هى المقصودة أولاً وبالذات دون الحكم عليها وبيان أحوالها مطلقاً وإن تضمن ذلك ذكرها لكن ما ذكره أبعد مغزى ومع هذا لا يتعين على ما ذكر كون تينك الجملتين الاستفهاميتين معترضتين بل يجوز أن يكون كل منهما صفة لما قبلها بتقدير القول كأنه قيل : فأحدها أصحاب الميمنة المقول فيهم (ما أصحاب الميمنة) وكذا يقال فى (وأصحاب المشأمة) الخ ، ويجعل أيضاً (السابقون) صفة - للسابقون - قبله ، والتأويل فى الوصفية كالتأويل فى الخبرية ويكون الوصف بذلك قائماً مقام تينك الجملتين فى المدح ، والجملة بعد مستأنفة استئنافاً بيانياً كما فى الوجه الشائع ، وما يقال : إن فى هذا الوجه حذف الموصول مع بعض أجزاء الصلة يحجب عنه بمنع كون - أل - فى الوصف حيث لم يرد منه الحدوث موصولة فتأمل ولا تغفل ، وقوله تعالى : (فى جنات النعيم ١٢) متعلق بالمقربون ، أو بمضمحل هو حال من ضميره أى كائنين فى جنات النعيم ، وعلى الوجهين فيه إشارة إلى أن قربهم محض لذة وراحة لا كقرب خواص الملك القائمين بأشغاله عنده بل كقرب جلسائه وندمائه الذين لا شغل لهم ولا يرد عليهم أمر ، وأنهى ولذا قيل : (فى جنات النعيم) دون جنات الخلود ونحوه ، وقيل : خبر ثان لاسم الإشارة وتعقب بأن الاخبار

بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية ، وأجيب بأن الاخبار الاول للاشارة إلى اللذة الروحانية والاخبار الثاني للاشارة إلى اللذة الجسمانية .

وقرأ طلحة في جنة النعيم بالافراد ، وقوله تعالى : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ١٣ ﴾ خبر مبتدا مقدر أى هم ثلثة الخ ، وجوز كونه مبتداً خبره محذوف أى منهم ، أو خبراً أولاً أو ثانياً - لأولئك - وجوز أبو البقاء كونه مبتداً والخبر (على سرر) ، والثلثة في المشهور الجماعة كثرت أو قلت ، وقال الزمخشري : الأمة من الناس الكثيرة وأنشد قوله :

وجاءت اليهم (ثلثة) خندفية (بجيش كتيار من السيل مزبد)

وقوله تعالى بعد : (وقليل) الخ كفى به دليلاً على الكثرة انتهى ، والظاهر أنه أنشد البيت شاهداً لمعنى الكثرة في الثلثة فإن كانت الباء تجريدية وهو الظاهر فنص وإلا فلا استدلال عليها من أن المقام مقام مبالغة ومدح ، وأما استدلاله بما بعد فذلك لان التقابل مطلوب لان الثلثة لم توضع للقليل بالاجماع حتى يحمل ما بعد على التفنن بل هي إما للكثرة والاشتقاق عليها أدل لان الثلث بمعنى الصب وبمعنى الهدم بالكلية ، والثلثة بالكسر الضأن الكثيرة وإما لمطلق الجماعة كالفرقة والقطعة من الثلث بمعنى الكسر كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم إلا أن الاستعمال غلب على الكثير فيها فالمعنى جماعة كثيرة من الاولين وهم الناس المتقدمون من لدن آدم إلى نبينا عليهما الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام ﴿ وَقَائِلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ١٤ ﴾ وهم الناس من لدن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم إلى قيام الساعة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام : « إن أمتي يكثرون سائر الأمم » أى يغلبونهم في الكثرة لان أكثرية سابقى المتقدمين من سابقى هذه الأمة لا تمنع أكثرية تابعى هؤلاء من تابعى أولئك .

وحاصل ذلك غلبة مجموع هذه الأمة كثرة على من سواها كقرية فيها عشرة من العلماء ومائة من العوام وأخرى فيها خمسة من العلماء وألف من العوام فخواص الاول أكثر من خواص الثانية وعوام الثانية ومجموع أهلها أضعاف أولئك ، لا يقال يابى أكثرية تابعى هؤلاء قوله تعالى : (ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين) فإنه في حق أصحاب اليمين وهم التابعون ، وقد عبر في كل بالثلثة أى الجماعة الكثيرة لئلا نقول لادلالة فى الآية على أكثر من وصف كل من الفريقين بالكثرة وذلك لا ينافى أكثرية أحدهما فتحصل أن سابقى الأمم السوالم أكثر من سابقى أمتنا . وتابعى أمتنا أكثر من تابعى الأمم ، والمراد بالأمم ما يدخل فيه الانبياء وحينئذ لا يبعد أن يقال : إن كثرة سابقى الاولين ليس إلا بأنبيائهم فما على سابقى هذه الأمة بأس إذا أكثرهم سابقو الأمم بضم الانبياء عليهم السلام ، وأخرج الامام أحمد . وابن المنذر . وابن أبي حاتم . وابن مردويه عن أبي هريرة قال : « لما نزلت (ثلثة من الاولين وقليل من الآخرين) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت (ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين) فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : إني لا أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة بل أتم نصف أهل الجنة - أو شطر أهل الجنة - وتقاسمونهم النصف الثانى » وظاهره أنه شق عليهم قلة من وصف بها وأن الآية الثانية أزال ذلك ورفعته وأبدلته بالكثرة ، ويدل على ذلك ما أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال : لما نزلت (ثلثة من الاولين وقليل من الآخرين) حزن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وقالوا إذا لا يكون من أمة محمد ﷺ إلا قليل فنزلت نصف النهار (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) فنسخت (وقليل من الآخرين) وأبى ذلك الزمخشري فقال: إن الرواية غير صحيحة لأمريين: أحدهما أن الآية الاولى واردة في السابقين، والثانية في أصحاب اليمين، والثاني أن النسخ في الأخبار غير جائز فإذا أخبر تعالى عنهم بالقلة لم يجوز أن يخبر عنهم بالكثرة من ذلك الوجه وما ذكر من عدم جواز النسخ في الأخبار أى في مدلولها مطلقاً هو المختار * وقيل: يجوز النسخ في المتغير إن كان عن مستقبل لجواز المحو لله تعالى فيما يقدره والأخبار يتبعه، وعلى هذا البيضاوى، وقيل: يجوز عن الماضى أيضاً وعليه الامام الرازى. والآمدى، وأما نسخ مدلول الخبر إذا كان مما لا يتغير كوجود الصانع وحدوث العالم فلا يجوز اتفاقاً فإن كان مانحاً فيه مما يتغير فنسخه جائز عند البيضاوى ويوافقه ظاهر خبر أبى هريرة الثانى، ولا يجوز على المختار الذى عليه الشافعى وغيره فقول صاحب الكشف: لا خلاف في عدم جواز النسخ في مثل ما ذكر من الخبر إذ لا يتضمن حكماً شرعياً لا يخلو عن شئ * وأقول: قد يتعقب ما ذكره الزمخشري بأن الحديث قد صح وورود الآية الاولى في السابقين والثانية في أصحاب اليمين لا يرد مقتضاه فانه يجوز أن يقال: إن الصحابة رضى الله تعالى عنهم لما سمعوا الآية الاولى حسبوا أن الامر في هذه الأمة يذهب على هذا النهج فيكون أصحاب اليمين ثلة من الاولين وقليلاً منهم فيكثرهم الفائزون بالجنة من الامم السوائف فحزنوا لذلك فنزل قوله تعالى في أصحاب اليمين: (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال مما أذهب به حزنهم وليس في هذا نسخ للخبر كما لا يخفى *

وقول أبى هريرة فنسخت (وقليل من الآخرين) إن صح عنه ينبغي تأويله بأن يقال أراد به فأذلت حسابان أن يذكر نحوه في الفائزين بالجنة من هذه الأمة غير السابقين فتدبر، وعن عائشة رضى الله تعالى عنها: الفرقتان أى في قوله تعالى: (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) في أمة كل نبي في صدرها ثلة وفي آخرها قليل، وقيل: هما من الأنبياء عليهم السلام كانوا في صدر الدنيا كثيرين وفي آخرها قليلين *

وقال أبو حيان: جاء في الحديث - الفرقتان في أمتي فسابق أول الأمة ثلة وسابق سائرهما إلى يوم القيامة قليل - انتهى، وجاء في فرقتي أصحاب اليمين نحو ذلك، أخرج مسدد في مسنده. وابن المنذر. والطبرانى. وابن مردويه بسند حسن عن أبى بكرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله سبحانه: (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) قال: هما جميعاً من هذه الأمة، وأخرج جماعة بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعاً مألظه هما جميعاً من أمتي؛ وعلى هذا يكون الخطاب في قوله عز وجل: (وكنتم أزواجاً ثلاثه)

لهذه الأمة فقط (على سرر موضونة) حال من المقربين أو من ضميرهم في قوله تعالى: (في جنات النعيم) بناءً على أنه في موضع الحال كما تقدم، وقيل: هو خبر آخر للضمير المحذوف المخبر عنه أولاً - ثلة - وفيه وجه

آخر أشرنا إليه فيما مر، (وموضونة) من الوضن وهو نسج الدرع قال الاعشى:

ومن (نسج داود) موضونة تسير مع الحى غيراً فعيراً

واستعير لمطلق النسج أو لنسج محكم مخصوص، ومن ذلك وضين الناقة وهو حزامها لأنه موضون أى مفتول؛ والمراد هنا على ما أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن عباس مرمولة أى منسوجة بالذهب، وفي رواية عنه بقضبان الفضة، وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت، وقيل: (موضونة) متصل بعضها ببعض كخلق الدرع، والمراد مقاربة، وقرأ زيد بن علي. وأبو السمال (سرر) بفتح الراء وهى لغة لبعض تميم، وكلب يفتحون

عين فعل جمع فاعيل المضعف نحو سرير ﴿مُتَّكِينَ عَلَيْهَا﴾ حال من الضمير المستقر في الجار والمجرور أغنى على سرر ، وقوله تعالى : ﴿مُتَّقِبَيْنِ ١٦﴾ حال منه أيضاً ولك أن تعتبر الحالين متداخلين * والمراد كما قال مجاهد : لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق ورعاية الآداب وصفاء البواطن ، وقوله تعالى : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ حال أخرى أو استئناف أى يدور حولهم للخدمة ﴿وَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ ١٧﴾ أى مبقون أبداً على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عن ذلك ، وإلا فكل أهل الجنة مخلد لا يموت ، وقال الفراء . وابن جبير : مقرطون بخلة وهى ضرب من الاقراط قيل : هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها ، وروى هذا أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ، وعن الحسن البصرى - واشتهر أنه عليه الصلاة والسلام - قال : أولاد الكفار خدم أهل الجنة - وذكر الطيبي أنه لم يصح بل صح ما دفعه : أخرج البخارى . وأبو داود . والنسائى عن عائشة قالت : توفى صبي فقلت : طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : أو لا تدري أن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً ، وفى رواية خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم * وأخرج أبو داود عنها أنها قالت : قلت : يا رسول الله ذرارى المؤمنين فقال من آبائهم فقلت : يا رسول الله بلا عمل قال : الله أعلم بما كانوا عاملين قلت : يا رسول الله فذرارى المشركين قال : من آبائهم فقلت : بلا عمل قال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، وقيل : إنهم يمتحنون يوم القيامة فتخرج لهم نار ويؤمرون بالدخول فيها فمن دخلها وجدها برداً وسلاماً وأدخل الجنة ، ومن أبى أدخل النار مع سائر الكفار ويروون فى ذلك أثراً * ومن الغريب ما قيل : إنهم بعد الاعادة يكونون تراباً كالبهائم ، وفى الكشف الاحاديث متعارضة فى المسألة وكذلك المذاهب ، والمسألة ظنية والعلم عند الله تعالى وهو عز وجل أعلم انتهى ؛ والاكثر على دخولهم الجنة بفضل الله تعالى ومزيد رحمته تبارك وتعالى ، وسيأتى إن شاء الله تعالى تمام الكلام فى ذلك ﴿بَأْكُوبَ﴾ بآنية لا عرا لها ولا خراطيم ، والظاهر أنها الاقداح وبذلك فسرها عكرمة وهى جمع كوب ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ جمع إبريق وهو إناء له خرطوم قيل : وعروة ، وفى البحر أنه من أوانى الخمر ، وأنشد قول عدى بن زيد :

ودعوا بالصبح يوماً فجاءت نى (قينة يمينها إبريق)

وفيه أيضاً أنه إفعيل من البريق ، وذكر غير واحد أنه معرب - آب ريزاى - صاب الماء وهو أنسب مما فى بعض نسخ القاموس أنه معرب - آب رى - بلا زاي ، وأياً ما كان فهو ليس مأخوذاً من البريق ، نعم الإبريق بمعنى المرأة الحسنة البراقة والسيوف البراق والقوس فيها تلاميع مأخوذ من ذلك ، ولعله يقول بأنه عربى لا معرب ، وأن البريق مما فيه من الخمر والشعراء يصفونها بذلك كقوله :

(مشعشة) كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

أولانه غالباً يتخذ مما له نوع برق كالبلور والفضة ﴿وَكَأْسٌ مِّنْ مَّعِينِ ١٨﴾ أى خمر جارية من العيون كما قال ابن عباس . وقتادة أى لم يعصر كحمر الدنيا ، وقيل : خمر ظاهرة للعيون مرئية بها لأنها كذلك أهنأ ، وأفرد الكأس على ما قيل لأنها لا تسمى كأساً إلا إذا كانت ملوثة ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أى بسببها وحقيقته

لا يصدع صداعهم عنها ، والمراد أنهم لا يلحقهم صداع لأجل خمار يحصل منها كما في خمر الدنيا ، وقيل : لا يفرقون عنها بمعنى لا تقطع عنهم لذتهم بسبب من الأسباب كما تفرق أهل خمر الدنيا بأنواع من التفريق *
 وقرأ مجاهد (لا يصدعون) بفتح الياء وشد الصاد على أن أصله يتصدعون فأدغم التاء في الصاد أي لا يفرقون كقوله تعالى : (يومئذ يصدعون) ، وقرئ (لا يصدعون) بفتح الياء والتخفيف أي لا يصدع بعضهم بعضاً ولا يفرقونهم أي لا يجلس داخل منهم بين اثنين فيفرق بين المتقاربين فإنه سوء الأدب وليس من حسن العشرة ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ ١٩﴾ قال مجاهد وقتادة . والضحاك : لا تذهب عقولهم بسكرها من نزف الشارب كعنى إذا ذهب عقله ، ويقال للسكران نزيف ومنزوف ، قيل : وهو من نزف الماء نزحه من البئر شيئاً فشيئاً فكان الكلام على تقدير مضاف *
 وقرأ ابن أبي إسحق . وعبد الله . والسلي . والجحدري . والاعمش وطلحة . وعيسى . وعاصم كما أخرج عنه عبد بن حميد (ولا ينزفون) بضم الياء وكسر الزاي من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه ، ومعناه صار ذا نزف ؛ ونظيره أقشع السراب وقشعته الريح وحقيقته دخل في القشع ، وقرأ ابن أبي إسحاق أيضاً (ولا ينزفون) بفتح الياء وكسر الزاي قال : في المجمع وهو محمول على أنه لا يفنى خمرهم ، والتناسب بين الجملتين على ما سمعت فيهما أولاً على قراءة الجمهور أن الأولى لبيان نفي الضرر عن الأجسام ، والثانية لبيان نفي الضرر عن العقول وتأمل لتعرفه إن شاء الله تعالى على ما عدا ذلك ﴿وَفَاكِهَةً مَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠﴾ أي يأخذون خيره وأفضله والمراد مما يرضونه ﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مَّا يَشْتَهُونَ ٢١﴾ مما تميل نفوسهم اليه وترغب فيه ، والظاهر أن فاكهة ولحم معطوفان على أكواف فتفيد الآية أن الولدان يطوفون بهما عليهم ، واستشكل بأنه قد جاء في الآثار أن فاكهة الجنة وثمارها ينالها القائم والقاعد والنائم ، وعن مجاهد أنها دانية من أربابها فيتناولونها متكئين فاذا اضطجعوا نزلت يازاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين ، وأن الرجل من أهل الجنة يشتهي الطير من طيور الجنة فيقع في يده مقلباً نضجاً ، وقد أخرج هذا ابن أبي الدنيا عن أبي أمامة *
 وأخرج عن ميمونة مرفوعاً أن الرجل ليشتهي الطير في الجنة فيجئ مثل البختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فياً كل منه حتى يشبع ثم يطير إلى غير ذلك ، وإذا كان الأمر كما ذكر استغنى عن طوافهم بالفاكهة واللحم ، وأجيب بأن ذلك - والله تعالى أعلم - حالة الاجتماع والشرب ، ويفعلون ذلك للاكرام ومزيد المحبة والتعظيم والاحترام ، وهذا كما يناول أحد الجلوس على خوان الآخر بعض ما عليه من الفواكه ونحوها وإن كان ذلك قريباً منه اعتناءً بشأنه وإظهاراً لمحبهه والاحتفال به ، وجوز أن يكون العطف على جنات النعيم وهو من باب - متقلداً سيفاً ورمحاً - أو من باب المعروف ، وتقديم الفاكهة على اللحم للإشارة إلى أنهم ليسوا بحالة تقتضى تقديم اللحم كما في الجائع فإن حاجته إلى اللحم أشد من حاجته إلى الفاكهة بل هم بحالة تقتضى تقديم الفاكهة واختيارها كما في الشبعان فإنه إلى الفاكهة أميل منه إلى اللحم ، وجوز أن يكون ذلك لأن عادة أهل الدنيا لا سيما أهل الشرب منهم تقديم الفاكهة في الأكل وهو طبعاً مستحسن لأنها ألطف وأسرع انحذاراً وأقل احتياجاً إلى المكث في المعدة للهضم ، وقد ذكروا أن أحد أسباب الهیضة إدخال اللطيف من الطعام على الكشيف منه ولأن الفاكهة تحرك الشهوة للاكل واللحم يدفعها غالباً *

ويعلم من الوجه الأول وجه تخصيص التخيير بالفاكهة والاشتهاء باللحم ، وفيه إشارة إلى أن الفاكهة

لم تزل حاضرة عندهم وبمراى منهم دون اللحم ووجه ذلك أنها مما تلذه الالعين دونه ، وقيل : وجه التخصيص كثرة أنواع الفاكهه واختلاف طعومها وألوانها وأشكالها وعدم كون اللحم كذلك ، وفي التعبير بـ «يختارون» دون يختارون وإن تقار بامعنى إشارة لمكان صيغة التفعّل إلى أنهم يأخذون ما يكون منها فى نهاية السكّال وأنهم فى غاية الغنى عنها، والله تعالى أعلم بأسرار كلامه ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۚ ۲۲ ﴾ عطف على (ولدان) أو على الضمير المستكن فى (متكئين) أو على مبتدا حذف هو وخبره أى لهم هذا كل (وهور) أو مبتداً حذف خبره أى لهم ، أو فيها حور ، وتعقب الوجه الأول بأن الطواف لا يناسب حالهن ، وأجيب بأنه لا يبعد أن يكون من الحور ما ليس بمقصورات فى الخيام ولا مخدرات هن كالخدم لهن لا يبالى بطوافهن ولا ينكر ذلك عليهن ، وأن الطواف فى الخيام أنفسها وهو لا ينافى كونهن مقصورات فيها ، أو أن العطف على معنى لهم (ولدان، وهور) والثانى بأنه خلاف الظاهر جداً ، والثالث بكثرة الحذف ، و(عين) جمع عيناء وأصله عين على فعل كما تقول حمراء وحمراء فكسرت العين لثلاثا تنقلب الياء واواً ، وليس فى كلام العرب ياءاً ساكنة قبلها ضمة كما أنه ليس فيه واو ساكنة قبلها كسرة.

وقرأ السلى . والحسن . وعمرو بن عبيد . وأبو جعفر . وشيبة . والاعمش . وطلحة والمفضل . وأبان . وعصمة عن عاصم . وحمزة . والكسائي (وهور عين) بالجر ، وقرأ النخعي كذلك إلا أنه قلب الواو ياءاً والضممة قبلها كسرة فى (حور) فقال : وخير على الاتباع - لعين - وخرج على العطف على (جنات النعيم) وفيه مضاف محذوف كأنه قيل : هم فى جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور على تشبيهه مصاحبة الحور بالظرف على نهج الاستعارة الممكنة ، وقرينتها التخيلية إثبات معنى الظرفية بكلمة (فى) فهى باقية على معناها الحقيقى ولا جمع بين الحقيقة والمجاز ، وذهب إلى العطف المذكور الزمخشري ، وتعقبه أبو حيان فقال : فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض ، وهو فهم أعجمى - وليس كما قال كما لا يخفى - أو على (ألواب) ويجعل من باب - متقلداً أسفياً ورحاً - كما سمعت أنفاً كأنه قيل : ينعمون بألواب وبحور ، وجوز أن يبقى على ظاهره المعروف ، وأن الولدان يطوفون عليهم بالحور أيضاً لعارض أنواع اللذات عليهم من المأكول والمشروب والمنكوح كما تاتى الخدام بالسرارى للملوك ويعرضون عليهم ، وإلى هذا ذهب أبو عمر . وقطرب ، وأبى ذلك صاحب الكشاف فقال : أما العطف على الولدان على الظاهر فلا لأن الولدان لا يطوفون بهن طوافهم بالألواب ، والقلب إلى هذا أميل إلا أن يكون هناك أثر يدل على خلافه ، وكون الجر للجوار ياباه الفصل أو يضعفه . وقرأ أبى . وعبد الله - وهوراً عيناً - بالنصب ، وخرج على العطف على محل (بالألواب) لأن المعنى يعطون الألواباً وهوراً على أنه مفعول به محذوف أى ويعطون حوراً أو على العطف على محذوف وقع مفعولاً به محذوف أيضاً أى يعطون هذا كله وهوراً ، وقرأ قتادة (وهور) بالرفع مضافاً إلى (عين) ، وابن مقسم (وهور) بالنصب مضافاً ، وعكرمة - وهوراء عيناء - على التوحيد اسم جنس وبفتح الهمزة فيهما فاحتمل الجر والنصب ﴿ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوءِ اللَّمَّكَنُونَ ۚ ۲۳ ﴾ أى فى الصفاء ، وقيد بالمكنون أى المستور بما يحفظه لانه أصنى وأبعد من التغير ، وفى الحديث صفاؤهن كصفاء الدر الذى لا تمسه الأيدى ، ووصف الحسنات بذلك شائع فى العرب ، ومنه قوله :

قامت تراءى بين سجنى كاة كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

أودرة صدفية غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد
والجار والمجرور في موضع الصفة لحر ، أو الحال ، والأتان بالكاف للبالغة في التشبيه ، ولعل الأمر عليه
نحو زيد قمر ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٤﴾ مفعول له لفعل محذوف أى يفعل بهم ذلك كله جزاءاً بأعمالهم
أو بالذى استمروا على عمله أو هو مصدر مؤكد أى يحزون جزاء ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهِ لَغَوًّا﴾ ما لا يعتد به من
الكلام وهو الذى يورد لا عن روية وفكر فيجرى مجرى اللغا - وهو صوت العصافير ونحوها من الطير - وقد
يسمى كل كلام قبيح لغواً ﴿وَلَا تَأْتِيماً ٢٥﴾ أى ولا نسبة إلى الأثم أى لا يقال لهم أثمتم ، وعن ابن عباس
كما أخرج ابن المنذر . وابن أبي حاتم تفسيره بالكذب ، وأخرجه هناد عن الضحاك - وهو من المجاز كما
لا يخفى - والكلام من باب *

* ولا ترى الضرب بها ينجر * ﴿إِلَّا قِيلاً﴾ أى قولاً فهو مصدر مثله ﴿سَلَاماً سَلَاماً ٢٦﴾ بدل من
(قيلاً) كقوله تعالى: (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً) وقال الزجاج : هو صفة له بتأويله بالمشتق أى سالماً
من هذه العيوب أو مفعوله ، والمراد لفظه فلذا جاز وقوعه مفعولاً للقول مع إفراده ، والمعنى إلا أن يقول
بعضهم لبعض (سلاماً) ، وقيل : هو مصدر لفعل مقدر من لفظه وهو مقول القول ومفعوله حينئذ أى نسلم سلاماً ،
والتكرير للدلالة على فشوا السلام وكثرته فيما بينهم لأن المراد سلاماً بعد سلام ، والاستثناء منقطع وهو من تأكيد
المدح بما يشبه الذم محتمل لأن يكون من الضرب الأول منه ، وهو أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح
له بتقدير دخولها فيها بأن يقدر السلام هنا داخلاً فيما قبل فيفيد التأكيده من وجهين ، وأن يكون من الضرب الثانى منه
وهو أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى بأن لا يقدر ذلك ، ويجعل الاستثناء من أصله
منقطعاً فيفيد التأكيده من وجه ، ولولا ذكر التأثيم - على ما قاله السعد - جاز جعل الاستثناء متصلاً حقيقة لأن معنى
السلام الدعاء بالسلامة وأهل الجنة أغنياء عن ذلك فكان ظاهره من قبيل اللغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فائدة
الأكرام ، وإنما منع التأثيم الذى هو النسبة إلى الأثم لأنه لا يمكن جعل السلام من قبيله وليس لك فى الكلام
أن تذكر متعددين ثم تأتى بالاستثناء المتصل من الأول مثل أن تقول : ما جاء من رجل ولا امرأة إلا زيدا
ولو قصدت ذلك كان الواجب أن تؤخر ذكر الرجل ، وقرئ - سلام سلام - بالرفع على الحكاية ، وقوله تعالى :
﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ الخ شروع فى بيان تفاصيل شؤونهم بعد بيان تفاصيل شؤون السابقين (وأصحاب) مبتدأ وقوله :
﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ٢٧﴾ جملة استفهامية مشعرة بتفخيمهم والتعجب من حالهم وهى على ما قالوا : إما خبر
للمبتدأ ، وقوله سبحانه : ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ خبر ثان له ، أو خبر لمبتدأ محذوف أى هم فى سدر ، والجملة
استئناف لبيان ما أبهم فى قوله عز وجل : (ما أصحاب اليمين) من علو الشأن ، وإما معترضة والخبر هو قوله
تعالى شأنه : (فى سدر) وجوز أن تكون تلك الجملة فى موضع الصفة والخبر هو هذا الجار والمجرور ، والجملة
عطف على قوله تبارك وتعالى فى شرح أحوال السابقين : (أولئك المقربون فى جنات النعيم) أى (وأصحاب
اليمين) المقول فيهم (ما أصحاب اليمين) كائنون (فى سدر) الخ ، والظاهر أن التعبير بالميمنة فيما مر ، وباليمين
هنا للتفنن وكذا يقال فى المشأمة والشمال فيما بعد ، وقال الامام : الحكمة فى ذلك أن فى الميمنة وكذا المشأمة

دلالة على الموضع والمكان والازواج الثلاثة في أول الامر يتميز بعضهم عن بعض ويتفرقون بالمكان فلذا جرى أولاً بلفظ يدل على المكان وفيما بعد يكون التميز والتفرق بأمر فيهم فلذا لم يوث بذلك اللفظ ثانياً، والسدر شجر النبق، والمخضود الذي خضد أي قطع شوكة، أخرج الحاكم وصححه . والبيهقي عن أبي أمامة قال: « كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون إن الله تعالى ينفعنا بالأعراب ومسائلهم أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله لقد ذكر الله تعالى في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها قال: وما هي؟ قال: السدر فان له شوكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أليس الله يقول: (في سدر مخضود) خضد الله شوكة فجعل مكان كل شوكة ثمرة وأن الثمرة من ثمره تفتق عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر * » وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس . وقتادة . وعكرمة . والضحاك أنه الموقر حملاً على أنه من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب فمخضود مثني الاغصان كنى به عن كثير الحمل * »

وقد أخرج ابن المنذر عن يزيد الرقاشي أن النبقة أعظم من القلال والظرفية مجازية للبالغة في تمكنهم من التنعم والارتفاع بما ذكر ﴿ وَطَلَحَ مَنُضُودٌ ﴾ قد نضد حمله من أسفله إلى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز كما أخرج ذلك عبد الرزاق . وهناد . وعبد بن حميد . وابن جرير . وابن مردويه عن علي كرم الله تعالى وجهه ، وأخرجه جماعة من طرق عن ابن عباس ورواه ابن المنذر عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري . وعبد بن حميد عن الحسن ، ومجاهد . وقتادة ، وعن الحسن أنه قال: ليس بالموز ولكنه شجر ظله بارد رطب، وقال السدي: شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل، وقيل: هو شجر من عظام العضاء، وقيل: شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة ﴿ وَظِلٌّ مَّدُودٌ ﴾ متمدن بسط لا يتقاص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ، وظاهر الآثار يقتضي أنه ظل الاشجار * »

أخرج أحمد . والبخاري . ومسلم . والترمذي . وابن ماجه . وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرأوا إن شئتم (وظل ممدود) » * وأخرج أحمد . والبخاري . ومسلم . والترمذي . وابن مردويه . عن أبي سعيد قال: « قال رسول الله ﷺ: في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وذلك الظل الممدود » * »

وأخرج ابن أبي حاتم . وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام يخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم ويدكر لهو الدنيا فيرسل الله تعالى ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا، وعن مجاهد أنه قال: هذا الظل من سدرها وطلحها، وأخرج عبد بن حميد . وابن جرير . وابن المنذر عن عمرو بن ميمون أنه قال: الظل الممدود مسيرة سبعين ألف سنة ﴿ وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ ﴾ قال ابن جرير وغيره: جار من غير أخاديد، وقيل: منساب حيث شاءوا لا يحتاجون فيه إلى سانية ولا رشاء وذلك هذه الأشياء لما أن كثيراً من المؤمنين لبداوتهم تمنوها، أخرج عبد بن حميد . وابن جرير . والبيهقي عن سعيد قال: كانوا يعجبون بوج وظلاله من طلحه وسدره فأنزل الله تعالى: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود) الخ، وفي رواية عن الضحاك « نظر المسلمون إلى وج فأعجبهم سدره وقالوا: ياليت لنا مثل هذا فنزلت هذه الآية » * »

وقيل : كانه لما شبه حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن من كونهم على سرر تطوف عليهم خدامهم بأنواع الملاذ شبه حال أصحاب اليمين بأكل ما يتصور لأهل البوادي من نزولهم في أماكن مخصصة فيها مياه وأشجار وظلال إيداناً بأن التفاوت بين الفريقين كالتفاوت بين أهل المدن والبوادي ، وذكر الامام مدعياً أنه مما وفق له أن قوله تعالى : (في سدر مخضود وطلح منضود) من باب قوله سبحانه : (رب المشرق والمغرب) لأن السدر أوراقه في غاية الصغر والطلح يعنى الموز أوراقه في غاية الكبر فوقعنا الإشارة إلى الطرفين فيراد جميع الأشجار لأنها نظراً إلى أوراقها محصورة بينهما وهو مما لا بأس به ، وقرأ على كرم الله تعالى وجهه ، وجعفر بن محمد . وعبد الله رضي الله تعالى عنهم - وطلع - بالعين بدل (وطاح) بالحاء ، وأخرج ابن النباري في المصاحف وابن جرير عن قيس بن عباد قال : قرأت على علي كرم الله تعالى وجهه (وطلح منضود) فقال : ما بال الطلح ؟ أما تقرأ وطلع ، ثم قرأ قوله تعالى : (لها طلع نضيد) فقل له : يا أمير المؤمنين انحكما من المصحف ؟ فقال : لا يهاج القرآن اليوم وهي رواية غير صحيحة كما نبه على ذلك الطيبي ، وكيف يقرب أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه تحريفاً في كتاب الله تعالى المتداول بين الناس ، وكيف يظن بأن نقلة القرآن ورواته وكتابه من قبل تعمدوا ذلك أو غفلوا عنه ؟ هذا والله تعالى قد تكفل بحفظه سبحانه هذا بهتان عظيم *

ثم إن الذي يقتضيه النظم الجليل كما قال الطيبي : حمل (في سدر مخضود) الخ على معنى التظليل ، وتكاثف الأشجار على سبيل الترقى لأن الفواكه مستغنى عنها بما بعد وليقابل قوله تعالى : (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم) قوله سبحانه : (وأصحاب اليمين) الخ فاذن لا مدخل لحديث الطلع في معنى الظل وما يتصل به لكن قال صاحب الكشاف : إن وصف الطلح بكونه منضوداً لا يظهر له كثير ملاءمة لكون المقصود منفعة التظليل وينبغي أن يحمل الطلح على أنه من عظام العضاه على ما ذكره في الصحاح فشجر أم غيلان والموز لا ظل لها يعتد به ، ثم قال : ولو حمل الطلح على المشموم لكان وجهاً انتهى ، وقد قدمنا لك خبر سبب النزول فلا تغفل ﴿وَفَاكَةً كَثِيرَةً﴾ أي بحسب الأنواع والاجناس على ما يقتضيه المقام *

﴿لَا مَقْطُوعَةً﴾ في وقت من الاوقات كفوا كه الدنيا ﴿وَلَا مَمْنُوعَةً﴾ عن يريدها تناولها بوجه من الوجوه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساكن الدنيا ، وقرئ (وفاكة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) بالرفع في الجميع على تقدير وهناك (فاكهة) الخ ﴿وَفُرْشٌ﴾ جمع فراش كسراج وسرج ، وقرأ أبو حنيفة بسكون الراء ﴿مَرْفُوعَةً﴾ منضدة مرتفعة أو مرفوعة على الاسرة فالرفع حسي كما هو الظاهر ، وقد أخرج أحمد . والترمذي وحسنه . والنسائي . وجماعة عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ولا تستبعد ذلك من حيث العروج والنزول ونحوهما فالعالم عالم آخر وراء طور عقلك *

وأخرج هناد عن الحسن أن ارتفاعها مسيرة ثمانين سنة وليس بمثابة الخبر السابق ، وقال بعضهم : أي رفعة القدر على أن رفعها معنوي بمعنى شرفها وأياً ما كان فالمراد بالفرش ما يفرش للجلوس عليه . وقال أبو عبيدة : المراد بها النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش كما يكنى عنها باللباس ورفعهن في الاقدار والمنازل *

وقيل : على الأرائك وإدارة النساء بقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ۝ ٣٥﴾ لأن الضمير في الأغلب

يعود على مذكور متقدم وليس إلا الفرش ولا يناسب العود إليه إلا بهذا المعنى والاستخدام بعيد هنا، وعلى القول في الفرش الضمير للنساء وإن لم يجر لها ذكر لتقدم ما يدل عليها فهو تتميم بياناً لمقدر يدل عليه السياق كأنه قيل وفرش مرفوعة ونساء أو وهور عين، ثم استؤنف وصفهن بقوله سبحانه : (إنا أنشأناهن) تنمياً للبيان زيادة للترغيب لا لتعليل الرفع ، وقيل : إن المرجع مضمرة وتقدير المنزل وفرش مرفوعة لأزواجهن أو لنسائهم فإنما الخ استئناف علة للرفع أي وفرش مرفوعة لأزواجهن لأننا أنشأناهن ، والاول أوفق لبلاغة القرآن العظيم ، والمراد بإنشأناهن أعدنا إنشاءهن من غير ولادة لأن المخبر عنهن بذلك نساء كن في الدنيا * فقد أخرج ابن جرير . وعبد بن حميد . والترمذي . وآخرون عن أنس قال : « قال رسول الله ﷺ : في الآية إن المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشاً رمصاً » وأخرج الطبراني . وابن أبي حاتم . وجماعة عن سلمة بن مرثد الجعفي قال : « سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في قوله تعالى : (إنا أنشأناهن إنشاءً) الثيب والابكار اللاتي كن في الدنيا » وأخرج الترمذي في الشمائل . وابن المنذر . وغيرهما عن الحسن قال : « أتت عجوز فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال : يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز فولت تبكي قال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول : (إنا أنشأناهن إنشاءً) الخ ، وقال أبو حيان : الظاهر أن الإنشاء هو الاختراع الذي لم يسبق بخلق ويكون ذلك مخصوصاً بالهور العين فالمعنى إنا ابتدأناهن ابتداءً جديداً من غير ولادة ولا خلق أول ﴿ فجعلنهن أبكاراً ﴾ ٣٦ تفسير لما تقدم ، والجعل إمابمعنى التصيير ، و(أبكاراً) مفعول ثان ، أو بمعنى الخلق و(أبكاراً) حال أو مفعول ثان ، والكلام من قبيل ضيق فم الركية ، وفي الحديث « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً » أخرجه الطبراني في الصغير . والبخاري عن أبي سعيد مرفوعاً ﴿ عُرْباً ﴾ متحبيات إلى أزواجهن جمع عروب كصبور وصبر ، وروى هذا عن جماعة من السلف وفسرها جماعة أخرى بغنجات ، ولا يخفى أن الغنج أطفأ أسباب التحبيب ، وعن زيد بن أسلم العروب الحسنة الكلام ، وفي رواية عن ابن عباس . والحسن . وابن جبير . ومجاهد هن العواشق لأزواجهن ، ومنه على ما قيل قول لبيد :

وفي الخدور (عروب غير فاحشة) ريا الروادف يعشى دونها البصر

وفي رواية أخرى عن مجاهد أنهم الغلمات اللاتي يشتهن أزواجهن ، وأخرج ابن عدى بسند ضعيف عن أنس مرفوعاً - خير نسائكم العفيفة الغلّة - وقال اسحق بن عبد الله بن الحرث النوفلي : العروب الخفرة المتبدلة لزوجها ، وأنشد :

(يعرين عند بعولهن) إذا خلوا وإذا (هم خرجوا فهن خفار)

ويرجع هذا إلى التحبيب ، وأخرج ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : (عرباً) كلامهن عربي ، ولا أظن لهذا صحة ، والتفسير بالمتحبيات هو الذي عليه الأكثر . وقرأ حمزة . وجماعة - منها عباس . والاصمعي - عن أبي عمرو ، وأخرى - منها خارجة . وكردم - عن نافع ، وأخرى منها حماد . وأبو بكر . وأبان - عن عاصم (عرباً) بسكون الراء وهي لغة تميم ، وقال غير واحد : هي للتخفيف كما في عنق وعنق ﴿ أثراً بآ ٣٧ ﴾ مستويات في سن واحد كما قال أنس . وابن عباس . ومجاهد . والحسن . وعكرمة :

وقتادة . وغيرهم كانوا شبيهين في التساوى بالترائب التي هي ضلوع الصدر . أو كأنهم وقعن معاً على التراب
أى الأرض وهم بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن .

وأخرج الترمذى عن معاذ مرفوعاً « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مدحليين أبناء ثلاثين ، أو ثلاث وثلاثين »
والمراد بذلك كمال الشباب ، وقوله تعالى : ﴿ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ٣٨ ﴾ متعلق - بأنشأنا - أو بجعلنا ، وقيل : متعلق
- بأتربا - كقولك فلان ترب فلان أى مساو له فهو محتاج إلى التأويل ، وتعقب بأنه مع هذا ليس فيه كثير فائدة
وفيه نظر ، وقيل : بمحذوف هو صفة - لا بكاراً - أى كائنات لأصحاب اليمين ، وفيه إقامة الظاهر مقام الضمير
لطول العهد أو للتأكيد والتحقيق . وقوله تعالى : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ٣٩ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠ ﴾ خبر مبتدأ
محذوف أى هم ثلثة ، أو خبر ثان لهم المقدر مبتدأ مع (فى صدر) أو (لأصحاب اليمين) فى قوله تعالى : (وأصحاب
اليمين ما أصحاب اليمين) أو مبتدأ خبره محذوف أى منهم ، أو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله احتمالات اعترض
الآخر منها بأن المعنى عليه غير ظاهر ولا طلاوة فيه ، وجعل اللام بمعنى من كما فى قوله :

* ونحن لكم يوم القيامة أفضل * لا يخفى حاله - والاولون والآخرون - المتقدمون والمتأخرون إمام من الامم
وهذه الامة ، أو من هذه الامة فقط على ما سمعت فيما تقدم ، هذا ولم يقل سبحانه فى حق أصحاب اليمين - جزاء
بما كانوا يعملون - كما قاله عز وجل فى حق السابقين رمزا إلى أن الفضل فى حقهم متمحض كأن عملهم لقصوره
عن عمل السابقين لم يعتبر اعتباره . ثم الظاهر أن ما ذكر من حال أصحاب اليمين هو حالهم الذى ينتهون إليه
فلا ينافى أن يكون منهم من يعذب لمعاص فعلها ومات غير تائب عنها ثم يدخل الجنة ، ولا يمكن أن يقال : إن
المؤمن العاصى من أصحاب الشمال لان صريح أوصافهم الآتية يقتضى أنهم كانوا كافرين ويلزم من جعل هذا
قسما على حدة كون القسمة غير مستوفاة فليتأمل ، والله تعالى أعلم .

والكلام فى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِلِ ٤١ ﴾ فى سموم * على نمط ما سلف فى نظيره ،
والسموم قال الراغب : الريح الحارة التى تؤثر تأثير السم ، وفى الكشف حتر نار ينفذ فى المسام والتنوين للتعظيم
وكذا فى قوله تعالى : ﴿ وَحَمِيمٌ ٤٢ ﴾ وهو الماء الشديد الحرارة ﴿ وَظِلٌّ مِّنْ يَّحْمُومٍ ٤٣ ﴾ أى دخان
أسود كما قال ابن عباس . وأبو مالك . وابن زيد . والجمهور وهى على وزن يفعول ، وله نظائر قليلة من الحممة
القطعة من الفحم وتسميته ظلا على التشبيه التهكمى ، وعن ابن عباس أيضاً أنه سرادق النار المحيط بأهلها يرتفع
من كل ناحية حتى يظلمهم ، وقال ابن كيسان : هو من أسماء جهنم فانها سوداء وكذا كل ما فيها أسود بهيم نعوذ
بالله تعالى منها . وقال ابن بريدة . وابن زيد أيضاً : هو جبل فى النار أسود يفزع أهل النار إلى ذراه فيجدونه
أشد شئاً ، والجار والمجرور فى موضع الصفة - ظل - وكذا قوله سبحانه : ﴿ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ٤٤ ﴾ صفتان له ،
وتقديم الصفة الجار والمجرور على الصفة المفردة جائز كما صرح به الرضى وغيره أى لا بارد كسائر الظلال ،
ولا نافع لمن يأوى اليه من أذى الحر - وذئب كرمه - فهناك استعارة ، ونفى ذلك ليمحق توهم ما فى الظل من
الاسترواح اليه وإن وصف أولاً بقوله تعالى : (من يحموم) والمعنى أنه ظل حار ضار إلا أن للنفى شأناً ليس
للاثبات ومن ذلك جاء التهكم والتعريض بأن الذى يستأهل الظل الذى فيه برد وإكرام غير هؤلاء فيكون

أشجى لخلقهم وأشد لتحرهم ، وقيل : الكرم باعتبار أنه مرضى في بابه ، فالظل الكريم هو المرضى في برده وروحه ، وفيه أنه لا يلائم ما هنا لقوله تعالى : (لا بارد) وجوز أن يكون ذلك نفيًا لكرامة من يستروح إليه ونسب إلى الظل مجازاً ، والمراد أنهم يستظلون به وهم مهانون ، وقد يحتمل المجاس الردئ لنيل الكرامة ، وفي البحر يجوز أن يكونا صفتين - ليحموم - ويلزم منه وصف الظل بهما ، وتعقب بأن وصف اليحموم وهو الدخان بذلك ليس فيه كبير فائدة ، وقرأ ابن أبي عبة (لا بارد ولا كريم) برفعهما أي لاهو بارد ولا كريم على حد قوله * فأبيت لا حرج ولا محروم * أي لأنا حرج ولا محروم ، وقوله تعالى :

﴿ إِنَّمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥ ﴾ تعليل لا ابتلائهم بما ذكر من العذاب ، وسلك هذا المسلك في تعليل الابتداء بالعذاب اهتماما بدفع توهم الظلم في التعذيب ، ولما كان إيصال الثواب بما ليس فيه توهم نقص أصلا لم يسلك فيه نحو هذا ، والمترف هنا بقريته المقام هو المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع ، والمعنى أنهم عذبوا لأنهم كانوا قبل ما ذكر من العذاب في الدنيا متبعين هوى أنفسهم وليس لهم رادع منها يردعهم عن مخالفة أو امره عز وجل وارتكاب نواهيه سبحانه كذا قيل ، وقيل : هو العاتى المستكبر عن قبول الحق والاذعان له ، والمعنى أنهم عذبوا لأنهم كانوا في الدنيا مستكبرين عن قبول ما جاءتهم به رسالتهم من الإيمان بالله عز وجل وما جاء منه سبحانه ، وقيل : هو الذي أترفته النعمة أي أبطرته وأطغته ، وقريب منه ما قيل : هو المنعم المنهمك في الشهوات ، وعليه قول أبي السعود أي أنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بأنواع النعم من المأكول والمشرب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقضها ، وتعقب بأن كثيراً من أهل الشمال ليسوا مترفين بالمعنى الذي اعتبره فكيف يصح تعليل عذاب الكل بذلك ولا يرد هذا على ما قدمناه من القولين كما لا يخفى *

ومن الناس من فسر المترف بما ذكر وتفصي عن الاعتراض بأن تعليل عذاب الكل بما ذكر في حيز العلة لا يستدعي أن يكون كل من المذكورات موجوداً في كل من أصحاب الشمال بل وجود المجموع في المجموع وهذا لا يضر فيه اختصاص البعض بالبعض فتأمل ، وقيل : المترف المجمعول ذاترة أي نعمة واسعة والكل مترفون بالنسبة إلى الحالة التي يكونون عليها يوم القيامة ، وهو على ما فيه لا يظهر أمر التعليل عليه ﴿ وَكَانُوا يُصْرُونَ ﴾ يتشددون ويمتنعون من الاقلاع ويدأومون ﴿ عَلَى الْحَنْثِ ﴾ أي الذنب ﴿ الْعَظِيمِ ٤٦ ﴾ وفسر بعضهم الحنث بالذنب العظيم لا بمطلق الذنب وأيد بأنه في الأصل العدل العظيم فوصفه بالعظيم للبالغة في وصفه بالعظم كما وصف الطود وهو الجبل العظيم به أيضاً ، والمراد به كما روى عن قتادة . والضحاك . وابن زيد الشريك وهو الظاهر . وأخرج عبد بن حميد عن الشعبي أن المراد به الكبائر وكأنه جعل المعنى - وكانوا يصرون على كل حنث عظيم - وفي رواية أخرى عنه أنه اليمين الغموس وظاهره الاطلاق ، وقال التاج السبكي في طبقاته : سألت الشيخ - يعني والده تقي الدين - ما الحنث العظيم ؟ - فقال : هو القسم على إنكار البعث المشار إليه بقوله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) وهو تفسير حسن لأن الحنث وإن فسر بالذنب مطلقاً أو العظيم فالمشهور استعماله في عدم البر في القسم ، وتعقب بأنه ياباه قوله تعالى :

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ﴾ إلى آخره للزوم التكرار ، وأجيب بأن المراد بالاول

وصفهم بالثبات على القسم الكاذب وبالثاني وصفهم بالاستمرار على الإنكار والرمز إلى استدلال ظاهر الفساد مع أنه لا محذور في تكرار ما يدل على الإنكار وهو توطئة وتمهيد لبيان فساد، والمراد بقولهم: كنا ترابا وعظاما - كان بعض أجزاءنا من اللحم والجلد ونحوهما ترابا وبعضها عظاما نخرة، وتقديم التراب لأنه أبعد عن الحياة التي يقتضيها ما هم بصدد إنكاره من البعث، - وإذا - متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى :

﴿ أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ٤٧ ﴾ لا مبعوثون نفسه لتعدد ما يمنع من عمل ما بعده فيما قبله - وهو نبعث - وهو المرجع للإنكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره به فانهم منكرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له بالكلية وهذا كالأستدلال على ما يزعمونه، وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بأن لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد، وقوله سبحانه: ﴿ أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ٤٨ ﴾ عطف على محل - إن - واسمها . أو على الضمير المستتر في مبعوثون وحسن للفصل بالهمزة وإن كانت حرفا واحداً - كما قال الزمخشري - ولا يضر عمل ما قبل هذه الهمزة في المعطوف بعدها لأنها مكررة للتأكيد وقد زحلت عن مكانها، وقولهم : الحرف إذا كرر للتأكيد فلا بد أن يعاد معه ما اتصل به أولا أو ضمير لا يسلم اطراده لورود * ولا - للبا - بهم أبدأ دواء * وأمثاله، وجوز أن يكون (آباؤنا) مبتدأ وخبره محذوف دل عليه ما قبل أي مبعوثون، والجملة عطف على الجملة السابقة وهو تكلف يغني عنه العطف المذكور والمعنى - أيبعث أيضا آباؤنا - على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فيبعثهم أبعد وأبطل ، وقرأ قالون . وابن عامر (أو آباؤنا) يأسكان الواو وعلى هذه القراءة لا يعطف على الضمير إذ لا فاصله

﴿ قُلْ ﴾ ردأ لإنكارهم وتحقيقاً للحق ﴿ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٤٩ ﴾ من الأمم الذين من جملتهم أتم وآباؤكم ، وتقديم الأولين للبالغة في الرد حيث كان إنكارهم لبعث آباؤهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي ﴿ كَمَجْمُوعُونَ ﴾ بعد البعث ، وقرئ (لمجمعون) ﴿ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٥٠ ﴾ وهو يوم القيامة ومعنى كونه معلوماً كونه معيناً عند الله عز وجل ، والميقات ما وقت به الشيء أي حد، ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرماً ، وإضافته (إلى يوم) بيانية كما في خاتم فضة ، وكون يوم القيامة ميقاتاً لأنه وقت به الدنيا ، و (إلى) للغاية والانتها ، وقيل : والمعنى (لمجمعون) منتهين إلى ذلك اليوم ، وقيل : ضمن معنى السوق فلذا تعدى بها ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ ﴾ عطف على (إن الأولين) داخل في حيز القول ، و (ثم) للتراخي الزماني أو الرتبي ﴿ الْمَكْذُوبُونَ ٥١ ﴾ بالبعث ، أو بما يعمه وغيره ويدخل هو دخولا أولاً للسياق على ما قيل ، والخطاب لأهل مكة وأضرابهم ﴿ لَا تَكُونُوا ﴾ بعد البعث والجمع ودخول جهنم ﴿ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُومٍ ٥٢ ﴾ (من) الأولى لا ابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أي مبتدئون للآكل كل من شجر هو زقوم ، وجوز كون الأولى تبعيضية و (من) الثانية على حالها ، وجوز كون (من زقوم) بدلا من قوله تعالى : (من شجر) فمن تحتمل الوجهين ، وقيل : الأولى زائدة ، وقرأ عبد الله من شجرة فوجه التأنيث ظاهر في قوله تعالى :

﴿ فَمَّا لَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ٥٣ ﴾ أي بطونكم من شدة الجوع فانه الذي اضطربهم وقسرم على أكل مثلها بما (٢-١٩ ج ٢٧ - تفسير روح المعاني)

لا يؤكل ، وأما على قراءة الجمهور فوجه الحمل على المعنى لأنه بمعنى الشجرة ، أو الاشجار إذا نظر لصدقه على المتعدد ، وأما التذكير على هذه القراءة في قوله سبحانه : ﴿ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ ﴾ أى عقيب ذلك بلا ريث ﴿ مِنْ الْحَمِيمِ ٥٤ ﴾ أى الماء الحار في الغاية لغلبة العطش فظاهر لا يحتاج إلى تأويل ، وقال بعضهم : التأنيث أولاً باعتبار المعنى والتذكير ثانياً باعتبار اللفظ ، فقل عليه : إن فيه اعتبار اللفظ بعد اعتبار المعنى على خلاف المتعارف فلو أعيد الضمير المذكور على الشجر باعتبار كونه مأكولاً ليكون التذكير والتأنيث باعتبار المعنى كان أولى وفيه بحث ، ووجهه على القراءة الثانية أن الضمير عائد على الزقوم أو على الشجر باعتبار أنها زقوم أو باعتبار أنها مأكول ، وقيل : هو مطلقاً عائد على الآكل ، وتعقب بأنه بعيد لأن الشرب عليه لا على تناوله مع ما فيه من تفكيك الضمائر وكونه مجازاً شائعاً وغير ملبس لا يدفع البعد فتأمل .

﴿ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ٥٥ ﴾ قال ابن عباس . ومجاهد . وعكرمة . والضحاك جمع هيم وهو الجمل الذي أصابه الهيام بضم الهاء وهوداء يشبه الاستسقاء يصيب الابل فتشرب حتى تموت ، أو تسقم سقماً شديداً ، ويقال لابل هيماء وناقة هيماء كما يقال : جمل أهيم قال الشاعر :

فأصبحت (كالهيماء لا الماء مبرد صداها) ولا يقضى عليها هيامها

وجعل بعضهم (الهيم) هنا جمع الهيماء ، وقيل : هو جمع هائم أو هائمة ، وجمع فاعل على فعل كبازل وبزل شاذ ، وعن ابن عباس أيضاً . وسفيان (الهيم) الرمال التي لا تروى من الماء لتخلخلها ومفرده هيام بفتح الهاء على المشهور كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أيض من قلب الضمة كسرة لتسلم الياء ويخفف اللفظ فكسرت الهاء لاجل الياء وهو قياس مطرد في بابها ، وقال ثعلب : هو بالضم كقرد وقرد ثم خفف وفعل به ما فعل بما سمعت والعطف بالفاء قيل : لأن الافراط بعد الأصلي ، وقيل : لأن كلا من المتعاطفين أخص من الآخر فان شارب الحميم قد لا يكون به داء الهيام ومن به داء الهيام قد يشرب غير الحميم ، والشرب الذي لا يحصل الرى ناشئ عن شرب الحميم لأنه لا يبل الغليل ، والذي اختاره ماقاله مفتى الديار الرومية : إن ذلك كالتفسير لما قبله أى لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم ، والشرب بالضم مصدر ، وقيل : اسم لما يشرب ، وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما روى جماعة منهم الحاكم وصححه - عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما « شرب » بفتح الشين وهو مصدر شرب المقيس ، وبذلك قرأ جمع من السبعة . والاعرج . وابن المسيب . وشعيب . ومالك بن دينار . وابن جريج ، وقرأ مجاهد . وأبو عثمان النهدي بكسر الشين وهو اسم بمعنى المشروب لا مصدر كالطحن والرعى ﴿ هَذَا ﴾ الذي ذكر من ألوان العذاب ﴿ نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦ ﴾ يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يقدم للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأننت لهم الدار في النار ، وفي جعله نزلاً مع أنه مما يكرم به النازل من التهمك ما لا يخفى ، ونظير ذلك قوله :

وكنا إذ الجبار بالجيش ضافنا (جعلنا القنا والمرهفات له نزلاً)

وقرأ ابن محيصن . وخارجة عن نافع . ونعيم . ومحبوب . وأبو زيد . وهرون . وعصمة . وعباس ظهم عن أبي عمرو نزلهم بتسكين الزاى المضمومة للتخفيف كما في البيت ، والجملة مسوقة من جهته سبحانه وتعالى بطريق الفذلكة مقررلة لمضمون الكلام الملحق غير داخلة تحت القول ، وقوله تعالى :

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٥٧ ﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الالزام والتبكيث والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها أي فهلا تصدقون بالخلق بقريته (نحن خلقناكم) ولما لم يحقق تصديقهم المشعر به قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) عملهم حيث لم يقرن بالطاعة والأعمال الصالحة بل اقترن بما ينبيء عن خلافه من الشرك والعصيان نزل منزلة العدم والانكار فحضوا على التصديق بذلك، وقيل: المراد فهلا تصدقون بالبعث لتقدمه وتقدم إنكاره في قولهم (أئنا لمبعوثون) فيكون الكلام إشارة إلى الاستدلال بالابداء على الإعادة فإن من قدر عليه قدر عليها حتماً، والاول هو الوجه كما يظهر مما بعد إن شاء الله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ أي ما تقذفونه في الأرحام من النطف، وقرأ ابن عباس: وأبو الثمال (تمنون) بفتح التاء من منى النطقة بمعنى أمنها أي أزالها بدفع الصبيغة ﴿ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ﴾ أي تقدرونه وتصورونه بشراً سوياً تام الخلقة، فالمراد خلق ما يحصل منه على أن في الكلام تقدير أوتجوز أ، وجوز إبقاء ذلك على ظاهره أي (أأنتم تخلقونه) وتنشئون نفس ذات ماتمنونه ﴿ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩ ﴾ له من غير دخل شيء فيه - وأرأيتكم - قد مر الكلام غير مرة فيه، ويقال هنا: إن اسم الموصول مفعوله الأول والجملة الاستفهامية مفعوله الثاني، وكذا يقال فيم بعد من - نظائره وما يعتبر فيه الرؤية بصرية تكون الجملة الاستفهامية فيه مستأنفة لا محل لها من الأعراب، وجوز في - أتم - أن يكون مبتدأ، والجملة بعده خبره، وأن يكون فاعلاً لفعل محذوف والاصل أن تخلقون فلما حذف الفعل انفصل الضمير، واختاره أبو حيان، و(أم) قيل: منقطعة لأن ما بعدها جملة فالمعنى - بل أنحن الخالقون - على أن الاستفهام للتقرير، وقال قوم من النحاة: متصلة معادلة للهمزة كأنه قيل: (أأنتم تخلقونه أم نحن) ثم جئ - بالخالقون - بعد بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْأَمَوتَ ﴾ قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة، وقرأ ابن كثير (قدرنا) بالتخفيف ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٦٠ ﴾ أي لا يغلبنا أحد ﴿ عَلَيَّ أَنْ نَبْدَلَ أَمْثَلَكُمْ ﴾ أي على أن نذهبكم ونأتي مكانكم أشباهكم من الخلق فالسبق مجاز عن الغلبة استعارة تصريحية أو مجاز مرسل عن لازمه، وظاهر كلام بعض الأجلة أنه حقيقة في ذلك إذا تعدى بعلى، والجملة في موضع الحال من ضمير (قدرنا) وكأن المراد (قدرنا) ذلك ونحن قادرون على أن نميتكم دفعة واحدة ونخلق أشباهكم.

﴿ وَنُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦١ ﴾ من الخلق والأطوار التي لا تعهدونها، وقال الحسن: من كونكم قردة وخنزير، ولعل اختيار ذلك لأن الآية تنحو إلى الوعيد، والمراد ونحن قادرون على هذا أيضاً وجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل بفتحتين بمعنى الصفة لاجمع مثل بالسكون بمعنى الشبه كما في الوجه الأول أي ونحن نقدر على أن نغير صفاتكم التي أتم عليها خلقاً وخُلُقاً وننشئكم في صفات لا تعلمونها، وقيل: المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا، وقيل: المعنى وما يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته الذي وقتناه، على أن المراد تمثيل حال من سلم من الموت أو تأخر أجله عن الوقت المعين له بحال من طلبه طالب فلم يلحقه وسبقه، وقوله تعالى: (على أن نبذل) الخ في موضع الحال من الضمير المستتر في مسبوقين أي حال كوننا قادرين

أو عازمين على تبديل أمثالكم، والجملة السابقة على حالها ، وقال الطبري : (على أن نبدل) متعلق - بقدرنا - وعلة له وجملة (وما نحن بمسبوقين) اعتراض ، والمعنى نحن قدرنا بينكم الموت لان نبدل أمثالكم أى نमित طائفة ونبدلها بطائفة هكذا. قرنا بعد قرن ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا النَّشْأَةَ الْأُولَى ﴾ من خلقكم من نطفة ، ثم من علقه ، ثم من مضغة ؛ وقال قتادة : هي فطرة آدم عليه السلام من التراب ولا ينكرها أحد من ولده ﴿ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ فهلا تتذكرون أن من قدر عليها فهو على النشأة الأخرى أقدر وأقدر فانها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق الميثاق ، وهذا - على ما قالوا - دليل على صحة القياس لكن قيل : لا يدل إلا على قياس الأولى لانه الذى فى الآية ، وفى الخبر عجباً كل العجب للكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى ، وعجباً للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور *

وقرأ طلحة تذكرون بالتخفيف وضم الكاف ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ما تبتدون حبه وتعملون فى أرضه ﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ﴾ تنبتونه وتردونه نباتاً يرف وينمى إلى أن يبلغ الغاية ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ أى المنتبتون لأنتم والكلام فى - أنتم - و (أم) كما مر آنفاً ، وأخرج البزار . وابن جرير . وابن مردويه . وأبو نعيم . والبيهقى فى شعب الإيمان - وضعفه - وابن حبان - كما قال الخفاجى - عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « لا يقولن أحدكم زرعت ولكن ليقل حرثت ، ثم قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ألم تسمعوا الله تعالى يقول : (أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعون أم نحن الزارعون) » يشير رضى الله تعالى عنه إلى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ النهى من هذه الآية فانه أسند الحرث إلى المخاطبين دون الزرع ، وقال القرطبي : إنه يستحب للزارع أن يقول بعد الاستعاذة وتلاوة هذه الآية الله تعالى الزارع والمثبت والمبلغ اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ، قيل : وقد جرب هذا الدعاء لدفع آفات الزرع ظلها وإنتاجه ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا ﴾ هشياً متكسراً متفتتاً لشدة ييبسه بعدما أنبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله ﴿ فَظَلَّمْتُمْ ﴾ بسبب ذلك ﴿ تَفَكَّهُونَ ﴾ تتعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال على ما روى عن ابن عباس . ومجاهد . وقتادة ، وقال الحسن : تندمون أى على ما تعبتم فيه ، وأنفقتم عليه من غير حصول نفع ، أو على ما اقترفتُم لأجله من المعاصى ، وقال عكرمة : تلاومون على ما فعلتم ، وأصل التفكه التنقل بصنوف الفاكهة واستعير للتنقل بالحديث وهو هنا ما يكون بعد هلاك الزرع وقد كنى به فى الآية عن التعجب ، أو الندم . أو التلاوم على اختلاف التفاسير ، وفى البحر كل ذلك تفسير باللازم ، ومعنى (تفكّهون) تطرحون الفكاهة عن أنفسكم وهى المسرة ، ورجل فكه منبسط النفس غير مكترث بشئ . وتفكه من أخوات تخرج وتحوب أى إن الفعل فيه للسلب *

وقرأ أبو حيوة . وأبو بكر فى رواية العتكي عنه (فظلمتم) بكسر الظاء كما قالوا : مست بالكسر ومست بالفتح ، وحكاها الثورى عن ابن مسعود وجاءت عن الأعمش ، وقرأ عبد الله . والجحدري - فظلمتم - بلامين أو لاهما مكسورة ، وقرأ الجحدري أيضاً كذلك مع فتح اللام والمشهور ظللت بالكسر ، وقرأ أبو حزام تفكنون بالنون بدل الهاء ، قال ابن خالويه : تفكه بالهاء تعجب ، وتفكن بالنون تندم ﴿ إِنَّا نَمُغِّرُهُمْ مُّوْنًا ﴾ أى معذبون

مهلكون من الغرام وهو الهلاك قال الشاعر :

إن يعذب يكن (غراماً) وإن يعط جزيلاً فإنه لا يبالي
والمراد مهلكون بهلاك رزقنا ، وقيل : بالمعاصي أو ملازمون غرامة بنقص رزقنا ، وقرأ الاعمش .
والجحدري . وأبو بكر - اثنا بالاستفهام والتحقيق ، والجملة على القراءتين بتقدير قول هو في حيز النصب
على الحالية من فاعل تفكهون أي قائلين : أو تقولون ذلك ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٦٧ ﴾ محدودون لا محدودون
أو محرومون الرزق كأنهم لما قالوا إنا مهلكون لهلاك رزقنا أضربوا عنه وقالوا : بل هذا أمر قدر علينا لنحوسة
طالعنا وعدم بختنا ، أو لما قالوا : إنا ملازمون غرامة بنقص أرزاقنا أضربوا فقالوا : (بل نحن محرومون) الرزق
بالكلية ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٦٨ ﴾ عذاباً فراتاً ، وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه
لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ أي السحاب واحدة مزنة ، قال الشاعر :
فلا (مزنة ودقت ودقيها) ولا أرض أبقل إبقالها

وقيل : هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ٦٩ ﴾ له بقدرتنا .
﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ ملحاً ذعاقاً لا يمكن شربه من الأجيج وهو تلهب النار ، وقيل : الأجاج كل
ما يلذع الفم ولا يمكن شربه فيشمل الملح والمر والحار ، فيما أن يراد ذلك ، أو الملح بقرينة المقام وحذفت اللام
من جواب لو ههنا للقرينة اللفظية والحالية ومتى جاز حذف - لم أر - في قول أوس :
حتى إذا الكلاب قال لها (...) كاليوم مطلوباً ولا طلباً

والقرينة حالية فأولى أن يحوز حذفها وحدها لذلك على ما قرره الزمخشري ، وقرر وجهاً آخر حاصله أن
اللام لمجرد التأكيد فتناسب مقام التأكيد فأدخلت في آية المطعوم دون المشروب للدلالة على أن أمره مقدم
على أمره ، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب تبع له ألا يرى أن الضيف يسقى بعد أن
يطعم ، وقد ذكر الأطباء أن الماء مبذرق ، ويؤيد ذلك تقديمه على المشروب في النظم الجليل ، وللإمام في هذا
المقام كلام طويل اعترض به على الزمخشري وبين فيه وجه الذكر أولاً والحذف ثانياً ، ولم أره أتى بما يشرح
الصدر ، وخير منه عندي قول ابن الأثير في المثل السائر : إن اللام أدخلت في المطعوم دون المشروب لأن
جعل الماء العذب ملحاً أسهل إمكاناً في العرف والعادة والموجود من الماء المالح أكثر من الماء العذب ، وكثيراً
ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة التربة أحالتها إلى الملوحة فلم يحتج في جعل الماء العذب ملحاً إلى
زيادة تأكيد فلذا لم تدخل لام التأكيد المفيدة لزيادة التحقيق ، وأما المطعوم فإن جعله حطاماً من الأشياء
الخارجة عن المعتاد وإذا وقع يكون عن سخط شديد ، فلذا قرن باللام لتقرير إيجاده وتحقيق أمره انتهى .

﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ٧٠ ﴾ تحضيض على شكر الكل لأنه أفيد دون عذوبة الماء فقط كما ذهب إليه البعض .
نعم أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر رضى الله تعالى عنه « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان إذا شرب
الماء قال : الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا » ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ٧١ ﴾
أي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ﴾ التي منها الزناد وهي المرخ والعفار ، وقيل :

المراد بالشجرة نفس النار كأنه قيل: نوعها أو جنسها فاستعير الشجرة لذلك وهو قول متكلف بلا حاجة *
﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنْشُونَ ٧٢ ﴾ لها بقدر تناو التعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الأشجار التي لا تخلو عن النار حتى قيل - في كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار - كأن التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى: (ثم أنشأناه) خلقاً آخر لذلك *
﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً ﴾ استئناف معين لمنافعها أي جعلناها تذكيراً لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا بها ما أوعدوا به ، أو جعلناها تذكرة وأنموذجاً من جهنم لما في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم « ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » وعلى الوجهين التذكرة من الذكر المقابل للنسيان ولم ينظر في الأول إلى أنها من جنس نار جهنم أولاً وفي الثاني نظر إلى ذلك ، وقيل: تبصرة في أمر البعث لأن من أخرج النار من الشجر الأخضر المضاد لها قادر على إعادة ما تفرقت مواده ، وقيل: تبصرة في الظلام يصير بضوئها ، وفيه أن التذكرة لا تكون بمعنى التبصرة المأخوذة من البصر وكون المراد تذكرة لنار جهنم هو المأثور عن الكثيرين ، ومنهم ابن عباس . ومجاهد . وقتادة ﴿ وَمَتَّعَاءً ﴾ ومنفعة ﴿ لِلْمُقْوِينَ ٧٣ ﴾ للذين ينزلون القواء وهي القفر من أقوى دخل القواء كأشجر دخل الصحراء وتخصيص المقوين بذلك لانهم أحوج إليها فإن المقيمين ، أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد *
وقيل: (للمقوين) أي المسافرين، ورواه جمع عن ابن عباس . وعبد بن حميد عن الحسن ، وهو . وابن جرير . وعبد الرزاق عن قتادة بزيادة كم من قوم قد سافروا ثم أرموا فأججوا ناراً فاستدفئوا وانتفعوا بها، وكان إطلاق المقوين على المسافرين لانهم كثيراً ما يسلكون القفر والمفاوز ، وقيل: (للمقوين) للفقراء يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد كأنه تصور من حال الحاصل في القفر الفقر ، فقيل: - أقوى - فلان أي افتقر كقولهم أترب وأرمل ، وقال ابن زيد: للجائعين لانهم أقوت أي خلت بطونهم ومزادهم من الطعام فهم يحتاجون إليها لطبخ ما يأكلون وخصوا - على ما قيل - لأن غيرهم يتنعم بها لا يجعلها متاعاً، وتعقب بأنه بعيد لعدم انحصار ما يهتمهم ويستدخلهم فيما لا يؤكل إلا بالطبخ ، وقال عكرمة . ومجاهد : المقوين المستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين يستضيئون بها ويصطلون من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز ، قال العلامة الطيبي . والطبرسي: وعلى هذا القول - المقوى - من الاضداد يقال للفقير : مقو لخلوه من المال ، وللغني مقو لقوته على ما يريد يقال : أقوى الرجل إذا صار إلى حال القوة والمعنى متاعاً للاغنياء والفقراء لانه لا غنى لاحد عنها انتهى *
وفيه بحث لا يخفى، ولعل الأقرب عليه أنه أريد بالقواء الاحتياج والمستمتع بها محتاج إليها فتدبر، وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الأهم هو النفع الاخرى وتقديم أمر الماء على أمر النار لان الاحتياج اليه أشدوا كثر والاتفااع به أعم وأوفر ، وقال بعضهم : قدم أمر خلق الانسان من نطفة لان النعمة في ذلك قبل النعمة في الثلاثة بعد ، ثم ذكر بعده ما به قوام الانسان من فائدة الحرث وهو الطعام الذي لا يستغنى عند الجسد الحي وذلك الحب الذي يختبئ فيحتاج بعد حصوله إلى حصول الماء ليعجن به فلذا ذكر بعده ثم إلى النار لتصيره خبزاً فلذا ذكرت بعد الماء وهو كما ترى ، واستحسن بعضهم من القاريء أن يقول بعد كل جملة استفهامية من الجمل السابقة : بل أنت يارب ، فقد أخرج عبد الرزاق . وابن المنذر . والحاكم . والبيهقي في سننه عن حجر المروى

قال : بت عند علي كرم تعالى وجهه فسمعتة وهو يصلي بالليل يقرأ فمر بهذه الآية (أفرايتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) فقال : بل أنت يارب ثلاثا ، ثم قرأ (أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) فقال : بل أنت يارب ثلاثا ، ثم قرأ (أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) فقال : بل أنت يارب ثلاثا ، ثم قرأ (أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) فقال : بل أنت يارب ثلاثا ، وأنت تعلم أن في استحسان قوله مثل ذلك في الصلاة اختلافا بين العلماء ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٧٤ ﴾ مرتب على ما عدد من بدائع صنعه عز وجل وودائع نعمه سبحانه وتعالى ، والمراد على ما قيل : أحدث التسييح تنزيلا للفعل المتعدي منزلة اللازم وأريد من إحداثه استمراره لا إيجاد له لانه عليه الصلاة والسلام غير معرض عنه ، وتعقبه الطيبي بأن هذا عكس ما يقتضيه لفظ الإحداث ، فالمراد تجديد التسييح ، وفي الكلام إضمار أي سبح بذكر اسم ربك ، أو الاسم مجاز عن الذكر فان إطلاق الاسم للشيء ذكره ، والباء للاستعانة أو الملازمة وكونها للتعدي كما هو ظاهر كلام أبي حيان ليس بشيء ، والعظيم صفة للاسم ، أو للرب ، وتعقيب الأمر بالتسييح لما عدد إما لتزيهه تعالى عما يقوله الجاحدون لو حدايته عز وجل الكافرون بنعمه سبحانه مع عظمتها وكثرتها ، أو للشكر على تلك النعم السابقة لان تزيهه تعالى وتعظيمه جل وعلا بعد ذكر نعمه سبحانه مدح عليها فهو شكر للمنع في الحقيقة ، أو للتعجب من أمر الكفرة في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها ؛ وسبحان ترد للتعجب مجازاً مشهوراً فسبح بمعنى تعجب ، وأصله فقل سبحان الله للتعجب وفيه بعد وما تقدم أظهر *

هذا وجوز أن لا يكون في (باسم ربك) إضمار ولا مجاز بل يبقى على ظاهره فقد قالوا في قوله تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى) : كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته سبحانه عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعات لها عن سوء الأدب وهو أبلغ لانه يلزمه تقديس ذاته عز وجل بالطريق الاولى على طريق الكناية الرمزية ، وفيه أنه إنما يتأتى لو لم تذكر الباء ، وجعلها زائدة خلاف الظاهر ، وحال كونها للتعدي قد سمعته ، وجعل بعضهم على هذا الخطاب لغير معين فقال : إنه تعالى لما ذكر ما ذكر من الأمور وكان الكل معترفين بأنها من الله تعالى وكان الكفار إذا طولبوا بالوحدانية قالوا : نحن لا نشرك في المعنى وإنما نتخذ أصناماً آلهة وذلك إشراك في الاسم ، والذي خلقنا وخلق السموات والارض هو الله تعالى فنحن ننزهه في الحقيقة قال سبحانه : (فسبح باسم ربك) على معنى كما أنك أيها الغافل اعترفت بعدم اشتراكها في الحقيقة اعترف بعدم اشتراكها في الاسم ولا تقل لغيره تعالى إلهها فان الاسم يتبع المعنى والحقيقة ، فالخطاب كالخطاب في قول الواعظ يامسكين أفنيت عمرك وما أصلحت أمرك لا يريد به أحداً بعينه ، وإنما يريد أيها المسكين السامع وهو كما ترى ، نعم احتمال عموم الخطاب بما لا يذكر لكن لا يتعين عليه هذا التقرير ، ثم الظاهر أن المراد بذكر الرب أو ذكر اسمه سبحانه على ما تقرر سابقاً ما هو المتبادر المعروف وفي الكشف إن المراد بذلك تلاوته صلى الله تعالى عليه وسلم للقرآن أو لهذه السورة الكريمة المتضمنة لاثبات البعث والجزاء ومراتب أهله لينطبق عليه قوله تعالى بعد : (فلا أقسم) وعلى الاول لا بد من إضمار أي فسبح باسم ربك وامثل ما أمرت به - فأقسم أنه لقرآن ، والغرض تأكيد الأمر بالتسييح ، وأنا أقول يتأتى الانطباق على الظاهر أيضاً سوى أنه يعتبر في الكلام إضمار ولا بأس بأن يقال : إنه تعالى لما ذكر ما ذكر من النعم الجليلة الداعية لتوحيده سبحانه وصفه بما يليق به عز وجل قال سبحانه : (فسبح باسم ربك) أي فنزهه تعالى عما يقولون في وصفه سبحانه ، وأقبل على إنذارهم بالقرآن والاحتجاج عليهم به بعد الاحتجاج بما ذكرنا فأقسم أنه لقرآن كيت وكيت

فلا في قوله عز وجل : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ مزيده للتأكيد مثلها في قوله تعالى : (لئلا يعلم أهل الكتاب)
أوهى لام القسم أشبعت فتحها فتولدت منها ألف نظير ما في قوله * أعوذ بالله من العقرب * واختاره
أبو حيان ثم قال : وهو وإن كان قليلاً فقد جاء نظيره في قوله تعالى : (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) ياء
بعد الهمزة وذلك في قراءة هشام .

ويؤيد قراءة الحسن . وعيسى . فلا قسم - وهو مبني على ما ذهب إليه تبعاً لبعض النحويين من أن فعل
الحال يجوز القسم عليه فيقال : والله تعالى ليخرج زيد وعليه قول الشاعر * ليعلم ربي أن بيتي واسع *
وحينئذ لا يصح أن يقرن الفعل بالنون المؤكدة لأنها تخلصه للاستقبال وهو خلاف المراد ، والذي اختاره
ابن عصفور . والبصريون أن فعل الحال كما هنا لا يجوز أن يقسم عليه ومتى أريد من الفعل الاستقبال لزم
فيه النون المؤكدة قليل : لأقسمن وحذفها ضعيف جداً ، ومن هنا خرجوا قراءة الحسن . وعيسى على أن
اللام لام الابتداء والمبتدأ محذوف لأنها لا تدخل على الفعل . والتقدير فلانما أقسم ، وقليل : نحوه في قراءة الجمهور
على أن الألف قد تولدت من الاشباع ، وتعقب بأن المبتدأ إذا دخل عليه لام الابتداء يمتنع أو يقبح حذفه لأن
دخولها لتأكيد كيد وهو يقتضي الاعتناء به وحذفه يدل على خلافه ، وقال سعيد بن جبيرة . وبعض النحاة : - لا - نفي
ورد لما يقوله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة كأنه قيل : فلا صحة لما يقولون فيه ثم استؤنف
فقيل : (أقسم) النخ ، وتعقبه أبو حيان بأنه لا يجوز لما فيه من حذف اسم - لا - وخبرها في غير جواب سؤال
نحو - لا - في جواب هل من رجل في الدار ، وقيل : الأولى فيما إذا قصد بلا نفي لمحذوف واستئناف لما بعدها
في اللفظ الاتيان بالواو نحو - لا - وأطال الله تعالى بقاءك ، وقال : بعضهم إن - لا - كثيراً ما يوثق بها قبل
القسم على نحو الاستفتاح كما في قوله :

(لا وأنيك) ابنة العامري لا يدعى القوم إني أفر

وقال أبو مسلم وجمع : إن الكلام على ظاهره المتبادر منه ، والمعنى لا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم
أى لا يحتاج إلى قسم ما فضلاً عن أن هذا القسم العظيم ، فقول مفتي الديار الرومية أنه يأباه تعيين المقسم به وتفخيمه
ناشئ عن الغفلة على ما لا يخفى على فطن ﴿ بموقع النجوم ٧٥ ﴾ أى بمساقط كواكب السماء ومغارها كما جاء
في رواية عن قتادة . والحسن على أن الوقوع بمعنى السقوط والغروب وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال أثرها ،
والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير ، ولذا استدلل الخليل عليه السلام بالأفول على وجود الصانع
جل وعلا ، أو لأن ذلك وقت قيام المهتجرين والمبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم *
وقد أخرج البخاري . ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل
الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له » وعن الحسن أيضاً المراد
مواقعها عند الانكدار يوم القيامة قيل : وموقع عليه مصدر ميمي أو اسم زمان ولعل وقوعها ذلك اليوم ليس
دفعه واحدة والتخصيص لما في ذلك من ظهور عظمته عز وجل وتحقق ما ينكره الكفار من البعث ، وعن
أبي جعفر . وأبي عبد الله على آبائهما وعليهما السلام المراد مواقعها عند الانقضاء إثرا المسترقين السمع من
الشياطين ، وقد مر لك تحقيق أمر هذا الانقضاء فلا تغفل ، وقيل : مواقع النجوم هي الأنواء التي يزعم الجاهلية

أنهم يمتطرون بها ، ولعله مأخوذ من بعض الآثار الواردة في سبب النزول وسنذكره إن شاء الله تعالى وليس نصاً في إرادة الأنواء بل يجوز عليه أن يراد المغارب مطلقاً .

وأخرج عبد الرزاق . وابن جرير عن قتادة أنها منازلها ومجاريها على أن الوقوع النزول كما يقال: على الخير سقطت وهو شائع والتخصيص لأن له تعالى في ذلك من الدليل على عظيم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به نطاق البيان ، وقال جماعة منهم ابن عباس: النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها .

وأخرج النسائي . وابن جرير . والحاكم وصححه . والبيهقي في الشعب عنه أن قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين» وفي لفظ «ثم نزل من السماء الدنيا إلى الأرض نجوماً ثم قرأ فلا أقسم بمواقع النجوم» وأيد هذا القول بأن الضمير في قوله تعالى بعد : (إنه لقرآن) يعود حينئذ على ما يفهم من مواقع النجوم حتى يكاد يعدّ كالمذكور صريحاً ولا يحتاج إلى أن يقال يفسره السياق كما في سائر الأقوال، ووجه التخصيص أظهر من أن يخفى، ولعل الكلام عليه من باب * وثناياك إنها إغريض * وقرأ ابن عباس . وأهل المدينة . وحمزة . والكسائي (بموقع) مفرداً مراداً به الجمع .

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ ﴾ مشتمل على اعتراض في ضمن آخر فقوله تعالى : (إنه لقسم) (عظيم) معترض بين القسم والمقسم عليه وهو قوله سبحانه : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ٧٧ ﴾ وهو تعظيم للقسم مقرر مؤكده ، وقوله عز وجل (لو تعلمون) معترض بين الصفة والموصوف وهو تأكيد لذلك التعظيم وجواب (لو) إما متروك أريد به نفي علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أي لعظمتهم أو لعلمتم بموجبه ، ووجه كون ذلك القسم عظيماً قد أشير إليه فيما مر ، أو هو ظاهر بناءً على أن المراد (بمواقع النجوم) ما روى عن ابن عباس والجماعة ، ومعنى كون القرآن كريماً أنه حسن مرضى في جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع ، وكيف لا وقد اشتمل على أصول العلوم المهمة في إصلاح المعاش ، والمعاد ، والكرم على هذا مستعار كما قال الطيبي - من الكرم المعروف - وقيل: الكرم أعم من كثرة البذل والاحسان والاتصاف بما يحمد من الأوصاف ككثرة النفع فانه وصف محمود فكونه كريماً حقيقة ، وجوز أن يراد كريم على الله تعالى قيل : وهو يرجع لما تقدم ، وفيه تقدير من غير حاجة وأياً ما كان فمحط الفائدة الوصف المذكور قيل : إن مرجع الضمير هو القرآن لا من حيث عنوان كونه قرآناً فبمجرد الاخبار عنه بأنه قرآن تحصل الفائدة أي إنه لمقروء على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا أنه أنشأه كما زعمه الكفار ، وقوله تعالى : ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ٧٨ ﴾ وصف آخر للقرآن أي كائن في كتاب مصون عن غير المقربين من الملائكة عليهم السلام لا يطلع عليه من سواهم ، فالمراد به اللوح المحفوظ كما روى عن الربيع بن أنس وغيره ، وقيل : أي في كتاب مصون عن التبديل والتغيير وهو المصحف الذي بأيدي المسلمين ويتضمن ذلك الإخبار بالغيب لأنه لم يكن إذ ذاك مصاحف ، وأخرج عبد بن حميد . وابن جرير عن عكرمة أنه قال : في كتاب أي التوراة والانجيل ، وحكى ذلك في البحر ثم قال : كانه قال : ذكر في كتاب مكنون كرمه وشرفه ، فالعنى على هذا الاستشهاد بالكتب المنزلة انتهى *

والظاهر أنه أريد على هذا بالكتاب الجنس لتصح إرادة التوراة والانجيل ، وفي وصف ذلك بالمسكنون خفاء ولعله أريد به جليل الشأن عظيم القدر فان الستركا للالزام للشيء الجليل ، وجوز إرادة هذا المعنى المجازي

على غير هذا القول من الأقوال ، وقيل : الكتاب المكنون قلب المؤمن وهو كما ترى *
 وقيل : المراد من كونه في كتاب مكنون كونه محفوظاً من التغيير والتبديل ليس إلا كما قال تعالى : (وإنا له لحافظون) والمعول عليه ما تقدم ، وجوز تعلق الجار بكريم كما يقال زيد كريم في نفسه ، والمعنى إنه كريم في اللوح المحفوظ وإن لم يكن كريماً عند الكفار ، والوصفية أبلغ كما لا يخفى ، وقوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ٧٩ ﴾ .
 إما صفة بعد صفة لا كتاب مراداً به اللوح ، فالمراد بالمطهرون الملائكة عليهم السلام أى المطهرون المنزهون عن كدر الطبيعة ودنس الحظوظ النفسية ، وقيل : عن كدر الاجسام ودنس الهوى والطهارة عليهما طهارة معنوية ، ونفى مسه كناية عن لازمه وهو نفى الاطلاع عليه وعلى ما فيه ، وإما صفة أخرى لقرآن *

والمراد بالمطهرون المطهرون عن الحدث الأصغر والحدث الأكبر بحمل الطهارة على الشرعية ، والمعنى لا يذنب أن يمس القرآن إلا من هو على طهارة من الناس فالنفي هنا نظير ما في قوله تعالى : (الزانى لا ينكح إلا زانية) وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه » الحديث وهو بمعنى النهى بل أبلغ من النهى الصريح ، وهذا أحد أوجه ذكرها للعدول عن جعل - لا - ناهية ، وثانيها أن المتبادر كون الجملة صفة والاصل فيها أن تكون خبرية ولا داعى لاعتبار الإنشائية وارتكاب التأويل ، وثالثها أن المتبادر من الضمة أنها إعراب فالحمل على غيره فيه إلباس ، ورابعها أن عبد الله قرأ ما يمسه وهى تؤيد أن لنافية وكون المراد بالمطهرين الملائكة عليهم السلام مروى من عدة طرق عن ابن عباس ، وكذا أخرجه جماعة عن أنس . وقتادة . وابن جبير . ومجاهد . وأبى العالية . وغيرهم إلا أن فى بعض الآثار عن بعض هؤلاء ما هو ظاهر فى أن الضمير فى (لا يمسه) مع كون المراد بالمطهرين الملائكة عليهم السلام راجع إلى القرآن *

أخرج عبد بن حميد . وابن جرير عن قتادة انه قال : فى الآية ذاك عند رب العالمين لا يمسه إلا المطهرون من الملائكة فأما عندكم فيمسه المشرك والنجس ، والمنافق الرجس ، وأخرجاهما . وابن المنذر . والبيهقى فى المعرفة عن الخبر قال : فى الآية الكتاب المنزل فى السماء لا يمسه إلا الملائكة ، ويشير اليه ما أخرج ابن المنذر عن النعيمى قال : قال مالك : أحسن ما سمعت فى هذه الآية (لا يمسه إلا المطهرون) أنها بمنزلة الآية التى فى عبس (كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة) وكون المراد بهم المطهرين من الاحداث مروى عن محمد الباقر على آباءه وعليه السلام . وعطاء . وطاوس . وسالم *

وأخرج سعيد بن منصور . وابن أبى شيبة فى المصنف . وابن المنذر . والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن زيد قال : كنا مع سلمان - يعنى الفارسى - رضى الله تعالى عنه فانطلق إلى حاجة فتوارى عنا فخرج الينا فقلنا لو توضأت فسالناك عن أشياء من القرآن ؟ فقال : سلونى فإنى لست أمسه إنما يمسه المطهرون ثم تلا (لا يمسه إلا المطهرون) ، وقيل : الجملة صفة لقرآن ، والمراد - بالمطهرون - المطهرون من الكفر ، والمس مجاز عن الطلب كاللمس فى قوله تعالى : (إنا لمسنا السماء) أى لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر ، ولم أر هذا مروياً عن أحد من السلف ، والنفى عليه على ظاهره ، ورجح جمع جعل الجملة وصفاً للقرآن لأن الكلام مسوق لحرمة وتعظيمه لا لشأن الكتاب المكنون ، وإن كان فى تعظيمه وتعظيمه . وصحح الامام جعلها وصفاً للكتاب - وفيه نظر - وعلى الوصفية للقرآن ذهب من ذهب إلى اختيار تفسير المطهرين بالمطهرين عن الحدث الاكبر والا صغر *

وفى الاحكام للجلال السيوطى استدلل الشافعى بالآية على منع المحدث من مس المصحف وهو ظاهر فى

اختيار ذلك ، والاحتمال جعل الجملة صفة للكتاب المسكون أو للقرآن ، وكون المراد بالمطهرين الملائكة المقربين عليهم السلام على ما سمعت عن ابن عباس . وقادة عدل الا كثرون عن الاستدلال بها على ذلك إلى الاستدلال بالاخبار ، فقد أخرج الامام مالك . وعبدالرزاق . وابن أبي داود . وابن المنذر عن عبدالله بن أبي بكر عن أبيه قال في كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر بن حزم « ولا تمس القرآن إلا على طهور » * وأخرج الطبراني . وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : « قال رسول الله ﷺ : لا يمس القرآن إلا طاهر » إلى غير ذلك ، وقال بعضهم : يجوز أن يؤخذ منع مس غير الطاهر القرآن من الآية على الاحتمالين الآخرين أيضاً ، وذلك لأنها أفادت تعظيم شأن القرآن وكونه كريماً ، والمس بغير طهر مخل بتعظيمه فتأباه الآية وهو كما ترى ، وأطال الامام الكلام في هذا المقام بما لا يخفى حاله على من راجعه ، نعم لا شك في دلالة الآية على عظم شأن القرآن ومقتضى ذلك الاعتناء بشأنه ولا ينحصر الاعتناء بمنع غير الطاهر عن مسه بل يكون بأشياء كثيرة كالإكثار من تلاوته والوضوء لها وأن لا يقرأه الشخص وهو منتجس الفم فانه مكروه * وقيل : حرام للمس باليد المنتجسة ، وكون القراءة في مكان نظيف ، والقارئ مستقبل القبلة متخشعاً بسكينة ووقار مطرقاً رأسه ، والاستيالك لقراءته ، والترتيل ، والتدبر ، والبكاء ، أو التباكى ، وتحسين الصوت بالقراءة وأن لا يتخذ معيشة ، وأن يحافظ على أن لا ينسى آية أو تيها منه ، فقد أخرج أبو داود وغيره « عرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تيها رجل ثم نسيها ، وأن لا يجامع بحضرتها فان أراد ستره ، وأن لا يضع غيره من الكتب السماوية وغيرها فوقه ، وأن لا يقلب أوراقه بأصبع عليها بزاق ينفصل منه شيء فقد قيل : بكفر من يفعل ذلك . إلى أمور أخر مذكورة في محالها ، وفي وجوب كون القارئ طاهراً من الاحداث خلاف ، فعن ابن عباس في رواية أنه يجوز للجنب قراءة القرآن ، وروى ذلك أيضاً عن الامام أبي حنيفة ، وعن ابن عمر أحب إلى أن لا يقرأ إلا طاهر وكأنهم اعتبروه كسائر الاذكار والفرق مثل الشمس ظاهره . وقرأ عيسى (المطهرون) اسم مفعول مخففاً من أطهر ، ورويت عن نافع . وأبي عمرو ، وقرأ سليمان الفارسي رضي الله تعالى عنه (المطهرون) بتخفيف الطاء وتشديد الهاء وكسرهما اسم فاعل من طهر أي (المطهرون) أنفسهم ، أو غيرهم بالاستغفار لهم والالهام ، وعنه أيضاً (المطهرون) بتشديدهما وأصله المتطهرون فادغم التاء بعد إبدالها في الطاء ، ورويت عن الحسن . وعبد الله بن عون ، وقرئ المتطهرون على الاصل ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ٨٠ ﴾ صفة أخرى للقرآن أي منزل ، أو وصف بالمصدر لأنه ينزل نجوماً من بين سائر كتب الله تعالى فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك أجرى مجرى بعض أسمائه فقل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل .

وجوز كونه خبر مبتدأ محذوف أي هو تنزيل على الاستئناف ، وقرئ تنزيل بالنصب على نزل تنزيلاً ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ أي أتعرضون فهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجميلة الموجبة لإعظامه وإجلاله والإيمان بما تضمنه وأرشد اليه وهو القرآن الكريم ﴿ أَنْتُمْ مَذْهُونُونَ ٨١ ﴾ متهاونون به لمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به ، وأصل الادهان كما قيل : جعل الأديم ونحوه مدهوناً بشيء من الدهن ولما كان ذلك مليناً ليناً محسوساً يراد به اللين المعنوي على أنه تجوز به عن مطلق اللين أو استعير له ، ولذا سميت المداراة مدهانة وهذا مجاز معروف ولشهرته صار حقيقة عرفية ، ولذا تجوز به هنا عن التهاون أيضاً لأن المتهاون بالامر

لا يتصلب فيه، وعن ابن عباس. والزجاج (مدهنون) أى مكذبون، وتفسيره بذلك لان التكذيب من فروع التهاون. وعن مجاهد أى منافقون فى التصديق به تقولون للمؤمنين آمنا به وإذا خلوتهم إلى إخوانكم قلتم إنا معكم والخطاب عليه للمنافقين وما قدمناه أولى، والخطاب عليه للكفار كما يقتضيه السياق * وجوز أن يراد بهذا الحديث ما تحدثوا به من قبل فى قوله سبحانه : (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون) فالكلام عود إلى ذلك بعد رده كأنه قيل : أفهذا الحديث الذى تتحدثون به فى إنكار البعث أتم مدهنون أصحابكم أى تعلمون خلافه وتقولونه مدهنة أم أتم به جازمون وعلى الإصرار عليه عازمون ، ولا يخفى بعده ، وفيه مخالفة لسبب النزول وستعلمه قريبا إن شاء الله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ شكركم ﴿ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝ ٨٢ ﴾ تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا، أخرج ذلك الامام أحمد والترمذى وحسنه . والضياء فى المختارة. وجماعة عن على كرم الله تعالى وجهه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو إما إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى أن فى الكلام مضافا مقدرا أى شكر رزقكم أو إشارة إلى أن الرزق مجاز عن لازمه وهو الشكر ، وحكى الهيثم بن عدى أن من لغة ازدشنوة مارزق فلان فلاناً بمعنى شكره ، ونقل عن الكرماني أنه نقل فى شرح البخارى أن الرزق من أسماء الشكر واستبعد ذلك ولعله هو ما حكاه الهيثم ، وفى البحر وغيره أن علياً كرم الله تعالى وجهه. وابن عباس قرأ - شكركم - بدل (رزقكم) وحمله بعض شراح البخارى على التفسير من غير قصد للتلاوة وهو خلاف الظاهر، وقد أخرج ابن مردويه عن أبي عبد الرحمن السلى قال: قرأ على كرم الله تعالى وجهه (الواقعة) فى الفجر فقال: (وتجعلون - شكركم - أنكم تكذبون) فلما انصرف قال: إني قد عرفت أنه سيقول قائل لم قرأها هكذا إني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ كذلك كانوا إذا أمطروا قالوا: أمطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى -وتجعلون - شكركم أنكم إذا مطرتم تكذبون - ومعنى جعل شكرهم التكذيب جعل التكذيب مكان الشكر فكانه عينه عندهم فهو من باب * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه قول الراجز:

وكان شكر القوم عند المنن (كى الصحيحات وفقه الأعين)

وأكثر الروايات أن قوله تعالى : (وتجعلون) الخ نزل فى القائلين: مطرنا بنوء كذا من غير تعرض لما قبله وأخرج مسلم . وابن المنذر . وابن مردويه عن ابن عباس قال : «مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا: هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآية (فلا أقسم بمواقع النجوم) حتى بلغ (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) * وأخرج نحوه ابن عساكر فى تاريخه عن عائشة رضى الله تعالى عنها وكان ذلك على ما أخرج ابن أبي حاتم عن أنى عروة رضى الله تعالى عنه فى غزوة تبوك نزلوا الحجر فأمرهم ﷺ أن لا يحملوا من مائه شيئا ثم ارتحلوا ونزلوا منزلا آخر وليس معهم ماء فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام عليه الصلاة والسلام فصلى ركعتين ثم دعا فأمطروا وسقوا فقال رجل من الانصار يتهم بالنفاق: إنا مطرنا بنوء كذا فنزل ما نزل ، ولعل جمعا من الكفار قالوا نحو ذلك أيضا بل هم لم يزالوا يقولون ذلك ، والأخبار متضاربة على أن الآية فى القائلين بالانواء ، بل قال ابن عطية: أجمع المفسرون على أنها توييح لأرائك ، وظاهر مقابلة الشكر بالكفر فى الحديث السابق أن المراد بالكفر كفران النعمة إذا أضيفت لغير موجدتها جل جلاله ؛

وقد صح ذكره مع الايمان ، أخرج البخارى . ومسلم . وأبو داود . والنسائى . وغيرهم عن زيد بن خالد الجهنى قال: صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل فلما سلم أقبل علينا فقل: هل تدرون ما قال ربكم في هذه الليلة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم فقال: قال: ما أنعمت على عبادى نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين فأما من آمن بي وحمدنى على سقيائى فذلك الذى آمن بي وكفر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك الذى آمن بالكوكب وكفر بي» والآية على القول بنزولها في قائل ذلك ظاهرة في كفرهم المقابل للايمان فكأنهم كانوا يقولونه عن اعتقاد أن الكواكب مؤثرة حقيقة موجودة للمطر وهو كفر بلا ريب بخلاف قوله مع اعتقاد أنه من فضل الله تعالى ، والنوء ميقات وعلامة له فانه ايس بكفر ، وقيل : تسميته كفراً لأنه يفضى إليه إذا اعتقد أنه مؤثر حقيقة .

هذا وقيل : معنى الآية - وتجعلون شكركم - انعمة القرآن - أنكم تكذبون - به ، ويشير إلى ذلك ما رواه قتادة عن الحسن بنس ما أخذ القوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله تعالى إلا التكذيب .

وفي الارشاد أنه الأوفق لسياق النظم الكريم وسباقه ، وأقول ما قدمناه تفسير مأثور نطقت به السنة المقبولة ، وذهب اليه الجمهور وليس فيه ما يأتى إرادة معنى مطابق لسبب النزول وموافق لسياق النظم الكريم وسباقه ، وذلك بأن يقال : إنه عز وجل بعد أن وصف القرآن بما دل على جلالة شأنه وعزة مكانه وأشعر باشماله على ما فيه تزكية النفوس وتحليتها بما يوجب لها من العقائد الحقة ونحوها حيث قال سبحانه : (تنزيل من رب العالمين) فعبر جل وعلا عن ذاته سبحانه بلفظ الرب الدال على الترية وهى تبليغ الشئ إلى كماله شيئاً فشيئاً . وقد يستفاد ذلك من وصفه بكريم بناءً على أن المراد به نفاع جم المنافع فانه لا منفعة أجل مما ذكر وكان قد ذكر عز وجل غير بعيد ما يدل على أنه تعالى هو المنزل للماء المطر لا غيره سبحانه استقلالاً ولا اشتراكاً قال عز قائلًا : أفبهذا القرآن الجليل الشأن المشتمل على العقائد الحقة المرشد إلى ما فيه نفعكم أنتم متهاونون فلا تشكرون الله تعالى عليه وتجعلون بدل شكركم أنكم تكذبون به ، ومن ذلك أنكم تقولون إذا مطرتم مطرنا بنوء كذا وكذا فتسندون إنزال المطر إلى الكواكب وقد أرشدكم غير مرة إلى ما يأتى ذلك من العقائد وهذا كما إلى أنه تعالى هو المنزل للمطر لا الكواكب ولا غيرها أصلاً - فما جاء من تفسير تكذبون بتقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ليس المراد منه إلا بيان نوع اقتضاه الحال من التكذيب بالقرآن المنعوت بتلك النعوت الجليلة وكون ذلك على الوجه الذى يزعمه الكفار تكديماً به بما لا ينتطح فيه كبشان ، وهذا لا تمحل فيه ، وقد يقال على تقدير أن يراد بالرزق المطر وكون (تكذبون) على معنى تكذبون بكونه - أى المطر - من الله تعالى حيث تنسبونه إلى الأنواء وإن لم أقف على التصريح به فى أثر يعول عليه ، المعنى أفبهذا القرآن الجليل المرشد إلى أن كل نعمة منه تعالى لا غير المصرح عن قريب بأنه المنزل للمطر وحده (أنتم مدهنون) أى تكذبون على ما سمعت عن ابن عباس . والزجاج ومن ذلك أنكم (تجعلون) موضع شكر ما يرزقكم من المطر وينزله لكم أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى وتنسبونه إلى الأنواء ، والتبكيك الآتى مبنى على تكذيبهم بالقرآن المفهوم من (تكذبون) أو من قوله سبحانه : (أنتم مدهنون) لكن التكذيب به باعتبار التكذيب ببعض ما نطق به بما سبق وتوقف المراد بالآية على الخبر غير بدع فى القرآن الكريم ، وحال عطف (تجعلون رزقكم أنكم تكذبون) على ما قبله لا يخفى على نبيه ، فتأمل والله تعالى الموفق لفهم كتابه الكريم .

وقرأ المفضل عن عاصم (تكذنون) بالتخفيف من الكذب وهو قولهم في القرآن إنه - وحاشاه - افتراء ويرجع إلى هذا قولهم في المطر : إنه من الأنواء لأن القرآن ناطق بخلافه ، وقوله تعالى :

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ ۙ (٨٣) ﴾ الخ تبكيت كما سمعت وذلك باعتبار تكذيبهم بما نطق به قوله تعالى : (نحن خلقناكم) الخ أعني الآيات الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معاشهم - ولولا - للتخصيص بإظهار عجزهم ، و (إذا) ظرفية ، و (الخلقوم) مجرى الطعام ؛ وضمير (بلغت) للنفس لانفهامها من الكلام وإن لم يجر لها ذكر قبل ، والمراد بها الروح بمعنى البخار المنبعث عن القلب دون النفس الناطقة فانها لا توصف بما ذكر وكأنه مبني على القول بتجرد النفس الناطقة وهي المسماة بالروح الامرية ، وأنها لا داخل البدن ولا خارجه ولا تتصف بصفات الاجسام كالصعود والنزول وغيرهما على ما اختاره حجة الإسلام الغزالي وجماعة من المحققين ، ومذهب الساف أن النفس الناطقة وهي الروح المشار إليها بقوله تعالى : (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) جسم لطيف جداً سار في البدن سريان ماء الورد في الورد وهو حي بنفسه يتصف بالخروج والدخول وغيرهما من صفات الاجسام ، وقد رد العلامة ابن القيم قول الغزالي ومن وافقه بأدلة كثيرة ذكرها في كتابه الروح ، ووصفها ببلوغ الخلقوم عليه ظاهر * وأما على القول بالتجرد وعدم التحيز فقليل : المراد به ضعف التعلق بالبدن وقرب انقطاعه عنه فكأنه قيل : فلولا إذا حان انقطاع تعلق الروح بالبدن ﴿ وَأَنْتُمْ ﴾ أيها الحاضرون حول صاحبها ﴿ حَيِّذَ ﴾ أي حين إذ بلغت الخلقوم ووصات إليه أو حان انقطاع تعلقها ﴿ تَنْظُرُونَ ۙ (٨٤) ﴾ إلى ما يقاسيه من الغمرات ، وقيل : (تنظرون) حالكم ووجه أنهم يعلمون أن ما جرى عليه يجرى عليهم فكأنهم شاهدوا حال أنفسهم وليس بذلك *

وقرأ عيسى حينئذ بكسر النون اتباعاً لحركة الهمزة في إذ ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ﴾ أي المحتضر المفهوم من الكلام ﴿ مِنْكُمْ ﴾ والمراد بالقرب العلم وهو من إطلاق السبب وإرادة المسبب فان القرب أقوى سبب للاطلاع والعلم ، وقال غير واحد : المراد القرب علماً وقدرة أي نحن أقرب إليه في كل ذلك منكم حيث لا تعرفون من حاله إلا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها الحقيقية ولا أن تقدرُوا على مباشرة دفعها إلا بما لا ينجع شيئاً ونحن المستولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت ﴿ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ۙ (٨٥) ﴾ لا تدركون كوننا أقرب إليه منكم لجهلكم بشئنا وقد علمت أن الخطاب للكفار ، وقيل : لا تدركون كنه ما يجرى عليه على أن الاستدراك من تنظرون ؛ والابصار من البصر بالعين تجوز به عن الإدراك أو هو من البصيرة بالقلب ، وقيل : أريد بأقربيته تعالى إليه منهم أقرية رسله عز وجل أي ورسائنا الذين يقبضون روحه ويعالجون إخراجها أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرونهم ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ أي غير مربوبين من دان السلطان الرعية إذا ساء لهم وتعبد لهم ، ومنه قيل للعبد : مدين وللائمة مدينة قال الاخطل :

ربت ورباً في حجرها ابن (مدينة) تراه على مسحاته يترك

والكلام ناظر إلى قوله تعالى : (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) ، وقيل : هو من دان بمعنى انقاد وخضع ، وتجوز به عن الجزاء كما في قولهم - كما تدين تدان - أي فلولا إن كنتم غير مجزيين وجعل ناظراً لإنكارهم البعث وليس بشئ ﴿ تَرْجِعُونَهَا ﴾ أي الروح إلى مقرها والقائلون بالتجرد يقولون أي ترجعون تعلقها كما كان أولاً *

(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٨٧) في اعتقادكم عدم خالقيته تعالى فان عدم تصديقهم بخالقيته سبحانه لهم عبارة عن تصديقهم بعدمها على مذهبهم، وفي البحر وغيره إن كنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد. نسبتكم إنزال المطر إلى الأنواء دونه عز وجل، وترجعون المذكور هو العامل - ياذا - الظرفية في (إذا بلغت الحلقوم) وهو المحضض عليه - بلولا - الأولى، و(لولا) الثانية تكرير للتأكيد، و(لولا) الأولى مع ما في حيزها دليل جواب الشرط الأول أعني (إن كنتم غير مدينين) والشرط الثاني مؤكد للأول مبين له، وقدم أحد الشرطين على (ترجعونها) للاهتمام والتقدير - فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مربوبين صادقين فيما تزعمونه من الاعتقاد الباطل فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم - وحاصل المعنى أنكم إن كنتم غير مربوبين كما تقتضيه أقوالكم وأفعالكم فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن إذا بلغت الحلقوم وتردونها كما كانت بقدرتكم أو بواسطة علاج للطبيعة، وقوله تعالى: (وَأَنْتُمْ حِينُذْ تَنْظُرُونَ) جملة حالية من فاعل (بلغت) والاسمية المقترنة بالواو لا تحتاج في الربط للضمير لكسافية الواو فلا حاجة إلى القول بأن العائد ما تضمنه حينئذ لأن التنوين عوض عن جملة أي فلولا ترجعونها زمان بلوغها الحلقوم حال نظركم إليه وما يقاسيه من هول النزاع مع تعطفكم عليه وتوفركم على إنجائه من المهالك، وقوله سبحانه: (ونحن أقرب) الخ اعتراض يؤكده ما سبق له الكلام من توبيخهم على صدور ما يدل على سوء اعتقادهم بربهم سبحانه منهم، وفي جواز جعله حالاً مقالاً وقال أبو البقاء: (ترجعونها) جواب (لولا) الأولى، وأغنى ذلك عن جواب الثانية، وقيل: عكس ذلك * وقيل: (إن كنتم) شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقدماً في التقدير - أي إن كنتم صادقين إن كنتم غير مربوبين فارجعوا الأرواح إلى الأبدان - وما ذكرناه سابقاً اختيار جار الله وأياً ما كان فقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٨٨﴾ إلى آخره شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة وضمير (كان) للمتوفى المفهوم مما مر أي فأما إن كان المتوفى الذي بين حاله من السابقين من الأزواج الثلاثة عبر عنهم بأجل أوصافهم ﴿فَرَّوْحٌ﴾ أي فله روح على أنه مبتدأ خبره محذوف مقدم عليه لأنه نكرة، وقيل: خبر مبتدأ محذوف أي فجزاؤه، وروح أي استراحة، والفاء واقعة في جواب أما، قال بعض الأجلة: تقدير هذا الكلام مهما يكن من شئ فروح الخ إن كان من المقربين فحذف مهما يكن من شئ، وأقيم أما مقامه ولم يحسن أن يلي الفاء أما، فأوقع الفصل بين أما والفاء بقوله سبحانه: (إن كان من المقربين) لتحسين اللفظ كما يقع الفصل بينهما بالظرف والمفعول، والفاء في (فروح) وأخويه جواب أما دون (إن)، وقال أبو البقاء: جواب أما (فروح)، وأما (إن) فاستغنى بجواب أما عن جوابها لأنه يحذف كثيراً، وفي البحر أنه إذا اجتمع شرطان فالجواب للسابق منهما، وجواب الثاني محذوف، فالجواب ههنا لأما، وهذا مذهب سيديوه * وذهب الفارسي إلى أن المذكور جواب (إن) وجواب أما محذوف، وله قول آخر موافق لمذهب سيديوه * وذهب الأخفش إلى أن المذكور جواب لهما معاً، وقد أبطلنا المذهبين في شرح للتسهيل انتهى، والمشهور أنه لا بد من لصوق الاسم - لأما - وهو عند الرضى وجماعة أكثرى لهذه الآية، والناهبون إلى الأول قالوا: هي بتقدير فأما المتوفى (إن كان) وتعقب بأنه لا يخفى أن التقدير مستغنى عنه ولا دليل عليه إلا اطراد الحكم، ثم إن كون - أما - قائمة مقام مهما يكن أغلبي إذ لا يطرده في نحو أما قريشاً فأنا أفضلها إذ التقدير مهما ذكر قريشاً

فأنا أفضلها ، وتام الكلام في هذا المقام يطلب من كتب العربية ٥

وأخرج الامام أحمد . والبخارى في تاريخه . وأبو داود . والنسائي . والترمذى وحسنه . والحاكم وصححه . وآخرون عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ (فروح) بضم الراء ، وبه قرأ ابن عباس . وقتادة . ونوح القارى . والضحاك . والاشهب . وشعيب . وسليمان التيمى . والربيع بن خثيم . ومحمد بن على . وأبو عمران الجونى . والكلى . وفياض . وعبيد . وعبد الوارث عن أبى عمرو . ويعقوب ابن حسان . وزيد . ورويس عنه . والحسن وقال : (الروح) الرحمة لأنها كالحياء للرحوم ، أو سبب لحياته الدائمة فإطلاقه عليها من باب الاستعارة أو المجاز المرسل ، وروى هذا عن قتادة أيضا ، وقال ابن جنى : معنى هذه القراءة يرجع إلى معنى الروح فكأنه قيل : فله ممسك روح وممسكها هو الروح كما تقول : الهواء هو الحياء وهذا السماع هو العيش ، وفسر بعضهم الروح بالفتح بالرحمة أيضا كما فى قوله تعالى : (ولا تيأسوا من روح الله) وقيل : هو بالضم البقاء ﴿ وَرِيحَانٌ ﴾ أى ورزق كما روى عن ابن عباس . ومجاهد . والضحاك ، وفى رواية أخرى عن الضحاك أنه الاستراحة ، وأخرج عبد بن حميد عن الحسن أنه قال : هو هذا الريحان أى المعروف ٥

وأخرج ابن جرير عنه أنه قال : تخرج روح المؤمن من جسده فى ريحانة : ثم قرأ (فأما إن كان) الخ ٥ وأخرج ابن جرير . وابن أبى حاتم عن أبى العالية قال : لم يكن أحد من المقربين يفارق الدنيا حتى يؤتى بغصنين من ريحان الجنة فيشتمهما ثم يقبض ﴿ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ٨٩ ﴾ أى ذات تنعم فالإضافة لامية أولادنى ملابسة ، وهذا إشارة إلى مكان المقربين بحيث يلزم منه أن يكونوا أصحاب نعيم ٥

وأخرج الامام أحمد فى الزهد . وابن أبى شيبه . وعبد بن حميد . وابن المنذر عن الربيع بن خثيم قال فى قوله تعالى : (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان) : هذاله عند الموت ، فى قوله تعالى : (وجنة نعيم) تخبأله الجنة إلى يوم يبعث ولينظر ما المراد بالريحان على هذا ، وعن بعض السلف ما يقتضى أن يكون الكل فى الآخرة ٥ ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ٩٠ ﴾ عبر عنهم بالعنوان السابق إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف ينبئ

عن شأنهم سواء كما ذكر للفريقين الآخرين ، وقوله تعالى : ﴿ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ٩١ ﴾ قيل : هو على تقدير القول أى فىقال لذلك المتوفى منهم سلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله تعالى : (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيا إلا قولا سلا مآسلا مآ) فالخطاب لصاحب اليمين ولا التفات فيه مع تقدير القول ، و (من) للابتداء كما تقول سلام من فلان على فلان وسلام لفلان منه ٥

وقال الطبرى : معناه فسلام لك أنت من أصحاب اليمين ، فمن أصحاب اليمين خبر مبتدأ محذوف والكلام بتقدير القول أيضا ، وكان هذا التفسير مأخوذ من كلام ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ٥

أخرج ابن جرير . وابن المنذر عنه أنه قال فى ذلك : تأتية الملائكة من قبل الله تعالى تسلم عليه وتخبره أنه من أصحاب اليمين ، والظاهر أن هذا على هذا المعنى عند الموت ، وأنه على المعنى السابق فى الجنة ٥

وجوز أن يكون المعنى فسلامة لك عما يشغل القلب من جهتهم فانهم فى خير أى كن فارغ البال عنهم لا يهملك أمرهم ، وهذا كما تقول لمن عاق قلبه بولده الغائب وتشوش فكره لا يدرى ما حاله كن فارغ البال من ولدك فانه فى راحة ودعة ، والخطاب لمن يصلح له أو لسيد المخاطبين صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعليه قيل : يجوز أن يكون

ذلك تسلية له عليه الصلاة والسلام على معنى أنهم غير محتاجين إلى شفاعته وغيرها، ولا يخفى أن كون جميع أصحاب اليمين غير محتاجين إلى ما ذكر غير مسلم فالشفاعة لأهل الكبائر أمر ثابت عند أهل السنة ولا جائز أن يكونوا من أصحاب الشمال فصرائح الآيات أنهم كفار (وما لهم من ولي ولا شفيع يطاع) وكونهم من أصحاب اليمين أقرب من كونهم من السابقين وجعلهم قسما على حدة قد علمت حاله فتذكر فما في العهد من قدم * وذكر بعض الأجلة أن هذه الجملة كلام يفيد عظمة حالهم كما يقال فلان ناهيك به وحسبك أنه فلان إشارة إلى أنه ممدوح فوق حد التفصيل ، وكأني بك تختار ذلك فانه حسن لطيف *

﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الْأَضَآئِلِ ٩٢ ﴾ وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبا وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى : (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون) ذمأ لهم بذلك وإشعار بأسبب ما ابتلوا به من العذاب ، ولما وقع هذا الكلام بعد تحقق تكذيبهم ورده على أتم وجه ولم يقع الكلام السابق كذلك قدم وصف التكذيب هنا على عكس ما تقدم ، ويجوز أن يقال في ذلك على تقدير عموم متعاق التكذيب بحيث يشمل تكذيبه ﷺ في دعوى الرسالة إن هذا الكلام إخبار من جهته سبحانه بأحوال الأزواج الثلاثة لم يؤمر عليه الصلاة والسلام بأن يشافه بكل جملة منه من هي فيه فقدم فيه وصف التكذيب الشامل لتكذيبه عليه الصلاة والسلام المشعر بسبب الابتلاء بالعذاب كرامة له ﷺ وتنويعا بعلو شأنه ، ولما كان الكلام السابق داخلا في حيز القول بالمأمور عليه الصلاة والسلام بأن يشافه به أولئك الكفرة لم يحسن التقديم للكرامة إذ يكون حينئذ من باب مادح نفسه يقرئك السلام ، ويجوز أن يقال أيضا إن الكلام في حال الكافر المحتضر والتكذيب لكونه مقابل التصديق لا يكون إلا بالقلب وهو لم يتعطل منه تعطل سائر أعضائه فلذا قدم هنا ، ويرشد إلى هذا ما قالوه في دعاء صلاة الجنائز اللهم من أحييته منافأحيه على الاسلام ومن توفيته منافتوفه على الايمان من وجه تخصيص الاسلام بالإحياء والإيمان بالاماتة *

وقال الامام في ذلك : إن المراد من الضلال هناك ما صدر عنهم من الإصرار على الحنث العظيم فضلوا عن سبيل الله تعالى ولم يصلوا اليه ثم كذبوا رسله ، (وقالوا أئذا متنا) الخ فكذبوا بالحشر فقال تعالى : (أيها الضالون) الذين أشركتم المكذبون الذين أنكرتم الحشر لا تكون ما تكرهون ، وأما هنا فقال سبحانه لهم : أيها المكذبون الذين كذبتهم بالحشر الضالون من طريق الخلاص الذين لا يهتدون إلى النعيم ، وفيه وجه آخر وهو أن الخطاب هناك مع الكفار فقال سبحانه : أيها الذين أشركتم أولا وكذبتهم ثانيا ، والخطاب هنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يبين له عليه الصلاة والسلام حال الأزواج الثلاثة كما يدل عليه . فسلام لك فقال سبحانه : المقربون في روح وريحان وجنة نعيم وأصحاب اليمين في سلامة ، وأما المكذبون الذين كذبوك وضلوا فقدم تكذيبهم إشارة إلى كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم حيث بين أن أقوى سبب في عقابهم تكذيبهم انتهى ، وعليك بالتأمل والانصاف والنظر لما قال دون النظر لمن قال ، وقوله تعالى : ﴿ فَزُلْ ﴾ بتقدير فله نزل

أو فجزأوه نزل كائن ﴿ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ قيل : يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل ﴿ وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ ٩٤ ﴾ أي إدخال في النار ، وقيل : إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وكل ذلك مبنى على أن المراد بيان ما لهم يوم القيامة ، وقيل : هذا محمول على ما يجده في القبر من حرارة النار ودخانها لأن الكلام في حال التوفي وعقب قبض الأرواح والآنسب بذلك كون ما ذكر في البرزخ ، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال في الآية : لا يخرج

الكافر حتى يشرب كأساً من حميم ، وقرأ أحمد بن موسى . والمنقري . واللؤلؤى عن أبي عمرو (وتصلية) بالجر عطفاً على (حميم) ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ أى الذى ذكر فى السورة الكريمة كما أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس ﴿ لَهْوَ حَقُّ الْيَقِينِ ٩٥ ﴾ اليقين على ما يفهم من كلام الزمخشري فى الجاثية اسم للعلم الذى زال عنه اللبس وبذلك صرح صاحب المطلع وذكر أنه تفسير بحسب المعنى وهو مأخوذ من المقام وإلا فهو العلم المتيقن مطلقاً والاضافة بمعنى اللام والمعنى - لهو عين اليقين - فهو على نحو عين الشئ ونفسه ولا يخفى أن الاضافة من إضافة العام إلى الخاص وكونها بمعنى اللام قول لبعضهم ، وقال بعض آخر : إنها بيانية على معنى من ، وقدر بعضهم هنا موصوفاً أى لهو حق الخبر اليقين وكونه لا يناسب المقام غير متوجه ، وفى البحر قيل : إن الإضافة من إضافة المترادفين على سبيل المبالغة كما تقول هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى أنه نهاية فى ذلك فهما بمعنى أضيف أحدهما إلى الآخر للمبالغة وفيه نظر ، والفاء فى قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٩٦ ﴾ لترتيب التسبيح أو الأمر به ، فان حتمية ما فصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب التسبيح عما لا يليق بما ينسبه الكفرة إليه سبحانه قالوا أو حالاً تعالى عن ذلك علواً كبيراً وأخرج الامام أحمد . وأبو داود . وابن ماجه . وابن حبان . والحاكم وصححه . وغيرهم عن عقبة بن عامر الجهنى قال : « لما نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسبح باسم ربك العظيم قال : اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال : اجعلوها فى سجودكم » • ﴿ ومما قاله السادة أرباب الإشارة ﴾ متعلقاً ببعض هذه السورة الكريمة أن (الواقعة) اسم لقيامه الروح كما أن (الآزقة) اسم لقيامه الخفى ، و(الحاقة) اسم لقيامه السر ، و(الساعة) اسم لقيامه القلب ، وقالوا : إن الواقعة إذا وقعت ترفع صاحبها طوراً وتخفضه طوراً وتشعل نيران الغيرة وتفجر أنهار المعرفة وتحصل للسالك إذا اشتغل بالسلوك والتصفية ووصل ذكره إلى الروح وهى فى البداية مثل ستر أسود يجئ من فوق الرأس عند غلبة الذكر وكلما زاد فى النزول يقع على الذاكر هيبة وسكينة وربما يغمى عليه فى البداية ويشاهد إذا وقع على عينيه عوالم الغيب فيرى ما شاء الله تعالى أن يرى وتكشف له العلوم الروحانية ويرى عجائب وغرائب لا تحصى ، وإذا أفاق فليعرض ما حصل له لمسلكه ليرشده إلى مافيه مصلحة وقته ويعبر له ما هو مناسب لحوصلة ويقوى قلبه ويأمره بالذكر والتوجه الكلى حتى يكمل بصفو سر الواقعة فيكون سرّاً منوراً فربما يصير السالك بحيث إذا فتح عينيه بعد نزولها فى عالم الشهادة يشاهد ما كان مشاهداً له فيها وهى حالة سنية معتبرة عند أرباب السلوك - فليس لوقعها كاذبة - بل هى صادقة لأن الشيطان يفر عندها والنفس لا تقدر أن تلبس على صاحبها وهى اليقظة الحقيقية وما يعده الناس يقظة هو النوم كما يشير إليه قول أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، ثم أنهم تكلموا على أكثر ما فى السورة الجليلة بما يتعلق بالأنفس ، وقالوا فى مواقع النجوم : إنها إشارة إلى اللطائف المطهرة لأنها مواقع نجوم الواردات القدسية الخفية من السماء الجبروتية اللاهوتية ، وقيل : فى قوله تعالى : (لا يمس يدك نفسك وفكره معانى القرآن الكريم كما لا ينبغي لمن لم يكن طاهر النفس من حدث الميل إلى صفات الشهوات - وهو الحدث الأصغر - ومن حدث الميل إلى كبائر الشهوات - وهو الحدث الأكبر - أن يمس يد نفسه وفكره معانى القرآن الكريم كما لا ينبغي لمن لم يكن طاهر البدن من الحدثين المعروفين فى البدن أن يمس يد بدنه وجسده ألفاظه المكتوبة ، وقيل : أيضاً يجوز أن يقال المعنى

لا يصل إلى أدنى حقائق أسرار القرآن الكريم إلا المطهرون من أرجاس الشهوات وأنجاس المخالفات .
 وإذا كانت هذه الجملة صفة للكتاب المكنون المراد منه اللوح المحفوظ وأريد بالمطهرين الملائكة عليهم السلام ،
 وكان المعنى لا يطلع عليه إلا الملائكة عليهم السلام كان في ذلك رد على من يزعم أن الأولياء يرون اللوح
 المحفوظ ويطلعون على ما فيه ، وحمل المطهرين على ما يعم الملائكة والأولياء الذين طهرت نفوسهم وقدمت
 ذواتهم حتى التحقوا بالملائكة عليهم السلام لا ينفع في البحث مع أهل الشرع فإن مدار استدلالهم على الأحكام
 الشرعية الظواهر على أنه لم يسمع عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو هو أنه نظر يوماً وهو بين أصحابه
 إلى اللوح المحفوظ واطلع على شيء مما فيه ، وقال لهم: إني رأيت اللوح المحفوظ واطلعت على كذا وكذا فيه ،
 وكذلك لم يسمع عن أجلة أصحابه الخلفاء الراشدين أنه وقع لهم ذلك ، وقد وقعت بينهم مسائل اختلفوا فيها
 وطال نزاعهم في تحقيقها إلى أن كاد يغمر هلال الحق فيها ولم يراجع أحد منهم لكشفها اللوح المحفوظ .
 وذكر بعض العلماء أن سدرة المنتهى ينتهى علم من تحتها إليها وأن اللوح فوقها بكثير ، وبكل من ذلك
 نطقت الآثار ، وهو يشعر بعدم اطلاع الأولياء على اللوح ، ومع هذا كله من ادعى وقوع الاطلاع فعليه البيان
 وأنى به ، وهذا الذى سمعت مبنى على ما نطقت به الأخبار في صفة اللوح المحفوظ وأنه جسم كتب فيه ما كان
 وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وأما إذا قيل فيه غير ذلك انجر البحث إلى وراء ما سمعت ، واتسعت الدائرة .
 ومن ذلك قولهم: إن الألواح أربعة ، لوح القضاء السابق على المحو والاثبات وهو لوح العقل الأول ، ولوح
 القدر أى لوح النفس الناطقة الكلية التى يفصل فيها كليات اللوح الأول وهو المسمى باللوح المحفوظ ، ولوح
 النفس الجزئية السماوية التى ينتقش فيها كل ما فى هذا العالم شكله وهيئته ومقداره - وهو المسمى بالسماء الدنيا -
 وهو بمثابة خيال العالم كما أن الأول بمثابة روحه ، والثاني بمثابة قلبه ، ولوح الهيولى القابل للصورة فى عالم الشهادة
 ويقولون أيضاً ما يقولون وينشد المنتصر له قوله :

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالابصار

هذا ولا تظن أن نفى رؤيتهم للوح المحفوظ نفى لكراماتهم الكشفية وإلهاماتهم الغيبية معاذ الله تعالى من ذلك ،
 وطرق اطلاع الله تعالى من شاء من أوليائه على من شاء من علمه غير منحصر بإراءته اللوح المحفوظ ثم إن الإمكان
 مما لا نزاع فيه وليس الكلام إلا فى الوقوع ، وورود ذلك عن النبي ﷺ وأجلة أصحابه كالصديق والفاروق .
 وذى النورين . وباب مدينة العلم . والنقطة التى تحت الباء رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، والله تعالى أعلم .
 وقالوا فى قوله تعالى : (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون) ما بنوه على القول بوحدة الوجود والكلام
 فيها شائع - وقد أشرنا إليه فى هذا الكتاب غير مرة - ولهم فى اليقين . وعين اليقين . وحق اليقين عبارات شتى ،
 منها اليقين رؤية العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان ، وقيل : مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب وملاحظة الاسرار
 بمحافظة الافكار ، وقيل : طمأنينة القلب على حقيقة الشئ من يقن الماء فى الحوض إذا استقر ، وحق اليقين
 فناء العبد فى الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً لا علماً فقط . فعلم كل عاقل الموت علم اليقين فاذا عاين الملائكة
 فهو عين اليقين ، وإذا ذاق الموت فهو حق اليقين ، وقيل : علم اليقين ظاهر الشريعة ، وعين اليقين الاخلاص
 فيها ، وحق اليقين المشاهدة فيها ، (وقيل : وقيل :) ونحن نسأل الله تعالى الهداية إلى أقوم سبيل ، وأن يشرح صدورنا
 بأنوار علوم كتابه الكريم الجليل . وهو سبحانه حسبنا فى الدارين ونعم الوكيل .

﴿ سورة الحديد ﴾

أخرج جماعة عن ابن عباس أنها نزلت بالمدينة ، وقال النقاش . وغيره : هي مدنية باجماع المفسرين ولم يسلم له ، فقد قال قوم : إنها مكية ، نعم الجمهور - كما قال ابن الفرس - على ذلك .
وقال ابن عطية : لا خلاف ان فيها قرآنا مدنياً لكن يشبه أن يكون صدرها مكيّاً ، ويشهد لهذا ما أخرجه البزار في مسنده . والطبراني . وابن مردويه . وأبو نعيم في الحلية . والبيهقي . وابن عساكر عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه دخل على أخته قبل أن يسلم فإذا صحيفة فيها أول سورة الحديد فقرأه حتى بلغ (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) فأسلم ، ويشهد لمكية آيات أخر ما أخرج مسلم . والنسائي . وابن ماجه . وغيرهم عن ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله تعالى بهذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) إلا أربع سنين ، وأخرج الطبراني . والحاكم وصححه وغيرهما عن عبد الله بن الزبير أن ابن مسعود أخبره أنه لم يكن بين إسلامهم وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله تعالى بها إلا أربع سنين (ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) الآية لكن سيأتى إن شاء الله تعالى آثار تدل على مدنية ما ذكر ولعلها لا تصلح للمعارضة . ونزلت يوم الثلاثاء على ما أخرج الديلمي عن جابر مرفوعاً لا تحتجموا يوم الثلاثاء فان سورة الحديد أنزلت على يوم الثلاثاء ، وفيه أيضاً خبر رواه الطبراني . وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بسند ضعيف ، وهي تسع وعشرون آية في العراقي ، وثمان وعشرون في غيره ، ووجه اتصالها - بالواقعة - أنها بدئت بذكر التسبيح وتلك ختمت بالأمربه ، وكان أولها واقعاً موقع العلة للامربه فكأنه قيل : (سبح باسم ربك العظيم) لانه سبح له ما في السموات والارض ، وجاء في فضلها مع أخواتها ما أخرجه الإمام أحمد . وأبو داود . والترمذي وحسنه . والنسائي . وابن مردويه . والبيهقي في شعب الإيمان عن عرابض بن سارية « أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ، وقال : إن فيهن آية أفضل من ألف آية » وأخرج ابن الضريس نحوه عن يحيى بن أبي كثير ثم قال : قال يحيى : نراها الآية التي في آخر الحشر .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ التسبيح على المشهور تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولا وعملا عما لا يليق بجناحه سبحانه من سبح في الارض والماء إذا ذهب وأبعد فيهما ، وحيث أسند ههنا إلى غير العقلاء أيضاً فان ما في السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقراً فيهما أو جزءاً منهما بل المراد بما فيهما الموجودات فيكون أظهر في تناول السموات والارض ويتناول أيضاً الموجودات المجردة عند القائل بها ، قال الجمهور : المراد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ، ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من أفراد الموجودات يدل بإمكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص ، وذهب بعض إلى أن التسبيح على حقيقته المعروفة في الجميع وهو مبنى على ثبوت النفوس الناطقة والادراك لسائر الحيوانات والجمادات على ما يليق بكل ، وقد صرح به جمع من الصوفية فتسبيح كل شئ عندهم قالى وإن تفاوت الامر ، وقيل : معنى سبح حمل رائيهِ العاقل على قول سبحانه الله تعالى ونبيه عليه وهو كما ترى ، ومن يجوز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه معاً لا يحتاج إلى

عموم المجاز ، وجوز الطبرسي كون (ما) للعالم فقط مثلها في قول أهل الحجاز كما حكى أبو زيد عند سماع الرعد - سبحان (ما) سبحته - ولا يخفى أن عمومها العالم وغيره أولى ، والظاهر أنها في الوجهين موصولة ، وقال بعضهم : إنها نكرة موصوفة وأن أصل الكلام ما في السموات وما في الأرض ثم حذفت (ما) الثانية وأقيمت صفتها مقامها ، ولا يحسن أن تكون موصولة لأن الصلة لا تقوم مقام الموصول عند البصريين وتقوم الصفة مقام الموصوف عند الجميع ، والحمل على المتفق عليه أولى من الحمل على المختلف فيه وكون المذكورة موصولة والمحدوفة نكرة موصوفة مما لا وجه له انتهى *

وأنت تعلم أن حذف الموصول الصريح في مثل ذلك أكثر من أن يحصى وجيء باللام مع أن التسييح متعدد بنفسه كما في قوله تعالى : (وتسبحوه) للتأكيده فهي مزيدة لذلك كما في نصحت له وشكرت له ، وقيل : للتعليل والفعل منزل منزلة اللازم أي فعل التسييح وأوقعه لأجل الله تعالى وخالصاً لوجهه سبحانه ، وفيه شيء لا يخفى ، وعبر بالماضي هنا وفي بعض الأخوات وبالمضارع في البعض الآخر إيداناً بتحقيق التسييح في جميع الأوقات ، وفي كل دلالة على أن من شأن ما أسند إليه التسييح أن يسبحه وذلك هجيراً وديدنه ، أما دلالة المضارع عليه فللدلالة على الاستمرار إلى زمان الأخبار وكذلك فيما يأتي من الزمان لعموم المعنى المقتضى للتسييح وصلاح اللفظ لذلك حيث جرد عن الدلالة على الزمان وأثر على الاسم دلالة على تجدد تسييح غيب تسييح ، وأما دلالة الماضي فالتجرد عن الزمان أيضاً مع التحقيق الذي هو مقتضاه فيشمل الماضي من الزمان ومستقبله كذلك ، وقيل : الإيدان والدلالة على الاستمرار مستفادان من مجموعي الماضي والمضارع حيث دل الماضي على الاستمرار إلى زمان الأخبار والمضارع على الاستمرار في الحال والاستقبال فشملاً معاً جميع الأزمنة ، وقال الطيبي : افتتحت بعض السور بلفظ المصدر وبعض بالماضي وبعض بالمضارع وبعض بالامر فاستوعب جميع جهات هذه الكلمة إعلماً بأن المكونات مزلة لإخراجها من العدم إلى الوجود إلى الأبد مسبحة مقدسة لذاته سبحانه وتعالى قولاً وفعلاً طوعاً وكرهاً (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) (وَهُوَ الْعَزِيزُ) القادر الغالب الذي لا ينازعه ولا يمانعه شيء (الْحَكِيمُ ١) الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصاحبة ، والجملة اعتراض تذييلي مقرر لضمون ما قبله مشعر بعلّة الحكم ، وكذا قوله تعالى : (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الإيجاد والاعدام وسائر التصرفات ، وقوله سبحانه : (يُحْيِي وَيُمِيتُ) أي يفعل الأحياء والإماتة استئناف مبين لبعض أحكام الملك وإذا جعل خبر مبتدأ محذوف أي هو يحيي ويميت كانت تلك الجملة كذلك وجعله حالاً من ضمير له يوهم تقييد اختصاص الملك بهذه الحال ، وقوله تعالى :

(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢) من الأشياء التي من جملتها ما ذكر من الأحياء والإماتة (قَدِيرٌ ٢) مبالغ في القدرة تذييل وتكميل لما قبله (هُوَ الْأَوَّلُ) السابق على جميع الموجودات فهو سبحانه موجود قبل كل شيء حتى الزمان لأنه جل وعلا الموجد والمحدث للموجودات (وَالْآخِرُ) الباقي بعد فنائها حقيقة أو نظراً إلى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيةا فان جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر عن علتها فهي فانية * ومن هنا قال ابن سينا : الممكن في حده ذاته ليس وهو عن علته أيس فلا ينافي هذا كون بعض

الموجودات الممكنة لا تفنى كالجنة والنار ومن فيهما كما هو مقرر مبين بالآيات والاحاديث لأن فناءها في حد ذاتها أمر لا ينفك عنها ، وقد يقال : فناء كل ممكن بالفعل ليس بمشاهد ، والذي يدل عليه الدليل إنما هو إمكانه فالبعدية في مثله بحسب التصور والتقدير ، وقيل : هو الأول الذي تبتدىء منه الأسباب إذ هو سبحانه مسببها (والآخر) الذي تنتهى اليه المسببات فالاولية ذاتية والآخرية بمعنى أنه تعالى اليه المرجع والمصير بقطع النظر عن البقاء الثابت بالأدلة ، وقيل : الأول خارجاً لأنه تعالى أوجد الأشياء فهو سبحانه متقدم عليها في نفس الأمر الخارجى والآخر ذهنياً وبحسب التعلق لأنه عز شأنه يستدل عليه بالموجودات الدالة على الصانع القديم كما قيل : ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله تعالى بعده ، وقال حجة الاسلام الغزالي : إن الأول يكون أولاً بالاضافة إلى شئ ، والآخر يكون آخراً بالاضافة إلى شئ ، وهما متناقضان فلا يتصور أن يكون الشئ الواحد من وجه واحد بالاضافة إلى شئ واحد أولاً وآخر جميعاً بل إذا نظرت إلى ترتيب الوجود ولا حظت سلسلة الموجودات المترتبة فالتعالى بالاضافة إليها أول إذ كلها استفادت الوجود منه سبحانه وأما هو عز وجل فهو وجود بذاته وما استفاد الوجود من غيره سبحانه وتعالى عن ذلك ، ومهما نظرت إلى ترتيب السلوك ولا حظت منازل السالكين فهو تعالى آخر إذ هو آخر ما ترتقى اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته تعالى فهي مراقبة إلى معرفته جل وعلا ، والمنزل الأقصى هو معرفة الله جل جلاله فهو سبحانه بالاضافة إلى السلوك آخر وبالاضافة إلى الوجود أول فمنه عز شأنه المبدأ أولاً واليه سبحانه والمرجع والمصير آخر انتهى *

والظاهر أن كونه تعالى أولاً وآخر بالانسبة إلى الموجودات أولى ولعل ما ذكره أوفق بمشرب القوم .

﴿ وَالظَّاهِرُ ﴾ أى بوجوده لأن كل الموجودات بظهوره تعالى ظاهر ﴿ وَالْبَاطِنُ ﴾ بكنهه سبحانه فلا تحوم حوله العقول ، وقال حجة الاسلام : هذان الوصفان من المضافات فلا يكون الشئ ظاهراً لشيء وباطناً له من وجه واحد بل يكون ظاهراً من وجه بالاضافة إلى إدراك وباطناً من وجه آخر فان الظهور والباطن إنما يكون بالاضافة إلى الادراكات والله تعالى باطن إن طلب من إدراك الحواس وخزانة الخيال ظاهر إن طلب من خزانة العقل بالاستدلال والريب من شدة الظهور وكل ما جاوز الحد انعكس إلى الضد ، وإلى تفسير الباطن بغير المدرك بالحواس ذهب الزمخشري ، ثم قال : إن الواو الاولى لعطف المفرد على المفرد فتفيد أنه تعالى الجامع بين الصفتين الاولى والآخرية والآخرية أيضاً كذلك فتفيد أنه تعالى الجامع بين الظهور والخفاء ، وأما الوسطى فلعطف المركب على المركب فتفيد أنه جل وعلا الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الآخرين فهو تعالى المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية وهو تعالى في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالأدلة والخفاء فلا يدرك بالحواس ، وفي هذا حجة على من جوز إدراكه سبحانه في الآخرة بالحاسة أى وذلك لأنه تعالى ما من وقت يصح اتصافه بالاولية والآخرية إلا ويصح اتصافه بالظاهرة والباطنية معاً ، فاذا جوز إدراكه سبحانه بالحاسة في الآخرة فقد نفي كونه سبحانه باطناً وهو خلاف ما تدل عليه الآية ، وأجاب عن ذلك صاحب الكشف فقال : إن تفسير الباطن بأنه غير مدرك بالحواس تفسير بحسب التشبهى فان بطونه تعالى عن إدراك العقول كبطونه عن إدراك الحواس لأن حقيقة الذات غير مدركة لاعتقلا ولا حساً باتفاق بين المحققين من الطائفتين ، والزمخشري ممن سلم فهو الظاهر بوجوده والباطن بكنهه وهو سبحانه الجامع بين الوصفين أزلاً

وأبدأ ، وهذا لا ينافي الرؤية لأنها لا تفيد ذلك عند مثبتها انتهى ، وهو حسن فلا تغفل *

وعليه فالتذليل بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ لئلا يتوهم أن بطونه تعالى عن الأشياء يستلزم بطونها عنه عز وجل كافي الشاهد ، وقال الأزهري : قد يكون الظاهر والباطن بمعنى العالم لما ظهر وبطن ؛ وذلك أن من كان ظاهراً احتجب عنه الباطن ومن كان باطناً احتجب عنه الظاهر فان أردت أن تصفه بالعلم قلت هو ظاهر باطن مثله قوله تعالى : (لاشرقية ولا غربية) أي لاشرقية فقط ولا غربية فقط ولكنها شرقية غربية ، وفي التذييل المذكور حينئذ خفاء ، وقريب منه من وجه مانقل أن الظاهر بمعنى العالي على كل شيء الغالب له من قولهم ظهر عليهم إذا علاهم وغلبهم ، والباطن الذي بطن كل شيء أي علم باطنه ، وتعقب بفوات المطابقة بين الظاهر والباطن عليه وأن بطنه بمعنى علم باطنه غير ثابت في اللغة ، لكن قيل: في الآثار ما ينصر تفسير الظاهر بما فسر *

أخرج مسلم . والترمذي . وابن أبي شيبه . والبيهقي عن أبي هريرة قال: « جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تسأله خادماً فقال لها: قولي اللهم رب السموات السبع ورب العرش الكريم العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل والفرقان فالتق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر » وقال الطيبي : المعنى بالظاهر في التفسير النبوي الغالب الذي يغلب ولا يغلب فيتصرف في المكونات على سبيل الغلبة والاستيلاء إذ ليس فوقه أحد يمنعه ، وبالباطن من لا ملجأ ولا منجى دونه يلتجئ اليه ملتجئ ، وبمبحث فيه بجواز أن يكون المراد أنت الظاهر فليس فوقك شيء في الظهور أي أنت أظهر من كل شيء إذ ظهور كل شيء بك وأنت الباطن فليس دونك في البطون شيء أي أنت أبطن من كل شيء إذ كل شيء يعلم حقيقته غيره وهو أنت وأنت لا يعلم حقيقته غيرك ، أولاً لأن كل شيء يمكن معرفة حقيقته وأنت لا يمكن أصلاً معرفة حقيقته ، وأيضاً في دلالة الباطن على ما قال: خفاء جداً على أنه لو كان الامر كما ذكر ما عدل عنه أجلة العلماء فان الخبر صحيح ، وقد جاء نحوه من رواية الامام أحمد . وأبي داود . وابن ماجه ، ويبعد عدم وقوف أولئك الأجلة عليه ، وأبعد من ذلك أن يكون ما ذكره عليه السلام من أسمائه تعالى غير ما في الآية ، ويحتمل أنه عليه الصلاة والسلام أراد بقوله: « فليس دونك شيء » ليس أقرب منك شيء ، ويؤيده ما أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات عن مقاتل قال : بلغنا في قوله تعالى : (هو الأول) الخ هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر فوق كل شيء والباطن أقرب من كل شيء ، وإنما يعنى القرب بعلبه وقدرته وهو فوق عرشه والذي يترجح عندي ما ذكر أولاً ، وعن بعض المتصوفة أهل وحدة الوجود أن المراد بقوله سبحانه : (هو الأول) الخ أنه لا موجود غيره تعالى إذ كل ما يتصور موجوداً فهو إما أول أو آخر أو ظاهر أو باطن فاذا كان الله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن لا غيره كان كل ما يتصور موجوداً هو سبحانه لا غيره ، وأيدوه بما في حديث مرفوع أخرجه الإمام أحمد . وعبد بن حميد . والترمذي . وابن المنذر . وجماعة عن أبي هريرة « والذي نفسي بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله » قال أبو هريرة ، ثم قرأ النبي ﷺ (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) *

وحال القول بوحدة الوجود مشهور وأما الخبر فمن المتشابه ، وقد قال فيه الترمذي : فسر أهل العلم

الحديث فقالوا : أى لهبط على علم الله تعالى وقدرته وسلطانه ، ويؤيد هذا ذكر التذليل وعدم اقتصاره عليه الصلاة والسلام على ما قبله ، وهذه الآية ينبغي لمن وجد في نفسه وسوسة فيما يتعلق بالله تعالى أن يقرأها ، فقد أخرج أبو داود عن أبي زميل أن ابن عباس قال له وقد أعلمه أن عنده وسوسة في ذلك : « إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل هو الاول » الآية *

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن عمر . وأبي سعيد رضى الله تعالى عنهم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لا يزال الناس يسألون عن كل شيء حتى يقولوا هذا الله كان قبل كل شيء فماذا كان قبل الله فان قالوا لكم ذلك فقولوا هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » *

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ بيان لبعض أحكام ملكها وقد مر تفسيره مراراً ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ مربيانه في سور سبا ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ تمثيل لاحاطة عليه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما كانوا ، وقيل : المعية مجاز مرسل عن العلم بعلاقة السببية والقرينة السباق واللاحق مع استحالة الحقيقة ، وقد أول السلف هذه الآية بذلك ، أخرج البيهقي في الاسماء والصفات عن ابن عباس أنه قال فيها : عالم بكم أينما كنتم * وأخرج أيضا عن سفيان الثوري أنه سئل عنها فقال : علمه معكم ، وفي البحر أنه اجتمعت الامة على هذا التأويل فيها وأنها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات وهي حجة على منع التأويل في غيرها مما يجرى مجراها في استحالة الحمل على الظاهر ، وقد تأول هذه الآية . وتأول الحجر الاسوديين الله في الارض ، ولو اتسع عقله لتأول غير ذلك مما هو في معناه انتهى *

وأنت تعلم أن الاسلام ترك التأويل فانه قول على الله تعالى من غير علم ولا تأويل إلا ما أوله السلف وتبعهم فيما كانوا عليه فان أولوا أولنا وإن فوضوا فوضنا ولا نأخذ تأويلهم لشيء سلباً لتأويل غيره ، وقد رأيت بعض الزنادقة الخارجيين من رتبة الاسلام يضحكون من هذه الآية مع قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ويسخرون من القرآن الكريم لذلك وهو جهل فظيع وكفر شنيع نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق *

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ عبارة عن إحاطته بأعمالهم وتأخير صفة العلم الذي هو من صفات الذات عن الخلق الذي هو من صفات الافعال مع أن صفات الذات متقدمة على صفات الافعال لما أن المراد الإشارة إلى ما يدور عليه الجزء من العلم التابع للمعلوم ، وقيل : إن الخلق دليل العلم إذ يستدل بخلقه تعالى وإيجاده سبحانه لمصنوعاته المتقنة على أنه عز وجل عالم ومن شأن المدلول التأخر عن الدليل لتوقفه عليه ، وقوله تعالى :

﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله سبحانه المشعر بالاعادة :

﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ أى إليه تعالى وحده لا إلى غيره سبحانه استقلالاً أو اشتراكاً ترجع جميع الأمور أعراضها وجواهرها ، وقرأ الحسن . وابن أبي اسحق . والاعرج (ترجع) مبنياً للفاعل من رجوع رجوعاً ، وعلى البناء للمفعول كما في قراءة الجمهور هو من رجوع رجوعاً ﴿ يُوجِلُّ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِلُّ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ مر تفسيره مراراً ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ ﴾ أى مبالغ في العلم ﴿ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أى بمكنوناتها

اللازمة لها بيان لإحاطة عليه تعالى بما يضمنونه من نياتهم بعد بيان إحاطته بأعمالهم التي يظهرونها ، وجوز أن يراد (بذات الصدور) نفسها وحقيقتها على أن الإحاطة بما فيها تعلم بالاولى .

﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ أي جعلكم سبجانه خلفاء عنه عز وجل في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة ، عبر جل شأنه عما بأيديهم من الاموال بذلك تحقيقاً للحق وترغيباً في الانفاق فان من علم أنها لله تعالى وإنما هو بمنزلة الوكيل يصرفها إلى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق ، أو جعلكم خلفاء عن كان قبلكم فيما كان بأيديهم فانتقل لكم ، وفيه أيضاً ترغيب في الانفاق وتسهيل له لأن من علم أنه لم يبق لمن قبله وانتقل إليه علم أنه لا يدوم له وينتقل لغيره فيسهل عليه إخراجه ويرغب في كسب الأجر بإنفاقه ويكفيك قول الناس فيما ملكته لقد كان هذامرة لفلان ، وفي الحديث « يقول ابن آدم : مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت » والمعنى الاول هو المناسب لقوله تعالى : (له ملك السموات والارض) وعليه ما حكى أنه قيل لأعرابي : لمن هذه الابل ؟ فقال : هي لله تعالى عندي ، ويميل إليه قول القائل :

وما المال والأهلون (إلا ودائع) ولا بد يوماً أن ترد الودائع

والآية على ما روى عن الضحاك نزلت في تبوك فلا تغفل ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا ﴾ حسبما أمروا به ﴿ لَهُمْ ﴾ بسبب ذلك ﴿ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٨ ﴾ وعد فيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة إسمية وكان الظاهر أن تكون فعلية في جواب الأمر بأن يقال مثلاً آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا أعطوا أجراً كبيراً ، وأعيد ذكر الايمان والانفاق دون أن يقال فمن يفعل ذلك فله أجر كبير وعدل عن فللذين آمنوا منكم وأنفقوا أجر إلى ما في النظم الكريم ونظم الأجر بالتنكير ، ووصف بالكبير ، وقوله عز وجل : ﴿ وَمَالَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ استئناف قيل : مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما أمروا به بإنكار أن يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على أن لا تؤمنون حال من ضمير لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار أي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب وهو مضمون الجملة الحالية أغنى عدم الايمان فأى لانكار سبب الواقع ونفيه فقط ، ونظيره قوله تعالى : (مالكم لا ترجون الله وقاراً) وقد يتوجه الإنكار والنفي في مثل هذا التركيب لسبب الوقوع فيسريان إلى المسبب أيضاً كما في قوله تعالى : (ومالي لأعبد) الخ ولا يمكن إجراء ذلك هنا لتحقيق عدم الايمان وهذا المعنى مما لا غبار عليه ، وقوله تعالى : ﴿ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ﴾ حال من ضمير (لا تؤمنون) مفيدة على ما قيل : لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبها ، ولا م (لتؤمنوا) صلة - يدعو - وهو يتعدى بها ويألى أي وأي عذر في ترك الايمان (والرسول يدعوكم) اليه وينبهم عليه ، وجوز أن تكون اللام تعليلية وقوله سبحانه : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ ﴾ حال من فاعل يدعوكم أو من مفعوله أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالايمان من قبل كما يشعر به تخالف الفعلين مضارعاً وماضياً ، وجوز كونه حالاً معطوفاً على الحال قبلها فالجملة حال بعد حال من ضمير (تؤمنون) والتخالف بالإسمية والفعلية يبعد ذلك في الجملة ، وأياً ما كان فآخذ الميثاق إشارة إلى ما كان منه تعالى من نصب الأدلة الآفاقية والانفسية

(٢٢٢ - ج ٢٧ - تفسير روح المعاني)

والتمكن من النظر فقوله تعالى: (والرسول يدعوكم) إشارة إلى الدليل السمعي وهذا إشارة إلى الدليل العقلي وفي التقديم والتأخير ما يؤيد القول بشرف السمعي على العقلي *

وقال البغوي: هو ما كان حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم بأنه سبحانه ربهم فشهدوا - وعليه لا مجاز - والاول اختيار الزمخشري، وتعقبه ابن المنير فقال: لا عليه أن يحمل العهد على حقيقته وهو المأخوذ يوم الذر وكل ما أجازته العقل وورد به الشرع وجب الايمان به، وروى ذلك عن مجاهد. وعطاء. والسكبي. ومقاتل، وضعفه الامام بأن المراد إلزام المخاطبين الايمان ونفى أن يكون لهم عذر في تركه وهم لا يعلمون هذا العهد إلا من جهة الرسول فقبل التصديق بالرسول لا يكون سبباً لالزامهم الايمان به، وقال الطيبي: يمكن أن يقال. إن الضمير في (أخذ) إن كان لله تعالى فالمناسب أن يراد بالميثاق ما دل عليه قوله تعالى: (قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي) الخ لأن المعنى (فإما يأتينكم مني هدى) برسول أبعثه اليكم وكتاب أنزله عليكم، ويدل على الأول قوله سبحانه: (والرسول يدعوكم لتؤمنوا) وعلى الثاني (هو الذي ينزل على عبده آيات) الخ، وإن كان للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فالظاهر أن يراد به ما في قوله تعالى: (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) على أن يضاف الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الموثق لا الموثق عليه أي الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم، وهو الوجه لأن الخطاب مع الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما يدل عليه ما بعد، ولعل الميثاق نحو ما روينا عن الامام أحمد عن عبادة بن الصامت بايعنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل. وعلى النفقة في العسر واليسر. وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعلى أن نقول في الله تعالى ولا نخاف لومة لائم انتهى *

ويضعف الأول بنحو ما ضعف به الامام حمل العهد على ما كان يوم الذر، وضعف الثاني أظهر من أن ينبه عليه *

والخطاب قال صاحب الكشف: عام يوجب من لم يؤمن منهم بعدم الايمان ثم من آمن بعدم الانفاق في سبيله *

وكلام أبي حيان ظاهر في أنه للمؤمنين، وجعل آمنوا أمراً بالثبات على الايمان ودوامه (وما لكم لا تؤمنون) الخ على معنى كيف لا تثبتون على الايمان ودواعي ذلك موجودة *

وظاهر كلام بعضهم كونه للكفرة وهو الذي أشرنا اليه من قبل، ولعل ما ذكره صاحب الكشف أولى إلا أنه قيل عليه: إن آمنوا إذا كان خطاباً للمتصفين بالايمان ولغير المتصفين به يلزم استعمال الامر في طلب أصل الفعل نظراً لغير المتصفين وفي طلب الثبات نظراً للمتصفين وفيه ما فيه، ويحتاج في التفصي عن ذلك إلى إرادة معنى عام للامرين، وقد يقال أراد أنه عمد إلى جماعة مختلفين في الاحوال فأمروا بأوامر شتى وخو طبوا بخطابات متعددة فتوجه كل أمر وكل خطاب إلى من يليق به وهذا كما يقول الوالي لأهل بلده: أذنوا وصلوا ودرسوا وأنفقوا على الفقراء وأوفوا السكيل والميزان إلى غير ذلك فان كل أمر ينصرف إلى من يليق به منهم فتأمل، وقرئ (وما لكم لا تؤمنون) بالله ورسوله، وقرأ أبو عمرو (وقد أخذ ميثاقكم) بالبناء للمفعول ورفع (ميثاقكم) ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ﴾ شرط جوابه محذوف دل عليه ما قبل، والمعنى إن كنتم مؤمنين لموجب ما فهذا موجب لا موجب وراه، وجوز أن يكون المراد إن كنتم ممن يؤمن فما لكم لا تؤمنون والحالة هذه، وقال الواحدى: أى إن كنتم مؤمنين بدليل عقلي أو نقلي فقد بان وظهر لكم على يدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بيعته وإنزال القرآن عليه؛ وأياً ما كان فلا تناقض بين هذا وقوله تعالى: (وما لكم لا تؤمنون) وقال الطبري

في ذلك: المراد إن كنتم مؤمنين في حال من الأحوال فآمنوا الآن؛ وقيل: المراد إن كنتم مؤمنين بموسى وعيسى عليهما السلام فآمنوا بمحمد صل الله تعالى عليه وسلم فإن شريعتهما تقتضي الايمان به عليه الصلاة والسلام أو إن كنتم مؤمنين بالميثاق المأخوذ عليكم في عالم الذرف آمنوا الآن، وقيل المراد إن دمتم على الايمان فأنتم في رتب شريفة وأقدار رفيعة، والسكل كما ترى *

وظاهر الأخير أن الخطاب مع المؤمنين وهو الذي اختاره الطيبي، وقال في هذا الشرط: يمكن أن يجري على التعليل كما في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين) لان الكلام مع المؤمنين على سبيل التوبيخ والتقريع يدل عليه ما بعد ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾ حسب ما يعن لكم من المصالح ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات، والظاهر أن المراد بها آيات القرآن، وقيل: المعجزات ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ أي الله تعالى إذ هو سبحانه المخبر عنه، أو العبد لقرب الذكر والمراد ليخرجكم بها ﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الايمان، وقرئ في السبعة ينزل مضارعا فبعض ثقل وبعض خفف.

وقرأ الحسن بالوجهين، وقرأ زيد بن علي. والاعمش أنزل ماضياً ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ مبالغ في الرأفة والرحمة حيث أزال عنكم موانع سعادة الدارين وهذا كما إليها على أتم وجه، وقرئ في السبعة (لرؤوف) بواوين، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا﴾ توبيخ على ترك الانفاق إما للمؤمنين الغير المنفقين أولاً وللكالموبخين أولاً على ترك الايمان، وبخهم سبحانه على ذلك بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار أن يكون لهم في ذلك أيضاً عذر من الأعذار، و(أن) مصدرية لازائدة كما قيل، واقتضاه كلام الاخفش والكلام على تقدير حرف الجر، فالمصدر المؤول في محل نصب أو جر على القولين وحذف مفعول الانفاق للعلم به مما تقدم وقوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لتشديد التوبيخ، والمراد به كل خير يقربهم اليه تعالى على سبيل الاستعارة التصريحية أي أي شئ لكم في أن لا تنفقوا فيها وقربة إلى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وإنما أنتم خلفاؤه سبحانه في صرفه إلى ما عينه عز وجل من المصارف، أو ما انتقل اليكم من غيركم وسينتقل منكم إلى الغير *

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي يرث كل شئ فيهما ولا يبقى لأحد مال على أن ميراثهما مجاز أو كناية عن ميراث ما فيهما لأن أخذ الظرف يلزمه أخذ المظروف *

وجوز أن يراديرثهما وما فيهما، واختير الأول أنه يكفي لتوبيخهم إذ لا علاقة لأخذ السموات والارض هنا، والجملة حال من فاعل لا تنفقوا أو مفعوله مؤكدة للتوبيخ فإن ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق أشد في القبح وأدخل في الانكار فإن بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الأموال بالآخرة لله عز وجل من غير أن يبقى لأحد من أصحابها شئ أقوى في إيجاب الانفاق عليهم من بيان أنها لله تعالى في الحقيقة، أو أنها انتقلت اليهم من غيرهم كأنه قيل: وما لكم في ترك إنفاقها في سبيل الله تعالى، والحال أنه لا يبقى لكم ولا لغيركم منها شئ بل تبقى كلها لله عز وجل، وإظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتريه المهابة، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم في الانفاق بعد بيان أن لهم أجراً كبيراً على الاطلاق حثاً لهم على تحري الأفضل،

وعطف القتال على الانفاق للايدان بأنه من أهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من أفضل العبادات وأنه لا يخلو من الانفاق أصلاً وقسيم (من أنفق) محذوف أى لا يستوى ذلك وغيره ، وحذف لظهوره ودلالة ما بعد عليه ، والفتح فتح مكة على ما روى عن قتادة . وزيد بن أسلم . ومجاهد - وهو المشهور - فتعريفه للعهد أو للجنس ادعاء ، وقال الشعبي : هو فتح الحديبية وقد موجه تسميته فتحاً في سورة الفتح ، وفي بعض الآثار ما يدل عليه • أخرج ابن جرير . وابن أبي حاتم . وابن مردويه . وأبو نعيم في الدلائل من طريق زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد الخدري قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الحديبية حتى إذا كان بعسفان قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : يوشك أن يأتي قوم يحتقرون أعمالكم مع أعمالهم قلنا : من هم يا رسول الله أقريش ؟ قال : لا ولكن هم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً ، فقلنا : أهم خير منا يا رسول الله ؟ قال : لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ألا إن هذا فصل ما بيننا وبين الناس (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) الآية •

وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما (قبل) بغير (من) ﴿ أُولَئِكَ ﴾ إشارة إلى من أنفق ، والجمع بالنظر إلى معنى (من) كما أن أفراد الضميرين السابقين بالنظر إلى لفظها ، ووضع اسم الإشارة البعيد موضع الضمير للتعظيم والاشعار بأن مدار الحكم هو إنفاقهم قبل الفتح وقتالهم ، وحله الرفع على الابتداء ، والخبر قوله تعالى : ﴿ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾ أى أولئك المنعوتون بدينك النعتين الجليلين أرفع منزلة وأجل قدراً •

﴿ مَنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مَن بَعْدُ ﴾ بعد الفتح ﴿ وَقَتَلُوا ﴾ وذهب بعضهم إلى أن فاعل (لا يستوى) ضمير يعود على الانفاق أى لا يستوى هو أى الانفاق أى جنسه إذ منه ما هو قبل الفتح ومنه ما هو بعده ، و (من أنفق) مبتدأ ، وجملة (أولئك أعظم) خبره وفيه تفكيك الكلام وخروج عن الظاهر لغر موجب فالوجه ما تقدم ، ويعلم منه التزاما التفاوت بين الانفاق قبل الفتح والانفاق بعده ، وإنما كان أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا بعد لأنهم إنما فعلوا ما فعلوا عند كمال الحاجة إلى النصرة بالنفس والمال لقلة المسلمين وكثرة أعدائهم وعدم ما ترغب فيه النفوس طبعاً من كثرة الغنائم فكان ذلك أنفع وأشد على النفس وفاعله أقوى يقيناً بما عند الله تعالى وأعظم رغبة فيه ، ولا كذلك الذين أنفقوا بعد ﴿ وَكُلًّا ﴾ أى كل واحد من الفريقين لا الأولين فقط ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى ﴾ أى المثوبة الحسنى وهى الجنة على ما روى عن مجاهد و قتادة ، وقيل : أعم من ذلك والنصر والغنيمة فى الدنيا ، وقرأ ابن عامر . وعبد الوارث - وكل - بالرفع ، والظاهر أنه مبتدأ والجملة بعده خبر وللعايد محذوف أى وعده كما فى قوله :

وخالد (يحمد) ساداتنا بالحق لا يحمد بالباطل

يريد يحمده والجملة عطف على أولئك أعظم درجة وبينهما من التطابق ما ليس على قراءة الجمهور ، ومنع البصريون حذف العائد من خبر المبتدأ ، وقالوا : لا يجوز إلا فى الشعر بخلاف حذفه من جملة الصفة وهم محجوجون بهذه القراءة ، وقول بعضهم : فيها إن كل خبر مبتدأ تقديره ، وأولئك كل ، وجملة (وعد الله) صفة - كل - تأويل ركيك ، وفيه زيادة حذف ، على أن بعض النحاة منع وصف - كل - بالجملة لانه معرفة بتقدير وكلهم ، وقال الشهاب : الصحيح ما ذهب اليه ابن مالك من أن عدم جواز حذف العائد من جملة الخبر

في غير - كل - وما ضاهاها في الافتقار والعموم فانه في ذلك مطرد لكن ادعى فيه الاجماع وهو محل نزاع .
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ٩﴾ عالم بظاهره وباطنه ويجازيكم على حسبه فالكلام وعد ووعد، وفي الآيات من الدلالة على فضل السابقين المهاجرين والانصار ما لا يخفى ، والمراد بهم المؤمنون المنفقون المقاتلون قبل فتح مكة أو قبل الحديبية بناءً على الخلاف السابق ، والآية على ما ذكره الواحدى عن الكلبي نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أى بسببه ، وأنت تعلم أن خصوص السبب لا يدل على تخصيص الحكم ، فلذلك قال: (أولئك) ليشمل غيره رضى الله تعالى عنه ممن اتصف بذلك ، نعم هو أكمل الأفراد فانه أنفق قبل الفتح وقبل الهجرة جميع ماله وبذل نفسه معه عليه الصلاة والسلام ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «ليس أحد آمن على بصحبته من أبى بكر» وذلك يكفى لنزولها فيه ، وفي الكشف إن أولئك هم السابقون الأولون من المهاجرين والانصار الذين قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» قال الطيبي: الحديث من رواية البخارى . ومسلم . وأبى داود . والترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال: «قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا تسبوا أصحابى فلو أن أحداً أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» ، وتعقبه في الكشف بأنه على هذا لا يختص بالسابقين الأولين كما أشار في الكشف إليه وهو مبنى على أن الخطاب فى لا تسبوا ليس للحاضرين ولالوجودين فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم بل لكل من يصلح للخطاب كما فى قوله تعالى: (ولو ترى إذ وقفوا) الآية وإلا فقد قيل: إن الخطاب يقتضى الحضور والوجود ولا بد من مغايرة المخاطبين بالنهى عن سبهم فهم السابقون الكاملون فى الصحبة .
وأقول شاع الاستدلال بهذا الحديث على فضل الصحابة مطلقاً بناءً على ما قالوا: إن إضافة الجمع تفيد الاستغراق وعليه صاحب الكشف ، واستشكل أمر الخطاب ، وأجيب عنه بما سمعت وبأنه على حد خطاب الله تعالى الأزلى لكن فى بعض الأخبار ما يؤيد أن المخاطبين بعض من الصحابة والممدوحين بعض آخر منهم فتكون الإضافة للعهد أو بحمل الأصحاب على الكاملين فى الصحبة *

أخرج أحمد عن أنس قال: «كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن ابن عوف: تستطيعون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: دعوا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد - أو مثل الجبال - ذهباً ما بلغت أعمالهم» ثم فى هذا الحديث تأييد ما يكون أولئك هم الذين أنفقوا قبل الحديبية لأن إسلامه رضى الله تعالى عنه كان بين الحديبية وفتح مكة كما فى التقريب وغيره ، والزحشرى فسر الفتح بفتح مكة فلا تغفل ، قال الجلال المحلى: كون الخطاب فى «لا تسبوا» للصحابة السابقين ، وقال: نزلهم صلى الله تعالى عليه وسلم بسبهم الذى لا يليق بهم منزلة غيرهم حيث علل بما ذكره وهو وجه حسن فتدبر ؛ وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ندب بليغ من الله تعالى إلى الانفاق فى سبيله مؤكداً للامر السابق به وللتوبيخ على تركه فالاستفهام ليس على حقيقته بل للحث ، والقرض الحسن الانفاق بالاخلاص وتحري أكرم المال وأفضل الجهات ، وذكر بعضهم أن القرض الحسن ما يجمع عشر صفات . أن يكون من الحلال فان الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً . وأن يكون من أكرم ما يملكه المرء . وأن يكون والمرء صحيح شحيح يأمل العيش ويخشى الفقر . وأن يضعه فى الأحوج الأولي : وأن يكتم ذلك . وأن لا يتبعه بالمتن

والاذى. وأن يقصد به وجه الله تعالى. وأن يستحق ما يعطى وإن كثر. وأن يكون من أحب أموره إليه. وأن يتوخى في إيصاله للفقير ما هو أسر لديه من الوجوه كحمله إلى بيته. ولا يخفى أنه يمكن الزيادة والنقص فيما ذكر *
وأيتما كان فالكلام إما على التجوز في الفعل فيكون استعارة تبعية تصريرية أو التجوز في مجموع الجملة فيكون استعارة تمثيلية وهو الأبلغ أى من ذا الذى ينفق ماله في سبيل الله تعالى مخلصاً متحرراً أكرمه وأفضل الجهات رجاء أن يعوضه سبحانه بدله من يقرضه ﴿فِيضَاعَفَهُ لَهُ﴾ فيعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً أضعافاً كثيرة من فضله *

﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ١١﴾ أى وذلك الأجر المضموم إليه الإضعاف كريم مرضى في نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون ، ففيه إشارة إلى أن الأجر كما أنه زائد في الكم بالغ في الكيف فالجملة حالية لا عطف على (فيضاعفه) ، وجوز العطف والمغايرة ثابتة بين الضعف والأجر نفسه فإن الإضعاف من محض الفضل والمثل فضل هو أجر ، ونصب فيضاعفه على جواب الاستفهام بحسب المعنى كأنه قيل : أيقرض الله تعالى أحد فيضاعفه له فإن المستول عنه بحسب اللفظ وإن كان هو الفاعل لكنه في المعنى هو الفعل إذ ليس المراد أن الفعل قد وقع السؤال عن تعيين فاعله كقولك : من جاءك اليوم ؟ إذا علمت أنه جاءه لم تعرفه بعينه وإنما أورد على هذا الأسلوب للمبالغة في الطلب حتى كأن الفعل لكثرة دواعيه قد وقع وإنما يسأل عن فاعله ليجازى ولم يعتبر الظاهر لانه يشترط بلا خلاف في النصب بعد الفاء أن لا يتضمن ما قبل وقوع الفعل نحو لم ضربت زيداً فيجازيك فانه حينئذ لا يتضمن سبق مصدر مستقبل وعلى هذا يؤل كل ما فيه نصب وما قبل متضمن للوقوع ، وقرأ غير واحد (فيضاعفه) بالرفع على القياس نظر الظاهر المتضمن للوقوع وهو إما عطف على يقرض أو على (فهو يضاعفه) وقرئ فيضعفه بالرفع والنصب ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ظرف لما تعلق به له أوله أو لقوله تعالى : (فيضاعفه) أو منصوب بإضمار اذكر تفخيماً لذلك اليوم ، والرؤية بصرية والخطاب لكل من تتأتى منه أو لسيد المخاطبين صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقوله عز وجل : ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُمْ﴾ حال من مفعول ترى والمراد بالنور حقيقته على ما ظهر من شمس الأخبار - وإليه ذهب الجمهور - والمعنى يسعى نورهم إذا سعوا *

﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ أخرج ابن أبي شيبة . وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم . والحاكم وصححه . وابن مردويه عن ابن مسعود أنه قال . «يؤتون نورهم على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه يطفأ مرة ويقد أخرى» وظاهره أن هذا النور يكون عند المرور على الصراط ، وقال بعضهم : يكون قبل ذلك ويستمر معهم إذا مروا على الصراط ، وفي الأخبار ما يقتضيه كما ستسمعه قريباً إن شاء الله تعالى ، والمراد أنه يكون لهم في جهتين جهة الإمام . واليمين وخصاً لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم ، وفي البحر الظاهر أن النور قسمان : نور بين أيديهم يضيء الجهة التي يؤمنونها . ونور بأيمنهم يضيء ما حوالهم من الجهات ، وقال الجمهور : إن النور أصله بأيمنهم والذي بين أيديهم هو الضوء المنبسط من ذلك ، وقيل : الباء بمعنى عن أي وعن أيمنهم والمعنى في جميع جهاتهم ، وذكر الأيمان لشرفها انتهى ، ويشهد لهذا المعنى

ما أخرج ابن أبي حاتم . والحاكم وصححه . وابن مردويه عن عبد الرحمن بن جبير بن نصير أنه سمع أبا ذر . وأبا الدرداء قالا : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة وأول من يؤذن له في رفع رأسه فأرفع رأسي فأنظر بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمتي بين الأمم فقيل : يا رسول الله وكيف تعرفهم من بين الأمم ما بين نوح عليه السلام إلى أمتك ؟ قال : غر محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد غيرهم وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيامهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم الذي يسعني بين أيديهم وعن أيامهم وعن شمائلهم » وظاهر هذا الخبر اختصاص النور بمؤمني هذه الأمة وكذا إتياء الكتب بالإيمان وبعض الأخبار يقتضي كونه لكل مؤمن ، أخرج ابن أبي حاتم عن أبي أمامة قال : « تبعث ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله تعالى بالنور للمؤمنين بقدر أعمالهم » الخبر ، وأخرج عنه الحاكم وصححه . وابن أبي حاتم من وجه آخر . وابن المبارك . والبيهقي في الاسماء والصفات خبراً طويلاً فيه أيضاً ما هو ظاهر في العموم ، وكذا ما أخرج ابن جرير . والبيهقي في البعث عن ابن عباس قال : بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله تعالى نوراً فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلاً لهم من الله عز وجل إلى الجنة ، ولا ينافي هذا الخبر كونهم يمرون بنورهم على الصراط كما لا يخفى ، وكذا إتياء الكتب بالإيمان ، ففي هداية المرید لجوهرة التوحيد ظاهر الآيات والاحاديث عدم اختصاصه يعني أخذ الصحف بهذه الأمة وإن تردد فيه بعض العلماء انتهى *

ويمكن أن يقال: إن ما يكون من النور لهذه الأمة أجلى من النور الذي يكون لغيرها أو هو ممتاز بنوع آخر من الامتياز ، وأما إتياء الكتب بالإيمان فعلة لكثرة فيها بالنسبة إلى سائر الأمم تعرف به ، وفي هذا المطلب أبحاث آخر تذكر إن شاء الله تعالى في محلها ، وقيل : أريد بالنور القرآن ، وقال الضحاك : النور استعارة عن الهدى والرضوان الذي هم فيه ، وقرأ سهل بن شعيب السهمي . وأبو حيو (وبأيامهم) بكسر الهمزة ، وخارج ذلك أبو حيان على أن الظرف يعني بين أيديهم متعلق بمحذوف والعطف عليه بذلك الاعتبار أي كائناً بين أيديهم وكائناً بسبب إيمانهم وهو كما ترى ، ولعله متعلق بالقول المقدر في قوله تعالى :

﴿ بشركم اليوم جنت ﴾ أي وبسبب إيمانهم يقال لهم ذلك ، وجملة القول ، إمام معطوفة على ما قبل أو استئناف أو حال ويجوز على الحالية تقدير الوصف منه أي مقولاً لهم ، والقائل الملائكة الذين يتلقونهم *

والمراد بالبشرى ما يبشر به دون التبشير والكلام على حذف مضاف أي ما تبشرون به دخول جنات يصح بدونه أي ما تبشرون به جنات ، ويصح بدونه أي ما تبشرون به جنات ، وما قيل : البشارة لا تكون بالأعيان فيه نظر ، وتقدير المضاف لا يغني عن تأويل البشرى لأن التبشير ليس عين الدخول ، وجملة قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

في موضع الصفة لجنات ، وقوله سبحانه : ﴿ خَلْدِينَ فِيهَا ﴾ حال من جنات ، قال أبو حيان : وفي الكلام التفات من ضمير الخطاب في (بشركم) إلى ضمير الغائب في (خالدين) ولو أجرى على الخطاب لكان التركيب خالداً أتم فيها :

﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٢ ﴾ يحتمل أن يكون من كلامه تعالى فالإشارة إلى ما ذكر من النور والبشرى بالجنات ، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة عليهم السلام المتلقين لهم ، فالإشارة إلى ما هم فيه من النور وغيره أو إلى الجنات بتأويل ما ذكر أو لكونها فوزاً على ما قيل ، وقرئ ذلك الفوز بدوين (هو) *

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ بدل من (يوم ترى) ، وجوز أن يكون معمولاً لا ذكره .
وقال ابن عطية : يظهر لي أن العامل فيه ذلك هو الفوز العظيم ، ويكون معنى الفوز عليه أعظم كأنه قيل : إن
المؤمنين يفوزون يوم يعترى المنافقين والمنافقات كذا وكذا لأن ظهور المرء يوم خمول عدوه مضادة أبداع
وأفخم ، وتعقبه في البحر بأن ظاهر تقريره أن يوم منصوب بالفوز وهو لا يجوز لأنه مصدر قد وصف قبل أخذ
متعلقاته فلا يجوز إعماله ولو أعمل وصفه وهو العظيم لجاز - أي الفوز الذي عظم - أي قدره يوم انتهى ، وفي عدم
جواز إعمال مثل هذا المصدر في مثل هذا الم معمول خلاف ، ثم إن تعلق هذا الظرف بشئ من تلك الجملة خلاف
الظاهر ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظُرُونَا﴾ أي انتظرونا ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به .
وقيل : فيأخذوا شيئاً منه يكون معهم تخيلوا تأتي ذلك فقالوه ، وأصل الاقتباس طلب القبس أي الجذوة
من النار ، وجوز أن يكون المعنى انظروا إلينا نقتبس الخ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين
أيديهم فيستضيئون به فانظرونا على الحذف والايصال لأن النظر بمعنى مجرد الرؤية يتعدى إلى ما يريد التأمل
تعدى بفي لكن حمل الآية على ذلك خلاف الظاهر ؛ وقولهم : للمؤمنين ذلك لأنهم في ظلمة لا يذرون كيف
يمشون فيها ، وروى أنه يكون ذلك على الصراط * .

وفي الآثار دلالة على أنهم يكون لهم نور فيطفاً فيقولون ذلك ، أخرج الطبراني . وابن مردويه عن ابن عباس
قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترأ منه على عباده وأما عند الصراط
فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً فإذا استواء على الصراط أطفأ الله نور المنافقين والمنافقات
فقال المنافقون : انظرونا نقتبس من نوركم ، وقال المؤمنون : أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً * .
وفي حديث آخر مرفوع عنه أيضاً إن نور المنافق يطفأ قبل أن يأتي الصراط ، وأخرج عبد بن حميد .
وابن المنذر عن أبي فاختة يجمع الله تعالى الخلائق يوم القيامة ويرسل الله سبحانه على الناس ظلمة فيستغيثون
رهبهم فيؤتى الله تعالى كل مؤمن منهم نوراً ويؤتى المنافقين نوراً فينطلقون جميعاً متوجهين إلى الجنة معهم نورهم
فبينما هم كذلك إذ أطفأ الله تعالى نور المنافقين فيترددون في الظلمة ويسبقهم المؤمنون بنورهم بين أيديهم
فيقولون : انظرونا نقتبس من نوركم الخبر ، والأخبار في إتياء المنافق نوراً ثم إطفائه كثيرة وليس في الآية ما ياباه * .
وقرأ زيد بن علي . وابن وثاب . والأعمش . وطلحة . وحمزة (أنظرونا) بقطع الهمزة وفتحها وكسر
الظاء من النظرة وهي الامهال يقال أنظر المديون أي أمهله ، وضع (انظرونا) بمعنى المهلة وإنظار الدائن المديون
موضع اتئاد الرفيق ومشيه الهوينا ليلحقه رفيقه على سبيل الاستعارة بعد سبق تشبيه الحالة بالحالة مبالغة في العجز
وإظهار الافتقار ، وقيل : هو من أنظر أي أخر ، والمراد جعلونا في آخركم ولا تسبقونا بحيث تفوتونا ولا نلحق بكم * .
وقال المهدي : (أنظرونا . وانظرونا) بمعنى وهما من الانتظار تقول العرب : أنظرته بكذا وانتظرته بمعنى واحد والمعنى
امهلونا ﴿ قِيلَ ﴾ القائلون على ما روى عن ابن عباس المؤمنون ، وعلى ما روى عن مقاتل الملائكة عليهم السلام * .
﴿ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ﴾ قال ابن عباس : أي من حيث جئتم من الظلمة أو إلى المكان الذي قسم فيه النور على
ماصح عن أبي أمامة ﴿ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ هناك ، قال مقاتل : هذا من الاستهزاء بهم كما استهزءوا بالمؤمنين

في الدنيا حين قالوا آمنا وليسوا بمؤمنين، وذلك قوله تعالى: (الله يستهزئ بهم) أي حين يقال لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، وقال أبو أمامة: يرجعون حين يقال لهم ذلك إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور وهي خدعة الله تعالى التي خدع بها المنافقين حيث قال سبحانه: (يخادعون الله وهو خادعهم)، وقيل: المراد ارجعوا إلى الدنيا والتمسوا نوراً أي بتحصيل سببه وهو الايمان أو تنحوا عنا والتمسوا نوراً غير هذا فلا سبيل لكم إلى الاقتباس منه، والغرض التهميم والاستهزاء أيضاً. وقيل: أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم وهو خلاف الظاهر، وأياً ما كان فالظاهر أن وراءكم معمول لارجعوا *

وقيل: لا محل له من الاعراب لأنه بمعنى ارجعوا فـكانه قيل: ارجعوا ارجعوا كقولهم (وراءك) أوسع لك أي ارجع تجد مكاناً أوسع لك ﴿فُضِرْبَ يَدْنَهُمْ﴾ أي بين الفريقين، وقرأ زيد بن علي. وعبيد بن عمير (فضرب) مبنياً للفاعل أي فضرب هو أي الله عز وجل ﴿بسور﴾ أي بحاجز، قال ابن زيد: هو الاعراف، وقال غير واحد: حاجز غيره والباء مزيدة ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ﴾ أي الباب الذي روى عن مقاتل أو السور وهو الجانب الذي يلي مكان المؤمنين أعنى الجنة ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ الثواب والنعيم الذي لا يكتنه ﴿وَضَاهِرُهُ﴾ الجانب الذي يلي مكان المنافقين أعنى النار ﴿مِنْ قِبَلِهِ﴾ أي من جهته ﴿الْعَذَابُ ١٣﴾ وهذا السور قيل: يكون في تلك النشأة وتبدل هذا العالم واختلاف أوضاعه في موضع الجدار الشرقي من مسجد بيت المقدس.

أخرج عبد بن حميد عن أبي سنان قال: كنت مع علي بن عبد الله بن عباس عند وادي جهنم يعني المكان المعروف عند بيت المقدس فحدث عن أبيه أنه قال: وقد تلا قوله تعالى: (فضرب بينهم بسور) هذا موضع السور عند وادي جهنم، وأخرج هو. وابن جرير. وابن المنذر. والحاكم وصححه وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن السور الذي ذكره الله تعالى في القرآن (فضرب بينهم بسور) هو سور بيت المقدس الشرقي (باطنه فيه الرحمة) المسجد (وظاهره من قبله العذاب) يعني وادي جهنم وما يليه *

وأخرج عن عبادة بن الصامت أنه كان على سور بيت المقدس الشرقي فبكى فقيلاً: ما يبكيك؟ فقال: ههنا أخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه رأى جهنم ولا يخفى أن هذا ونظائره أمور مبنية على اختلاف العالمين وتغاير النشأتين على وجه لا تصل العقول إلى إدراك كلفيته والوقوف على تفاصيله، فإن صح الخبر لم يسعنا إلا الايمان لعدم خروج الامر عن دائرة الامكان، وأبو حيان حكى عن سمعت. وعن كعب الاحبار أنه الجدار الشرقي من مسجد بيت المقدس واستبعده ثم قال: ولعله لا يصح عنهم ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل: فإذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب؟ فقيلاً: ينادى المنافقون والمنافقات المؤمنين والمؤمنات ﴿أَلَمْ نَكُنْ﴾ في الدنيا ﴿مَعَكُمْ﴾ يريدون به موافقتهم لهم في الظاهر ﴿قَالُوا بَلَى﴾ كتم معناها تقولون ﴿وَلَكِنَّكُمْ قَتَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ محتتموها بالفساد وأهلكتموها ﴿وَتَرَبَّصْتُ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَأَرَبَّيْتُ﴾ وشككتكم في أمور الدين ﴿وَعَرَّيْتُكُمْ الْأَمَانُ﴾ الفارغة التي من جملتها الطمع في اتسكاس الاسلام،

وقال ابن عباس : (فنتم أنفسكم) بالشهوات واللذات (وتربصتم) بالتوبة (وارتبتم) قال محبوب الليثي : شككتكم في الله (وغرتمكم الاماني) طول الآمال ، وقال أبو سنان : قلتم سيغفر لنا ﴿ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ أي الموت ﴿ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ الشيطان قال لكم : إن الله عفو كريم لا يعذبكم *

وعن قتادة كانوا على خدعة من الشيطان والله مازالوا عليها حتى قذفهم الله تعالى في النار .
وقرأ سماك بن حرب الغرور بالضم ، قال ابن جني : وهو كقوله : وغركم بالله تعالى الاغترار ، وتقديره على حذف المضاف أي وغركم بالله تعالى سلامة الاغترار (١) ومعناه سلامتكم منه اغتراركم .

﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ ﴾ أيها المنافقون ﴿ فِدْيَةٌ ﴾ فداء وهو ما يبذل لحفظ النفس عن النائية والناصب ليوم الفعل المنفي بلا ، وفيه حجة على من منع ذلك ، وقرأ أبو جعفر . والحسن . وابن أبي إسحق . والاعرج . وابن عامر . وهرون عن أبي عمرو لا تؤخذ بالتاء الفوقية ﴿ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي ظاهراً وباطناً فيغاير المخاطبين المنافقين ، ثم الظاهر إن المراد بالفدية ما هو من جنس المال ونحوه ، وجوز أن يراد بها ما يعم الإيمان والتوبة فتدل الآية على أنه لا يقبل إيمانهم وتوبتهم يوم القيامة وفيه بعد ، وفي الحديث إن الله تعالى يقول للكافر : أرايتك لو كان لك أضعاف الدنيا كنت تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار ، فيقول : نعم يا رب فيقول الله تبارك وتعالى : فديت لك ما هو أيسر من ذلك وأنت في ظهر أيك آدم أن لا تشرك بي فأيت إلا الشرك ﴿ مَا وَكُمُ النَّارُ ﴾ محل أويكم ﴿ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾ أي ناصركم من باب - تحية بينهم ضرب وجيع - والمراد نفي الناصر على البتات بعد نفي أخذ الفدية وخلاصهم بها عن العذاب ، ونحوه قولهم : أصيب بكذا فاستنصر الجزع ، ومنه قوله تعالى : (يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) وقال الكلبي . والزجاج . والفراء . وأبو عبيدة : أي أولى بكم كما في قول لييد يصف بقرة وحشية نفرت من صوت الصائد :

فعدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى الخافة خلفها وأمامها

أي فعدت كلا جانبيها الخلف والامام تحسب أنه أولى بأن يكون فيه الخوف ، قال الزمخشري : وحقيقة مولاكم هي على هذا محراكم ومقمنكم أي المكان الذي يقال فيه هو أولى بكم كما قيل : هو مثنة للكرم أي مكان لقول القائل : إنه لكرم فأولى نوع من اسم المكان لوحظ فيه معنى أولى إلا أنه مشتق منه كما أن المثنة ليست مشتقة من إن التحقيقية ، وفي التفسير الكبير إن قولهم ذلك بيان لحاصل المعنى وليس بتفسير اللفظ لأنه لو كان مولى وأولى بمعنى واحد في اللغة لصح استعمال كل منهما في مكان الآخر وكان يجب أن يصح هذا أولى فلان كما يقال : هذا مولى فلان ولما بطل ذلك علمنا أن الذي قالوه معنى وليس بتفسير ، ثم صرح بأنه أراد بذلك رد استدلال الشريف المرتضى بحديث الغدير من كنت مولاه فعليّ مولاه على إمامة الامير كرم الله تعالى وجهه حيث قال : أحد معاني المولى الاولى *

وحمله في الخبر عليه متعين لأن إرادة غيره يجعل الاخبار عبثاً كما إرادة الناصر والصاحب وابن العم ، أو يجعله كذبا كالمعتق والمعتق ولا يخفى على المنصف أنه إن أراد بكونه معنى لا تفسير ما أشار اليه الزمخشري من التحقيق

فهو لا يرد الاستدلال إذ يكفي للمرئى أن يقول : المولى في الخبر بمعنى المكان الذى يقال فيه أولى إذ يلزم على غيره العبث أو الكذب وإن أراد أن ذلك معنى لازم لما هو تفسير له كأن يكون تفسيره القائم بمصالحكم ونحوه مما يكون ذلك لازماً له ففي رده الاستدلال يضارر ، وإن أراد شيئاً آخر فنحن لا ندري ما هو - وهو لم يبينه - والحق أنه ولو جعل المولى بمعنى الأولى أو المكان الذى يقال فيه الأولى لا يتم الاستدلال بالخبر على الإمامة التى تدعيها الإمامية للامير كرم الله تعالى وجهه لما بين في موضعه ، وفي التحفة الاثنى عشرية ما فيه كفاية لطالب الحق .

وقال ابن عباس أى مصيركم وتحقيقه على ما قال الامام : إن المولى بمعنى موضع الولى وهو القرب والمعنى هى موضعكم الذى تقربون منه وتصلون اليه ، وأنت تعلم أن الاخبار بذلك بعد الاخبار بأنها مأوهم ليس فيه كثير جدوى على أن وضع اسم المكان للموضع الذى يتصف صاحبه بالمأخذ حال كونه فيه والقرب من النار وصف لأولئك قبل الدخول فيها ولا يحسن وصفهم به بعد الدخول ولو اعتبر مجاز الكون كما لا يخفى ، وجوز بعضهم اعتبار كونه اسم مكان من الولى بمعنى القرب لكن على أن المعنى هى مكان قربكم من الله سبحانه ورضوانه على التهم بهم ؛ وقيل : أى متوليكم أى المتصرف فيكم كتصرفكم فيما أوجبها واقتضاها في الدنيا من المعاصى والتصرف استعارة للاحراق والتعذيب ، وقيل : مشاكلة تقديرية ﴿ وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ١٥ ﴾ أى النار وهى المخصوص بالذم المحذوف لدلالة السياق ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ استئناف لعتاب المؤمنين على الفتور والتكاسل فيما ندبوا اليه والمعاتب على ما قاله الزجاج طائفة من المؤمنين وإلا فمنهم من لم يزل خاشعاً منذ أسلم إلى أن ذهب إلى ربه ، وما نقل عن الكلبي . ومقاتل أن الآية نزلت في المنافقين فهم المراد بالذين آمنوا بما لا يكاد يصح ، وقد سمعت صدر السورة الكريمة ماروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه .

وأخرج ابن المبارك . وعبدالرزاق . وابن المنذر عن الاعمش قال : لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعد ما كان لهم من الجهد فكانهم فترتوا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا فنزلت (ألم يأن) الآية .

وأخرج ابن أبي حاتم . وابن مردويه عن ابن عباس قال : إن الله تعالى استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال سبحانه : (ألم يأن) الآية ، وفي خبر ابن مردويه عن أنس بعد سبع عشرة سنة من نزول القرآن .

وأخرج عن عائشة قالت : خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على نفر من أصحابه في المسجد وهم يضحكون فسحب رداءه محمراً وجهه فقال : أتضحكون ولم يأتكم أمان من ربكم بأنه قد غفر لكم وقد نزل على في ضحككم آية (ألم يأن للذين) الخ ؟ قالوا : يا رسول الله فما كفارة ذلك ؟ قال : تبكون بقدر ما ضحكتم ، وفي خبر أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام قد ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت ، وحديث مسلم ومن معه السابق مقدم على هذه الآثار على ما يقتضيه كلام أهل الحديث ، و (يأن) مضارع أنى الأمر أنياً وأناأ وإباءاً بالكسر إذا جاء أناه أى وقته ، أى ألم يجئ وقت أن تخشع قلوبهم لذكره عز وجل .

وقرأ الحسن . وأبو السمال - ألما - بالهمزة ، ولما النافية الجازمة كلم إلا أن فيه أن المنفى متوقع .

وقرأ الحسن يثن مضارع آن أينا بمعنى أنى السابق، وقال أبو العباس : قال قوم : إن يثن أينا الهمزة مقلوبة فيه عن الحاء وأصله حان يحين حيناً وأصل الكلمة من الحين ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ أي القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به أيضاً فالعطف لتغاير العنوانين نحو * هو الملك القرم وابن الهمام * فانه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل من السماء وإلا بأن كان المراد به تذكير الله تعالى إياهم فالعطف لتغاير الذاتين على ما هو الشائع في العطف وكذا إذا أريد به ذكرهم الله تعالى بالمعنى المعروف ، وجوز العطف على الاسم الجليل إذا أريد بالذكر التذكير وهو كما ترى ، وقال الطيبي : يمكن أن يحمل الذكر على القرآن وما نزل من الحق على نزول السكينة معه أي الواردات الإلهية ويعضده ماروينا عن البخاري . ومسلم . والترمذي عن البراء كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطين فغشيته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر

منها فلما أصبح أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر له ذلك فقال : تلك السكينة تنزل للقرآن * وفي رواية اقرأ فلان فانها السكينة تنزل عند القرآن أو للقرآن انتهى ، ولا يخفى بعد ذلك جداً ولعلك تختار حمل الذكروما نزل على القرءان لما يحس بما بعد من نوع تأييد له ، وفسر الخشوع للقرآن بالانقياد التام لاوامره ونواهيهِ والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام من غير توان ولا فتور ، والظاهر أنه اعتبر كون اللام صلة الخشوع ، وجوز كونها للتعليل على أوجه الذكر فالمعنى ألم يأن لهم أن ترق قلوبهم لاجل ذكر الله تعالى وكتابه الحق النازل فيسارعوا إلى الطاعة على أكمل وجوهها ، وفي الآية حض على الخشوع ، وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كما أخرج عنه ابن المنذر إذا تلاها بكى ثم قال : بلى يارب بلى يارب ، وعن الحسن أما والله لقد استبطأهم وهم يقرءون من القرآن أقل مما تقرءون فانظروا في طول ما قرأتم وما ظهر فيكم من الفسق ، وروى السلي عن أحمد بن أبي الخوارى قال بينا أنا في بعض طرقات البصرة إذ سمعت صعقة فأقبلت نحوها فرأيت رجلاً قد خر مغشياً عليه فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : كان رجلاً حاضر القلب فسمع آية من كتاب الله فخر مغشياً عليه فقلت : ما هي ؟ فقلت : قوله تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) فافاق الرجل عند سماع كلامنا فأنشأ يقول :

أما آن للهجران أن يتصرما وللغصن غصن البان أن يتبسما
وللعاشق الصب الذي ذاب وانحنى ألم يأن أن يبكي عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحي كتاباً حكى نقش الوشى المنمنما

ثم قال : إشكال إشكال إشكال فخر مغشياً عليه فخر كناه فاذا هو ميت ، وعن أبي بكر رضي الله تعالى عنه إن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاءً شديداً فنظر إليهم فقال : هكذا كنا حتى قست القلوب ، ولعله أراد رضي الله تعالى عنه أن الطراز الأول كان كذلك حتى قست قلوب كثير من الناس ولم يتأسوا بالسابقين وغرضه مدح أولئك القوم بما كان هو ونظراؤه عليه رضي الله تعالى عنهم ، ويحتمل أن يكون قد أراد ما هو الظاهر ، والكلام من باب هضم النفس كقوله رضي الله تعالى عنه : أقبلوني فلست بخيركم ، وقال شيخ الاسلام أبو حفص السهروردي قدس سره : معناه تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما تستغربه حتى تتغير كما تغير هؤلاء السامعون انتهى وهو خلاف الظاهر ، وفيه نوع انتقاص للقوم ورمز إلى أن البكاء عند سماع القرآن لا يكون من كامل كما يزعمه بعض جهلة الصوفية القائلين : إن ذلك لا يكون إلا للضعف القلب عن تحمل الواردات الإلهية النورانية ويحل عن ذلك كلام الصديق رضي الله تعالى عنه ، وقرأ غير واحد

من السبعة (وما نزل) بالتشديد، والجحدري . وأبو جعفر . والأعمش . وأبو عمرو في رواية يونس . وعباس عنه (نزل) مبنياً للفعول مشدداً ، وعبد الله - أنزل - بهمزة النقل مبنياً للفاعل .

﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (لا) نافية وما بعدها منصوب معطوف على تخشع . وجوز أن تكون ناهية وما بعدها مجزوم بها ويكون ذلك انتقالاً إلى نهى أولئك المؤمنين عن مماثلة أهل الكتاب بعد أن عوتبوا بما سمعت وعلى النفي هو في المعنى نهى أيضاً ، وقرأ أبو بحرية . وأبو حيوة . وابن أبي عبة . وإسماعيل عن أبي جعفر ، وعن شيبة . ويعقوب . وحمة في رواية عن سليم عنه (ولا تكونوا) بالتاء الفوقية على سبيل الالتفات للاعتناء بالتحذير ، وفي (لا) ما تقدم ، والنهي مع الخطاب أظهر منه مع الغيبة . ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ﴾ أي الأجل بطول أعمارهم وآمالهم ، أو طال أمد ما بينهم وبين أنبيائهم عليهم السلام وبعد العهد بهم ، وقيل : أمد انتظار القيامة والجزاء ، وقيل : أمد انتظار الفتح ، وفرقوا بين الأمد والزمان بأن الأمد يقال باعتبار الغاية والزمان عام في المبدأ والغاية ، وقرأ ابن كثير في رواية الأمد بتشديد الدال أي الوقت الأطول ﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ صلبت فهي كالحجارة ، أو أشد قسوة ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ١٦ ﴾ خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية ، قيل : من فرط القسوة وذكر أنه مأخوذ من كون الجملة حال ، وفيه خفاء والأظهر أنه من السياق ، والمراد بالكتاب الجنس فالموصول يعم اليهود والنصارى وكانوا كلهم في أوائل أمرهم يحول الحق بينهم وبين كثير من شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة وزالت عنهم الروعة التي كانت يجدونها عند سماع الكتابين وأحدثوا ما أحدثوا واتبعوا الأهواء وتفرقت بهم السبل ، والقسوة مبدأ الشرور وتنشأ من طول الغفلة عن الله تعالى ، وعن عيسى عليه السلام لا تدثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فتقسو قلوبكم فان القلب القاسي بعيد من الله عز وجل ولا تنظروا إلى ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عباد والناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا على العافية ومن أحس بقسوة في قلبه فليهرع إلى ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه يرجع إليه حاله كما أشار إليه قوله عز وجل : ﴿ اذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ فهو تمثيل ذكر استطراداً لأحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بإحياء الأرض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ﴾ التي من جملتها هذه الآيات ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٧ ﴾ كي تعقلوا مافيهما وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين .

﴿ إِنَّ الْمُسْدِقِينَ وَالْمُسْدِقَاتِ ﴾ أي المتصدقين والمتصدقات ، وقد قرأ أبي كذلك ، وقرأ ابن كثير . وأبو بكر . والمفضل . وأبان . وأبو عمرو في رواية هرون بتخفيف الصاد من التصديق لا من الصدقة كما في قراءة الجمهور أي الذين صدقوا واللاتي صدقن الله عز وجل ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، والقراءة الأولى أنسب بقوله تعالى : ﴿ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ وقيل : الثانية أرجح لأن الإقراض يغني عن ذكر التصديق ، وأنت ستعلم إن شاء الله تعالى فائدته ، وعطف (أقرضوا) على معنى الفعل من المصدقين على ما اختاره أبو علي . والزحشرى لأن ال بمعنى الذين ، واسم الفاعل بمعنى الفعل فكأنه قيل : إن الذين اصدقوا أو صدقوا على القراءةتين (وأقرضوا)

وتعقبه أبو حيان وغيره بأن فيه الفصل بين أجزاء الصلة إذ المعطوف على الصلة صلة بأجنبي وهو المصدقات، وذلك لا يجوز، وقال صاحب التقریب: هو محمول على المعنى كأنه قيل: إن الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى بلا فصل، وتعقب بأنه لا محصل له إلا إذا قيل: إن الـ الثانية زائدة لثلاث يعطف على صورة جزء الكلمة، وفيه بعد، ولا يخفى أن حديث اعتبار المعنى يدفع ما ذكر، ومن هنا قيل: إنه قريب ولا يبعد تنزيل ما تقدم عن أبي على، والزخشرى عليه، وقيل: العطف على صلة أل في المصدقات واختلاف الضمائر تأنيثاً وتذكيراً لا يضر لأن أل تصلح للجميع فيراد بها معنى اللاتي عند عود ضمير جمع الإناث عليها ومعنى الذين عند عود ضمير جمع الذكور عليها وهو كما ترى، ومثله ما قيل: هو من باب كل رجل وضعته أى إن المصدقين مقرنون مع المصدقات في الثواب والمنزلة، أو يقدر خبر أى - إن المصدقين والمصدقات يفاجون - (وأقرضوا) في الوجهين ليس عطفاً على الصلة بل مستأنف ويضاعف بعد صفة قرضاً أو استئناف ومن أنصف لم ير ذلك مما ينبغي أن يخرج عليه كلام أدنى الفصحاء فضلاً عن كلام رب العالمين، واختار أبو حيان تخريج ذلك على حذف الموصول لدلالة ما قبله عليه كأنه قيل: والذين أقرضوا فيكون مثل قوله: فمن يهجر رسول الله منكم (ويمدحه وينصره) سواء

وهو مقبول على رأى الكوفيين دون رأى البصريين فانهم لا يجوزون حذف الموصول في مثله، وبعض أئمة المحققين بعد أن استقرب توجيه التقریب ولم يستبعد تنزيل ما سمعت عن الزخشرى. وأبى على عليه قال: وأقرب منه أن يقال: (إن المصدقات) منصوب على التخصيص لأنه قيل: (إن المتصدقين) عاماً على التغليب وأخص المتصدقات منهم كما تقول: إن الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا * ووجه التخصيص ما ورد في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: « يامعشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار » يحضرن على الصدقة بأنهن إذا فعلن ذلك كان له تعالى أقبل وجزاؤه عنه سبحانه أوفر وأفضل، ثم قال: ولما لم يكن الاقراض غير ذلك التصديق قيل: وأقرضوا أى بذلك التصديق تحقيقاً لكينوته وأنهم مثل ذلك يمثلون عند الله تعالى بمن يعامل مع أجود الأجودين معاملة برضاه، ولو قيل: والمقرضين لفاتت هذه النكتة انتهى * ولا يخفى أن نصب المصدقات على التخصيص خلاف الظاهر، وأما ما ذكره في نكتة العدول عن المقرضين فحسن وهو متأد على تخريج أبى على. والزخشرى، وعلى تخريج أبى حيان، وقال الخفاجى: القول - أى قول أبى البقاء - بأن أقرضوا الخ معترض بين اسم إن وخبرها أظهر وأسهل، وكأن النكتة فيه تأكيد الحكم بالمضاعفة، وزعم أن الجملة حال بتقدير قد أو بدونها من ضميرى المصدقين والمصدقات لا يخفى معنى وعريية فتدبر ﴿ يَضَاعَفُ لَهُمْ ﴾ الضمير لجميع المتقدمين الذكور والإناث على التغليب كضمير أقرضوا، والجار والمجرور نائب الفاعل، وقيل: هو ضمير التصديق أو ضمير القرض على حذف مضاف أى يضاعف ثواب التصديق أو ثواب القرض لهم، وقرأ ابن كثير. وابن عامر - يضاعف - بتشديد العين، وقرئ يضاعف بالبناء للفاعل أى يضاعف الله عز وجل لهم ثواب ذلك ﴿ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ١٨ ﴾ قد مر الكلام فيه.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ قد بين كيفية إيمانهم في خاتمة سورة البقرة، والموصول مبتدأ أول، وقوله تعالى: ﴿ بُرِّئَ لَكُمْ ﴾ مبتدأ ثان، وهو إشارة إلى الموصول وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً، وقوله سبحانه:

((هُم)) مبتدأ ثالث ، وقوله عز وجل : ((الصَّدِّيقُونَ وَالشَّهَدَاءُ)) خبر الثالث ، والجملة خبر الثاني وهو مع خبره خبر الاول أو هم ضمير فصل وما بعده خبر الثاني ، وقوله تعالى : ((عِنْدَ رَبِّهِمْ)) متعلق على ما قيل : بالثبوت الذي تقتضيه الجملة أي أولئك عند ربهم عز وجل وفي حكمه وعلمه سبحانه هم الصديقون والشهداء والمراد أولئك في حكم الله تعالى بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا إلى التصديق ورسخوا فيه واستشهدوا في سبيل الله جل جلاله وسمى من قتل مجاهداً في سبيله تعالى شهيداً لان الله سبحانه وملائكته عليهم السلام شهود له بالجنة ، وقيل : لانه حتى لم يمت كأنه شاهد أي حاضر ، وقيل : لان ملائكة الرحمة تشهده ، وقيل : لانه شهد ما أعد الله تعالى له من الكرامة ، وقيل : غير ذلك فهو إما فاعيل بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول على اختلاف التأويل ، وقوله تعالى : ((لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ)) خبر ثان للموصول على أنه جملة من مبتدأ وخبر ، أو (لهم) الخبر وما بعده مرتفع به على الفاعلية وضمير (لهم) للموصول ، والضميران الاخيران للصديقين والشهداء ، والغرض بيان ثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال أي أولئك لهم مثل أجر الصديقين والشهداء ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال ، وقد حذف أداة التشبيه تنبيهاً على قوة المماثلة بلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك أولاً حيث قيل : أولئك هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الأجر والنور . وبين تمام ما للفريقين الآخرين بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للآخرين من الاصل بدون الإضعاف ، فالإضعاف هو الذي امتاز به الفريقان الاخيران على الفريق الاول وقد لا يعتبر تشبيه بليغ في الكلام أصلاً ويبقى على ظاهره والضمائر كلها للموصول أي أولئك هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع أخبار الله تعالى وأخبار رسله عليهم الصلاة والسلام والقائمون بالشهادة لله سبحانه بالوحدانية وسائر صفات الكمال ولهم بما يليق بهم من ذلك لهم الأجر والنور الموعودان لهم ، وقال بعضهم : وصفهم بالشهادة لكونهم شهداء على الناس كما نطق به قوله تعالى : (و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) فعند ربهم متعلق بالشهداء ، والمراد والشهداء على الناس يوم القيامة ، وجوز تعلقه بالشهداء أيضاً على الوجه الاول على معنى الذين شهدوا مزيد الكرامة بالقتل في سبيل الله تعالى يوم القيامة أو في حظيرة رحمته عز وجل أو نحو ذلك ، ويشهد لكون الشهداء معطوفاً على الصديقين آثار كثيرة .

أخرج ابن جرير عن البراء بن عازب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن مؤمني أمتي شهداء ، ثم تلا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) ، وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أنه قال يوماً لقوم عنده : كلكم صديق وشهيد قيل له : ما تقول يا أبا هريرة ؟ قال : اقرءوا (والذين آمنوا بالله ورسله) الآية ، وأخرج عبد الرزاق . وعبد بن حميد عن مجاهد قال : كل مؤمن صديق وشهيد ثم تلا الآية ، وأخرج عبد بن حميد نحوه عن عمرو بن ميمون ، وأخرج ابن حبان عن عمرو بن مرة الجهني قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقته فممن أنا ؟ قال : من الصديقين والشهداء » وينبغي أن يحمل الذين آمنوا على من لهم كمال في ذلك يعتد به ولا يتحقق إلا بفعل طاعات يعتد بها وإلا فيبعد أن يكون المؤمن المنهمك في الشهوات الغافل عن الطاعات صديقاً شهيداً ،

ويستأنس لذلك بما جاء من حديث عمر رضي الله تعالى عنه ما لكم إذا رأيتم الرجل يحرق أعراض الناس أن لا تعيوا عليه؟ قالوا : نخاف لسانه قال : ذلك أحرى أن لا تكونوا شهداء ، قال ابن الاثير : أى إذا لم تفعلوا ذلك لم تكونوا في جملة الشهداء الذين يستشهدون يوم القيامة على الامم التي كذبت أنبياءها ، وكذا بقوله عليه الصلاة والسلام : اللعانون لا يكونون شهداء بناءً على أحد قولين فيه . وفي بعض الاخبار ما ظاهره إرادة طائفة من خواص المؤمنين ، أخرج ابن مردويه عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « من فر بدينه من أرض إلى أرض مخافة الفتنة على نفسه ودينه كتب عند الله صديقاً فإذا مات قبضه الله شهيداً وتلاهذه الآية (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء) ثم قال : هذه فيهم ثم قال : والفرارون بدينهم من أرض إلى أرض يوم القيامة مع عيسى ابن مريم في درجته في الجنة » ويجوز أن يراد من قوله : « هذه فيهم » أنها صادقة عليهم وهم داخلون فيها دخولا أولاً ، ويقال : في قوله عليه الصلاة والسلام : « مع عيسى في درجته » المراد معه في مثل درجته وتوجه المماثلة بما مر والخبر إذا صح يؤيد الوجه الأول في الآية . وروى عن الضحاك أنها نزلت في ثمانية نفر سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الاسلام وهم أبو بكر . وعمر . وعثمان . وعلي . وحمزة . وطلحة . والزبير . وسعد . وزيد رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وهذا لا يضر في العموم كما لا يخفى ، وقيل : الشهداء مبتدأ و (عند ربهم) خبره ، وقيل : الخبر (لهم أجرهم) والكلام عليهما قد تم عند قوله تعالى : (الصديقون) ، وأخرج هذا ابن جرير عن ابن عباس . والضحاك قال : (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) هذه مفصلة سماهم صديقين ، ثم قال : والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم . وروى جماعة عن مسروق ما يوافقه ، واختلفوا في المراد بالشهداء على هذا فقيل : الشهداء في سبيل الله تعالى . وحكى ذلك عن مقاتل بن سليمان ، وقيل : الانبياء عليهم السلام الذين يشهدون للامم عليهم ، وحكى ذلك عن مسروق . ومقاتل بن حيان . واختاره الفراء . والزجاج ، وزعم أبو حيان أن الظاهر كون الشهداء مبتدأ وما بعده خبر ، ومن أنصف يعلم أنه ليس كما قال ، وأن الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم هو ما تقدم ، ثم النور على جميع الأوجه على حقيقته ، وعن مجاهد . وغيره أنه عبارة عن الهدى والكرامة والبشرى .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أى بجميعها على اختلاف أنواعها وهو إشارة إلى كفرهم بالرسول عليهم السلام جميعهم ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بتلك الصفة القبيحة ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ بحيث لا يفارقونها أبداً ﴿أَعْلَوْا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ بعدما بين حال الفريقين في الآخرة شرح حال الحياة التي اطمأن بها الفريق الثاني ، وأشير إلى أنها من محقرات الأمور التي لا يركن إليها العقلاء فضلاً عن الاطمئنان بها بأنها لعب لا ثمرة فيها سوى التعب (ولهو) تشغل الانسان عما يعنيه ويهمه (وزينة) لا يحصل منها شرف ذاتي كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة (وتفاخر) بالانساب والعظام البالية (وتكاثر) بالعدد والعدد ، وقرأ السلسي (وتفاخر بينكم) بالاضافة ، ثم أشير إلى أنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال بقوله سبحانه : ﴿كَثَلٌ غَيْثٌ﴾ مطر ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ أى راقهم ﴿نَبَاتُهُ﴾ أى النبات الحاصل به ، والمراد بالكفار إما الحراث على ما روى عن ابن مسعود لانهم يكفرون أى يسترون

البذر في الارض ووجه تخصيصهم بالذكور ظاهر ، وأما الكافرون بالله سبحانه ووجه تخصيصهم أنهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا فإن المؤمن إذا رأى معجباً انتقل فكره إلى قدرة موجدته عز وجل فأعجب بها ، ولذا قال أبو نواس في النرجس :

عيون من لجين شاخصات على أطرافها ذهب سبيك
على قضب الزبرجد شاهدات (بأن الله ليس له شريك)

والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق إعجاباً ﴿ ثُمَّ يَهِيْجُ ﴾ يتحرك إلى أقصى ما يتأتى له ، وقيل : أى يحف بعد خضرته ونضارته ﴿ فَتَرَهُ ﴾ يامن تصح منه الرؤية ﴿ مُصْفَرّاً ﴾ بعد ما رأيت ناضراً موقناً ، وقرىء مصفراً وإنما لم يقل فيصفر قيل : إيذاً بأن اصفراره غير مقارن لهيجانه وإنما المترتب عليه رؤيته كذلك ، وقيل : للإشارة إلى ظهور ذلك لكل أحد ﴿ ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَامًا ﴾ هشياً متكسراً من اليبس ، ومحل الكاف قيل : النصب على الحالية من الضمير في (لعب) لأنه في معنى الوصف ، وقيل : الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف إليه أى مثل الحياة كمثل الخ ، ولتضمن ذلك تشبيه جميع ما فيها من السنين الكثيرة بمدة نبات غيث واحد يفنى ويضمحل في أقل من سنة جاءت الإشارة إلى سرعة زوالها وقرب اضمحلالها ، وبعد ما بين حقارة أمر الدنيا تزهداً فيها وتنفيراً عن العكوف عليها أشير إلى نخامة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيباً في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيراً من عذابها الآليم ، وقدم سبحانه ذكر العذاب فقال جل وعلا :

﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ ﴾ لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا ﴿ وَمَغْفِرَةٌ عَظِيْمَةٌ ﴾ (من الله ورضوان) عظيم لا يقادر قدره ، وفي مقابلة العذاب الشديد بشيئين إشارة إلى غلبة الرحمة وأنه من باب « لن يغلب عسر يسرين » *

وفي ترك وصف العذاب بكونه من الله تعالى مع وصف ما بعده بذلك إشارة إلى غلبتها أيضاً ورمز إلى أن الخير هو المقصود بالقصد الأولى ﴿ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُوْرِ ۚ ﴾ لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة للآخرة ومطية لنعيمها ، روى عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور إن ألهتك عن طلب الآخرة ، فأما إذا دعيتك إلى طلب رضوان الله تعالى وطلب الآخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة ﴿ سَابِقُوْا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ ﴾ أى سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم في المضمار إلى أسباب مغفرة عظيمة كائنة ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ والكلام على الاستعارة أو المجاز المرسل واستعمال اللفظ في لازم معناه وإنما لزم ذلك لأن اللازم أن يبادر من يعمل ما يكون سبباً للمغفرة ودخول الجنة لا أن يعمل أو يتصف بذلك سابقاً على آخر ، وقيل : المراد سابقوا ملك الموت قبل أن يقطعكم بالموت عن الأعمال الموصلة لما ذكره ، وقيل : سابقوا إبليس قبل أن يصدكم بغرووه وخداعه عن ذلك وهو كما ترى . والمراد بتلك الأسباب الأعمال الصالحة على اختلاف أنواعها ، وعن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال في الآية : كن أول داخل المسجد وآخر خارج ، وقال عبد الله : كونوا في أول صف القتال ، وقال انس : اشهدوا تكبيرة الاحرام مع الامام وكل ذلك من باب التمثيل ، واستدل بهذا الأمر على أن الصلاة بأول وقتها أفضل من التأخير ﴿ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ أى كعرضها جميعاً لو الصق أحدهما بالآخر وإذا

(٢٤٢ - ج ٢٧ - تفسير روح المعاني)

كان العرض وهو أقصر الامتدادين موصوفاً بالسعة دل على سعة الطول بالطريق الاولى فالأقصر عليه أبلغ من ذكر الطول معه ، وقيل: المراد بالعرض البسطة ولذا وصف به الدعاء ونحوه مما ليس من ذوى الابعاد وتقدم قول آخر في تفسير نظير الآية من سورة آل عمران وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية .

﴿ أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ أى هيئت لهم ، واستدل بذلك على أن الجنة موجودة الآن لقوله تعالى (أعدت) بصيغة الماضي والتأويل خلاف الظاهر ، وقد صرح بخلافه في الأحاديث الصحيحة وتام الكلام في علم الكلام ، وعلى أن الايمان وحده كاف في استحقاق الجنة لذكره وحده فيما في حيز ما يشعر بعله الإعداد وإدخال العمل في الايمان المعتدى بالبلاء غير مسلم كذا قالوا ، ومتى أريد بالذين آمنوا المذكورين من لهم درجة في الايمان يعتد بها ، وقيل : بأنها لا تحصل بدون الأعمال الصالحة على ما سمعته منا قريباً انخدش الاستدلال الثاني في الجملة كما لا يخفى ، وذكر النيسابورى في وجه التعبير هنا - بسابقوا - وفي آية آل عمران - يسارعوا - وبالسما هنا ، وبالسماوات هناك - وبكعرض - هنا - وبعرض - بدون أداة تشبيه ثم كلاماً مبنيّاً على أن المراد بالمتقين هناك السابقون المقربون ، وبالذين آمنوا هنا من هم دون أولئك حالا فتأمل ﴿ ذَلِكَ ﴾ أى الذى وعده من المغفرة والجنة ﴿ فَضْلُ اللَّهِ ﴾ عطاؤه الغير الواجب عليه ﴿ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ إيتاءه ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ فلا يبعد منه عز وجل التفضل بذلك على من يشاء وإن عظم قدره ، فالجملة تذييل لإثبات ما ذيل بها .

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ﴾ أى نائبة أى نائبة وأصلها في الرمية وهى من أصاب السهم إذا وصل إلى المرمى بالصواب ثم خصت بها .

وزعم بعضهم أنها لغة عامة في الشر والخير وعرفاً خاصة بالشر ، و (من) مزيدة للتأكيد ، وأصاب ج في الشر كما هنا ، وفي الخير كقوله تعالى : (ولئن أصابكم فضل من الله) وذكر بعضهم أنه يستعمل في الخير اعتبار بالصوب أى بالمطر وفي الشر اعتباراً بإصابة السهم ، وكلاهما يرجعان إلى أصل وتذكير الفعل في مثل ذلك جائز كتأنيثه ، وعليه قوله تعالى : (ما سبق من أمة أجلها) والكلام على العموم لجميع الشرور أى مصيبة أى مصيبة ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ كجذب وعاهة في الزرع والثمار وزلزلة وغيرها ﴿ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ كمرض وآفة كالجر

والكسر ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ أى إلا مكتوبة مثبتة في اللوح المحفوظ ، وقيل : في علم الله عز وجل .

﴿ مَنْ قَبْلَ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ أى نخلقها ، والضمير على ما روى عن ابن عباس . وقتادة . والحسن . وجماعة للأفسر وقيل : للارض ، واستظهر أبو حيان كونه للمصيبة لأنها هي المحدث عنها ، وذكر الارض والآنفس إتماماً على سبيل ذكر محلها ، وذكر المهدوى جواز عوده على جميع ما ذكر ، وقال جماعة : يعود على المخلوقات وإلا لم يجر لها ذكر ، وقيل : المراد بالمصيبة هنا الحوادث من خير وشر وهو خلاف الظاهر من استعمال المصيبة إلا أن فيما بعد نوع تأييده وأياً ما كان ففي الارض متعلق بمحذوف مرفوع أو مجرور صفة لمصيبة على الموضع أو على اللفظ ، وجوز أن يكون ظرفاً لأصاب أو للمصيبة ، قيل : وإنما قيدت المصيبة بكونها في الارض والآنفس لأن الحوادث المطلقة كلها ليست مكتوبة في اللوح لأنها غير متناهية ، واللوح متناه وهو لا يكون

ظرف الغير المتناهي ولذا جاء « جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة » وفي الآية تخصيص آخر وهو أنه سبحانه لم يذكر أحوال أهل السموات لعدم تعلق الغرض بذلك مع قلة المصائب في أهلها بل لا يكاد يصيبهم سوى مصيبة الموت ، وما ذكره في وجه التخصيص الأول لا يتم إذا أريد بالكتاب علمه سبحانه ، وقيل : بأن كتابة الحوادث فيه على نحو كتابتها في القرآن العظيم بناءً على ما يقولون : إنه مامن شيء إلا ويتمكن استخراج منه حتى أسماء الملوك ومددهم وما يقع منهم ولو قيل في وجهه - إن الأوفق بما تقدم من شرح حال الحياة الدنيا إنما هو ذكر المصائب الدنيوية فلذا خصت بالذكر - لكان تاماً مطلقاً ﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ أي إثباتها في كتاب ﴿ عَلَى اللَّهِ ﴾ لا غيره سبحانه ﴿ يَسِيرٌ ٢٢ ﴾ لاستغنائه تعالى فيه عن العدة والمدة ، وإن أريد بذلك تحققها في علمه جل شأنه فيسره لأنه من مقتضيات ذاته عز وجل ، وفي الآية رد على هشام بن الحكم الزاعم أنه سبحانه لا يعلم الحوادث قبل وقوعها ، وفي الإكليل إن فيها رداً على القدرية ، وجاء ذلك في خبر مرفوع ، أخرج الديلمي عن سليم بن جابر الجهيمي قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « سيفتح على أمتي باب من القدر في آخر الزمان لا يستد شيء يكفيكم منه أن تلقوه بهذه الآية ما أصاب من مصيبة » الآية .

وأخرج الإمام أحمد . والحاكم وصححه عن أبي حسان أن رجلين دخلا على عائشة رضي الله تعالى عنها فقالا : « إن أبا هريرة يحدث أن نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول : إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار فقالت : والذي أنزل القرآن على أبي القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ما هكذا كان يقول ، ولكن كان رسول الله ﷺ يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار ، ثم قرأت (ما أصاب من مصيبة) الآية ﴿ لَكَيْلًا تَأْسُوا ﴾ أي أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا ﴿ عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ من نعم الدنيا ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ أي أعطاكموه الله تعالى منها فإن من علم أن الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر إتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هوآت ، وعلم كون الكل مقدرًا مع أن المذكور سابقاً المصائب دون النعم وغيرها لأنه لا قائل بالفرق وليس في النظم الكريم اكتفاء كما توهم ، نعم إن حملت المصيبة على الحوادث من خير وشر كان أمر العلم أوضح كما لا يخفى وترك التعادل بين الفعلين في الصلتين حيث لم يسندا إلى شيء واحد بل أسند الأول إلى ضمير الموصول والثاني إلى ضميره تعالى لان الفوات والعدم ذاتي للأشياء فلو خليت ونفسها لم تبقى بخلاف حصولها وبقائها فانه لا بد من استنادهما إليه عز وجل كما حقق في موضعه ، وعليه قول الشاعر :

فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى وعرج على الباقي وسائله لم بقى

ومثل هذه القراءة قراءة عبد الله - أوتيتم - مبنياً للمفعول أي أعطيتم ، وقرأ أبو عمرو - أتاكم - من الاتيان أي جاءكم وعليها بين الفعلين تعادل ، والمراد نفى الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله تعالى ورجاء ثواب الصابرين ونفي الفرح المطغى الملهى عن الشكر ، وأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله تعالى والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما .

أخرج جماعة منهم الحاكم وصححه عن ابن عباس أنه قال في الآية : ليس أحد إلا وهو يحزن ويفرح ولكن من أصابته مصيبة جعلها صبراً ومن أصابه خير جعله شكراً ، وقوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ٣٢﴾ تذييل يفيد أن الفرح المذموم هو الموجب للبطل والاختيال والمختال المتكبر عن تخيل فضيلة تراءت له من نفسه، والفخور المباهى في الأشياء الخارجة عن المرء كالمال والجاه * وذكر بعضهم أن الاختيال في الفعل والفخر فيه وفي غيره، والمراد من لا يحب يبغض إذ لا واسطة بين الحب والبغض في حقه عز وجل وأولا بالاثابة والتعذيب، ومذهب السلف ترك التأويل مع التنزيه، ومن لا يحب كل مختال لا يحب كل فرد فرد من ذلك لأنه لا يحب البعض دون البعض ويرد بذلك على الشيخ عبد القاهر في قوله: إذا تأملنا وجدنا إدخال كل في حيز النفي لا يصلح إلا حيث يراد أن بعضاً كان وبعضاً لم يكن، نعم إن هذا الحكم أكثرى لا كلى، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْلُونُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ بدل من (كل مختال) بدل كل من كل فإن المختال بالمال يضمن به غالباً ويأمر غيره بذلك، والظاهر أن المراد أنهم يأمرُونَ حقيقة، وقيل: كانوا قدوة فكأنهم يأمرُونَ أو هو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين الخ، أو مبتدأ خبره محذوف تقديره يعرضون عن الانفاق الغنى عنه الله عز وجل، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ٢٤﴾ فإن معناه ومن يعرض عن الانفاق فإن الله سبحانه غنى عنه وعن إنفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب إليه بشئ من نعمه جل جلاله، وقيل: تقديره مستغنى عنهم، أو موعودون بالعذاب أو مذمومون، وجوز أن يكون في موضع نصب على إضمار أعنى أو على أنه نعت - لكل مختال - فانه مخصص نوعاً مأمناً بالتخصيص فساغ وصفه بالمعرفة وهذا ليس بشئ، وقال ابن عطية: جواز مثل ذلك مذهب الأخفش ولا يخفى ما في الجملة من الأشعار بالتهديد لمن تولى، وقرأ نافع وابن عامر - فان الله الغنى - بإسقاط - هو - وكذا في مصاحف المدينة والشام وهو في القراءة الأخرى ضمير فصل، قال أبو علي: ولا يحسن أن يكون مبتدأ وإلا لم يجز حذفه في القراءة الثانية لأن ما بعده صالح لأن يكون خبراً فلا يكون هناك دليل على الحذف وهذا مبنى على وجوب توافق القراءتين إعراباً وليس بلازم ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ أي من بني آدم كما هو الظاهر ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي الحجج والمعجزات ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي جنس الكتاب الشامل لكل، والظرف حال مقدرة منه على ما قال أبو حيان، وقيل: مقارنة بتنزيل الاتصال منزلة المقارنة ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ الآلة المعروفة بين الناس كما قال ابن زيد وغيره، وإنزاله إنزال أسبابه، ولو بعيدة، وأمر الناس باتخاذها مع تعليم كيفية * ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ علة لأنزال الكتاب والميزان والقيام بالقسط أي بالعدل يشمل التسوية في أمور التعامل باستعمال الميزان، وفي أمور المعاد باحتذاء الكتاب وهو لفظ جامع مشتمل على جميع ما ينبغي الاتصاف به معاشاً ومعاداً. ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ قال الحسن: أي خلقناه كقوله تعالى: (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) وهو تفسر بلازم الشيء فإن كل مخلوق منزل باعتبار ثبوته في اللوح وتقديره موجوداً حيث ما ثبت فيه * وقال قطرب: هيأناه لكم وأنعمنا به عليكم من نزل الضيف ﴿فيه بأسٌ﴾ أي عذاب ﴿شديدٌ﴾ لأن آلات الحرب تتخذ منه، وهذا إشارة إلى احتياج الكتاب والميزان إلى القائم بالسيف ليحصل القيام بالقسط فإن الظلم من شيم النفوس، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْلَمُ لِلنَّاسِ﴾ أي في معاشهم ومصالحهم إذ ما من صنعة إلا

والحديد أو ما يعمل به آلتها للايماء إلى أن القيام بالقسط كما يحتاج إلى الوازع وهو القائم بالسيف يحتاج إلى ما به قوام التعايش ، ومن يقوم بذلك أيضا ليمتدن المحتاج إليه النوع ، ولتتم القيام بالقسط ، كيف وهو شامل أيضا لما يخص المرء وحده ، والجملة الظرفية في موضع الحال ، وقوله سبحانه :

﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ ﴾ عطف على محذوف يدل عليه السياق أو الحال لأنها متضمنة للتعليل أي لينفعهم وليعلم الله تعالى علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال آلات الحرب من الحديد في مجاهدة أعدائه والحذف للاشعار بأن الثاني هو المطلوب لذاته وأن الأول مقدمة له ، وجوز تعلقه بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية أي وليعلم الخ أنزله أو مقدم والواو عاطفة والجملة معطوفة على ما قبلها وقد حذف المعطوف وأقيم متعلقه مقامه ، وقوله تعالى : ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ حال من فاعل ينصر ، أو من مفعوله أي غائبا منهم أو غائبين منه ، وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢٥ ﴾ اعتراض تذييلي جئ به تحقيقا للحق وتنبيها على أن تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته سبحانه في إعلاء كلمته وإظهار دينه إلى نصرته بل إنما هو لينتفعوا به ويصلوا بامثال الأمر فيه إلى الثواب وإلا فهو جل وعلا غنى بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريد . هذا وذهب الزمخشري إلى أن المراد بالرسل رسل الملائكة عليهم السلام أي أرسلناهم إلى الأنبياء عليهم السلام ، وفسر - البينات - بما فرنا بناء على الملائكة ترسل بالمعجزات كإرسالها بالحجج لتخبر بأنهم معجزات وإلا فكان الظاهر الاقتصار على الحجج وإنزال الكتاب أي الوحي مع أولئك الرسل ظاهر ، وإنزال الميزان بمعنى الآلة عنده على حقيقة ، قال: روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام ، وقال: «مر قومك يزونا به ، وفسره كثير بالعدل ، وعن ابن عباس في إنزال الحديد نزل مع آدم عليه السلام الميعة والسندان والكلبتان ، وروى أنه نزل ومعه الميزان والمسحاة ، وقيل : نزل ومعه خمسة أشياء من الحديد السندان والكلبتان والابرة والمطرقة والميعة ، وفسرت بالمسن ، وتجيئ بمعنى المطرقة أو العظيمة منها ، وقيل : ما تحته الرحي ، وفي حديث ابن عباس نزل آدم عليه السلام من الجنة بالبأسنة وهي آلات الصناعات ، وقيل : سكة الحرب وليس بعربي محض والله تعالى أعلم .

واستظهر أبو حيان كون - ليقوم الناس بالقسط - علة لإنزال الميزان فقط وجوز ما ذكرناه وهو الأولى فيما أرى ، وقوله تعالى . ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ نوع تفصيل لما أجمل في قوله تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا) وتكرير القسم لإظهار مزيد الاعتناء بالأمر أي وبالله لقد أرسلنا نوحا وإبراهيم .

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب ، وقال ابن عباس : الكتاب الخط بالقلم ، وفي مصحف عبد الله - والنية - مكتوبة بالياء عوض الواو ﴿ قَنُومُ ﴾ أي من الذرية ؛ وقيل :

أي من المرسل إليهم المدلول عليهم بذكر الأرسال والمرسايين ﴿ مَهْتَدٌ ﴾ وكثير منهم فاسقون ﴿ ٣٦ ﴾ خارجون عن الطريق المستقيم ، ولم يقل - ومنهم - ضال مع أنه أظهر في المقابلة لأن ما عليه النظم الكريم أبلغ في الذم لأن الخروج عن الطريق المستقيم بعد الوصول بالتمكن منه ، ومعرفة أبلغ من الضلال عنه ولا يذانه بغلبة أهل الضلال على غيرهم ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا ﴾ أي أرسلنا بعدهم رسولا بعد رسول ، وأصل التقفية جعل

الشيء خلف القفا، وضمير آثارهم لنوح وإبراهيم ومن أرسل إليهم من قومهما . وقيل : لمن عاصرهما من الرسل عليهم السلام *

واعترض بأنه لو عاصر رسول نوحاً فإما أن يرسل إلى قومه كهرون مع موسى عليهما السلام أو إلى غيرهم كوط مع إبراهيم عليهما السلام ولا مجال للاول لمخالفته للواقع ولا إلى الثاني إذ ليس على الارض قوم غيره ، وأجيب بأن ذلك توجيه لجمع الضمير وكون لوط مع إبراهيم كاف فيه ، وقيل : للذرية ، وفيه أن الرسل المقفي بهم من الذرية فلو عاد الضمير عليهم لزم أنهم غيرهم أو اتحاد المقفي والمقفي به وتخصيص الذرية مرجع الضمير بالأوائل منهم خلاف الظاهر من غير قرينة تدل عليه ﴿ وَقَفَيْنَا بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ جعلناه بعد *

وحاصل المعنى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الارسال إلى عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ﴾ بأن أو حينئذ اليه وليس هو الذي بين أيدي النصارى اليوم أعنى المشتغل على قصة ولادته وقصة صلبه المفتراة؛ وقرأ الحسن (الإنجيل) بفتح الهمزة، قال أبو الفتح : وهو مثال لانظير له ، قال الزمخشري : وأمره أهون من أمر البرطيل بفتح الباء والكسر أشهر وهو حجر مستطيل واستعماله في الرشوة مولد مأخوذ منه بنوع تجوز لأنه عجمي وهذا عربي وهم يتلاعبون بالعجمي ولا يلتزمون فيه أوزانهم ، وزعم بعض أن لفظ الإنجيل عربي من نجلت بمعنى استخرجت لاستخراج الاحكام منه ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ أي خلقنا أو صيرنا - ففي قلوب - في موضع المفعول الثاني وأياً ما كان فالمراد جعلنا ذلك في قلوبهم فهم يرأف بعضهم ببعض ويرحم بعضهم بعضاً ، ونظيره في شأن أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (رحماء بينهم) والرافة في المشهور الرحمة لكن قال بعض الافاضل : إنها إذا ذكرت معها يراد بالرافة مافيه درء الشر ورأب الصدع ، وبالرحمة مافيه جلب الخير ولذا ترى في الاغلب تقديم الرافعة على الرحمة وذلك لأن درء المفساد أهم من جلب المصالح وقرئ رافعة على فعالة كشجاعة ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ﴾ منصوب بفعل مضمير يفسره الظاهر أي وابتدعوا رهبانية *

﴿ اِبْتَدَعُوهَا ﴾ فهو من باب الاشتغال ، واعترض بأنه يشترط فيه - كما قال ابن الشجري . وأبو حيان - أن يكون الاسم السابق محتصاً يجوز وقوعه مبتدأ والمذكور نكرة لامسوخ لها من مسوغات الابتداء ، ورد بأنه على فرض تسليم هذا الشرط الاسم هنا موصوف معنى بما يؤخذ من تنوين التعظيم كما قيل في قولهم : شر أهر ذا ناب . وما يدل عليه من النسبة كما ستسمعه إن شاء الله تعالى أو منصوب بالعطف على ما قبل ، وجملة (ابتدعوها) في موضع الصفة والكلام على حذف مضاف أي وجعلنا في قلوبهم رافعة ورحمة وحب رهبانية مبتدعة لهم ، وبعضهم جعله معطوفاً على ما ذكر ولم يتعرض للحذف ، وقال : الرهبانية من أفعال العباد لأنها المبالغة في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ، وأصل معناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى ، وأفعال العباد يتعاقبها جعل الله تعالى عند أهل الحق وهي في عين كونها مخلوقة له تعالى مكتسبة للعبد ، والزمخشري جوز العطف المذكور وفسر الجعل بالتوفيق كأنه قيل : وفقناهم للتراحم بينهم ولا بتداع الرهبانية واستحداثها بناءً على مذهبه أن الرهبانية فعل العبد المخلوق له باختياره ، وفائدة (في قلوب) على هذا التصوير على ما قيل ، ولا يخفى ما في هذا التفسير من العدول عن الظاهر لكن الانصاف أنه لا يحسن العطف بدون هذا

تأويل أو اعتبار حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه على ما تقدم أو تفسير الرهبانية بما هو من أفعال القلوب لخوف المفرط المقتضى للغلو في التعبد ويرتكب نوع تجوز في ابتدعوها وما بعده كأن يكون المراد ابتداع عملها وآثارها أو ارتكاب استخدام في الكلام بأن يعتبر للرهبانية معنيان الخوف المفرط مثلاً ، ويراد في جعلنا في قلوبهم رهبانية والاعمال التعبدية الشاقة كرفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهن ، ويراد في ابتدعوها) وما بعده وليس الداعي للتأويل الاعتزال بل كون الرهبانية بمعنى الاعمال البدنية ليست مما يجعل القلب كالرأفة والرحمة فتأمل *

وقرى (رهبانية) بضم الراء وهى منسوبة إلى الرهبان بالضم وهو ما قاله الراغب: يكون واحداً وجمعاً بالنسبة إليه باعتبار كونه واحداً ومن ظن اختصاص المضموم بالجمع قال: إنه لما اختص بطائفة مخصوصة أعطى حكم لعلم نفسه إليه كما قالوا في أنصار وأنصارى أو أن النسبة إلى رهبان المفتوح وضم الراء في المنسوب من تغييرات النسب كما في دهرى بضم الدال ، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ جملة مستأنفة ، وقوله سبحانه :

﴿ إِلَّا ابْتَغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ استثناء منقطع أى ما فرضناها نحن عليهم رأساً ولكن ابتدعوها وألزموا أنفسهم بها ابتغاء رضوان الله تعالى ، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ أى ما حافظوا عليها حق المحافظة ذم لهم من حيث أن ذلك كالنذر وهو عهد مع الله تعالى يجب رعايته لاسيما إذا قصد به رضاه عز وجل .

واستدل بذلك على أن من اعتاد تطوعاً كره له تركه ، وجوز أن يكون قوله تعالى: (ما كتبناها) الخ صفة أخرى لرهبانية والنفي متوجه إلى قيد الفعل لانفسه كما في الوجه الأول ، وقوله سبحانه: (إلا ابتغاء) الخ استثناء متصل من أعم العلل أى ما قضيناها عليهم بأن جعلناهم يبتدعونها لشيء من الأشياء إلا لابتغوا بها رضوان الله تعالى ويستحقوا بها الثواب ، ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فارعوها كذلك والوجه الأول مروي عن قتادة . وجماعة ، وهذا مروي عن مجاهد ولا يخالفه عليه بين (ابتدعوها) و (ما كتبناها عليهم) الخ حيث أن الأول يقتضى أنهم لم يؤمروا بها أصلاً والثاني يقتضى أنهم أمروا بها لا بتخله رضوان الله تعالى لما أشرنا إليه من معنى (ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء) الخ ، ودفع بعضهم المخالفة بأن يقال: الأمر وقع بعد ابتداعها أو يؤل ابتدعوها بأنهم أول من فعلها بعد الأمر ويؤيد ما ذكره في النسخ أبو حامد وأبو يعلى . والضياء عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فان قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ما ابتدعوها ما كتبناها عليهم » يعنى الآية ، والظاهر أن ضمير فارعوها لأولئك الذين ابتدعوا الرهبانية ، والمراد نفي وقوع الرعاية من كلهم على أن المعنى فما رعاها كلهم بل بعضهم ، وليس المراد بالموصول فيما سبق أشخاصاً بأعيانهم بل المراد به ما يعم النصارى إلى زمان الاسلام ولا يضر في ذلك أن أصل الابتداع كان من قوم مخصوصين لأن إسناده على نحو الاسناد في - بنو تميم قتلوا زيداً - والقاتل بعضهم *

وقال الضحاك . وغيره : الضمير في (فما رعوها) للاخلاف الذين جاءوا بعد المبتدعين والاول أوفق بالصناعة ، والمراد بالذين آمنوا في قوله تعالى: ﴿ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ ﴾ الذين آمنوا إيماناً صحيحاً وهو لمن أدرك وقت النبي صلى الله عليه وسلم الايمان به عليه الصلاة والسلام أى فآتينا الذين آمنوا منهم

إيماناً صحيحاً بعد رعاية رهبانيتهم ﴿ أَجْرَهُمْ ﴾ أى ما يختص بهم من الأجر وهو الأجر على ما سلف منهم والأجر على الإيمان به عليه الصلاة والسلام ، وليس المراد بهم الذين بقوا على رعاية الرهبانية إلى زمان البعثة ولم يؤمنوا لأن رعايتها لغو محض وكفر بحت وإنما لها استتباع الأجر ، ويجوز أن يقال : إن الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها هم الذين كذبوه عليه الصلاة والسلام ، قال الزجاج : قوله تعالى : (فما رعوها حق رعايتها) على ضربين : أحدهما أن يكونوا قصرُوا فيما ألزموه أنفسهم ، والآحر وهو الأجود أن يكونوا حين بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤمنوا فكانوا تاركين لطاعة الله تعالى فما رعوها تلك الرهبانية ، ودليل ذلك قوله تعالى : (فأتينا الذين آمنوا منهم) الخ انتهى ، فحمل الذين آمنوا على من أدرك وقته عليه الصلاة والسلام منهم وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم والفاسقين في قوله تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ٣٧ ﴾ على الذين لم يؤمنوا به صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومقتضى حمل الذين آمنوا على ما سمعت أولاً حمله على الأعم الشامل لمن خرج عن اتباع عيسى عليه السلام من قبل وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها إذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة ونحو ذلك من غير تعرض لإيمانهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام .

وفي الآثار ما ياباه ففي حديث طويل أخرجه جماعة منهم الحاكم وصححه . والبيهقى في شعب الإيمان من طرق عن ابن مسعود « اختلف من كان قبلنا على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهما فرقة وازت الملوك وقتلتهم على دين الله وعيسى ابن مريم ، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك فأقلموا بين ظهرائى قومهم فدعوههم إلى دين الله ودين عيسى فقتلتهم الملوك ونشرتهم بالمناشر ، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام معهم فساحوا فى الجبال وترهبوا فيها وهم الذين قال الله : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) الذين آمنوا بى وصدقونى (وكثير منهم فاسقون) الذين حجدوا بى وكفروا بى » وهذا الخبر يؤيد ما استجوده الزجاج ، ويعلم منه أيضاً سبب ابتداء الرهبانية وليس فى الآية ما يدل على ذم البدعة مطلقاً ، والذى تدل عليه ظاهراً ذم عدم رعاية ما ألزموه ، وتفصيل الكلام فى البدعة ما ذكره الامام محي الدين النورى فى شرح صحيح مسلم . قال العلماء : البدعة خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرومة ومكروهة . ومباحة (١) فمن الواجبة تعلم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك ، ومن المندوبة تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك ، ومن المباحة التبسط فى ألوان الاطعمة وغير ذلك ، والحرام والمكروه ظاهران ، فعلم أن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « كل بدعة ضلالة » من العام المخصوص .

وقال صاحب جامع الاصول : الابتداء من المخلوقين إن كان فى خلاف ما أمر الله تعالى به ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو فى حيز الذم والانكار وإن كان واقعات تحت عموم مانذب الله تعالى اليه وحض عليه أو رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو فى حيز المدح وإن لم يكن مثاله موجوداً كنوع من الجود والسخاء

(١) هذا التقسيم لا يصح أن يكرر للبدع بالمعنى الشرعى إذ ما ذكره دل عليه الكتاب والسنة وإنما يصح للبدع بالمعنى اللغوى وقد أشبع الكلام على ذلك صاحب الاعتصام فراجع اه إدارة الطباعة المنيرية

وفعل المعروف ، ويعضد ذلك قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه في صلاة التراويح : نعمت البدعة هذه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ استظهر أبو حيان كون الخطاب لمن آمن من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم غير أهل الكتاب والآثار تؤيد ذلك ، أخرج الطبراني في الاوسط عن ابن عباس . وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قالا : إن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فشهدوا معه أحداً فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا : يا رسول الله إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجي بأموالنا نواسي بها المسلمين فأنزل الله تعالى فيهم (الذي آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) إلى قوله سبحانه : (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) فجعل لهم أجرين فلما نزلت هذه الآية قالوا : يا معشر المسلمين أما من آمن منابكتابكم فله أجران ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كآجوركم فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) الآية أى أى راداً عليهم قولهم : ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كآجوركم .

وفي الكشف إن قائل ذلك من لم يكن آمن من أهل الكتاب قالوه حين سمعوا تلك الآية يفخرون به على المسلمين ، والمعنى يا أيها الذين اتصفوا بالايان ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ اثبتوا على تقواه عز وجل فيما نهاكم عنه . ﴿ وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ ﴾ واثبتوا على الايمان برسوله الذى أرسله اليكم وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفي التعبير عنه بذلك ما لا يخفى من الدلالة على جلالة قدره عليه الصلاة والسلام ﴿ يُوْتِكُمْ ﴾ بسبب ذلك .

﴿ كَفَلَيْنَا مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ قال أبو موسى الأشعري : ضعفين بلسان الحبشة ، وقال غير واحد : نصيبين ، والمراد إيتاؤهم أجرين لثبوتهم أهل الكتاب كأنه قيل : يوتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الأجرين لأنكم مثلهم في الايمان بالرسول المتقدمين وبخاتمهم صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم أجمعين لا تفرقون بين أحد من رسله . وقال الراغب : الكفل الحظ الذى فيه الكفاية كأنه تكفل بأمره ، والكفلان هما المرغوب فيهما بقوله تعالى : (ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) ولا دلالة على التخصيص .

﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ يوم القيامة وهو النور المذكور في قوله تعالى : (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ما سلف منكم ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٨ ﴾ أى مبالغ في المغفرة والرحمة فلا بدع إذا فعل سبحانه ما فعل ، وقوله تعالى : ﴿ لَّئِلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ قيل : متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط إذ التقدير إن تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يوتكم كذا وكذا لئلا يخ ، وقيل : متعلق بالأفعال الثلاثة قبله على التنازع ، أو بمقدر كفعل ذلك وأعلمهم ونحوه و (لا) مزيدة مثلها في قوله تعالى : (ما منعك أن لا تسجد) ويجوز زيادتها مع القرينة كثيراً و (أن) مخففة من الثقيلة واسمها المحذوف ضمير أهل الكتاب أى أنهم ، وقيل : ضمير الشأن وما بعد خبرها والجملة في خيز النصب على أنها مفعول يعلم أى ليعلم أهل الكتاب القائلون من آمن بكتابكم منا فله أجران ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كآجوركم أنهم لا ينالون شيئاً من فضل الله من الأجرين وغيرهما ولا يتمكنون من نيله مالم يؤمنوا بمحمد ﷺ وحاصله الإعلام بأن إيمانهم بنبيهم لا ينفعهم شيئاً مالم يؤمنوا بالنبي عليه الصلاة والسلام فقولهم : من لم يؤمن بكتابكم فله أجر باطل .

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال : لما نزلت (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) فخر
مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : لنا أجران ولكم أجر فاشتد ذلك على
أصحابه عليه الصلاة والسلام فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) الخ فجعل لهم سبحانه أجرين مثل ما مؤمنو
أهل الكتاب ، وقال الثعلبي : فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الآية فجعل لهم أجرين وزادهم
النور ثم قال سبحانه : (لئلا يعلم) الخ ، وحاصله على هذا ليعلموا أنهم ليسوا ملاك فضله عز وجل فيزوه
عن المؤمنين ويستبدوا به دونهم ، وقوله تعالى : (وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ) عطف على أن لا يقدرّون داخل
معه في حيز العلم ، وقوله سبحانه : (يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ) خبر ثان لأن أو هو الخبر وما قبله على ما قيل : حال لازمة
أو استئناف ، وقوله عز وجل : (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٢٩) اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله * .

وذهب بعض إلى أن الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب اليهود والنصارى أولم لم يؤمن منهم بعد ، فالمعنى
يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أى اثبتوا على الإيمان
به أو أحدثوا الإيمان به عليه الصلاة والسلام يؤتكم نصيبين من رحمته نصيباً على إيمانكم بمن آمنتم به أولاً
ونصيباً على إيمانكم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم آخراً ليعلم الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب أنهم لا ينالون
شيئاً مما يناله المؤمنون منهم ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الإيمان برسوله ﷺ ، وأيد
ذلك بما فى صحيح البخارى « من كانت له أمة عليها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها وأعتقها وتزوجها فله
أجران ، وأما رجل من أهل الكتاب آمن بنيه وآمن بى فله أجران ، وأما مملوك أدى حق الله تعالى وحق
مواليه فله أجران » ولا إشكال فى ذلك بالنسبة إلى النصارى ، ولذا قيل : الخطاب لهم لأن ملتهم غير منسوخة
قبل ظهور الملة المحمدية ومعرفتهم بها فثبتوا على العمل بها حتى يجب عليهم الإيمان بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فاذا آمنوا أثبتوا أيضاً فكان لهم ثوابان ، نعم قد يستشكل بالنسبة إلى غيرهم لأن ملتهم منسوخة بملة عيسى
عليه السلام والمنسوخ لا ثواب فى العمل به ، ويحاج بائنه لا يبعد أن يثبتوا على العمل بملتهم السابقة وإن
كانت منسوخة ببركة الاسلام .

وأجاب بعضهم أن الإثابة على نفس إيمان ذلك الكتابى بنيه وإن كان منسوخ الشريعة فإن الإيمان بكل
نبي فرض سواء كان منسوخ الشريعة أم لا ، وقيل : إن (لا) فى (لأن لا يعلم) غير مزيدة وضمير لا يقدرّون
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين أى فعلنا ما فعلنا لئلا يعتقد أهل الكتاب أن الشأن لا يقدر النبي ﷺ
والمؤمنون به على شئ من فضل الله تعالى الذى هو عبارة عما أوتوه من سعادة الدارين ولا ينالونه ، أو أنهم
أى النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون لا يقدرّون الخ ، على أن عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية
عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله سبحانه : (وَأَنَّ الْفَضْلَ) الخ معطوفاً على - أن لا يعلم - داخلاً معه فى حيز
التعليل دون أن لا يقدر فكأنه قيل : فعلنا ما فعلنا لئلا يعتقدوا كذا ولأن الفضل بيد الله فيكون من عطف
الغاية على الغاية بناءً على المشهور ولتكلف هذا القيل مع مخالفته لبعض القراءات لم يذهب إليه معظم المفسرين ،
وقرأ خطاب بن عبد الله - لأن لا يعلم - بالاظهار ، وعبد الله بن مسعود . وابن عباس . وعكرمة . والجحدري .
وعبد الله بن سلمة على اختلاف يعلم ، وقرأ الجحدري أيضاً - وليعلم - على أن أصله لئن يعلم فقلبت الهمزة ياءاً

لكسرة ما قبلها وأدغمت النون في الياء بغير غنة ، وروى ابن مجاهد عن الحسن - ليلا - مثل ليلى اسم المرأة (يعلم) بالرفع ، ووجه بأن أصله - لأن لا - بفتح لام الجر وهي لغة وعليه قوله :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

فحذفت الهمزة اعتباطاً وأدغمت النون في اللام فصار - للا - فاجتمعت الامثال وثقل النطق بها فابدلوا من اللام المدغمة ياءاً نظير ما فعلوا في قيراط ودينار حيث أن الاصل قراط ودنار فأبدلوا أحد المثلين فيهما ياءاً للتخفيف فصار - ليلا - ورفع الفعل لأن أن هي المخففة من الثقيلة لا الناصبة للمضارع ، وروى قطرب عن الحسن أيضاً - ليلا - بكسر اللام ووجهه كالذي قبله إلا أن كسر اللام على اللغة الشهيرة في لام الجر ؛ وعن ابن عباس كي يعلم ، وعنه أيضاً لكيلا يعلم ، وعن عبد الله . وابن جبير . وعكرمة لكي يعلم *
وقرأ عبد الله أن لا يقدرُوا بحذف النون على أن إن هي الناصبة للمضارع ، والله تعالى أعلم .

(وما ذكره المتصوفة قدست أسرارهم في بعض آياتها) (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) قالوا : هو إشارة إلى وحدانية ذاته سبحانه المحيطة بالكل ، وقالوا في قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) إشارة إلى أنهم لا وجود لهم في جميع مراتبهم بدون وجوده عز وجل ، وقوله تعالى : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) إشارة إلى ظهور تجلي الجلال في تجلي الجمال وبالعكس (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) إشارة للمشايخ الكاملين إلى تربية المريدين بافاضة ما يقوى استعدادهم مما جعلهم الله تعالى متمكنين فيه من الاحوال والملكات *
وقال سبحانه : (اعلوا أن الله يحيي الأرض بعد موتها) لئلا يقنط القاسي من رحمته تعالى ويترك الاشتغال بمداواة القلب الميت (فمارعوها حق رعايتها) أوردها الصوفية في باب الرعاية وقسموها إلى رعاية الاعمال والاحوال والأوقات - ويرجع ما قالوه فيها - على ما قيل - إلى حفظها عن إيقاع خلل فيها (يأياها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفاين من رحمته) أي نصيبين نصيباً من معارف الصفات الفعلية ونصيباً من معارف الصفات الذاتية (ويجعل لكم نوراً) من نور ذاته عز وجل وهو على ما قيل : إشارة إلى البقاء بعد الفناء ، وقيل : هذا النور إشارة إلى نور الكشف والمشاهدة رتب سبحانه جعله للمؤمن على تقواه وإيمانه برسوله الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل : هو نور العلم النافع الذي يتمكن معه من السير في الحضرات الالهية كما يشير اليه وصفه بقوله عز وجل : (تمشون به) ؛ وفي بعض الآثار « من عمل بما علم الله تعالى علم ما لم يعلم » وقال سبحانه : (اتقوا الله ويعلمكم الله) وكل ذلك في الحقيقة فضل الله تعالى والله عز وجل ذو الفضل العظيم نسأله سبحانه أن لا يحرمنا من فضله العظيم ولطفه العميم وأن يثبتنا على متابعة حبيبه الكريم عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأكمل التسليم *

تم بعونه تعالى وتوفيقه الجزء السابع والعشرون ، ويليه الجزء الثامن والعشرون أوله ﴿

﴿ سورة المجادلة ﴾

فهرست

(الجزء السابع والعشرين من تفسير روح المعاني)

صحيفة	صحيفة
١٧. الاستدلال بخلق السموات وبسط الارض وخلق المتناقضات على قدرة الله تعالى	٢ حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي ﷺ في تفسير الذاريات وما عطف عليها
١٩ بيان أن تكذيب الرسل عادة جارية في جميع الامم	٣ أقوال العلماء في تفسيره الذاريات وما عطف عليها وبيان أن أولى الأقوال ما ورد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد المصنف على الامام الرازي وصاحب الكشف
٢٠ تفسير قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وبيان أن المراد بالعبادة ما كانت بطريق الاختيار الخ	٤ بيان أن البعث أمر لا بد منه
٢١ بيان أن المراد بخلقهم للعبادة خلقهم على حالة صالحة للعبادة مستعدة لها حيث ركب الله فيهم عقولا وجعل لهم حواس إلى غير ذلك من وجوه الاستعداد ورد ما عدا هذا من الأقوال	٤ تفسير الحبك وأقوال العلماء فيها
٢١ كلام ابن تيمية وغيره من الحفاظ في أن حديث كنت كنز مخفيا ليس من كلام النبي ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف	٥ بيان تناقض الكفار في أمر الله والرسول واليوم الآخر
٢٢ بيان أن الحصر في الآية اضافي بالنسبة لطلب الرزق وبيان اللطائف المستفادة من قوله (ما أريد منهم من رزق)	٦ الدعاء على الخراصين بالهلاك وبيان أوصافهم
٢٣ بيان أن قوله تعالى أن الله هو الرزاق خرجت مخرج المثل	٧ بيان أن من أوصاف المتقين الرضا بما آتاهم الله والاحسان إلى الناس والقيام في الليل
٢٥ (أقوال أهل الإشارة في الآيات)	٨ فضيلة الاستغفار بالاسحار وصدقة التطوع
٢٦ (سورة الطور)	٩ الاستدلال بآيات الانفس على الله تعالى وبيان أن الرزق أمر مضمون
٢٨ أقوال العلماء في تفسير البحر المسجور وبيان أن الجمهور على أنه بحر الدنيا	١١ تصديق الله تعالى لرسوله ﷺ وتمهيد لاثبات نبوته بذكر قصة ابراهيم التي لا يمكن أن يعلمها الرسول الا من طريق الوحي
٢٨ بيان أن الغرض من أقسام الله تعالى بهذه الاشياء اثبات عذاب الآخرة وتحقيق وقوعه	١١ ماجرى بين ابراهيم عليه السلام والرسول وبيان أن المبشر به على التحقيق هو اسحق عليه السلام
	١٤ الكلام على الايمان والاسلام هل هما متحدان ام لا
	١٥ الاستدلال بقصة موسى عليه السلام على صدق الرسول
	١٥ بيان أن اهلاك عاد وثمود كان بسبب عتوهم وفيه من التحذير عن العتو ما لا يخفى

صحيفة	صحيفة
٣٢	بيان الحاق الذرية المؤمنة بالآباء في الدرجة
٣٣	من غير أن ينقص ذلك من ثواب الآباء شيئا
٣٥	بيان أن العبد رهن بكسبه
٣٥	الرد على من نسب إلى رسول الله ﷺ الكهانة والجنون
٣٦	التهديد لمن قال انه ﷺ شاعر تتربص به
٣٧	رب المنون
٣٧	تحدى الذين نسبوا إلى رسول الله ﷺ اختلاق القرآن بأن يأتوا بمثله في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى
٤١	الكلام على نظم الآيات من أول قوله تعالى: (أم يقولون شاعر) إلى قوله سبحانه: (أم لهم إله غير الله) وقد نقله المصنف عن صاحب الكشف وهو أبداع ما قيل في هذه الآيات
٤٣	ماذكروه من باب الإشارة في الآيات
٤٤	(تفسير سورة النجم)
٤٤	أقوال العلماء في المراد بالنجم الذي أقسم الله تعالى به
٤٥	بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة ولا اعتقد باطلا قط
٤٦	بيان أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينطق عن الهوى وإن ما ينطق به وحى من عند الله واحتجاج من لم ير الاجتهاد له عليه السلام بهذه الآية
٤٦	بيان أن من يجوز الاجتهاد له عليه الصلاة والسلام لا يقول بأن ما ينطق به صلى الله عليه وسلم صادر عن هوى النفس وشهوتها
٤٧	أوصاف جبريل عليه السلام وبيان أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه على صورته الحقيقية عند حراء في مبادي النبوة
٤٩	بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كذب فؤاد بصره فيما حكاه له من صورة جبريل عليه السلام
٥٠	رؤية النبي ﷺ جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى عند سدره المنتهى
٥٠	اختلاف عائشة رضي الله عنها مع ابن عباس وغيره هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه أم لا وحجج كل
٥٢	اختلاف مثبتى الرؤية في أنها هل كانت بالعين أم بالقلب وحجج كل وتحقيق المقام
٥٤	الكلام على اللات والعزى ومناة وإبادتها بأمر رسول الله ﷺ
٥٦	توبيخ المشركين على اتخاذهم الأصنام شركاء لله عز وجل وإتياعهم الظن وماتوى الأنفس
٦٢	اختلاف العلماء في المعاصي هل تنقسم إلى صغائر وكبائر وفي حد الكبيرة
٦٦	تأويل قوله تعالى: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) وبيان أنها لا تنافي ما ورد في السنة من وصول ثواب الأعمال المهداة إلى الميت ووجه الجمع بين الأدلة الواردة في ذلك
٦٨	استحباب البكاء عند سماع القرآن وقراءته
٦٩	تفسير الشعرى
٧٠	الأخبار عن قوم نوح وما صنعوا
٧٣	سورة القمر
٧٤	انشقاق القمر معجزة للنبي ﷺ وما ورد في ذلك من الأحاديث وهو مبحث نفيس جداً
٧٦	الرد على شبه الفلاسفة في استحالتهم انشقاق القمر لاستحالة الخرق والالتئام فيه
٧٧	بيان أن انشقاق القمر آية رآها الكفار ثم أعرضوا عنها وادعوا أنها سحر

صحيفة

صحيفة

٧٨ تكذيب الكفار للذي صلى الله عليه وسلم
وبما أظهره الله على يديه من الآيات واتباعهم
الآهواء التي زينها لهم الشيطان والرد عليهم
وبيان أن حق الرسول لا بد أن يظهر
ويضمحل باطلهم

٨٩ بيان أن الغرض من ذكر انباء الأمم الخالية
في القرآن إنما هو الزجر والاعتاظ
٨٠ وصف حال الكفار عند خروجهم من
القبور

٨١ الشروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء
الموجبة للازدجار وذكر تكذيب قوم
نوح له حينما دعاهم إلى الايمان

٨٥ بيان أن الحديث الذي روى عن ابن عباس
مرفوعاً (آخرار بعاء من الشهر يوم نحس
مستمر) موضوع

٨٦ الكلام على التطير ببعض الايام وما ورد في
ذلك من الآثار

٨٧ بيان أن الايام لا اختصاص ليوم منها بنحس
ولا بسعد

٨٧ قصة ثمود مع صالح عليه السلام وما جرى لهم
٩٠ قصة قوم لوط عليه السلام

٩٢ اخبار النبي ﷺ بأن الكفار سيهزمون يوم
بدر وهو من دلائل النبوة

٩٣ الكلام على القدر وما ورد في ذم القدرية
من الاحاديث

٩٦ ﴿سورة الرحمن عز وجل﴾

٩٧ بيان أن التكرار في سورة الرحمن إنما حسن
للتقرير بالنعم المختلفة وهذا معهود في اساليب
العرب وذكر شيء من كلامهم

٩٨ بيان أن تعليم القرآن كرامة أكرم الله بها خلقه

٩٩ اقوال العلماء في المراد بالبيان الذي عليه
الله للانسان

١٠١ بيان أن الله تعالى شرع العدل وأمر به ونهى

عن الطغيان

١٠٢ امتنان الله تعالى على الناس بخلق الارض
لمنافعهم واثبات ما يحتاجون اليه من الفوائد
والنخيل والزهور

١٠٥ بيان خلق الانسان من صلصال وخباق الجان
من مارج من نار

١٠٦ تفسير اللؤلؤ والمرجان

١٠٧ بيان ما وقع من غرائب التفسير في قوله تعالى
(مرج البحرين يلتقيان) الخ

١٠٨ اقوال العلماء في قوله تعالى (ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام)

١١٠ بيان المراد بالشأن في قوله تعالى (كل يوم
هر في شأن) وأن الآية لا تنافي حديث

«جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة»
١١٥ فضيلة الخوف من الله وبيان جزائه في الآخرة

١١٧ وصف ما في الجنة اللتين اعدتا لمن خاف
مقام ربه

١١٨ وصف نساء الجنة

١٢٣ وصف الحور العين

١٢٤ بيان ما يتنعم به اهل الجنة من الثياب والكلام
على معنى العبقري

١٢٥ بيان القراءات الواردة في العبقري والرفرف

١٢٦ الكلام على الجنان وما ورد فيها من الاحاديث

١٢٧ من باب الاشارة

١٢٨ ﴿سورة الواقعة﴾

١٢٨ مناسبة سورة الواقعة لما قبلها

١٢٩ اقوال العلماء في تفسير سورة الواقعة

١٣١ بيان أن مراتب الناس ثلاثة اصحاب الميمنة
 واصحاب المشئمة والسابقون

١٣٢ بيان أن السابقين ثلثة من الاولين وقليل من

الآخرين وهم الناس من لدن رسول الله صلى

الله عليه وسلم الى قيام الساعة

١٣٥ بيان ما انعم الله به على السابقين من طواف

الولدان عليهم باقواب وباريق وكأس من

محتويات الجزء السابع والعشرين من كتاب روح المعاني

(د)

صحيفة

معين وانعم عليهم بالفاكهة واللحم والخور العين
جزاء لهم بأعمالهم جعلنا الله وإياكم منهم
١٣٩ تفصيل احوال أصحاب اليمين وما افاضه الله
عليهم من اصناف النعيم
١٤٣ تفصيل احوال اصحاب الشمال وبيان الصفات
التي استحقوا بها العذاب وهي اتباع الهوى
والدبر والاصرار على الذنوب وانكار البعث
١٤٥ الرد على منكري البعث
١٤٨ تبكيت الكفار على انكارهم البعث والاستدلال
بالبدء على الاعادة
١٤٨ الاستدلال بالنشأة الاولى على النشأة الثانية
١٤٨ امتنان الله تعالى على عباده بانباء الزرع وانزال
الماء العذب الذي يشربون منه
١٤٩ تخفيض العباد على شكر هذه النعمة
١٥٠ بيان أن الله تعالى خلق النار وجعلها تذكرة
لنار جهنم لينظروا اليها ويذكروا بها ما وعدوا به
١٥١ بيان أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم
بتسبيحه تنزيها له عما يقول الكافرون في
وصفه سبحانه بما لا يليق بجلاله
١٥٢ الكلام على (لا) في قوله تعالى (فلا أقسم
بمواقع النجوم)
١٥٢ أقسام الله تعالى بمواقع النجوم اى بمساقط
كواكب السماء ومغارها على ان القرآن كريم
اى نقاع جم المنافع وكيف لا يكون كذلك وقد
اشتمل على أصول العلوم المهمة لاصلاح
المعاش والمعاد وغير ذلك
١٥٤ بيان المراد بالمطهرين واختلاف العلماء في
مس المحدث المصحف هل هو جائز أم لا
وتحقيق الحق في ذلك
١٥٦ توبيخ من بدل شكر نعمة الله كفرًا ونسب
ما انعم الله به عليه الى غيره وفيه الكلام على
اسناد الرزق وغيره الى النجوم
١٥٨ تحدى من ادعى عدم خالقيته تعالى ونسب الفعل

صحيفة

الى غيره بان يرجع روح الميت اليه اذا
بلغت الحلقوم
١٥٩ بيان مراتب الناس بعد الموت
١٥٩ بيان ما أنعم الله به على المقربين من الروح
والريحان وجنة النعيم
١٦٠ بيان احوال أصحاب اليمين
١٦١ بيان جزاء المكذبين الضالين
١٦٢ تنزيه الله تعالى عما يذسبه اليه الكفار
١٦٢ بيان ما قاله السادة ارباب الاشارة في هذه الآيات
١٦٤ ﴿ سورة الحديد ﴾
١٦٤ تسبيح جميع الكائنات لله
١٦٥ تفسير اسمه تعالى الاول والآخر
١٦٦ تفسير اسمه تعالى الظاهر والباطن
١٦٨ تأويل قوله تعالى (وهو معكم اينما كنتم)
١٦٨ بيان أن ما يمد الانسان من الاموال ليس
ملكاً له حقيقة وانما هو مستخلف فيه بمنزلة
الوكيل يصرفه فيما عينه الله تعالى من المصارف
١٦٩ توبيخ من ترك الايمان حسبا أمر به وانكار
أن يكون له عذر بعد أن دعاه الرسول الى
الايمان وأخذ الله عليه الميثاق أن تؤمن به
١٧١ بيان أن المراد من انزال آيات القرآن اخراج
الناس من ظلمات الكفر الى نور الايمان
١٧١ توبيخ من ترك الاتفاق في سبيل الله
١٧٢ بيان تفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت
احوالهم في الاتفاق
١٧٣ نذب الله تعالى العباد الى الاتفاق في سبيله
١٧٤ بيان أن المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم
وبأيامهم على الصراط
١٧٦ تلاشي نور المنافقين وطلبهم من المؤمنين
الانتظار ليقتبسوا من نورهم
١٧٧ بيان احوال المنافقين وحجزهم عن المؤمنين
بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله الخ
١٧٩ عتاب المؤمنين بالفتور والتكاسل فيما ندبوا اليه

- صحيفة
- ١٨٨ تفسير آية (وأنزلنا الحديد)
- ١٨٩ تفسير قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا
وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب)
الآية
- ١٩٠ بيان ابتداء الرهبانية
- ١٩٢ تقسيم البدعة الى خمسة انواع باطل اذا اريد
به البدعة الشرعية لان كل بدعة ضلالة
- ١٦٧ تفسير الكفل والنور الذي يمشى به المؤمن
- ١٦٩ خاتمة سورة الحديد وبه يتم الجزء السابع
والعشرون

- صحيفة
- ١٨١ نهى المؤمنين عن مائلة أهل الكتاب بعد
أن عوتبوا
- ١٨٣ بيان أن من آمن بالله ورسوله يكون بمنزلة الشهداء
في علو الرتبة ورفعة المكانة
- ١٨٤ تحقير أمر الدنيا وضرب المثل لها بالنبات الذي
يعجب الحراث ثم يصير حطاما اشارة الى سرعة
زوالها وقرب اضمحلالها
- ١٨٥ الكلام على قوله تعالى (وجنة عرضها
سبعون الف ذراع) والارض اعدت للذين آمنوا
بالله ورسوله (الآية
- ١٨٨ تفسير الاختيال والفخور

تمت الفهرست والمحمد لله أولا وآخرا